

الْحَوْلُ الصَّدِيقُ لَمَنْ بَدَلَ دِينَ الْمَسِيحَ

لشيخ الإسلام أبي العباس تقى الدين أحمَد بن عبد الحليم

ابن تيمية الحنفية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. محمد دان بن محمد احمد دان
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر

المجلد الثاني

دار العِدَاد
للتَّشْرِيفِ وَالتَّوزِيعِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الْحَقُّ الْصَّحِيحُ
لَمْ يَنْبَدِلْ دِينُ الْمُسْتَحْي

(٤)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

٤٠

ولازم العافية

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ٤٣٥٧ - البريد المركزي ١١٥٥١

هاتف ٤٩٣٣٣١٨ - ٤٩١٥١٥٤ - فاكس

فصل

وإما أن لا^(١) يقروا برسالته إلى العرب ولا غيرهم، بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركون العرب من أنه شاعر، أو ساحر، أو مفتر كاذب، ونحو ذلك. فيقال لهم على هذا التقدير: فدليلكم أيضاً باطل، ولا يجوز أن تتحجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بشيء من كلام الأنبياء قبله، سواء صدقتم محمدأ^(٢) – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في جميع ما يقوله أو في بعضه، أو كذبتموه فدليلكم باطل، فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير، وما ثبت بطلانه على كل تقدير، فهو باطل في نفس الأمر، فيثبت أنه باطل في نفس الأمر، وذلك أنكم إذا كذبتم محمداً لم يبق لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الأنبياء، فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره، بل من اعتقاد كذبه وصدق غيره، لم يكن عالماً بصدق غيره بل يكون مصدقاً لهم بغير علم: وإذا لم يكن عالماً بصدقهم لم يجز احتجاجه قط بأقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم، ومحاجة فيما^(٣) لا علم له بها، فإن الدلائل الدالة على صدق محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى، ومعجزاته أعظم من معجزات غيره، والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره، والشريعة التي جاء بها

(١) في س، ك، ط (وأما إن لم).

(٢) في أ (محمد)، وصححناه من سائر النسخ.

(٣) سقطت (فيما) من وألحقناها من سائر النسخ.

أكمل من شريعة موسى وعيسى – عليهما^(١) السلام – وأمته أكمل في جميع الفضائل من أمة هذا وهذا. ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلّا وهو في القرآن أو^(٢) مثله أو منه، وفي^(٣) القرآن من العلم النافع والعمل الصالح ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، فما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء يطعن به على محمد – صلّى الله عليه وسلم – إلّا ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه على موسى وعيسى .

وهذه جملة مبسوطة في موضع آخر لم نبسطها^(٤) هنا، لأن جواب كلامهم لا يحتاج إلى ذلك، فيمتنع الإقرار بنبوة موسى وعيسى – عليهما السلام – مع التكذيب بنبوة محمد – صلّى الله عليه وسلم – ولا يفعل ذلك إلّا من هو من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عناداً واتباعاً لهواه، وذلك أن^(٥) هؤلاء القوم احتجوا بما نقلوه عن الأنبياء، ولم يذكروا الأدلة الدالة على صدقهم^(٦)، بل أخذوا ذلك مسلماً وطلبوا أن يحتجوا بما نقلوه عن الأنبياء قبله، وبما نقلوه عنه على صحة دينهم،

(١) في س، ك (عليه).

(٢) سقطت (أو) من ط .

(٣) سقطت من س (الواو).

(٤) تحدث بالتفصيل عن هذا في الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب.

(٥) سقطت جملة (وذلك أن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٦) تحدث الشيخ رحمة الله في الجزء الثالث من الكتاب عن هذه المسألة بالتفصيل وبين أن فيمن ذكره أهل الكتاب على أنهنبي ليسنبي عند المسلمين كمليخا، وعاموص وأن من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود، وسليمان، لم يثبت عند المسلمين أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام وأن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد – صلّى الله عليه وسلم – إلّا بـإثـبـاتـهـمـ . . . إلـغـ ما ذـكـرـهـ منـ الحـجـجـ الـقوـيـةـ فـيـ هـذـاـ .

وهذه حجة داحضة سواء صدقوه أو كذبوا، فإن صدقوه بطل دينهم وإن كذبوا بطل دينهم، فإنهم إن صدقوا فقد علم أنه دعاهم وجميع أهل الأرض إلى الإيمان به وطاعته، كما دعا المسيح وموسى وغيرهما من الرسل وأنه أبطل ما هم عليه من الاتحاد وغيره، وكفرهم في غير موضع، ولهذا كان مجرد التصديق بأن محمداً رسول الله ولو إلى العرب يوجب^(١) بطلان دين النصارى واليهود وكل دين يخالف دينه. فإن من كان رسولاً لله فإنه لا يكذب على الله، ومحمد^(٢) – صلى الله عليه وسلم – قد علم منه أنه دعا النصارى واليهود إلى الإيمان به وطاعته كما دعا غيرهم، وأنه كفر من لم يؤمن به ووعده النار، وهذا متواتر عنه تواتر^(٣) تعلمـةـ العـامـةـ وـالـخـاصـةـ وـفـيـ الـقـرـآنـ مـنـ ذـلـكـ مـاـ يـكـثـرـ ذـكـرـهـ،ـ كـمـاـ

قال – تعالى – :

﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ الَّهِ يَنْهَا أُخْرَافُ مُطَهَّرَةٍ ۝ فِيهَا كُذْبٌ قِيمَةٌ ۝ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاهٍ نَّهَمُ الْبَيِّنَاتُ ۝ وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيُقْيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوْنَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَوْلَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَرَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدَنَ تَحْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَسِيَ رَبِّهِمْ ۝﴾^(٤).

(١) في أ (فوجب)، والصواب ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٢) في ط (ومحمد رسول الله).

(٣) في أ، س، ك (التواتر)، وصححناه من ط.

(٤) سورة البينة كلها.

وقال – تعالى – :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَلْوَانُ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَمُ وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَا وَمَنْ يَكْفُرُ بِيَقِنَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١٩) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ وَالْأُمَّيْمَنَ إِنَّ أَسْلَمْتُمْ فَإِنَّ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَصِيرُ إِلَيْكُمْ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٠) .

وقد ذكر كفر اليهود والنصارى في غير^(١) موضع، كقوله – تعالى – عن النصارى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمْمَهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَيْعًا . . . ﴾ (٢) .

وقال – تعالى – أيضاً :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ اسْمُهُ يَسُوعُ اَنْتُ اَعْبُدُو اَللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ اِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أُولَئِكُمْ بِالظَّالِمِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ ﴾ (٢١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا كَانَ إِنَّمَا إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَأْتُهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٢) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٨ – ٢٠ .

(٢) سقطت (غير) من ط.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧ .

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمَ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّةٌ صِدِّيقَةٌ كَانَتْ يَأْكُلُنَّ الْطَّعَامَ أَنْظَرَ
كَيْفَ بَيْتُ لَهُمُ الْأَيَّاتِ شَمَّا نَظَرُوا فَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَبْعَدُونَ
مِنْ دُونِنِ اللَّوْمَ إِلَّا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ أَلَّا سَمِيعُ الْعَلِمِ ﴿٧٦﴾
يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوْا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوْا كَيْدَرَا وَضَلُّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١﴾ .

وقال – تعالى – :

﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقْلُوْا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَقْنَهَا إِلَيْ مَرِيمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ
فَعَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقْلُوْا ثَلَاثَةَ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ^١ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾ لَنْ
يَسْتَنِكُفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْقَرِبُونَ وَمَنْ يَسْتَنِكُفُ
عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْتَكِيرُ فِي سِيَّحِ شَرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٢﴾ فَإِنَّمَا الَّذِينَ أَمْنَوْا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوْفَقُهُمْ أَجُورُهُمْ وَبِزِيَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَسْتَنِكُفُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَهُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا
فَإِنَّمَا الَّذِينَ أَمْنَوْا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيِّدُ خَلْمُ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٤﴾ .

وقال – تعالى – :

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٢ – ٧٧.

(٢) سورة النساء الآيات ١٧١ – ١٧٥.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَّزَابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ يَا فَوَاهِمُ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ أَنَّهُمْ أَنْجَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ أَبْنِ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحْدَهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ١٤١.

وقال - تعالى - :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَبْنَ مَرْيَمَ أَنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنَّنَجَذَبُ فِي وَأَنَّمَا إِلَهَنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْوَبِ ١٤٢ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ إِنْ أَعْبُدُو إِلَهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا وَفَتَتِنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٤٣.

فقد قال - تعالى - :

لَقَدْ كَفَرَ الظَّاهِرُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ أَبْنُ مَرْيَمَ .. ١٤٤.

في الموضعين .

وقال تعالى :

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ .. ١٤٥.

وقال - تعالى - : .. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ .. ١٤٦.

(١) سورة التوبة: الآياتان ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة المائدة: الآياتان ١١٦، ١١٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧ ، وتكررت في المائدة نفسها رقم ٧٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

وقال – تعالى – :

﴿... وَقَالَتِ النَّصَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ...﴾^(١).

والنصارى قالت الأقوال الثلاثة، فذكر الله عنهم هذه الأقوال^(٢) لكن من الناس من يظن أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم.

كما ذكره طائفة من المفسرين^(٣)، كابن جرير الطبّري^(٤) والشّعّب^(٥) وغيرهما ثم تارة يحكى عن اليعقوبيّة^(٦): أن عيسى هو الله،

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٢) في الجملة من قوله: (والنصارى إلى قوله – الأقوال) تقديم وتأخير في س، ك، ط لا يضر.

(٣) ورد كلام قبل هذه الجملة في نسختي ك، ط. وهو كلام زائد ومرتكب لا مكان له قد أخل بالمعنى وقد سقط من أ، ومن س. ونصه: «وقولهم ثالث ثلاثة قول النسطورية. وقولهم: إنه ابن الله قول الملكانية، ومنهم من يقول قوله: إن الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية وقولهم والأية وروح القدس، وظن ابن جرير الطبّري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكانية».

(٤) انظر: تفسير ابن جرير – رحمة الله – ٢٠٢/٦ (مجلد ٤) عند آية المائدة: ٧٣.
وانظر: ٤٨١ – ٤٨٠: ط دار المعارف بمصر، وانظر: تفسير القرطبي ٢٤٩/٦ – ٢٥٠: ط دار الكتاب العربي.

(٥) الشّعّب هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الشّعّب أبو إسحاق: مفسر من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ من كتبه «الكشف والبيان في تفسير القرآن» مخطوط، وقد ذكر الذّهبي صاحب التفسير والمفسرون ٢٢٩/١ أنه يوجد منه نسخة غير كاملة في مكتبة الأزهر برقم (١٣١) ٥٥٦١، ويعرف بتفسير الشّعّب توفي رحمة الله سنة ٤٢٧ هـ.

انظر: البداية والنهاية ١٢/٤٠؛ وإناء الرواة ١١٩/١؛ والأعلام ٢١٢/١.

(٦) اليعقوبيّة: نسبة إلى يعقوب البرذاعي، وكان راهباً بالقدسية.

وعن النسطورية^(١) : أنه ابن الله ، وعن المريوسية^(٢) : أنه ثالث ثلاثة ، وتسارة يحكون عن النسطورية: أنه ثالث ثلاثة ، وعن الملكية^(٣) : أنه الله ، ويفسرون قولهم: ثالث ثلاثة بالأب والابن ، وروح القدس.

والصواب: أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية ، فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة: الأب والإبن وروح القدس ، فتقول: إن الله ثالث ثلاثة ، وتقول عن المسيح: إنه الله ، وتقول إنه ابن الله ، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت^(٤) والناسوت^(٥) وأن المتحد هو الكلمة ، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك ، وهو قولهم: «نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل ، خالق السموات والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، ويرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحد المولود من الآب

(١) النسطورية: نسبة إلى نسطور، وسبق بيان مذهبهم في قسم الدراسة.

(٢) المريوسية: لعلها منسوبة إلى «بريموس» من القرن الثاني الميلادي ولد بالإسكندرية ، وانتخب بطريركاً ، وكان واعظاً ، يقيم الأساقفة والقساوسة ، وكتب إثنى عشر عاماً ، وكانت وفاته سنة ١٢١ م كما ذكر النصارى.

انظر تاريخ الكنيسة القبطية تأليف منسي القمص ص ٣٤ ، (ط ٣ ، القاهرة الحديثة ١٩٨٢ م).

(٣) الملكية: هي المسيحية الرسمية وهي أسبق من النسطورية واليعقوبية ، وتنسب إلى ملوك النصارى ، وقيل إلى ملكا ، الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ، ومذهبهم أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم.

انظر: الفصل لابن حزم ٤٨/١ ، والملل والنحل ١/٢٢٢ ، والمعنى للقاضي عبد الجبار ٥/٨٤ ، وتاريخ ابن البطريق ص ٢٠١ ، ونشأت الفكر الفلسفى في الإسلام ٩٥/١.

(٤) اللاهوت: تعنى الجانب الإلهي من عيسى في معتقد النصارى.

(٥) الناسوت: يعنون به الجانب البشري من عيسى.

قبل كل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق»^(١).

وأما قوله – تعالى – :

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ...﴾.

وقوله :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...﴾.

فقد فسروه^(٢) بالثلث المشهور عنهم، المذكور في أمانتهم، ومن الناس من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم قول اليعقوبي، وقولهم^(٣): ثالث ثلاثة هو قول النصارى الذين يقولون بالأب والابن^(٤) والروح القدس^(٥) وهم^(٦) قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة، وسموا كل واحد من الثلاثة بـالإله والرب، وقد فسّر طائفة بجعلهم عيسى وأمه إلهين يعبدان من دون الله.

قال السدي^(٧) في قوله – تعالى – :

(١) سبقت الإشارة إلى قانون الأمانة عند الطائفتين الرئيسيتين: الكاثوليك، والأرثوذكس والمقارنة بين النصوص.

(٢) في أ (فسره) وصححناه من سائر النسخ.

(٣) سقطت (قولهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) سقطت (الابن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٥) سقطت (والروح القدس) من أ، ك، ط وزدناها من س.

(٦) في س زيادة جملة لا مكان لها، نصها: «وطن ابن جرير الطبّري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطوريّة والملكيّة» حيث سبقت الإشارة إليها.

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠٢/٦ – ٢٠٣ (مجلد ٤)، قال ابن كثير بعد أن ساق

تفسير السدي: «وهذا القول هو الأظهر والله أعلم». تفسير ابن كثير ٨١/٢ عند آية المائدة: ٨٣

والسدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، تابعي، حجازي الأصل، =

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَالِثَتُ...﴾.

قال: قالت النصارى: إن الله هو المسيح وأمه. فذلك قوله: ﴿... أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ ذُوَفِي وَأَمِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾.

وقد قيل قول^(١) ثالث أغرب من ذلك عن أبي صخر^(٢)، قال:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَالِثَتُ...﴾.

قال: هو قول اليهود عزير^(٣) ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة، وهذا ضعيف، وقد ذكر سعيد بن البطريق^(٤) في أخبار النصارى أن منهم طائفة - يقال لهم

صاحب التفسير، والمغازي والسير. قال الحافظ ابن حجر: صدوق بهم، ورمي بالتشييع، مات سنة ١٢٧هـ، وقيل: سنة ١٢٨هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٧١/١ (٥٣١)؛ وتهذيب التهذيب ١/٣١٣؛ والأعلام للزرکلی ١/٣١٧؛ والخلاصة للخزرجی ص ٣٥.

(١) في ك (قولاً).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثیر في تفسیره ٢/٨١؛ وعزاه لابن أبي حاتم بسنده، عن أبي صخر... وذکرها قال الحافظ ابن كثیر: «وهذا قول غریب في تفسیر الآیة أن المراد بذلك طائفتنا اليهود والنصارى، والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد». انتهى کلامه رحمة الله.

وأبو صخر، لعله: حمید بن زید أبو صخر بن أبي المخارق الخراط، مدنی سکن مصر، قال ابن حجر: «صدوق بهم من السادسة مات سنة ١٨٩هـ».

انظر: تقریب التهذیب ١/٢٠٢ (٥٩٤)؛ وتهذیب التهذیب ٣/٤١.

(٣) عزیر بن جروة، ويقال بن سوریق، ويقال بن سروخا. من نسل هارون بن عمران. قال الحافظ بن کثیر: والمشهور أن عزیراً نبی من أنبیاء بنی إسرائیل، وأنه کان فيما

بین داود، وسليمان، وبنی زکریا، ویحیی.

انظر: ترجمة له في البداية والنهاية ٢/٤٦؛ وتممة المختصر لابن الوردي ١/٤٦. ورجال الكتاب المقدس للیاس مقار ٢/٢٩٧.

(٤) سعید بن البطريق: طیب مؤرخ، من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريقاً في

المريميون^(١) – يقولون: إن مريم إله وإن عيسى إله .
وأما الأول فمتوجه، فإن النصارى المتفقين على الأمانة، كلهم
يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، والله – تعالى – قد نهاهم عن أن يقولوا
ذلك، فقال – تعالى – :

﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لَا تَنْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَيْنَا إِنَّ مَرِيمَ وَرُوحُ مَنْهُ
فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتُمْ بَأْخَرُ الْكُلُّمْ...﴾^(٢).

فذكر – سبحانه – في هذه الآية التثليث والاتحاد ونهاهم عنهما،
وبيّن أنّ المسيح إنما هو رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .
وقال :

﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

ثم قال :

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتُمْ بَأْخَرُ الْكُلُّمْ...﴾.

الإسكندرية سنة ٣٢١هـ ، من مؤلفاته كتاب «نظم الجوهر» في التاريخ، وهو
مطبوع .

انظر في ترجمته: طبقات الأطباء ٨٦/٢؛ والأعلام للزركلي ٩٢/٣ .

(١) في أ، س، ك (المريمية) وفي ط (المرسية)، وكلها خطأ، وما أثبته من تاريخ
ابن البطريق حيث ورد ما نصه: «فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه الهان من
دون الله وهم البربرانية، ويسمون المريميين».

انظر: ص ١٢٦ من كتابه نظم الجوهر (ط الأباء اليسوعيين).
قلت: وهم منسوبون إلى مريم لزعمهم بأنها إله، كما ورد في مذهبهم .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١ .

لم^(١) يذكر هنا أمه. قوله – تعالى – :
﴿وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَنَهَا إِلَى مَرِيمٍ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

قال معمر^(٢) عن قتادة^(٣) : « وكلمته ألقاها إلى مريم هو^(٤) » قوله :
كن فكان.
وكذلك قال قتادة : « ليس الكلمة صار عيسى ، ولكن بالكلمة صار
عيسى »^(٥).

وكذلك قال الإمام أحمد^(٦) في مصنفه الذي صنفه في كتابه في الرد
على الجهمية ، وذكره عنه الخلال^(٧) والقاضي أبو يعلى^(٨) . قال أحمد :

(١) في ط (ولم).

(٢) معمر بن راشد الأزدي (مولاهم) ، ثقة ، ثبت ، فاضل من كبار الطبقة السابعة ، مات
سنة ١٥٤هـ . وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

انظر : تقريب التهذيب ٢٦٦/٢ (١٢٨٤) ؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ ؛ وميزان
الاعتدال ٤/١٥٤ .

(٣) قتادة : سبقت ترجمته .

(٤) في ط (وهو).

(٥) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره ٢٥/٦ (مجلد ٤) ، قال : حدثنا الحسن بن
يعيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : وذكره وانظر تفسير
ابن كثير ١/٥٩٠ عن آية ١٧١ من سورة النساء .

(٦) في ث ، ط (أحمد بن حنبل).

(٧) الخلال : أحمد بن هارون أبو بكر الخلال : مفسر عالم بالحديث واللغة من كبار
الحنابلة ، من أهل بغداد ، جامع علم أحمد ومرتبه كما قال الذهبي ، من كتبه تفسير
الغريب ، وطبقات أصحاب ابن حنبل ، والسنّة ، والعلل وغيرها .
توفي – رحمه الله – سنة ٥٣١هـ .

انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢/١٢ ؛ والبداية والنهاية ١١/١٤٨ ؛ وتذكرة
الحفظ ٣/٧٨٥ ؛ ومناقب الإمام أحمد ٦١٨ ؛ وابن قدامة وأثاره الأصولية للدكتور
السعيد ١/٤٦ – ٤٧ ؛ والأعلام ١/٢٠٦ .

(٨) سبقت ترجمته .

ثم إن الجهم ادعى أمراً فقال: إننا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق. قلنا: أي آية؟ قال: قول الله:

«إِنَّمَا أَلْمَسَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولًا لَّهُ وَكَلِمَتُهُ . . .»^(١)

قلنا: إن الله منعكم الفهم في القرآن، عيسى – عليه السلام – تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأن عيسى * يجري عليه نسمة *^(٢) ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب^(٣) وهو يخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد، هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال عيسى؟ ولكن المعنى في قوله – جل ثناؤه – :

«إِنَّمَا أَلْمَسَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولًا لَّهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَيْيَّ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ . . .»

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى^(٤) بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قوله^(٥): وليس الكن مخلوقاً، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته؛ لأن الكلمة مخلوقة.

(١) سورة النساء: الآية ١٧١، وفي س وط (ألقاها إلى مريم).

(٢) مابين التجمتين ساقط من أوزدناه من س، ك، ط وفي س (تسمية) بدل (نسمة).

(٣) في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية: «لأنه يسميه مولوداً وطفلاً وصبياً وغلاماً يأكل ويشرب» ص ١٢٤.

(٤) في أ (فكان) مكررة وهو خلاف النسخ الأخرى وخلاف ما جاء في كتاب الرد على الزنادقة ص ١٢٤.

(٥) في كتاب الرد ص ١٢٤ (قول).

و^(١) قالت النصارى: روح الله من ذات الله، وكلمة الله^(٢) من ذات الله، كما يقال: هذه^(٣) الخرقه من هذا الشوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

قال أحمد^(٤): - وأما قوله - جل ثناوه - :

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

يقول من أمره كان الروح فيه كقوله:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ . . .﴾^(٥).

يقول^(٦) من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقهم الله^(٧)، كما يقال: عبد الله وسماء الله^(٨)، وفي نسخة روح يملكون الله خلقها الله^(٩).

وقال الشعبي^(١٠) في قوله - تعالى - :

(١) سقطت الواو من ط وهي ثابتة في سائر النسخ وفي الرد على الزنادقة، ص ١٢٤.

(٢) في (الرد) «وكلمته من ذات الله».

(٣) في الرد: (إن هذه).

(٤) سقطت (قال أحمد) من س.

(٥) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٦) في ل، ط (يقول) بالمنشأة التحتية.

(٧) في أ، س، ل (خلقياً) وصححته من ط ومن الرد: ص ١٢٥.

(٨) في الرد: (عبد الله وسماء الله وأرض الله) ص ١٢٥.

(٩) ورد النص الذي نقله الشيخ بتصرف يسir في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية»، للإمام أحمد في ص ١٢٣ - ١٢٥، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، نشر دار اللواء.

(١٠) هو عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة من شعب همدان، وكنيته أبو عمرو، ولد سنة عشرين للهجرة، وهو من التابعين، اشتهر بكثرة علمه وسعة حلمه، كان =

﴿... وَكَلَمَتُهُ، وَلَقَنَهَا إِلَى مَرِيمَ...﴾.

الكلمة حين قال له: كن فكان عيسى بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان^(١).

وقال ليث^(٢) عن مجاهد^(٣): روح منه. قال: رسول منه^(٤) يريد مجاهد قوله:

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٥) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقْيَّا﴾^(٦) قَالَ إِنَّمَا أَنْذِرْتُكُمْ رَبِّكُمْ...﴾^(٧).

حافظاً، تقىياً، فقيهاً، شاعراً، ثقة، مشهوراً، نقل عنه قوله: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظه، ولا حدثني رجل بحديث فاحببت أن يعيده عليّ، له مراسيل صحيحة، مات رحمة الله سنة تسع ومائة وعشرين. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٥/٥ - ٦٩؛ وتقريبه ١/٣٨٧؛ والبداية والنهاية ٩/٢٣٠.

(١) بحثت عن هذا الأثر من طريق الشعبي في كتب التفسير بالماثور: تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم، والدر المنشور، وغيرها فلم أقف عليه، وإنما جاء بتفسير قتادة وسبق تخربيجه.

(٢) هو ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم أحد العلماء والنساك، قال ابن حجر صدق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك... مات سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية. وقيل: سنة (١٤٣) هجرية.

انظر: تهذيب التهذيب ٢/١٣٨ (٩)؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٦٨ - ٤٦٥؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٣/٤٢٠ (٦٩٩٧). والخلاصة للخزرجي ص ٣٢٣.

(٣) سبقت ترجمة مجاهد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن ليث، عن مجاهد، في تفسير آية النساء: ١٧٣ في الجزء الثاني من تفسيره ورقة ٢٠٤، آخر الجزء، مخطوط بمكتبات جامعة الإمام، رقم الفيلم (٢٦٧٦).

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ - ١٩.

والمعنى أن عيسى خلق من الروح وهو جبريل روح القدس، سمي روحًا كما سمي كلمة؛ لأنه خلق بالكلمة والنصارى يقولون في أمانتهم: تجسد من مريم ومن^(١) روح القدس؛ لأنه كذلك^(٢) في الكتب المتقدمة، لكن ظنوا أن روح القدس هو صفة الله^(٣) وجعلوها حياته وقدرته وهو رب، وهذا غلط منهم فإنه لم يسم أحد من الأنبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئاً من صفاته روح القدس، بل روح القدس في غير موضع من كلام الأنبياء – عليهم السلام – يراد بها ما ينزله الله على قلوب الأنبياء، كالوحى، والهدى، والتأييد ويراد بها الملك، وهكذا في تفسير ابن السائب^(٤) عن أبي صالح^(٥) عن ابن عباس: أن عيسى بن مرريم استقبل رهطاً من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فقدوه وأمه، فلما سمع عيسى ذلك

(١) سقطت (ومن) من أوزدناها من سائر النسخ.

(٢) في ك، ط (لأنه جاء كذلك).

(٣) في أ (الله).

(٤) محمد بن السائب الكلبي، الكوفي، المفسر، النسابة، الأخباري. كان سببياً من أصحاب ابن سباء، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال الدارقطني وجماعة: متروك وقال الجوزجاني وغيره: كذاب صنف كتاباً في تفسير القرآن وسئل الإمام أحمد هل يحل النظر في تفسيره؟ فقال: لا. وقال الذهبي لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به. مات سنة ١٤٦ هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦؛ وتهذيب التهذيب ٩/١٧٨؛ والأعلام ٦/١٣٣.

(٥) أبو صالح: باذام، بالذال المعجمة، ويقال: باذان: مولى أم هانىء بنت أبي طالب. تابعي وهو ضعيف مدلس كما قال ابن حجر، وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء.

انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٢٩٦؛ وتهذيب التهذيب ١/٤١٦؛ وتقريره ١/٩٣ (٢).

قال: اللهم أنت ربى، وأنا من روحك خرجت، وبكلماتك خلقتني^(١)،
ولم آتكم من تلقاء نفسي^(٢). وذكر تمام الحديث.

وقد قال – تعالى – :

﴿وَالَّتِي أَحْسَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا إِيمَانَ الْعَلَمِينَ﴾^(٣).

وقال – تعالى – : ﴿وَمِنْهُمْ أَبْنَتْ عِمْرَنَ الَّتِي أَحْسَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا
فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...﴾^(٤).

فهذا يوافق قوله – تعالى – :

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٥) ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ
مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقْيِيَّا﴾^(٦) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ...﴾^(٧).

والمقصود هنا: أنهم سواء صدقوا محمداً أو كذبوا، فإنه يلزم
بطلان دينهم على التقديرين، فإنه إن كاننبياً صادقاً، فقد بلغ عن الله

(١) في أ (خلقت).

(٢) هذه الطريق عن ابن عباس من أضعف الطرق؛ لأن الكلبي ضعيف ومتهم بالكذب
وابا صالح ضعيف مدلس، قال السيوطي في الاتقان ٢٤٢/٢ «وأوهى طرقه طريق
الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انسن إلى ذلك رواية محمد بن مروان
السدي الصغير فهي سلسلة الكذب»، وقال في الدر المثور ٤٢٣/٦ «وقد مرض
الكلبي مرة فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثكم عن أبي صالح كذب».
قلت: ولم أجده من خرج هذه القصة وقد بحثت في التفاسير، وفي كتب النصارى
وفي كتب الآثار وفي تفسير ابن عباس فلم أعثر عليها، والله أعلم.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٥) سورة مرثيم: الآيات ١٧ – ١٩.

في هذا الكتاب كفر النصارى في غير موضع، ودعاهم إلى الإيمان به، وأمر بجهادهم، فمن علم أنهنبي ولو إلى طائفة معينة، يجب^(١) تصديقه في كل ما أخبر به، وقد أخبر بـكفر النصارى وصلالهم، وإذا^(٢) ثبت هذا لم يغرنـهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول، بل يعلم من حيث الجملة أن كل ما يـحتاجون به على صحة دينهم فهو باطل، وإن لم يـبين فـساد حجـجـهم على التفصـيل؛ لأنـ الأنـبيـاء لا يـقولـون إلاـ حـقاـ، كماـ أنـ المـسيـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـماـ حـكـمـ بـكـفـرـ منـ كـذـبـهـ منـ الـيهـودـ، كـانـ كـلـ ماـ يـحـتـجـ بهـ الـيهـودـ عـلـىـ خـلـافـ ذـلـكـ باـطـلـاـ، فـكـلـ ماـ عـارـضـ قـوـلـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ^(٣)ـ الـمـعـصـومـ فـهـوـ باـطـلـ، وـإـنـ كـذـبـواـ مـحـمـدـاـ^(٤)ـ تـكـذـبـيـاـ عـامـاـ مـطـلـقـاـ وـقـالـواـ: لـيـسـ هـوـ نـبـيـ أـصـلـاـ، وـلـاـ أـرـسـلـ إـلـىـ أـحـدـ لـاـ إـلـىـ الـعـرـبـ وـلـاـ إـلـىـ غـيـرـهـ بـلـ كـانـ كـذـابـاـ^(٥)ـ، اـمـتـنـعـ مـعـ هـذـاـ أـنـ يـصـدـقـواـ بـنـبـوـةـ غـيـرـهـ؛ فـإـنـ الـطـرـيقـ الـذـيـ يـعـلـمـ بـهـ نـبـوـةـ مـوـسـىـ وـعـيـسـىـ يـعـلـمـ بـهـ نـبـوـةـ مـحـمـدـ بـطـرـيقـ الـأـوـلـىـ^(٦)ـ، فـإـذـاـ قـالـواـ: عـلـمـتـ نـبـوـةـ مـوـسـىـ وـمـسـيـحـ بـالـمـعـجـزـاتـ وـعـرـفـتـ الـمـعـجـزـاتـ بـالـنـقـلـ الـمـتـوـاـتـرـ إـلـيـنـاـ. قـيلـ لـهـمـ: مـعـجـزـاتـ مـحـمـدــ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ^(٧)ـ أـعـظـمـ، وـتـوـاتـرـهـ أـبـلـغـ، وـالـكـتـابـ الـذـيـ جـاءـ بـهـ مـحـمـدــ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ أـكـمـلـ، وـأـمـتـهـ أـفـضـلـ، وـشـرـائـعـ دـيـنـهـ أـحـسـنـ، وـمـوـسـىـ جـاءـ بـالـعـدـلـ وـعـيـسـىـ جـاءـ بـتـكـمـلـهـاـ بـالـفـضـلـ، وـهـوـ

(١) في ك، ط (فيجب).

(٢) في ك، ط (فإذا).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك.

(٤) سقطت (مـحـمـدـاـ) من أو فيها (وـإـنـ كـذـبـهـ).

(٥) في ك، ط (من الـكـذـابـينـ).

(٦) في ط (الأـرـضـ) بـدـلـ (الأـوـلـىـ) وـهـوـ خـطـأـ وـاضـحـ.

(٧) أضـفـنـاـ جـمـلـةـ الدـعـاءـ مـنـ طـ.

– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَدْ جَمَعَ فِي شَرِيعَتِهِ بَيْنَ^(١) الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ.

فَإِنْ سَاغَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولُ: هُوَ مَعَ هَذَا كَاذِبٌ مُفْتَرٌ، كَانَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الْبَاطِلُ غَيْرُهُ أَوْلَى أَنْ يَقُولَ فِيهِ ذَلِكَ^(٢). فَيُبَطِّلُ بِتَكْذِيْبِهِمْ مُحَمَّداً – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَمِيعَ مَا مَعَهُمْ مِنَ النَّبَوَاتِ إِذَا^(٣) حَكْمُ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ حَكْمٌ مُثْلِهِ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَوْلَى مِنْهُ؟ فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ هَارُونَ وَيُوشعَ^(٤) وَدَاؤُودَ وَسَلِيمَانَ كَانُوا أَنْبِيَاءً وَمُوسَى لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا. أَوْ أَنَّ دَاؤُودَ وَسَلِيمَانَ وَيُوشعَ كَانُوا أَنْبِيَاءً وَالْمَسِيحُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا. أَوْ قَالَ مَا تَقُولُهُ السَّامِرَةُ^(٥): أَنَّ يُوشعَ كَانَ نَبِيًّا وَمِنْ بَعْدِهِ كَدَاؤُودَ وَسَلِيمَانَ وَالْمَسِيحُ لَمْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءً. أَوْ قَالَ مَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ: إِنَّ دَاؤُودَ وَسَلِيمَانَ

(١) سقطت (بين) من آ، وفي س (به) وألحقناها من ك، ط.

(٢) سقطت (ذلك) من أ و زدناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (إذا) وهو خطأ.

(٤) يُوشعُ بْنُ نُونٍ بْنُ إِفْرَائِيمَ بْنُ يُوسُفَ، وَلَدُ بِمِصْرِ، وَخَرَجَ مَعَ مُوسَى إِلَى الْبَحْرِ لِمَا سَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَتَّقَ عَلَى نَبَوَتِهِ عَنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلَمَّا كَانَ السَّامِرَةُ لَا يَقْرُونَ بِنَبَوَةِ أَحَدٍ بَعْدَ مُوسَى إِلَّا يُوشعَ، لَأَنَّهُ مَصْرُوحُ بِهِ فِي التُّورَةِ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ.

انظر البداية والنهاية ٣١٩/١؛ وحسن المحاضرة للسيوطى ٥٣/١.

(٥) السامرية: طائفة من اليهود اختلفوا عن سائر اليهود بأنهم آمنوا بموسى، وهارون، ويُوشع – عليه السلام – وأنكروا نبوة من بعدهم إلَّا نبِيًّا واحداً يأتِي مِنْ بَعْدِ مُوسَى، وقد افتقروا في تعينه، ولهم توراة غير التي بِأَيْدِي سائر اليهود (التوراة السامرية) ولهم زيادة تكشف عن باقي اليهود، وقبلتهم جبل يقال له (غريزيم)، ويقولون أن مدينة القدس هي نابلس، وتبعد ثمانية عشر ميلاً عن بيت المقدس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولغتهم غير لغة اليهود، قالوا والتوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنُقلت إلى السامرية.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢١٨/١؛ والفصل لابن حزم ٩٩/١؛ وتفسير ابن حجر ٢/٦٦؛ والقرطبي ٢٨٥/٧؛ وزاد المسير ٢٦١/٣.

وأشعيا^(١) وحقوق^(٢) ومليخا^(٣) وعاموص^(٤) وDaniyal^(٥) كانوا أنبياء،

(١) في أ، س (وأشعيا)، وفي ط (وشعيا)، وصوابه ما أثبتناه من ك (أشعيا). حيث ورد في التوراة التي بين يدي القوم كذلك وفي التراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمه ص ١٧٢ أنه «أشعيا بن عاموص»، ومعنى الاسم: (خلاص يهوه) أو خلاص الرب.

قال الدكتور صابر «ومع أن أشعيا من أشهر أنبياء العهد القديم إلا أنه لم يعرف عنه إلا القليل من سيرته، وفي مقدمات أسفار هوشع، وعاموص، وميخا ما يدل على أن هؤلاء كانوا معاصرين لأشعيا...» إلخ ما ذكر حيث أضاف في الحديث عنه وعن سفره الذي اختلف فيه اليهود والنصارى.

وانظر الكتاب المقدس عندهم ص ٩٩٢ من العهد القديم، ورجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار (ط: دار الثقافة) ٢/٣٣٩.

(٢) حقوق: معناه في التراث الإسرائيلي (المعانق) ويزعمون أنه كان كيعقوب يصارع الله بالصلوة، ويقررون أنه كان لاويأ، من سبط لاوي بن يعقوب. وله سفره المسمى باسمه ويتألف من ثلاثة إصلاحات.

انظر العهد القديم ص ١٣٢٩؛ والتراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمه ص ٢٤٩.

(٣) مليخا أو ملاخي. يذكر الدكتور صابر في التراث الإسرائيلي ص ٢٦٣ «أنه لا توجد دراسات حول ملاخي تفصح عن شخصيته، وسلسلة نسب آبائه، كذلك في كل كتابات العهد القديم لا يعثر على أثر يذكر من قريب أو بعيد، وملخي لعلها اختصار لكلمة «ملاخيا» التي تعبّر في العبرية عن شراح التراث عن ملاك الرب أو مرسل الرب.

وانظر سفره في العهد القديم ص ١٣٥٤، وله ترجمة في رجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار ٢/٥٧١.

(٤) عاموص: أحد أنبياء بنى إسرائيل، ولد كما في سفره في قرية (تقوع) الواقعة في جنوب (أورشليم)، كان راعياً للغنم كما ورد في سفره. ويدرك الدكتور طعيمه أن ظهوره كان في أيام الملك (يريعام الثاني) ملك إسرائيل. ويكون سفر عاموص من تسعه إصلاحات.

انظر العهد القديم ص ١٣٠٣؛ والتراث الإسرائيلي ص ٢٢٨؛ ورجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار ٢/٤٦٣.

(٥) دانيال: من سبط يهودا، ويمتد نسبه إلى عائلة داود بن يسي، ويعني اسمه في =

وال المسيح بن مرريم لم يكننبياً، كان هذا قولًا متناقضًا معلوم البطلان، فإن الذين نفوا هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة من أتبواها له. ولدائل نبوة الأكمل أفضل^(١) فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل؟ وصار هذا كما لو قال قائل أن زفر^(٢) وابن القاسم^(٣) والمزنبي^(٤)

العبرية (الله ديني أو قاضي)، عاش عصر المحنـة الكـبرـى التي تـعرض لها شـعبـ يـهـوـذاـ وـقـدـ أـسـرـ فـيـ غـرـوـ بـاـبـلـ، وـهـوـ الـذـيـ فـسـرـ حـلـمـ مـلـكـ بـاـبـلـ عـنـ التـمـثـالـ العـظـيمـ كـمـاـ وـرـدـ فـيـ سـفـرـ دـانـيـاـلـ.

انظر العهد القديم ص ١٢٦٠؛ والتراث الإسرائيـليـ ص ٢١١ وورد شيء من إخباره في البداية والنهاية ٢/٤٠؛ وورـدتـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ رـجـالـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ لـلـيـاـسـ مـقـارـ ٤٠٣/٢.

(١) في أ، س (الأفضل أكمل) وما أثبـتـاهـ أولـيـ بـسـيـاقـ الجـملـةـ.

(٢) في س (رقم) وهو خطأ.

وزفر هو ابن الهذيل بن قيس العبرـيـ من تمـيمـ. فـقـيـهـ كـبـيرـ مـنـ أـصـحـابـ أـبـيـ حـيـفـةـ وـلـيـ قـضـاءـ الـبـصـرـ، وـهـوـ أـحـدـ الـعـشـرـ الـذـيـنـ دـوـنـواـ الـكـتـبـ. وـقـدـ جـمـعـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـعـبـادـةـ مـاـتـ رـحـمـهـ اللـهـ سـنـةـ ١٥٨ـهـ وـكـانـتـ ولـادـتـهـ سـنـةـ ١١٠ـهـ.

انظر شذرات الذهب ١/٢٤٣؛ وال عبر ١/٢٢٩؛ والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ص ١٧٣ - ١٧٤؛ والأعلام ٤٥/٣.

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم المصري، ولد سنة ١٣٢هـ تفقـهـ بـالـإـلـمـ مـالـكـ، وـصـحـبـ عـشـرـينـ سـنـةـ، وـهـوـ صـاحـبـ الـمـدـوـنـةـ طـبـعـتـ فـيـ سـنـةـ عـشـرـ جـزـءـأـ، روـاهـاـ عـنـ إـلـمـ مـالـكـ قـالـ فـيـ الـأـنـتـقاءـ روـايـتـهـ صـحـيـحـةـ قـلـيلـةـ الـخـطـأـ مـاـتـ بـمـصـرـ سـنـةـ ١٩١ـهـ. - رـحـمـهـ اللـهـ -.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٢٩؛ وحسن المحاضرة ١/٣٠٣؛ وال عبر ١/٣٠٧. والانتقاء ص ٥٠ والأعلام ٣٢٣/٣.

(٤) هو إسماعيل بن يحيى المزنـيـ، من مـزـيـنـهـ قـبـيـلـةـ مـنـ مـصـرـ، صـاحـبـ إـلـمـ الشـافـعـيـ، كان عـالـمـاـ زـاهـدـاـ مـجـتـهـداـ مـحـجـاجـاـ. صـنـفـ كـتـبـاـ كـثـيرـةـ فـيـ مـذـهـبـ الشـافـعـيـ مـنـهـ الـجـامـعـ الـكـبـيرـ؛ وـالـجـامـعـ الـصـغـيرـ وـمـخـصـرـ الـمـخـتـصـرـ، وـغـيـرـهـاـ كـانـتـ ولـادـتـهـ سـنـةـ ١٧٥ـهـ وـوـفـاتـهـ سـنـةـ ٢٦٤ـهـ.

والأثرم^(١) كانوا فقهاء، وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، لم يكونوا فقهاء، أو قال: إن الأخفش^(٢) وابن الأنباري^(٣) والمبرد^(٤) كانوا نحاة،

انظر: وفيات الأعيان ١/٢١٧؛ وطبقات السبكي ٢/٩٣؛ والانتقاء ص ١١٠؛
والأعلام للزركلي ١/٣٢٩.

(١) هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أبو بكر الأثرم، من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد وأخرين، له كتاب في علل الحديث، وآخر في السنن، وناسخ الحديث ومسنونه، توفي — رحمه الله — سنة ٢٦١هـ.

انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٠؛ وتاريخ بغداد ٥٧٠/٥؛ ومناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٦٦٢؛ والأعلام للزركلي ١/٢٠٥.

(٢) الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعود الماجاشعي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط لقب به لصغر عينيه مع سوء بصرهما. نحوه من علماء البصرة، متكلم حاذق، صحب الخليل قبل صحبه لسيوطه، له تصانيف كثيرة في النحو وغيرها، أضاف في العروض بحر الخبب توفي — رحمه الله — سنة ٢١٥هـ.

انظر: طبقات النحوين واللغويين للزيبيدي ص ٧٤—٧٦؛ ومراتب النحوين ص ١١١؛ وبيغية الوعاة ص ٤٣٦؛ وأنباء الرواة على أنباء النحاة ٢/٣٦.

(٣) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ولد في الأنبار سنة ٢٧١هـ، من أعلم أهل زمانه بالأدب، واللغة، كان حافظاً للشعر، والأخبار. كان يحفظ ثلاثة ألف بيت شاهد، وكان ثقة صدوقاً، له تصانيف في اللغة، وعلوم القرآن وغريب الحديث وغيرها توفي سنة ٣٢٨هـ ببغداد.

انظر: طبقات النحوين ص ١٧١؛ وأنباء الرواة ٣/٢٠١؛ والأعلام ٧/٢٢٦.

(٤) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، المبرد بفتح الراء المشددة عند الأكثري وبعضهم يكسر كما قال الزيبيدي ولد سنة ٢١٠هـ بالبصرة، وهو إمام في الأدب والعربية ببغداد في زمانه، له تصانيف منها الكامل، وإعراب القرآن، وغيرهما توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ.

انظر: طبقات النحوين ص ١٣٥—١٢٠؛ ومراتب النحوين ص ١٣٥؛ وأنباء الرواة ٣/٢٤١.

والخليل^(١) وسيبوه^(٢) والفراء^(٣) لم يكونوا نحاة. أو قال: إن صاحب الملكي والمسحي^(٤) ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء، وبقراط^(٥)

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدى، أبو عبد الرحمن من فراهيد حى من الأزد باليمن ولد سنة ١٠٠ هـ إمام اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وشيخ سيبوه، كان شاعراً، وذكياً وورعاً زاهداً له تصانيف كثيرة منها (العين) في اللغة، ومعانى الحروف، والعروض، وغيرها. توفي - رحمه الله - سنة ١٧٠ هـ.

انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ٤٣ - ٤٧؛ ومراتب النحويين ص ٥٤ - ٧٢؛ وأنباء الرواية على أبناء النحاة ١/٣٤١؛ والأعلام ٣٦٣/٢.

(٢) سيبوه: عمرو بن عثمان بن قيس مولى بنى الحارث بن كعب ومعنى سيبوه رائحة التفاح وهي كلمة فارسية، ولد سنة ١٤٨ هـ إمام النحاة، واعلم الناس بال نحو بعد الخليل كما قال البغوى، ألف كتابه في النحو فكان فريداً في بابه توفي - رحمه الله - بالأهواز، وقيل بشيراز سنة ١٨٠ هـ.

انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ١٠٦؛ وطبقات النحويين ص ٦٦ - ٧٤؛ وأنباء الرواية ٣٤٦/٢؛ والأعلام ٢٥٢/٥.

(٣) الفراء: يحيى بن زياد، الديلمي مولى بنى أسد، أبو ذكريا ولد سنة ١٤٤ هـ ، لقب بالفراء لأنه كان يفرى الكلام. إمام الكوفيين، وأعلمهم بال نحو، واللغة، وفنون الأدب، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو، كان فقيهاً، متكلماً، يميل إلى الاعتزال، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة، توفي سنة ٢٠٧ هـ . في طريق مكة.

انظر وفيات الأعيان ٦/١٧٦؛ وطبقات النحويين ص ١٤٣؛ ومراتب النحويين ص ١٣٩؛ والأعلام ١٤٥/٨.

(٤) صاحب الملكي لم أقف عليه، أما المسيحي فهكذا ورد في جميع النسخ ، ولعل المقصود المسيحي بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة المشددة في آخره حاء مهملة واسمه عز الملك محمد بن عبد الله، أمير مؤرخ مات سنة ٤٢٠ هـ ، كما في وفيات الأعيان ٤/٣٧٧ ولكنه يرد أشكال، وهو أن الشيخ ساقه في معرض الأطباء، وهذا مؤرخ فلا نستطيع العجزم به ولم أقف على غير هذا الاسم.

(٥) بقراط بن أبراقلس. فيلسوف مشهور من فلاسفة اليونان، وطبيب من أطبائهم له في الطب تأليف عديدة كما ذكر القسطي ، كان في زمان أرداشير من ملوك الفرس.

انظر ترجمته في أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقسطي ص ٦٤.

وجالينوس^(١) ونحوهما لم يكونوا أطباء. أو قال: إن كوشيار^(٢) والخرقي^(٣) ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة، وبطليموس^(٤) ونحوه لم يكن لهم^(٥) علم بالهيئة.

ومن قال: إن داود وسليمان ومليخا وعاموص وDaniyal كانوا أنبياء، ومحمد بن عبد الله لم يكننبياً. فتناقضه أظهر، وفساد قوله أبين من هذا جمیعه، بل وكذلك من قال: إن موسى وعیسی^(٦) رسولان والتوراة والإنجیل كتابان متزلان من عند الله، ومحمد^(٧) ليس برسول، والقرآن

(١) جالينوس. حکیم فیلسوف، طبیب بارع، وعالی بالطیبیعات والهندسة، کان بعد المیسیح - علیه السلام - بنحو مائی سنه، له تصانیف عدیدة. انظر: أخبار العلماء بأخبار الحکماء ص ٨٥؛ وتمة المختصر لابن الوردي ١٢١/١.

(٢) کوشیار بن لبان الجیلی، أبو الحسن، مهندس، من علماء الهيئة، صنف مجمل الأصول في أحكام النجوم؛ والزیج الجامع، أو البالغ في حساب الكواكب. توفي سنة ٣٥٠هـ.

انظر ذیل کشف الظنون ٢/٩٦٨؛ والأعلام للزرکلی ٢٣٦/٥.

(٣) هو محمد بن أحمد الحنفي، الخرقي، نسبة إلى (خرق) من قری مرو، فلکی ریاضی، ولد سنه ٤٦٩هـ، وتوفي سنه ٥٣٣هـ، من آثاره: التبصرة في الهيئة، الرسالة الشاملة في الحساب، ومتھی الإدراك في تقسیم الأفلاک.

انظر کشف الظنون ص ٣٣٨؛ وھدیة العارفین ٢/٨٨؛ ومعجم المؤلفین ٨/٢٣٨.

(٤) بطليموس القلوذی. صاحب كتاب الماجسطی وغیره، إمام في الرياضة، وعالی في النجوم، وقد شرح كتابه «الماجسطی» جماعة من علماء الفلك وكلهم عالی على بطليموس وأول من عنى بكتابه وترجمه إلى العربية یحیی بن خالد بن برمک.

انظر: أخبار العلماء بأخبار الحکماء ص ٦٧؛ وتاریخ الحکماء ص ٩٥؛ وتاریخ ابن الوردي ١٢١/١. وذكر فيه أنه کان في زمان الروم هو وجالينوس.

(٥) في س، ك، ط (ل).

(٦) في أ، س (عیسی وموسى).

(٧) في ك، ط (ومحمدًا) وكلا الأمرين له وجه.

لم ينزل من الله، فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وما جاء به من قبله، وتدبر كتابه والكتب التي قبله، وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء، وهذه الجملة مفصلة مشروحة في غير هذا الموضع^(١). لكن المقصود هنا: التنبية على مجتمع جوابهم، وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضاً على المسلمين الذين يقررون بنبوة هؤلاء؛ فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء، فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم.

وأيضاً فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم، فكذلك تعلم نبوة محمد^(٢) بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولى، فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحد من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمة مما جاء به.

• • •

(١) سيتحدث عن هذا بالتفصيل في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

(٢) سقطت (محمد) من ط.

فصل (١)

ومما ينبغي أن^(٢) يعلم: أن كثيراً من النصارى إنما يعتمدون في النبوات على بشارات الأنبياء بمن يأتي بعدهم، فيقولون: المسيح - عليه السلام - بشرت به الأنبياء قبله، بخلاف محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه لم يبشر بهنبي، وجواب هؤلاء من وجهين:

أحدهما: أن يقال: بل البشارة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - في الكتب المتقدمة أعظم من البشارة باليسوع - صلى الله عليه وسلم -^(٣)، وكما أن اليهود يتأنلون البشارة باليسوع على أنه ليس هو عيسى بن مريم بل هو آخر يتظرون به، وهم في الحقيقة إنما يتظرون المسيح الدجال، فإنه الذي يتبعه اليهود، ويخرج معه سبعون ألف مطليس من يهود أصبهان^(٤) ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر

الرذ على
النصارى في
زعمهم أن
محمد
- صلى الله
عليه وسلم -
لم يشرب

(١) سقطت كلمة (فصل) من أ، وأثبتناه من س، ك، ط.

(٢) سقطت (ينبغي أن) من س.

(٣) في ك، ط (عليه السلام).

(٤) روى مسلم في صحيحه عن أنس: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة». رواه مسلم في كتاب الفتنة باب في بقية من أحاديث الدجال ٤/٢٢٦٦ (٢٩٤٤)، ورواه أحمد بن حنبل في مستند أنس ٣/٢٢٤، وروى ابن ماجه من حديث أبي إمام الباهلي يرفعه «أن مع الدجال سبعين ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى، وساج» ٢/١٣٦١، والطيالسة جمع طيلسان: أUGHم مغرب أصله تالسان، والطيلسان الأسود.

انظر: القاموس ٢٢٦/٢ فصل الطاء باب السين، وجاء في المصباح المنير ٢/١٣ «والطيلسان من لباس العجم». اهـ.

والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله^(١). كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وثبت أيضاً في الصحيح عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «ينزل عيسى بن مريم من السماء على المنارة البيضاء شرقى دمشق، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقتل مسيح الهوى عيسى بن مريم مسيح الضلاله الأعور الدجال على بضع عشرة خطوة من باب لد»^(٢); ليتبين

(١) روى البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود ٣/٢٢٢، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «تفاتلون اليهود حتى يختبئوا أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله». وروى من حديث أبي هريرة يرفعه بلفظ يا مسلم... إلخ، وروى مسلم من حديث ابن عمر بأسانيد متعددة في الفتنة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل... إلخ ٤/٢٢٣٨.

انظر: سنن الترمذى، كتاب الفتنة، باب ما جاء في علامة الدجال ٤/٥٠٨؛ وابن ماجه، في الفتنة ٢/١٣٦٢؛ ومستند أحمد ٢/٦٧، ٢/١٣١.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ٣/١٠٧؛ وفي كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم - عليه السلام - . ونصحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «والذى نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» الحديث. ورواه مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشرعية نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ١/١٣٥؛ والترمذى في الفتنة ٤/٥٠٦؛ وأبو داود في الملاحم ٤/٤٩٨، حديث رقم (٤٣٢٤)؛ وابن ماجه في الفتنة ٢/١٣٦٣؛ والحميدى في مستنده ٢/٤٦٨؛ وأحمد ٢/٢٤٠. وليس في هذه الأحاديث ذكر نزوله على المنارة البيضاء شرقى دمشق، ولا ذكر قتله عند باب اللد. ولكن هذه الجملة وردت في أحاديث أخرى فقد وردت في الحديث الطويل الذى فيه خروج الدجال، رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان في الفتنة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/٢٢٥٣ (٢١٣٧)؛ ورواه ابن ماجه في الفتنة ٢/١٣٥٧ (٤٠٧٥).

=

للناس أن البشر لا يكون إلهاً، فيقتل من ادعى فيه أنه الله وهو بريء مما ادعى فيه لمن ادعى في نفسه أنه الله وهو دجال كذاب، فهكذا البشارات بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في الكتب المتقدمة، وقد يتأنلها بعض أهل الكتاب على غير تأويلها، كما قد بسط في موضع آخر، فإن بسط الكلام في ذكر محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب له موضع آخر^(١).

الجواب الثاني: أن يقال: ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه، كما أن موسى كان رسولاً إلى فرعون، ولم يتقدم لفرعون به بشارة، وكذلك الخليل – عليه السلام – أرسل إلى نمرود^(٢)، ولم يتقدم به بشارةنبي إليه، وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم هؤلاء^(٣) بشارة إلى قومهم بهم^(٤) مع كونهم أنبياء صادقين؛ فإن دلائل نبوة النبي لا تتحصر في أخبار من تقدمه، بل دلائل النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات كما قد بسط في موضع آخر^(٥)، وهؤلاء النصارى إنما مستند دينهم في التثليث والاتحاد وغير ذلك هو السمع وهو دعواهم أن الكتب الإلهية جاءت بذلك، ليس مستندهم فيه العقل، فإذا تبين أنهم مع تكذيبهم بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يمتنع أن

وانظر رياض الصالحين، كتاب المثورات والمطلع ص ٧٩٥.

(١) سيتحدث عن هذا بالتفصيل في نهاية الجزء الثالث ويستمر في حديثه عن هذه المسألة إلى بداية الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ك، ط (لم يتقدم بوحد من هؤلاء).

(٤) في س (فيهم) بدل (بهم).

(٥) سيحدث المؤلف – رحمة الله – بالتفصيل عن هذه المسألة في كتابه هذا الجواب الصحيح في الجزء الرابع.

تثبت نبوة غيره امتنع استدلالهم بالسمعيات، وأما العقليات فإن تشبثوا بعضها فهم معترفون بأن حجتهم فيها ضعيفة، وأنها على نقىض مذهبهم أدل منها على مذهبهم، وسبعين – إن شاء الله تعالى^(١) – أن لا حجة لهم في سمع ولا عقل، بل ذلك كله حجة عليهم.

وأما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيل باطل غير مطابق؛ لأن الإقرار بالوفاء إقرار بسقوط الدين ولا مناقضة بين ثبوت الدين أولاً وسقوطه آخرًا بالوفاء، بل أمكن مع هذا دعواه، وأما من يذكر أنه رسول الله فلا يمكن أن يقر بأنه رسول الله في بعض ما أنبأ به عن الله دون بعض، ولا يمكن اتباع بعض كتابه الذي ذكر أنه منزلي من عند الله دون بعض، فإنه إن كان صادقاً في قوله: إنه رسول الله، كان معصوماً في ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكذب في شيء منه لا عمداً ولا خطأ، ووجب اتباع الكتاب الذي جاء به من عند الله ولم يمكن رد شيء مما ذكر أنه جاء به من الله، وإن كان كاذباً في كلمة واحدة مما أخبر به عن الله، فهو من الكاذبين المفترين، فلا يجوز أن يحتاج بشيء من دينهم ولا دين غيرهم بمجرد إخباره عن الله، بل ولا بمجرد خبره وقوله^(٢) وإن لم يذكر أنه خبر عن الله، كما لا يجوز مثل ذلك في سائر من عرف أنه كاذب في قوله: إني رسول الله، كمسilmah الحنفي، والأسود^(٣) العنسي، وطليحة الأنصي^(٤)، والحارث الدمشقي^(٥)، وبابا

(١) سقطت (تعالى) من ك، ط.

(٢) في أ (أنه)، وصححناه من س، ط.

(٣) سقطت الواو من ط.

(٤) سبقت ترجمة الأسود، وطليحة، ومسilmah.

(٥) هو الحارث بن سعيد. متبنيٌ كذاب من أهل دمشق، وله أتباع يعرفون بالحارثية. كان مولى لأحد الفرشين، ونشأ متبعاً زاهداً ثم أدعى النبوة، ثم ليس على الناس =

الرومي^(١) وأمثالهم من الكذابين.

والواحد من المسلمين، وإن كان الله لا يؤاخذه بالنسیان والخطأ، بل والرسول أيضاً وإن لم يكن يؤاخذ^(٢) بالنسیان والخطأ في غير ما يبلغه عن الله عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين، لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ، فإنه لوجاز^(٣) أن يبلغ عن الله ما لم يقله^(٤) ويستقر ذلك ويأخذ الناس عنه معتقدين أن الله قاله – ولم يقله الله – كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة ولم يكن رسول الله في ذلك، بل كان كاذباً في ذلك وإن لم يعتمد^(٥)، وإذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق في ذلك، كان قد صدق من قال على الله غير الحق، ومن تقول عليه ما لم يقله، وإن لم يكن متعمداً ويمتنع في مثل هذا أن يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه أو أن يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه في كل ما يخبر به عنه مع أن الأمر ليس كذلك، ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيء من الكذب لا عمداً ولا خطأ، وهذا مما اتفق عليه جميع الناس^(٦) من المسلمين واليهود والنصارى

بما يظهر لهم من أوهام وضلالات. ذكر المؤرخون منها أنه يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسبح، ويطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء وغير ذلك من الأوهام حتى تبعه خلق كثير فنعوا به ووصل خبره إلى عبد الملك بن مروان لكنه لم يدركه حيث اختفى في بيت المقدس فارسل من احتال عليه حتى أتى به فصلبه وقتله.

انظر: ميزان الاعتدال ١/٤٣٤، ٤٢١/١٦٢١؛ والأعلام للزرکلي ٢/٥٥٥. وانظر: تلبيس إيليس لابن الجوزي ص ٣٧٧ «وقد حكى جملأً كثيرة من مخاريقه وأباطيله».

(١) بابا الرومي. لم أقف له على ترجمة.

(٢) في س، ط (مؤاخذأ).

(٥) في ط (يعتمده).

(٣) سقطت (ل) من س.

(٦) سقطت (جميع الناس) من س.

(٤) في س، ل (يقله الله).

وغيرهم لم يتنازعوا أنه لا يجوز أن يستقر في خبره عن الله خطأ، وإنما تنازعوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبينه، فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر «تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتها لترتجى»^(١)، هذا فيه قولان للناس: منهم من

(١) رواها ابن جرير في التفسير ١٧/١٣١، مجلد (٧)، ط دار الفكر. تفسير آيات سورة الحج: ٥٢ – ٥٤ من طرق متعددة ولكنها كلها مرسلة، ورواهما في التاريخ ٥٩/٢، ٣٣٨، ورواهما ابن سعد في الطبقات ١/٢٠٥؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٢/٢٣٨، باب الهجرة الأولى إلى الحبشة... إلخ، وقد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. لكنها كما قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : «من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة».

تفسير ابن كثير ٣/٢٢٩ عند آية ٥٢: من سورة الحج. وقد عزاهما ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وابن جرير، والبزار، وابن إسحاق في السيرة، والبغوي في تفسيره وقال الإمام الشوكاني في تفسيره ٣/٦٦٣ بعد سياق الروايات: (والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها). أما الحافظ ابن حجر – رحمه الله – فقد ساق الروايات في فتح الباري ٨/٣٣٣ تفسير سورة الحج، ونقل أقوال العلماء الذين أنكروها ثم تعقبهم بقوله: «... فإن الطرق إذا كثرت وتبينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتاج بمثلها من يحتاج بالمرسل، وكذا من لا يحتاج به، لاعتراض بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان... فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه – صلٰى الله عليه وسلم – أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته... وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك فلعن ذلك بحفظه – صلٰى الله عليه وسلم – فجرى على لسانه لما ذكرهم سهواً... وقيل: لعله قالها توبيناً للكفار... ثم ذكر غير ذلك في كلام طويل فانظره، وانظر القصة في السيرة النبوة للذهبي ص ١١٢؛ وعيون الأثر ١/١٢١؛ =

يمعن^(١) ذلك أيضاً وطعن في وقوع ذلك. ومن هؤلاء من قال: إنهم سمعوا مالم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم.

ومن جوز ذلك قال: إذا حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن في ذلك محذور، وكان ذلك دليلاً على صدقه وأمانته وديانته، وأنه غير متبع هواه ولا مصر على غير الحق، كفعل طالب الرياسة المصر على خطئه.

وإذا كان نسخ ما جزم^(٢) بأن الله أنزله لا محذور فيه، فنسخ مثل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور، واستدل على ذلك بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا ذَاهَمَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْبَيَتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيْنَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٥ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٦ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُبَيِّنَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَا إِلَّاَذِينَ أَمْنَوْا إِلَيْهِ صَرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥٧﴾^(٣).

شرح المواهب اللدنية ١ / ٢٨٠ - ٢٨٦ وغيرها، ولعل القول بعدم صحة القصة أقرب إلى الصواب، وأما إذا كان للمسألة أصل كما ذكر الحافظ ابن حجر فإني أجزم بأن ذلك من الشيطان حيث أوقع في مسامع القوم ذلك فتوهموا أنه صدر من الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهذا هو الالات برسولنا - صلى الله عليه وسلم - المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى والله - تعالى - أعلم.

الغريق: بضم الغين المعجمة، وفتح التون طائر من طير الماء الطويل العنق، كما قال في مختار الصحاح ص ٤٧٢.

(١) في س، ط (منع).

(٢) في س زبادة لفظ الجلالة بعد (جزم)، فالعبارة كذا (ما جزم الله بأن الله).

(٣) سورة الحج: الآيات ٥٢ - ٥٤.

وعلى كل قول فالناس متفقون على أن من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله: لم يكن ما يبلغه عنه إلا حقاً. وإن كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من ليس بصادق، وبطلان مدلول الأدلة اليقينية ممتنع.

والصدق الذي هو مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو أن يكون خبره عن الله مطابقاً لمخبره^(١)، لا يخالفه عمداً ولا خطأ، ولو قال قائل: أنا لا^(٢) أسمى الخطأ كذباً، أو قال: إن المخطيء لا إثم عليه في خطئه^(٣).

قيل له: هذا لا ينفع هنا؛ فإن الآيات دلت على أن الله أرسله ليبلغ عنه رسالته والله لا يرسل من يعلم أنه يخبر عنه بخلاف ما قال له، كما لا يجوز إرسال من يتعمد عليه الكذب، بل الواحد من الناس لا يرسل من يعلم أنه يبلغ خلاف ما أرسله به، ولو علم أنه يقول عليه ما لم يقل وأرسله مع ذلك، لكان جاهلاً سفيهاً، ليس بعليم حكيم، فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين، وأحکم الحاکمين؟

وأيضاً: فإن الآيات والبراهين دلت على صدقه في كل ما يبلغه عن الله، وأن الله مصدقه في كل ما يبلغه عنه، فيمتنع أن لا يكون صادقاً في شيء من ذلك، ويمتنع أن يصدق الله في كل ذلك من لا يصدق في كل ذلك، فإن تصدق من لا يصدق كذب، والكذب ممتنع على الله. وإذا تبيّن أن من ذكر أنه رسول الله إما أن يكون رسولاً صادقاً في

(١) في س (لخبره).

(٢) في أ، س (ألا)، وصححناه من ط (أنا لا).

(٣) في ط (خطابه).

جميع ما يبلغه فيمتنع مع هذا تناقض أخباره؛ لأنها كلها صادقة، وإنما أن يكون غير صادق ولو في كلمة فلا يكون رسولاً لله، فلا يحتاج شيء مما يخبر به عن الله كان تمثيل من ذكر أنه رسول الله بالمقر باستيفاء وثيقته تمثيلاً باطلًا؛ فإن صاحب الوثيقة الذي أقر بوفائها بعد، كانت له حجة ثم استوفاها.

ومن ذكر أنه رسول الله إنما صادق، وإنما كاذب، وعلى التقديرتين لا يجوز أن يتحجج ببعض كلامه دون بعض^(١)، وإذا قال القائل: مقصودي أبين^(٢) أنه متناقض، وأن نفس كلامه يبين أنه لم يرسل إلينا، وأن ديننا حق، كما أن نفس كلام الذي كان له الحق هو المقر بالوفاء، قيل: إن كان كلامه متناقضًا فليس برسول، وحيثئذٍ فلا يجوز لك^(٣) أن تتحجج بشيء مما بلغه عن الله، بخلاف المقر بالوفاء، فإن إقراره مقبول على نفسه، فإنه شاهد على نفسه بالوفاء وإقرار المقر على نفسه^(٤)، وشهادته على نفسه مقبولة، ولو كان كافراً وفاسقاً، بخلاف شهادته وخبره عن الله^(٥).

فمن شبه إقرار المقر على نفسه بقول الذي يقول: إنه رسول الله، دل ذلك على غاية جهله بالقياس والاعتبار والتمثيل. فإن^(٦) إقرار المقر

(١) سقطت الواو من س.

(٢) في ط (أن أبين).

(٣) في أ (ذلك)، وصححناه من سائر النسخ.

(٤) سقطت جملة (بالوفاء وإقرار المقر على نفسه) من ط ، وهي في سائر النسخ.

(٥) في س ، ط جملة زائدة هذا نصها «بخلاف شهادته على الله أن الله أرسله إذا كذب في كلمة واحدة لم يكن الله أرسله فلا يقبل شيء من شهادته وخبره عن الله».

(٦) سقط من النسخة ك بعد تنبية الناسخ على سقوطه النص من قوله: «وأما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيل والتمثيل» ص ١١١ في =

على نفسه حجة عليه ولو كان فاسقاً معروفاً بالكذب، ليس هو مثل شهادة الإنسان على غيره. فإن شهادته على غيره لا تقبل إذا كان معروفاً بالكذب، فكيف بمن شهد على الله بأن الله أرسله؟ فال懋 على نفسه يمكن قبول إقراره على نفسه ولا يقبل دعواه على غيره، وكذلك الشاهد قد تقبل شهادته فيما ليس هو خصماً فيه، ولا تقبل شهادته بما ادعاه.

وأما من يقول: إنه رسول الله، فلا يمكن أن يصدق في بعض ما يخبر به عن الله ويكتذب في بعض، بل إن كان كاذباً في كلمة واحدة، فليس هو رسول الله، فلا يحتاج بكلامه، وإن قدر أن الكلام في نفسه صدق لكن نسبته إلى الله أن الله أرسله به وأوحاه لا يكون صادقاً فيه إذا كذب في كلمة واحدة؛ لأن الله لا يرسل كاذباً.

وإن لم يكن كاذباً في كلمة واحدة وجب تصديقه في كل ما يخبر به، فلا يمكن تصديقه في بعض ما يخبر به عن الله دون بعض، بخلاف المقر والشاهد.

وإن كان المقصود: بيان تناقضه، كان هذا احتجاجاً على أنه ليس برسول، فلا ينفعهم ذلك، مع أنه تبين أنه ليس بمتناقض.

وإن كان المقصود: إلزام المسلمين به، فقد بينا أنه لا يلزمهم^(١) من وجوه متعددة، فهذا بيان أنهم^(٢) لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من كلام محمد – صلى الله عليه وسلم – سواء صدقوا أو كذبوا.

المخطوطة إلى قوله: «فإن إقرار المقر على نفسه حجة عليه ولو كان فاسقاً معروفاً بالكذب» ص ١١٤ من نفس المخطوطة ولا توجد الصحفتان ص ١١٢، ١١٣ في نفس النسخة.

(١) في ك، ط (يلزمه).

(٢) في ط (أنه).

ثم يقال لهم ثانياً: في^(١) الجواب عن التمثيل بالوثيقة: إن الإقرار بالاستيفاء ينافق استيفاء الحق، وأما القرآن الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم –^(٢)، فليس في إخباره بأنه أرسل إلى قريش، ثم إلى العرب، ما ينافق إخباره بأنه أرسل إلى جميع الناس: أهل^(٣) الكتاب، وغيرهم.

كما أنه ليس في إخباره أنه أرسل إلى بني إسرائيل ومخاطبة^(٤) الله لهم بقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ما يمنعه^(٥) أن يكون مرسلاً إلى اليهود من غير بني إسرائيل وإلى النصارى والمشركين، وهو^(٦) لم يقل قط: إني^(٧) لم أرسل إلَّا إلى العرب، ولا قال ما يدل على هذا بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال: إنه مرسلاً إلى جميع الجن والإنس، إلى أهل الكتاب وغيرهم، ولو قدر أنه قال: إنه لم يرسل إلَّا إلى العرب، ثم قال: إني أرسلت إلى أهل الكتاب، لكان قد أرسل إلى أهل الكتاب بعد إرساله إلى العرب، كما قال:

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ حِنْزِيرٍ . . . ﴾^(٨).

(١) في ك، ط (فالجواب).

(٢) في س جاءت الجملة هكذا (وأما محمد – صلى الله عليه وسلم –).

(٣) في أ (أهل) والواو زائدة لا مكان لها.

(٤) في س (ويخاطبه).

(٥) في س، ك، ط (ما يمنع)، وقد ورد هذا الخطاب في سورة البقرة: الآيات ٤٠، ٤٧، ١٢٢، وسورة طه: الآية ٨٠.

(٦) في س (ولم يقل قط)، وفي ك، ط (وهو أنه لم يقل قط).

(٧) في س (أن) بدل (أني).

(٨) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

وقال أيضاً:

﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزِيرِ . . .﴾^(١).

ثم إنه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين^(٢) نفي تحريمها في الزمن الأول، وإثبات تحريمها في الزمن الثاني منافاة.

ولكن يظهر^(٣) الدين إذا أوجب شيئاً ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة بين يدي النجوى^(٤)، ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ، كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار^(٥) بالدين.

• • •

(١) سورة النحل: الآية ١١٥.

(٢) في س (من) بدل (بين).

(٣) في ك، ط (نظير).

(٤) قال المفسرون في تفسير قوله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ . . .﴾ [الآية ١٢ من سورة المجادلة]. قال المفسرون: نهوا عن مناجاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي - رضي الله عنه - قدم ديناراً فصدق به، ثم نزلت الرخصة في ذلك، ونسخت لقوله - تعالى - : ﴿أَلَشْفَقْتُمُ أَنْ تُقْلِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٌ . . .﴾ [الآية ١٣ من سورة المجادلة].

انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨؛ والناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ص ٢٩٨ - ٣٠١، (هامش الكتاب السابق (ط عالم الكتب، بيروت)؛ ولباب النقول للسيوطى ص ٢٠٧؛ وسنن الترمذى كتاب التفسير ٤٠٦ - ٤٠٧ (٣٣٠٠)، وقد روى القصة عن الإمام علي - رضي الله عنه - وحسنها مع الغرابة والله أعلم.

(٥) في س (بالإقرار) وهو خطأ.

فصل

وقد ذكرنا^(١) أنه لا يجوز أن يحتاجوا بشيء من القرآن، وما نقل عن محمد – صلَّى الله عليه وسلَّمَ^(٢) – إلَّا مع التصديق برسالته، وأنه مع التكذيب برسالته لا يمكن الإقرار بنبوة غيره، ولا الاحتجاج بشيء من كلام الأنبياء، فتكذيبهم يستلزم تكذيبهم بغيره، فإذا ثبتت نبوة غيره ثبتت نبوته، وذلك يستلزم بطلان دينهم، فكان صحة دليلهم يستلزم بطلان المدلول وفساد المدلول يستلزم فساد الدليل؛ فإن الدليل ملزوم للمدلول عليه، وإذا تحقق الملزوم تحقق اللازم^(٣)، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، فإذا ثبت^(٤) الدليل ثبت المدلول عليه، وإذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل؛ فإن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح.

فإن كان محمد – صلَّى الله عليه وسلَّمَ – رسول الله لزم بطلان دينهم، وإذا بطل دينهم لم يجز أن يقوم دليل صحيح على صحته، وإن^(٥) لم يكن رسول الله لم يجز الاستدلال بقوله فثبت أن استدلالهم بقوله باطل على التقديرتين.

(١) في ط (ذكر).

(٢) في أ (صلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وسلَّمَ).

(٣) في س (الملازم).

(٤) في س (صح).

(٥) في ك، ط (إذا).

ونحن نذكر هنا: أنه لا يجوز استدلالهم بقول أحد من الأنبياء أو الرسل على صحة دينهم، وأيضاً فإن الذين احتجوا بقولهم: مثل موسى وداود وال المسيح وغيرهم، إما أن يكونوا عرفوا أنهم أنبياء بدليل على نبوتهم، كالاستدلال بآياتهم وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات، وإما أن يكونوا قد اعتقدوا ذلك بلا علم ولا دليل، وإما أن يكونوا احتجوا بذلك على المسلمين؛ لأنهم يسلمون نبوة^(١) هؤلاء وعلى كل تقدير لا يصح استدلالهم بقولهم.

أما على^(٢) الأول؛ فلأنه: أي طريق ثبتت بها^(٣) نبوة واحد من هؤلاء الأنبياء – عليهم السلام –، فإنه ثبتت نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بمثلها وأعظم منها، وحينئذ فإن لم يقروا بنبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مع أن كل دليل يدل على نبوة موسى وداود وعيسى وغيرهم، يدل على نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، لزم أن يكونوا قد نقضوا دليلهم فجعلوه قائماً مع انتفاء مدلوله، وإذا انتقض الدليل بطلت دلالته، فإنه إنما يدل إذا كان مستلزمًا للمدلول.

إذا كان تارة يوجد مع المدلول وتارة لا يوجد، لم يكن مستلزمًا له فلا يكون دليلاً؛ فإن من جعل المعجزات دليلاً على نبوةنبي، وقال: المعجزة هي الفعل الخارق للعادة، المقربون بالتحدي، السالم من المعارضة، ونحو ذلك مما يذكر في هذا المقام وجعلوا ذلك دليلاً على نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

قيل له: إن كان هذا دليلاً، فهو دليل على نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وإن لم يكن دليلاً لم يكن دليلاً على نبوة موسى

(١) في ط (نبوة).

(٢) سقطت (على) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

(٣) في ك (ثبت بها) وفي ط (ثبت به)، وما أثبتناه من أ، س.

وعيسى؛ فإنه قد ثبت عن محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره، ونقل معجزاته متواترًا أعظم من نقل معجزات عيسى وغيره، فيمتنع التصديق بآياته مع التكذيب بآيات محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وإن قالوا معجزات محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم تتوارد^(١) عندنا. قيل: ليس من شرط التواتر أن يتواتر^(٢) عند طائفة معينة، بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم لم يتواتر عندنا معجزات^(٣) موسى وال المسيح - عليهما السلام - ، وإنما تواتر أخبار كل إنسان^(٤) عند من رأى المشاهدين له أو رأى من رأهم وهلم جراً.

ومعلوم: أن أصحاب محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذين رأوه ونقلوا معجزاته أضعاف أصحاب المسيح - عليه السلام - ، والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصحابة كذلك فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح - عليه السلام - التصديق بمعجزات محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ومن التكذيب بمعجزات محمد التكذيب بمعجزات المسيح.

وإن قالوا عرفت نبوة المسيح ببيانات الأنبياء قبله. قيل: وفي الكتب المتقدمة من البشارات بمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثل ما فيها من البشارات بال المسيح وأكثر كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى^(٥) .

(١) في ط (توافق).

(٢) في ط (تواتر) بالمعنى الفوقي.

(٣) سقطت (معجزات) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

(٤) في هامش ك، ط (عند كل من).

(٥) سقطت جملة (كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

وإن تأولوا^(١) تلك البشارات بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بما يمنع دلالتها. قيل لهم: واليهود يتأولون بشارات المسيح بما يمنع دلالتها على المسيح.

فإذا قالوا: تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة، بين لهم أن هذه باطلة أيضاً بمثل تلك الوجوه وأقوى. فما من جنس من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح، إلَّا دلالته على نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) – أقوى وأكثر فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) –، ومن الطعن في نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الطعن في نبوة موسى والمسيح.

وإن قالوا: إن المسيح إله. قيل لهم: ثبوت كونه إلهً – لو كان ممكناً – أبعد من ثبوت كونه رسولاً، فكيف إذا كان ممتنعاً؟

وذلك أنه ليس معهم ما يدل على إلهيته إلَّا ما ينقلونه من أقوال الأنبياء، أو الخوارق، والخوارق لا تدل على الإلهية فإن الأنبياء ما زالوا يأتون بالأيات الخارقة للعادة ولم تدل على إلهية أحد منهم.

وأما أقوال الأنبياء – عليهم السلام – فلا ريب أن دلالتها على رسالته ورسالة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أظهر من دلالتها على إلهية المسيح، فيمتنع الاحتجاج بها على إلهية المسيح دون رسالة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤) – ورسالة المسيح، ومتى ثبت أن

(١) في س (قاولوا) وهو تصحيف ظاهر.

(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٤) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

محمدًا رسول الله بطلت^(١) إلهية المسيح ، فإنه كفر من قال: إنه الله أو ابن الله بل وكذلك متى ثبت أن المسيح رسول الله بطل كونه إلهًا ، فإن كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض .

وقولهم: إنه إله بلاهوته ، ورسول بناسوته ، كلام باطل من وجوه:
منها: أن الذي كان يكلم الناس ، إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله ، فإن كان هو الله ، بطل كونه^(٢) رسول الله ، وإن كان^(٣) رسول الله ، بطل كونه^(٤) هو الله .

ولهذا لما كان الذي كلم موسى — عليه السلام — من الشجرة هو الله لم تنطق الكتب بأنه رسول الله ، وهذا وارد بأي وجه فسروا الاتحاد؛ فإنه من المعلوم أن الناس كانوا يسمعون من المسيح كلاماً بصوته المعروف ، وصوته لم يختلف^(٥) ولا حاله عند الكلام تغيرت ، كما يختلف الإنسان وحاله عند الكلام إذا حل^(٦) فيه الجنى ، وإذا فارقه الجنى ، فإن الجنى إذا تكلم على لسان المتصروع ظهر الفرق بين ذلك المتصروع وبين غيره من الناس ، بل^(٧) اختلف حال المتصروع وحال كلامه وسمع منه من الكلام ما يعلم يقيناً أنه لا يعرفه وغاب عقله بحيث

(١) في ط (يطلب).

(٢) في س ، ك (بكل لونه) وهو تصحيف بين ، وقد صحت في هامش ك.

(٣) في ط (وإن كان هو رسول الله).

(٤) في س ، ك (بكل لونه) وهو تصحيف بين ، وقد صحت في هامش ك.

(٥) في ط (لم يختلف عليهم).

(٦) في ط (دخل).

(٧) جملة (ظهر الفرق بين ذلك المتصروع وبين غيره من الناس بل) ساقطة من س وهي في سائر النسخ .

يظهر ذلك للحاضرين وانختلف صوته ونغمته، فكيف بمن يكون رب العالمين هو الحال فيه المتحد به المتكلم بكلامه؟ .

فإنه لا بد أن يكون بين كلامه وصوته وكلام سائر البشر وصوتهم من الفرق أعظم من الفرق الذي بين المتصروح وغير المتصروح بما لا نسبة بينهما.

يبين هذا: أن موسى لما سمع كلامه سمع صوتاً خارقاً للعادة مخالفًا لما يعهد من الأصوات، ورأى من الآيات الخارقة والعجبات ما يبين أن ذلك الذي سمعه^(١) لا يقدر على التكلم به إلّا الله، وأما المسيح فلم يكن بين كلامه وصوته مع^(٢) طول عمره، وكلام سائر الناس فرق يدل على أنهنبي فضلاً عن أن يدل على أنه إلّه، وإنما علم أنهنبي بأدلة منفصلة ولم يكن حاله يختلف مع أنهم يقولون: أن الاتحاد ملازم له من حين خلق ناسوته في بطن أمه مريم وإلى الأبد لا يفارق اللاهوت لذلك النسوت أبداً وحييند فمن المعلوم أن خطابه للناس إن كان خطاب رب العالمين لم يكن هو رسوله، وإن كان خطاب رسوله لم يكن ذلك صوت رب العالمين.

الوجه الثاني: أن^(٣) خطابه خطاب رسول ونبي، كما ثبت ذلك عنه في عامة الموضع^(٤).

(١) في ط (نسمعه).

(٢) سقطت (مع) من س، ك، ط.

(٣) في أ (أنه) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) النصوص في أناجيلهم التي تصرح بذلك كثيرة انظر على سبيل المثال إنجليل متى إصلاح ١٥ / فقرة ٢٤، وإنجليل برنابا ص ٥٣ / الفصل ١٥، تحقيق سيف الله أحمد فاضل (ط. - دار القلم الكويتي). وأعمال الرسل إصلاح ١٠ / فقرة ٣٧، وقد تحدث الدكتور محمد مجدي مرجان في كتابه المسيح إنسان أم إلّه «عن هذه

الثالث: أن مصير الشيئين شيئاً واحداً مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلاً ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن، فإنهما إذا صار شيئاً واحداً، استحلاً واحتلطا.

الرابع: أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئاً واحداً، فيكون الإله هو الرسول والرسول هو الإله؛ إذ هذا هو هذا، وإن كان الإله غير الرسول، فهما شيئان ومهما مثلوا به قولهم كتشبيههم ذلك بالنار في الحديد والروح في البدن، فإنه يدل على فساد قولهم، فإن الحديد متى طرق أو وضع في الماء، كان ذلك مصيباً للنار، وكذلك البدن إذا جاء أو صلب وتآلم، كان ذلك الألم مصيباً للروح، فيلزم أن يكون رب العالمين قد أصابه ألم الجوع والعطش، وكذلك الضرب والصلب على قولهم وهذا شر من قول اليهود: أنه فقير وأنه بخيل^(١)، وأنه مسه اللغو^(٢).

● ● ●

القضية وأبطل دعواهم الإلهية في عيسى - عليه السلام - ويقع هذا الكتاب في مائتين وأحدى وثلاثين صفحة من القطع الصغير (نشر دار النهضة العربية بالقاهرة)، كذلك ألف الغزالى كتاباً بعنوان الرد الجميل للإلهية عيسى بتصريح الإنجيل، حققه الدكتور محمد الشرقاوى (نشر دار أمية، الرياض) انظر: ص ١٤٧، ١٧١. وانظر: كتاب مقام هامت الصليان لأبي عبيدة الخزرجي بتحقيق د. محمد شامة ص ٢١٦.

(١) في ط (إنه بخيل).

(٢) قول اليهود بأن الله فقير، ونسبة اللغو أي التعب إلى الله بعد خلق الخلق نزلت بسببه آيات من سورة آل عمران: الآية ١٨١: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ...﴾ الآية. قوله - تعالى - في سورة ق: الآية ٣٨: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مِنْ يَوْمٍ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لَعْنَبٍ﴾. وانظر: في أسباب التزول لباب النقول للسيوطى ص ٥٥، ص ٢٠٥ (طبعة الحلبي - الطبيعة الثانية)، وأسباب التزول للواحدى ص ٩٨، ص ٢٩٧.

فصل

وإن كان مقصودهم الاحتجاج بذلك على المسلمين. قيل لهم :
أولاً : هذه حجة جدلية، فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في
تصديق شخص وتکذيب آخر، مع أن دلالة الصدق فيما واحدة، بل
هي في الذي كذبتموه أظهر؟ فإن كانت حقاً لزم تصديق من كذبتموه
وفسد دينكم. وإن كانت باطلة، بطل استدلالكم بها على دينكم، فثبتت
أنهم مع تکذيب محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يستقيم لهم
الاستدلال بكلام أحد من الأنبياء - عليهم السلام - .

وقيل لهم ثانياً : المسلمين إنما عرروا صدق هؤلاء الأنبياء بما
دلهم على صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن لم يكن محمد
صادقاً لم يعرفوا صدق هؤلاء فيبطل دليلكم، وإن كان صادقاً بطل دين
النصارى فيبطل دليل صحته فثبت بطلان دليلهم على كل تقدير.

وقيل لهم ثالثاً : المسلمين لم يصدقوا نبوة أحد من هؤلاء إلا مع
نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وإن قيل أنهم عرروا ذلك بطريق
آخر، فإن الدليل الذي يدل على صدق واحد منهم يدل على صدق
محمد بطريق الأولى ، فلا يمكنهم تصديقنبي⁽¹⁾ مع تکذيب محمد
صلى الله عليه وسلم :

(1) في أ (موسى) وفي ط (شى).

وقيل لهم رابعاً: هم إنما يصدقون موسى^(١) ويعيسى اللذين بثروا
بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، فإن كانوا قد بثروا به^(٢) فثبتت^(٣)
نبوته، وإن لم يكونوا بثروا به، فهم لا يؤمنون إلا بالمبشرين به، وبالتوراة
والإنجيل اللذين^(٤) هو مكتوب فيهما.

فإن قدر عدم ذلك فهم لا يسلمون وجود موسى ويعيسى وتوراة
وإنجيل منزلين من الله ليس فيهما ذكره صلى الله عليه وسلم .

وإن قالوا: نحن صدقنا هؤلاء الأنبياء بلا علم لنا بصدقهم وطريق
يدل على صدقهم؛ لأن هذا دين آبائنا وجدناهم يعظمون هؤلاء ويقولون
هم أنبياء، فاتبعنا آباءنا في ذلك من غير علم، وهذا هو الواقع من
أكثرهم. قيل: فإذا كان هذا قولكم في الأنبياء وفيما شهدوا به - إن
كانوا شهدوا - فيلزم أن لا يكونوا عالمين به، بل متبوعين فيه لأبائهم بغير
علم بطريق الأولى، وبهذا يحصل المقصود، وهو أن ما أنتم عليه من
اعتقاد دين النصارى لا علم لكم ولا دليل لكم على صحته، بل أنتم فيه
متبوعون لأبائكم كاتبوا اليهود والمشركين لأبائهم .

ولا ريب أن هذا حال النصارى، ولهذا سماهم الله ضللاً في

قوله:

﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلَّوْا
عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٥).

(١) في ط (بموسى).

(٢) سقطت (به) من أ، ك و زدناها من س، ط.

(٣) في ط (فتثبت).

(٤) في أ، س، ك (التي) وصححناه من ط.

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٧.

وقال – تعالى – :

﴿ وَيَنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا أَنْخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ٤٦ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَاهِمْ ... ٤٧ ﴾^(١).

وقال – تعالى – :

﴿ ... وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ... ٤٨ ﴾^(٢).

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُرْتَأُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ٤٩ ﴾^(٣).

ولهذا كان النصارى معروفين بالجهل والضلال، كما أن اليهود معروفون^(٤) بالظلم والقسوة والعناد، فتبين بما ذكرناه أنه لا يمكنهم مع تكذيب محمد – صلى الله عليه وسلم – في كلمة واحدة الاحتجاج بقول واحد^(٥) من الأنبياء على شيء من دينهم ولا دين غيرهم.

• • •

(١) سورة الكهف: الآيات ٤، ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٤.

(٤) في أ، س، ك (معروفين) وهو خطأ.

(٥) في س، ك، ط (أحد).

فصل

وأما كون القرآن أنزل باللسان العربي وحده فعن أجوية:

أحدها: أن يقال: والتوراة إنما أنزلت باللسان العربي وحده، وموسى - عليه السلام - لم يكن يتكلم إلا بالعبرية، وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية، وكذلك^(١) سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد: بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم^(٢): إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه، وإما بأن يبين للمرسل^(٣) إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به.

وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم، وما^(٤) قالوا لهم

(١) في أ، ك، ط زيادة (ثم).

(٢) لعل الشيخ يقصد هنا بتبيين الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم الإعلام دون الدعوة، وإنما في ذلك رسالة عامة في دعوتها إلا رسالة الإسلام.

(٣) في س، ك، ط (المرسل).

(٤) سقطت (ما) من أ.

— وأكثراهم لم يكونوا عرباً — ، وأنزله^(١) الله باللسان العربي، وحيثند فإن شرط التكليف تمكن العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم، وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يعرف به مراده ثم جميع الناس متمنكون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه، وهذا مقدور للعباد، ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلم اللغة التي أرسل بها، وجب عليه ذلك؛ فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب * بخلاف ما لا يتم الوجوب إلا به. فإنه ليس بواجب^(٢) ولا يكلف الله نفسها إلا وسعها، لا في الأصل ولا في التمام. فلا تحتاج أن نقول ما لا يتم الواجب إلا به، — وكان مقدوراً للمكلف — فهو واجب؛ فإن ما ليس مقدوراً عليه لا يكلف به العباد، بل وقد يكون مقدوراً عليه ولا يكلفون به.

فلما كانت الاستطاعة شرطاً في وجوب الحج لم يجب^(٣) تحصيل الاستطاعة بخلاف قطع المسافات^(٤)، فإنه ليس شرطاً في الوجوب؛ فلهذا يجب الحج على الإنسان^(٥) من المسافة البعيدة والقريبة إذا كان مستطيعاً.

وجمهور الناس لا يعرفون معاني الكتب الإلهية: التوراة والإنجيل والقرآن إلا بمن يبينها^(٦) ويفسرها لهم، وإن كانوا يعرفون اللغة، فهو لاء يجب عليهم طلب علم ما يعرفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه، وهذا

(١) في أ، س، ك (وأنزل).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ وزنه من سائر النسخ.

(٣) مكان هذه الكلمة في أ (يحصره).

(٤) في س، ك، ط (المسافة).

(٥) في س، ك، ط (لهذا يجب على الإنسان الحج).

(٦) في ط (أو).

هو طلب العلم المفروض على الخلق، وكذلك ما بينه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من معاني الكتاب الذي أنزله الله عليه يجب على الخلق طلب علم ذلك من يعرفه، إذا كان معرفة ذلك لا تحصل بمجرد اللسان.

كما يروى عن ابن عباس – رضي الله عنهم^(١) – أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله – تبارك وتعالى – ، فمن ادعى علمه فهو كاذب^(٢).

والله – تعالى – قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ، لِتُبَيَّنَ لَهُمْ...﴾^(٣).

لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه، لكن لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبهم أولاً ليبين لقومه، فإذا بين^(٤) لقومه^(٥) ما أراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم؛ فإن قومه الذين بلغ إليهم أولاً يمكنهم أن

(١) سقطت (رضي الله عنهم) من أوزانها من سائر النسخ.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المثور ٧/٢ عند آية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْ آيَاتٍ مُّحَكَّمٍ...﴾ الآية من سورة آل عمران: الآية ٧، وعزاه السيوطي إلى

ابن المنذر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وذكره...
قلت: وسبقت ترجمة الكلبي، وأبي صالح. وخلاصة القول فيهما أن الكلبي متهم بالكذب ورمي بالرفض، وأبو صالح باذم ضعيف مدلس.

انظر تقريب التهذيب (الكلبي) ٢/١٦٣؛ (أبو صالح) ١/٩٣؛ وهذه الطريقة من أضعف الطرق عن ابن عباس وتقديم الكلام عليها، وما ذكره السيوطي – رحمة الله – في شأنها في الدر المثور، والاتفاق.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) في أ (تبين).

(٥) سقطت (القوم) من أوزانها من سائر النسخ.

يبلغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة، ويمكن غيرهم أن يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده، فالحججة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن^(١) ينقل عن الرسول: تارة المعنى، وتارة اللفظ؛ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى، والقرآن يجوز^(٢) ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء^(٣).

(١) في أ (ثم) بدل (بمن).

(٢) في ك، ط (تجوز) بالمثابة الفوقية.

(٣) ذكر العلماء أن الترجمة على أربعة أنواع، ثلاثة منها جائزة، والرابع محال ومحرم شرعاً وهي:

١ - ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ القرآن ويسمعه للغير، وكذلك أتباعه من بعده، بل وعدم القيام. بهذا كتمان للعلم، وهذا محرم شرعاً، قال - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهَدِيَّةِ...﴾ الآية.

٢ - ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية، ودليله قوله - تعالى - آمراً نبيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ...﴾ الآية. ولقد بينه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسار على نهجه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

٣ - ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية، وهذا ما يجري مجرى تفسيره بلسان عربي، وكلها توسيع وبيان لما يستطيع من المعاني والمقاصد لا لجميع المقاصد.

٤ - ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى، وهي التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بالفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد، وهذه الترجمة الحرفية تخرج القرآن عن أن يكون قرآنًا، ولا يقال فيها أنها كلام الله، فلا يشك عاقل في أنها حرام، كما لا تخفي آثارها السيئة على أمة الإسلام، بل قد يصل الأمر إلى كتاب الله وهذا خطير كبير، وشر عظيم. وقد انجر الحكم إلى قراءة الترجمة، والصلة بها فافتقت كلمة الفقهاء على منع ذلك، وحرمتها. بل وبطلان الصلاة به لأنه ليس كلام الله.

راجع في هذه المسألة: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٧/٢ فما بعدها؛ =

وجوز بعضهم أن يقرأ بغير العربية عند العجز عن قراءته بالعربية وببعضهم^(١) جوزه مطلقاً، وجمهور العلماء منعوا أن يقرأ بغير العربية وإن جاز أن يترجم للتفهم^(٢) بغير العربية، كما يجوز تفسيره وبيان معانيه. وإن كان التفسير ليس قرآنًا متلواً وكذلك الترجمة، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «نصر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٣).

ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القحطان ص ٣١٢ فيما بعدها؛ والبرهان في علوم القرآن للزرκشي ٤٦٤ / ١؛ ونقض المنطق لابن تيمية ص ٩٧ - ٩٩؛ والمغني لابن قدامة ٥٢٦ / ١؛ والمدونة في الفقه المالكي ٦٢ / ١؛ والمجموع في الفقه الشافعي ٣٧٩ / ٣.

(١) في ط (بعضهم) وقد علق في أ، فوق هذه الكلمة بقوله (أبى حنيفة).

(٢) في س، ك، ط (للتفهيم).

(٣) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - بلفظ، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَ الْمُنْتَهَى فَحَفَظَهُ حَتَّى يَلْعَلُهُ، قَرْبٌ حَامِلٌ فَقَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرَبٌ حَامِلٌ فَقَهُ لَيْسَ بِفَقِيهٍ. سنن أبي داود ٦٩ - ٦٨ / ٤، (٣٦٦٠)، والترمذى في كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع ٣٣ / ٥ - ٣٤، (٢٦٥٦)، وقال (حديث حسن). ثم ذكر في الباب عن ابن مسعود، ومعاذ، وجير بن مطعم وأبى الدرداء، وأنس؛ وأخرجه ابن ماجه من حديث عباد الأنصارى، عن زيد ابن ثابت في المقدمة ٨٤ / ٨٤ (٢٣٠)، باب من بلغ علمًا، وأخرجه من حديث جير بن مطعم بنحوه في المقدمة ٨٥ / ١ (٢٣١)، وأخرجه في المناسب، باب الخطبة يوم النحر ١٠١٥ / ٢، (٣٠٥٦). ورواه أحمد من حديث أنس ٢٢٥ / ٣ وفيه زيادة؛ ورواه من حديث جير بن مطعم ٨٠ / ٤، ٨٢؛ والدارمى ٧٦ / ١؛ باب الاقتداء بالعلماء؛ والإمام الشافعى في الرسالة ص ٤٠١ (١١٠٢).

وانظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطى ص ١٦ (رقم ١٧) ثم قال - رحمة الله - هذا الحديث متواتر. وقد أحصى المحقق بدر البدر طرق الحديث عن خمسة عشر صحابياً في تعليقه، ونبه إلى أن هناك اختلافاً في بعض الفاظ

وقال أيضاً في الحديث الصحيح : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، وكانت منها طائفة أمسكت الماء ، فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا ، وكانت منها طائفة إنما هي قيungan لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »^(١) .

فدعى النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن يبلغ حديثه وإن لم يتفقه^(٢) فيه وقال : « رب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .

وقد كان^(٣) العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - إنما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها ، كأرض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق ، ثم انتشر فصار أكثر الساكنين في وسط المعمورة العربية ، حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض يتكلمون بالعربية ، كما يتكلم بها أكثر^(٤) المسلمين بل

الحديث في بعض الطرق . انظر : مفتاح الجنة للسيوطى بتحقيق بدر البدار (ط مؤسسة الخليج بالكويت) ص ١٦ - ١٨ .

(١) رواه البخاري في كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم ٢٨/١ من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - ؛ مسلم في الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - من الهدى والعلم ٤/١٧٨٧ ؛ أحمد في مسنده أبي موسى الأشعري ٤/٣٩٩ .

(٢) سقطت (فيه) من س ، ك ، ط .

(٣) في أ ، س ، ك (كانت) .

(٤) سقطت (أكثر) من أ ، وفي س ، ك (أكثر المسلمين) .

كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية أجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغة أكثر مما انتشرت سائر اللغات حتى أن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب، ومن كتب الفرس والهند، واليونان، والقبط^(١) وغيرهم عربت بهذه اللغة.

ومعرفة الكتب المصنفة بالعربية والكلام العربي أيسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير العربية؛ فإن اللسان العبرى^(٢)، والسريانى^(٣)، والرومى^(٤)، والقبطى^(٥)، وغيرها وإن عرفه طائفة من الناس، فالذين يعرفون اللسان العربى أكثر من يعرف لساناً من هذه الألسنة.

وأيضاً فمعرفة ما أمر الله عباده أمراً عاماً هو مما نقله الأمة عن نبىها^(٦) – صلى الله عليه وسلم – نقلاً متواتراً، وأجمعت عليه مثل الأمر

(١) سقطت (القبط) من أ.

(٢) في جميع النسخ (العربى) وهو خطأ واضح صححناه من هامش ك، ط والعربى بكسر العين المهملة، ويقال العبرانى : لغة اليهود.

انظر القاموس المحيط ٨٣/٢، (فصل العين، باب الراء).

(٣) السريانى هو لسان السريان، وهم أمة قديمة، قيل: تكلم آدم وبنوه بالسريانى، وملتهم ملة الصابئين، ويدركون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يسمونه صحف شيث، والله أعلم.

انظر: تاريخ ابن الوردي ١١٣/١.

(٤) اللسان الرومى هو لسان الروم، وسبق في أول الكتاب التعريف بالروم.

(٥) القبطى هو لسان الأقباط، وهم من ولد حام، أهل ملك بديار مصر منهم الفراعنة، وهم ملوكهم، وكانوا سالفاً صابئة ذوى هياكل وأصنام، ومنهم علماء بالفلسفة.

انظر: تاريخ ابن الوردي ١١٦/١، والبداية والنهاية ٢٣٧/١ عند حديثه عن فرعون الذي أرسل إليه موسى – عليه السلام –.

(٦) في ط (نبىها محمد) وسقطت كلمة (محمد) من نسخة ك.

بشهادة أن^(١) لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه أرسل إلى جميع الناس: أميهم وغير أميهم، وإقام الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، * وحج البيت العتيق من استطاع إليه سبيلاً *^(٢) وإيجاب الصدق وتحريم الفواحش والظلم، والأمر بالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت هو ما يعرفه المسلمون معرفة عامة، ولا يحتاج الإنسان في معرفة ذلك إلى أن يحفظ القرآن، بل يمكن الإنسان^(٣) معرفة ما أمر الله به على لسان رسوله وإن لم يعرف اللغة العربية، ويكتفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسورةً معها يصلى بهن، وكثير من الفرس، والروم، والترك، والهند، والحبشة، والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربية الكلام المعتاد، وقد أسلموا وصاروا من أولياء الله المتقيين، ومنهم من يحفظ القرآن كله وإذا كلام الناس لا يستطيع أن يكلمهم إلا بلسانه لا بالعربية، وإذا خطب بالعربية لم يفقه ما قيل له.

الوجه الثاني: أن المسيح - عليه السلام - كان لسانه عبرياً، وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتباعوه أولاً، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح - عليه السلام - ، فإن قالوا: إن رسول المسيح حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم.

قيل: هذا منقول في رسول المسيح، وفي رسول محمد - صلى الله عليه وسلم^(٤) - الذين أرسلهم إلى الأمم، ولا ريب أن رسول رسول الله،

(١) سقطت (أن) من أ.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، س.

.

(٣) في ط (لإنسان).

(٤) في س (عليهم) وفي ك و ط (عليهما).

كرسل محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْمَسِيحَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١) – إلى الأمم، لا بد أن يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول إليهم، أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم، فإذا لم يكن عند من أرسل المسيح إليهم من يعرف بالعربية، فلا بد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم.

وكذلك رسل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الذين أرسلهم إلى الأمم؛ فإن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما رجع من الحديبية أرسل رسلاه إلى أهل الأرض، فبعث إلى ملوك العرب باليمن، والحجاز، والشام، وال العراق، وأرسل إلى ملوك النصارى بالشام ومصر: قبطهم، ورومهم، وعربهم^(٢)، وغيرهم، وأرسل إلى الفرس المجوس: ملوك العراق وخراسان.

قال محمد بن سعد في الطبقات: ذكر بعثة^(٣) رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الرسل بكتبه إلى الملوك وغيرهم يدعوههم، وذكر ما كتب به رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لناس من العرب وغيرهم. ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر^(٤) الأسلمي قال: حدثني معمر^(٥)

(١) في سن ك، ط (كرسل محمد وال المسيح عليهم الصلاة والسلام).

(٢) في ط (وعربهم) وزاد في ط (وعربهم).

(٣) في ط (بعث).

(٤) في ط (عمرو) وهو خطأً وما ثبتناه من أ، سن، هامش ك ومن الطبقات ٢٥٨/١ وسبقت ترجمته.

(٥) في ط زيادة (محمد بن) وهو خطأً ومعمر بن راشد هو أبو عمروة الأزدي مولاهم عالى اليمن، اثنى عليه الإمام أحمد توفي سنة ١٥٣هـ. وقد وثقه الذهبي غير أنه ذكر أن له أوهاماً معروفة، وقال ابن حجر ثقة ثبت فاضل.

انظر ترجمته في: الكاشف للذهبي ١٦٤/٣ (٥٦٦٢)؛ وميزان الاعتدال ٤/١٥٤؛ تقريب التهذيب ٢٦٦/٢ (١٢٨٤).

بن راشد، ومحمد بن عبد الله^(١)، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله^(٢)، عن ابن عباس قال: وعن الواقدي: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة^(٣)، عن المسور بن رفاعة^(٤)، وحدثنا عبد الحميد بن جعفر^(٥) عن أبيه^(٦) عن جدته^(٧)

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري، روى عن عميه الزهري، لينه ابن معين ووثقه أبو داود، وقال بن حجر صدوق له أوهام مات سنة ١٥٧هـ . وقيل ١٥٢.

انظر: الكاشف للذهبي ٦٥/٣؛ وميزان الاعتدال ٥٩٢/٣؛ وتقريب التهذيب ١٨٠/٢؛ وتهذيب التهذيب ٢٧٨/٩؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٤٦.

(٢) عبيد الله عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أحد فقهاء المدينة، تابعي ثقة فقيه ثبت، مات سنة ٩٤هـ .

انظر: تهذيب التهذيب ٢٣/٧؛ وتقريب التهذيب ٥٣٥/١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥١.

(٣) في أ (قيسره) وما أثبته من سائر النسخ، ومن الطبقات وهو الصواب، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة (فتح السين المهملة، وسكون الموحدة) القرشي قال ابن حجر رمه بالوضع، مات سنة ١٦٢هـ .

انظر تقريب التهذيب ٣٩٧/٢ (٥١)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٤؛ وتهذيب التهذيب ٢٧/١٢.

(٤) المسور بن رفاعة بن أبي مالك القرشي قال الحافظ ابن حجر: مقبول من الرابعة. انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٢٤٩/٢؛ وتهذيب التهذيب ١٥٠/١٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٧٧.

(٥) عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، صدوق، رمى بالقدر ربما وهم، مات سنة ١٥٣هـ .

انظر: تهذيب التهذيب ١١١/٦، ١١٢؛ وتقريبه ٤٦٧/١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٢١.

(٦) جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، والد عبد الحميد، ثقة من الثامنة. انظر: تقريب التهذيب ١٣١/١ (٨٥)؛ وتهذيب التهذيب ٩٩/٢؛ والخلاصة ص ٦٣.

(٧) حصل هنا إسقاط بعض رجال السنن. حيث ورد في طبقات ابن سعد ٢٥٨/١ =

الشفاء^(١)، وحدثنا أبو بكر^(*) بن عبد الله ابن أبي سبرة^(٢)، عن محمد بن يوسف^(٣)، عن السائب بن يزيد^(٤)، عن العلاء بن الحضرمي^(٥)، وحدثنا ابن محمد^(٦) الأنصاري، عن جعفر بن عمرو (بن جعفر بن

كالآتي: «وحدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه. قال وحدثنا عمر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن جدته الشفاء» اهـ .
قلت فعلى هذا: الشفاء جدة أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة كما سيأتي في الترجمة وهو الصحيح.

(١) الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، العدوية، القرشية، صحابية، لها أحاديث وقد روى عنها ابنها سليمان بن أبي حثمة وابن ابنها أبو بكر قيل اسمها ليلي، وغلب عليها الشفاء أسللت قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول. انظر ترجمتها في: تهذيب التهذيب ١٢/٤٢٨؛ وتقريبه ٢/٦٠٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٩٢.

(*) أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، ثقة عارف بالنسب، قال في الخلاصة: روى عن جدته الشفاء. انظر ترجمته في: الخلاصة للخزرجي ص ٤٤٤؛ وتقريبه تهذيب ٢/٣٩٧.

عمر بن سليمان بن أبي حثمة العدوي (الذى وجدته عثمان، ولم أقف على عمر) مقبول روى عن جدته الشفاء. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٧/١٢٠؛ وتقريبه ٢/٩؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥٩.

(٢) في أ (قيسرة) وهو خطأ، وسبقت ترجمته رقم (٧).

(٣) محمد بن يوسف بن عبد الله الكندي، المدني، الأعرج، ثقة ثبت مات سنة ١٤٠هـ تقريباً. انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/٥٣٤؛ وتقريبه ٢/٢٢١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٦٥.

(٤) السائب بن يزيد بن سعيد الكندي، صحابي صغير كما قال ابن حجر، وله أحاديث قليلة، مات سنة ٩١هـ وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٣/٤٥٠؛ وتقريبه ١/٢٨٣؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٣٢.

(٥) سبقت ترجمة العلاء بن الحضرمي، وهو صحابي جليل.

(٦) في الطبقات ١/٢٥٨ (معاذ بن محمد الأنصاري) بن معاذ، مقبول من الطبقة =

عمرٍ^(١) بن أمية الضمري^(٢)، عن أهله، عن عمرو^(٣) بن أمية الضمري دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. وكتب إليهم كتاباً فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذ خاتماً من فضة، فصه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

الثامنة، وقال الذهبي، ذكره ابن حبان في الثقات. ولم أجد تاريخ وفاته. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ١٠/١٩٣؛ وتقريبه ٢/٢٩٧؛ وميزان الاعتدال ٤/١٣٢ والخلاصة للخزرجي ص ٣٨٠.

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة أ وزدناه من سائر النسخ، ومن الطبقات ١/٢٥٨ وهو المدني، أخوه عبد الملك بن مروان من الرضاعة من كبار التابعين، مات في خلافة الوليد، ويذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب مانصه: «روى إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جده حدثاً فقال ابن المدني في العلل: جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، هذا ليس هو جعفر بن عمرو بن أمية لصلبه بل هو جعفر بن عمرو بن فلان بن عمرو بن أمية... قال ابن حجر وهذا غاية في التحقيق...».

انظر: تهذيب التهذيب ٢/١٠٠؛ وتقريبه ١/١٣١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٦٣.

(٢) عمرو بن أمية الضمري، صحابي مشهور، روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعن أولاده وغيرهم، أسلم بعد أحد، كان شجاعاً له إقدام، وبعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – في أمور مهمة، مات بالمدينة في خلافة معاوية – رضي الله عنه –.

انظر: تهذيب التهذيب ٨/٦؛ وتقريبه ٢/٦٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٨٧.

(٣) في أ (عم) وهو خطأ.

أرسل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى هرقل^(١): دحية بن خليفة الكلبي^(٢)، وإلى المقوس^(٤) صاحب مصر والاسكندرية حاطب بن أبي بلتعة^(٥)، وإلى كسرى^(٦): عبد الله بن حذافة السهمي^(٧)، وأرسل إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني^(٨) - وكان نصراوياً بظاهر دمشق - بعث إليه شجاع بن وهب^(٩) الأستدي، وأرسل إلى غير هؤلاء^(١٠).

وقال أيضاً: أخبرنا الهيثم بن عدي^(١١) قال: أخبرنا دلهم بن

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سقطت الواو من س.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) الحارث بن أبي شمر الغساني. من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام فأرسل إليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كتاباً مع شجاع بن وهب، ومات في عام الفتح.

انظر: في ترجمته أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون ص ٣٢؛ والأعلام للزركلي ١٥٥/٢.

(٩) في ط (ذهب) وهو خطأ، وشجاع بن وهب يقال ابن أبي وهب بن ربيعة الأستدي، من المهاجرين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، الهجرة الثانية، وشهد بدرأ، والمشاهد كلها، استشهد يوم اليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة - رضي الله عنه - .

انظر في ترجمته: الإصابة لابن حجر ١٣٧/٢؛ والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ١٥٧/٢ - ١٥٨.

(١٠) ورد هذا مفصلاً في طبقات ابن سعد ١/٢٥٨ - ٢٩١. وقد ساق عدة طرق مدارها كلها على الواقدي، وهو متزوك مع سعة علمه كما قال أهل الجرح والتعديل، وسبقت ترجمته.

(١١) الهيثم بن عدي الطائي المنجبي، الكوفي، نقل الذهبي وابن حجر عن البخاري =

صالح^(١) وأبو بكر الهذلي^(٢) عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي^(٣) قال: وحدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان والزهري^(٤)، وحدثنا الحسن بن عمارة^(٥)، عن فراس^(٦)، عن الشعبي^(٧) دخل حديث بعضهم في حديث بعض: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه: «أئتوني^(٨) بأجمعكم بالغداة»، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلاً^(٩) يسبح ويدعو، ثم التفت إليهم بعث عدة إلى عده، وقال

وابن معين وأبي داود وغيرهم أنه كذاب وليس بثقة، وقال الذهبي كان أخبارياً علامة. مات سنة ٢٠٧ هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٤/٣٢٤ (٩٣١١)؛ ولسان الميزان ٦/٢٠٩ (٧٤٠).

(١) دلهم بن صالح الكندي، الكوفي. ضعيف من الطبقة السادسة ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٣/٢١٢؛ وتقريب التهذيب ١/٢٣٦ (٦٠)؛ وميزان الاعتدال ٢/٢٨.

(٢) أبو بكر الهذلي. قيل اسمه سلمي بضم المهملة ابن عبد الله، وقيل روح كما ذكر ابن حجر وقال عنه أخباري متزوك الحديث مات سنة ١٦٧ هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤٠١ (٩٤)؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٤٥.

(٣) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضيها ثقة مات سنة ١١٥ هـ. وقيل ١١٥ هـ. انظر: تهذيب التهذيب ١/٤٠٣ (٢٠٣)؛ وتهذيب التهذيب ٥/١٥٧.

(٤) محمد بن إسحاق، ويزيد بن رومان، والزهري سبقت ترجمتهم.

(٥) الحسن بن عمارة البجلي، مولاهم قاضي بغداد متزوك مات سنة ١٥٣ هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ١/١٦٩ (٢٩٨)؛ وتهذيب التهذيب ٢/٣٠٤ - ٣٠٨.

(٦) فراس في ط (فراش) بالشين المعجمة وهو خطأ. وفراس بكسر أوله ويسين مهملة ابن يحيى الهمданى، صدوق ربما وهم مات سنة ١٢٩ هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٢/١٠٨ (١٢)؛ وتهذيب التهذيب ٨/٢٥٩.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) في الطبقات ١/٢٦٤ (وافنونى) والمعنى واحد.

(٩) في ط (ليلًا) وهو تصحيف.

– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) – : «انصحوا اللَّهُ فِي أَمْرِ عِبَادِهِ، فَإِنْ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ شَيْءٍ مِّنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَمْ يَنْصُحْ، حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، انطَلَقُوا وَلَا تَصْنَعُوا كَمَا صَنَعْتُ رَسُولُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَإِنَّهُمْ أَتَوْا الْقَرِيبَ وَتَرَكُوا الْبَعِيدَ فَأَصْبَحُوا – يَعْنِي الرَّسُولَ – وَكُلُّهُمْ يَعْرِفُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ» وَذَكَرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ^(٢) – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: «هَذَا أَعْظَمُ مَا كَانَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – عَلَيْهِمْ^(٣) فِي أَمْرِ عِبَادِهِ».

الوجه الثالث: أَنَّ النَّصَارَى فِيهِمْ عَرَبٌ كَثِيرٌ مِّنْ^(٤) زَمِنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكُلُّهُمْ يَفْهَمُ الْلِّسَانَ الْعَرَبِيَّ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ فَهْمَهُ لِلْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ لِسَانِهِ فَارْسِيًّا أَوْ رُومِيًّا أَوْ تُرْكِيًّا أَوْ هَنْدِيًّا أَوْ قَبْطِيًّا، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلُوا هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى قَدْ قَرَأُوا الْمَصْحَفَ وَفَهَمُوا مِنْهُ مَا فَهَمُوا وَهُمْ يَفْهَمُونَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَاحْتَجُوا بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ يُسْوَغُ لَهُمْ مَعَ هَذَا أَنْ يَقُولُوا: كَيْفَ تَقُومُ الْحَجَّةُ عَلَيْنَا بِكِتَابٍ لَمْ نَفْهَمْهُ؟

الوجه الرابع: أَنْ حَكْمَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي ذَلِكَ حَكْمَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَعْلُومٌ^(٥) أَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِيهِمْ عَرَبٌ وَفِيهِمْ عِجَمٌ – تُرْكٌ وَهَنْدٌ وَغَيْرُهُمَا –

(١) فِي سِنْ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ).

(٢) فِي طِ (لِنَبِيِّ).

(٣) سَقَطَتْ (عَلَيْهِمْ) مِنْ أَوْ قَدْ نَقْلَ الشِّيْخُ هَذَا النَّصْ مِنْ الطَّبَقَاتِ لَابْنِ سَعْدٍ ٢٦٤ / ١ بِتَصْرِفِ يَسِيرٍ، وَسَنَدِهِ (مَتْرُوكٌ) لِأَنَّ فِيهِ الْهَيْثِمَ بْنَ عَدِيَّ (كَذَابٌ)، وَدَلْهُمَ بْنَ صَالِحٍ (ضَعِيفٌ)، وَأَبُوبَكَرَ الْهَذَلِيَّ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَمَارَةِ مَتْرُوكٌ أَيْضًا، وَالْمَتْرُوكُ مِنْ أَسْوَأِ أَنْوَاعِ الْمُضَعِّفِ كَمَا قَالَ الْمُحَدِّثُونَ.

(٤) فِي طِ (فِي).

(٥) سَقَطَتْ الْوَاوُ مِنْ طِ.

فكما أن جميع المشركين كمشركي العرب، وكذلك جميع أهل الكتاب كأهل الكتاب من العرب وفي اليهود والنصارى ممن يعرف بلسان^(١) العرب من لا يحصيه إلا الله – عزوجل – .

الوجه الخامس: أنه ليس فهم كل آية من القرآن فرضاً على كل مسلم، وإنما يجب على المسلم أن يعلم ما أمره الله به^(٢)، وما نهاه عنه بأي عبارة كانت، وهذا ممكناً لجميع الأمم، ولهذا دخل في الإسلام جميع أصناف العجم من الفرس، والترك، والهند، والصقالبة^(٣)، والبربر، ومن هؤلاء من يعلم اللسان العربي، ومنهم من يعلم ما فرض الله عليه الترجمة، وقد قدمنا أنه يجوز ترجمة القرآن في غير الصلاة والتعبير^(٤)، كما يجوز تفسيره باتفاق المسلمين، وإنما تنازعوا هل يقرأ بغير العربية تلاوة كما يقرأ في الصلاة^(٥)؟ فجمهور العلماء منعوا من ذلك، وحيثند فإذا قرأ الأعجمي فاتحة الكتاب وسورةتين معها

(١) في ط (لسان).

(٢) (الله به) سقطت من أ.

(٣) سقطت الواو من ط.

(٤) الصقالبة: من ولد صقلب، ويتسبون إلى يافث، كانوا قبل أن تغلبهم الروم منبسطين ما بين بحر الروم، والبحر المحيط، وهم عشرة أصناف ولكل صنف منهم ملك.

انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لأبي عبد الله الأنباري ص ٢٥٩ . وسبق التعريف بالأمم التي ورد ذكرها مع الصقالبة.

(٥) التعبير هو التفسير، ومنه عبر الرؤيا يعبرها عبراً وعبارة، وعبرها فسرها، وأخبر بما يؤول إليه أمرها . . والعاشر الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي: «يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه».

انظر: لسان العرب ٤/٥٢٩؛ والقاموس المحيط ٢/٨٣ (فصل العين، باب الراء).

(٦) تقدم الكلام على هذه المسألة، والتي قبلها، وسبق التعليق عليها في موضعه.

بالعربية أجزاء، وكذلك التشهد وغيره من الذكر المأمور به وهذا أمر يسير أيسر من أكثر الواجبات، فكيف يمتنع أن يأمر الله – تبارك وتعالى – عباده بذلك؟ .

وأما جمل ما أمر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الصلاة، والزكاة، والصوم^(١)، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وما حرمه الله^(٢) من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك، فهذا مما يمكن أن يعرفه كل واحد^(٣) بتعريف من يعرفه، إما باللسان العربي، وإما بلسان آخر لا يتوقف تعريف ذلك على لسان العرب.

• • •

(١) سقطت (والصوم) من أ، س، ك.

(٢) سقط لفظ الجلالة من س.

(٣) في س، ك، ط (أحد).

فصل

وأما قوله – تعالى – : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**^(١).

وقوله :

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَجْمَعِيًّا الْقَالُوا لَوْلَا فَصِّلَتْ آيَاتُهُ أَجْمَعِيًّا وَعَرَبِيًّا...﴾^(٢).

وقوله : **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾**^(٣).

دفع ما يوهم
الخصوصية
لِكُونِ الْقُرْآنِ
عَرَبِيًّا

فهذا يتضمن إِنْعَامَ اللَّهِ^(٤) عَلَى عِبَادِهِ، لِأَنَّ الْلِّسَانَ الْعَرَبِيَّ
أَكْمَلُ الْأَلْسُنَةِ وَأَحْسَنُهَا بَيَانًا لِلْمَعْنَى، فَنَزَولُ الْكِتَابِ بِهِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى
الْخَلْقِ مِنْ نَزْولِهِ بِغَيْرِهِ، وَهُوَ إِنَّمَا خَوْطَبَ بِهِ أَوْلَى الْعَرَبِ لِيَفْهُمُوهُ، ثُمَّ مِنْ
يَعْلَمُ لِغَتِهِمْ يَفْهُمُهُ كَمَا يَفْهُمُوهُ، ثُمَّ مِنْ لَمْ يَعْلَمْ لِغَتِهِمْ تَرْجِمَهُ لَهُ مِنْ عِرْفِ
لِغَتِهِمْ، وَكَانَ إِقَامَةُ الْحَجَّةِ بِهِ عَلَى الْعَرَبِ أَوْلَى وَإِنْعَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْلَى
لِمَرْفَعِهِمْ بِمَعْنَيِّهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفُهُمْ غَيْرُهُمْ.

قال – تعالى – :

﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة يوسف: الآية ٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٣.

(٤) في س، ك، ط (إنْعَامُ اللَّهِ بِهِ).

(٥) سورة الدخان: الآية ٥٨.

وقال :

﴿فَإِنَّمَا يَسِّرَنَا لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا مُّلْكًا﴾ (١).

والله جمع الألد، وهو الأعوج في المناظرة الذي يروغ عن الحق، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢)، وأما قوله - تعالى - :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . . .﴾ (٣).

فهو كما قال - تعالى - وقوم محمد - صلى الله عليه وسلم - هم قريش، وبلسانهم أرسل، وهو - سبحانه - لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه، بل الرسول يبعثه الله إلى قومه وغير قومه، كما تقول النصارى: أنه بعث المسيح - عليه السلام - ، والحواريين (٤) إلى غير بني إسرائيل، وليسوا من قومه، فكذلك (٥) بعث محمداً (٦) - صلى الله عليه وسلم - إلى قومه وغير قومه. ولكن إنما يبعث بلسان (٧) قومه، ليبيّن لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسيط البيان لهم: اما بلغتهم،

(١) سورة مريم: الآية ٩٧.

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - في التفسير، تفسير سورة البقرة ١٥٩/٥، ورواه في المظالم، باب قول الله - تعالى - وهو ألد الخصم ١٠١/٣ ورواه مسلم في العلم، باب في الألد الخصم ٤/٢٠٥٤ (٢٦٦٨)، ورواه الترمذى في التفسير، تفسير سورة البقرة ٥/٢١٤ (٢٩٧٦)، ورواه النسائي في كتاب آداب القضاة، باب الألد الخصم ٨/٢٤٧، ورواه أحمد في مسنن عائشة - رضي الله عنها - ٦/٥٥، ٦٣، ٢٠٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) في س (أو الحواريين) وفي ط (أو الحواريون) وسقطت من ك.

(٥) في س، ك، ط (وكذلك).

(٦) في س، ك، ط (محمد).

(٧) في س (بلساني).

ولسانهم، وإنما بالترجمة لهم ولو لم يتبيّن^(١) لقومه أولاً لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم، وإذا تبيّن لقومه أولاً حصل البيان لهم ولغيرهم بتوسيطهم، * وقومه إليهم بعث أولاً لهم دعا أولاً، وأنذر أولاً*^(٢)، وليس في هذا أنه لم يرسل إلى غيرهم، لكن إذا تبيّن لقومه لكونه بلسانهم، أمكن بعد هذا أن يعرفه غير قومه: إنما بتعلمهم بلسانهم، وإنما بتعريف بلسان يفهم به، والرجل يكتب كتاب علم في طب أو نحو أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب، وينقل إلى لغات أخرى ويستفه به أقوام آخرون، كما ترجمت كتب الطب والحساب، التي صنفت^(٣) بغير العربي وانتفع بها العرب، وعرفوا مراد أصحابها، وإن كان المصنف لها أولاً إنما صنفها بلسان قومه، وإذا كان هذا في بيان الأمور التي لا يتعلّق^(٤) بها سعادة الآخرة، والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التي يتعلّق^(٥) بها سعادة الآخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان إلى لسان حتى يفهم أهل اللسان الثاني بها ما أراده بها المتكلّم بها أولاً باللسان الأول.

وأبناء فارس المسلمين لما كان لهم من عناية بهذا، ترجموا مصاحف كثيرة، فيكتبونها بالعربي، ويكتبون الترجمة بالفارسية، وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى، فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم؟ وعامة الأصول التي

(١) في ط (بيّن).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أوزدناه من هامش س، وهامش ك، ط.

(٣) في ك، ط (صنعت).

(٤) في ط (تتعلّق) بالمثناة الفوقيّة.

(٥) في ط (تتعلّق) بالمثناة الفوقيّة.

يذكرها القرآن عندهم شواهدنا ونظائرها في التوراة، والإنجيل، والزبور، وغير ذلك من النبوات، بل كل من تدبر نبوات^(١) الأنبياء وتدرس القرآن جزم يقيناً^(٢) بأن محمداً^(٣) رسول الله حقاً. وأن موسى رسول الله صدقاً، لما يرى من تصدق الكتابين: التوراة والقرآن مع العلم بأن موسى - عليه السلام - لم يأخذ عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يأخذ عن موسى ، فإن محمداً - صلى الله عليه وسلم - باتفاق أهل المعرفة بحاله^(٤) كان أمياً، من قوم أميين ، مقيناً بمكة ، ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة والإنجيل^(٥) ، ولا الزبور ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - لم يخرج من بين ظهرانيهما ولم يسافر قط إلا سفرتين: إلى الشام خرج مرة مع عمه أبي طالب قبل الاحتلال ، ولم يكن يفارقه ، ومرة أخرى مع ميسرة^(٦) في تجارتة ، وكان ابن بضم وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميع أحواله ولم يجتمع قط بعالم أخذ عنه شيئاً ، لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم ، لا بحيرى ولا غيره^(٧) ، ولكن كان بحيرى الراهب لما رأه عرفه لما كان عنده من ذكره ونعته ، فأخبر أهله بذلك ، وأمرهم بحفظه من اليهود ولم يتعلم لا من بحيرى ولا من غيره كلمة واحدة ، وسبعين - إن

(١) في ط (نبوات). (٢) في ط (يقيناً).

(٣) في أ (محمد) وما ثبته من سائر النسخ هو الصواب.

(٤) سقطت (بحاله) من أوزدناه من س ، ك ، ط .

(٥) في س ، ك ، ط (ولا الإنجيل).

(٦) ميسرة: غلام خديجة - رضي الله عنها - قال الحافظ ابن حجر: «ذكر في السيرة وكان رفيق النبي - صلى الله عليه وسلم - في تجارة خديجة قبل أن يتزوجها، وحكي بعض أدلة نبوته، وترجم له ابن عساكر، ولم أقف على رواية صريحة بأنه بقي إلىبعثة فكبته على الاحتمال». اهـ انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤٤٩/٣).

(٧) في أ (ولا يحير ولا غيره) وفي س (لا يحير أو لا غيره) وما ثبته من ك ، ط .

شاء الله — الدلائل الكثيرة على أنه لم يأخذ عن أحد^(١) من أهل الكتاب كلمة واحدة، وقصة بحيري مذكورة ذكرها أرباب السير وأصحاب المسانيد والسنن.

قال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى في جامعه^(٢): حدثنا الفضل أبو العباس البغدادى^(٣)، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح^(٤)، أنا يونس بن أبي إسحاق^(٥) عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري^(٦) عن أبيه^(٧) قال: خرج أبو طالب

(١) سقطت (عن أحد) من أوزنها من سائر النسخ.

(٢) ٥٩٠/٥ - ٥٩١ وبيان تخرجه والترمذى هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، من أئمة علماء الحديث وحافظه من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبغدادى وقام برحلات كثيرة، وكان يضرب به المثل في الحفظ، عمرى في آخر عمره. له تصانيف منها الجامع الكبير (سنن الترمذى)، والعلل، والشمائل النبوية، والتاريخ. كان مولده سنة ٢٠٩. ووفاته سنة ٢٧٩هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٩/٣٨٧، وذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣ (٦٥٨) والأعلام ٣٢٢/٦

(٣) الفضل بن سهل الأعرج أبو العباس البغدادى، من خراسان، صدوق مات سنة ٢٥٥هـ. انظر: تقريب التهذيب ٢/١١٠ (٣٧)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٠٩.

(٤) عبد الرحمن بن غزوان (بمعجمه مفتوحة وذى ساكنة) الضبى أبو نوح، المعروف بقراد (بضم القاف وتحقيق الراء) ثقة له أفراد، مات سنة ١٨٧هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١/٤٩٤ (٤٧٥)، والخلاصة للخزرجي ص ٢٣٣ وتهذيب التهذيب ٦١٨٥/٦

(٥) يونس بن أبي إسحاق السعى، أبو إسرائيل الكوفي، صدوق بهم قليلاً مات سنة ١٥٢هـ. على الصحيح.

انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٨٤ (٤٧١)، والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٠.

(٦) اسمه عمرو أو عامر، اشتهر بكنيته، ثقة مات سنة ١٠٦هـ. وكان أسن من أخيه أبي بردة.

انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٠٠ (٧٤)، والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٥.

(٧) سبقت ترجمة أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل — رضي الله عنه — .

إلى الشام وخرج معه النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في أشياءٍ من قريش: فلما أشرفوا على الراهب هبطوا، فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيده رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يعيش الله رحمة للعالمين، فقال له أشياءٍ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتكم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلَّا خرَّ ساجداً^(١)، ولا يسجدون^(٢) إلَّا لنبني وإلَّا أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غرضوف^(٤) كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به – وكان هو في رعية الإبل – فقال: أرسلوا إليه فأقبل عليه غمامه تظلله، فلما دنا من القوم وجدتهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال في بينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم أن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم الراهب فقال: ما جاءكم؟ قالوا: جئنا لأن^(٥) هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلَّا بعث إليه بأناس وإننا قد أخبرنا خبره بطريقك هذه.

(١) في ط (ساجد).

(٢) في ط (يسجدون).

(٣) في أ (وأنه).

(٤) الغرضوف بوزن عصفور: مالان من اللحم، قاله الفارابي، وبعضهم يقول كل مالان من العظم، وقد يقال غضروف بتقديم الضاد على الراء لغة على القلب.

انظر: المصباح المنير: ٦٠٩/٢

(٥) في أ، س، ك (أن).

قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فتابعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم الله يا معاشر العرب أيكم وليه؟ فقال أبو طالب: أنا. فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وزوجه الراهب من الكعك والزيت^(١).

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه البيهقى في كتاب دلائل النبوة^(٢) من حديث العباس بن محمد عن قراد^(٣) بن نوح. وقال العباس: لم يحدث به - يعني بهذا الإسناد - غير قراد وسمعه يحيى وأحمد من^(٤) قراد.

قال البيهقى^(٥): أراد أنه لم يحدث بهذا الإسناد سوى هؤلاء، فاما القصة فهي عند أهل المغازى مشهورة.

(١) رواه الترمذى في كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٥٩٠ / ٥ - ٥٩١ (حديث رقم ٣٦٢٠). ورواه ابن حجر الطبرى في تاريخه ٢٧٨ / ٢، والحاكم في كتاب التاريخ ٦١٥ / ٢ - ٦١٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيختين، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله «أظنه موضوعاً فبعضه باطل» انظر: التلخيص (حاشية المستدرك) ٦١٥ / ٢ ورواه البيهقى في دلائل النبوة ٣١٢ - ٣٠٧، باب ما جاء في خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أبي طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجراً... إلخ وساقه الحافظ الذهبي في كتابه السيرة النبوية ص ٢٦ - ٣٠ تحت عنوان (سفره مع عمه - ان صح) ثم قال: تفرد به قراد واسمه عبد الرحمن بن غزوان، ثقة احتج به البخاري والنسائي ورواه الناس عن قراد، وحسنه الترمذى. ثم قال - رحمة الله - وهو حديث منكر جداً، ثم ذكر الألفاظ المنكراة في الحديث، تم ساق للقصة شواهد عند أصحاب السير وذكراها.

(٢) انظر: ٣١٢، ٣٠٧ / ١.

(٣) في س (براد) وهو خطأ.

(٤) في ط (بن) وهو خطأ.

(٥) انظر: دلائل النبوة ٣٠٩ / ١.

وقال^(١) ابن سعد^(٢) في الطبقات: حدثنا محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن صالح^(٣) وعبد الله بن جعفر^(٤) وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة^(٥) عن داود بن الحصين^(٦) قال لما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اثني عشرة^(٧) سنة خرج به أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة، فنزلوا بالراهب

(١) في ط (قال).

(٢) في أ، س، ك (سعيد) وهو خطأ. وسبقت ترجمة ابن سعد، والواقدي.

(٣) محمد بن صالح بن دينار التمار المدني قال ابن سعد، كان جيد العقل، قد لقي الناس، وعلم العلم والمغازي، وقال ابن حجر صدوق يخطئ مات سنة ١٦٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٢٢٥/٩، وتقريبه ١٧٠/٢ (٣١٢)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٤١.

(٤) عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، المدني قال ابن حجر ليس به بأس مات سنة ١٧٠هـ، وعمره بضع وسبعين سنة.

انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ١٧١/٥ - ١٧٣، وتقريبه ٤٠٦/١ (٤٢٩) وميزان الاعتدال ٤٠٣/٢.

(٥) إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأشهلي، المدني أبو إسماعيل، قال ابن حجر ضعيف من السابعة، وفي ميزان الاعتدال للذهبي قال البخاري عنده مناكير مات سنة ١٦٥هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ١٠٤/١ (٨٠)، وميزان الاعتدال ١٩/١ (٣٦)، وتقريب التهذيب ٣١/١.

(٦) داود بن الحصين الأموي، أبو سليمان المدني، محدث مشهور، وثقة ابن معين وغيره. قال الحافظ ابن حجر ثقة إلأ في عكرمة، ورمي برأي الخوارج مات سنة ١٣٥هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ١٨١/٣، وتقريبه ١٢٣١/٥ (٥)، وميزان الاعتدال للذهبي ٦٠٥/٢ (٢٦٠٠)، والخلاصة للخزرجي ص ١٠٩.

وإسناد القصة ضعيف فيه إبراهيم بن أبي حبيبة وهو ضعيف والواقدي متروك وهو منقطع من هذا الطريق وسبق تخريرها وسيأتي زيادة بيان لها.

(٧) في أ، س، ك (عشر).

بحيرى فقال بحيرى لأبي طالب في النبي - صلى الله عليه وسلم - ما قال، وأمره أن يحفظه به فرده أبو طالب معه إلى مكة، وشب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أبي طالب يكتلنه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها لما يريده به من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى فما^(١) رأي ملاحياً ولا ممارياً أحداً حتى سماه قومه الأميين لما جمع فيه من الأمور الصالحة^(٢).

وقال ابن الجوزي : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن اثنين^(٣) عشرة^(٤) سنة وشهرين وعشرة أيام^(٥) فنزل الركب بيصرى وبها راهب - يقال له بحيرى^(٦) - في صومعة له . وكان ذا علم بالنصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب تنتهي إليه علم النصرانية صاغراً عن كابر وفيها كتب يدرسونها، وكان كثيراً ما^(٧) يمر الركب فلا يكلمهم^(٨) حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا متزلاً قريباً من الصومعة، فصنع لهم الراهب طعاماً ودعاهم . وإنما حمله على ذلك لشيء^(٩) رأه فلما رأى بحيرى ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فحضر وأرسل إلى القوم فقال : يا معاشر قريش . أحب أن

(١) في ك، ط (مما رأي) وفي الطبقات ١٢١/١ (وما رأي).

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ١/١٢٠ - ١٢١ بتصرف.

(٣) في جميع النسخ (اثني) وما ثبناه من الوفا بأحوال المصطفى ١٣١/١.

(٤) في أ (عش).

(٥) جملة (وشهرين وعشرة أيام) ليست في الوفا بأحوال المصطفى.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) في أ، س، ك (مما).

(٨) في ط (يكلمه).

(٩) في ط (شيء).

تحضروا طعامي ولا يتخلل منكم أحد، فقال: وهذا شيء تكرموني^(١)، فلما حضروا عنده جعل يلاحظ النبي - صلى الله عليه وسلم - لحظاً شديداً، وينظر إلى جسده، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب، ثم قال الراهب لأبي طالب: أرجع بابن أخيك، فإنه كائن له شأن عظيم، فإننا نجد صفتة في كتبنا ويرونه^(٢) عن آبائنا. فلما فرغوا من التجارة رجع به أبو طالب سريعاً إلى مكة، فما خرج بعدها به أبو طالب خوفاً عليه^(٣).

هذا مع أن في القرآن من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه مثل دعواهم أن المسيح - عليه السلام - صلب. وقول بعضهم: أنه إله. وقول بعضهم: أنه ساحر. وطعنهم على سليمان - عليه السلام - وقولهم: أنه كان ساحراً وأمثال ذلك ما^(٤) يبين أنه لم يأخذ عنهم.

وفي القرآن من قصص الأنبياء - عليه السلام - ما لا يوجد في التوراة والإنجيل^(٥) مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك.

(١) في ط (تكرموني به).

(٢) في س، ك، ط (ويرونه).

(٣) انظر: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١٣١/١ - ١٣٤ باب في ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الشام مع عمه أبي طالب ولقائه بحيري ط. السعادة بمصر. تحقيق - مصطفى عبد الواحد.

وذكر ابن الجوزي القصة مختصرة في كتابه - تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٣ (ط. النموذجية بمصر). وقال البيهقي عن هذه القصة (هي عند أهل المغارب مشهورة. انظر: دلائل النبوة ٣٠٩/١. وأما الذهبي فقد قال هو حديث منكر جداً (السيرة النبوية للذهبي ص ٢٨)، وسبق مزيد تخرير لهذه القصة.

(٤) في ط (مما).

(٥) في س، ك (ولا الإنجيل) وفي ط (ولا في الإنجيل).

وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعقاب ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها من الوعد والوعيد، فهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر، والعاقبة، والوعيد بالقطيعة والأمراض، والأعداء. وإن كان ذكر المعاد موجوداً^(١) في غير التوراة من النبوات، ولهذا كان أهل الكتاب يقرؤن بالمعاد، وقيام القيمة^(٢) الكبرى، وقد قيل: إن ذلك مذكور في التوراة أيضاً، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة^(٣).

● ● ●

(١) في أ (موجود) وهو خطأ.

(٢) في س (النصرانية) وهو تحرير ظاهر.

(٣) الراجح عدم التصريح بالثواب والعقاب، أما المعاد فقد ورد ذكره وإن لم يصرح به فيها. وقد أورد ابن كمسنة اليهودي في كتابه «تنقية الأبحاث للملل الثلاث» ص ٤٠ - ٤٣ من جملة الاعتراضات على التوراة عدم تصريحها بالثواب والعقاب الآخريين، وعندما دافع عن ذلك لم ينفعه، وإنما قال - وهو منهزم أما هذا الاعتراض - «إن خلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى - عليه السلام - وخاطب به بني إسرائيل، واستفاض منهم، فإن قيل فلم لم يكتبه في التوراة مصرياً؟ قيل إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها ثم ولا السؤال عنها، فلربما يكون لذلك حكمة لا نعرفها... إلخ كلامه.

ونحن نقول: إن خلو التوراة الموجودة من هذا الأصل العظيم من أبلغ الأدلة على تحريفها، وأنها ليست التوراة الأصلية التي أنزلت على موسى، وإذا ثبت هذا فإنها ليست من الأمور الإلهية، وتسقط دعواه عدم جواز الاعتراض بل يبقى الاعتراض قائماً ومعه غيره من الاعتراضات الكثيرة التي تحط من قدر هذه الكتب المحرفة، وتضعف قيمتها، وتفقد الثقة بها مطلقاً.

وانظر: سلسلة مقارنة الأديان للدكتور شلبي (اليهودية) ص ١٩٨ - ٢٠٠ تحت عنوان الآخرة والبعث.

رَدَ زَعْمَ
النَّصَارَى
عَصْمَةُ
الْحَوَارِيْبِينَ
الْمُتَرْجِمِينَ
لِلْإِنْجِيلِ

فصل

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّ الْكِتَابَ الَّتِي عَنْدَنَا مِنْ^(١) التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا تَرَجَّمَهَا لَنَا الْحَوَارِيْبِينَ، وَهُمْ عَنْدَنَا رُسُلٌ مَعْصُومُونَ، وَ^(٢) تَرَجَّمُوهَا لِجَمِيعِ الْأَمْمَ بِخَلْفِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَرَجَّمُهُ مِنْ لِسْنٍ بَمَعْصُومٍ، فَعَنْ هَذَا أَجْوَبَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ هَذَا كَذَبٌ بَيْنَ فَإِنْ مِنَ الْعَرَبِ مِنَ النَّصَارَى مِنْ لَا يَحْصِي عَدْدَهُ إِلَّا اللَّهُ - تَعَالَى - ، وَكَانَ فِيهِمْ نَصَارَى كَثِيرُونَ تَنَصَّرُوا قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَكَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ الَّذِي لَمْ يَبْدُلْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَسَائِرُ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَإِنْ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ الَّذِي لَمْ يَبْدُلْ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ تُورَةٌ وَلَا إِنْجِيلٌ مَعْرُبٌ مِنْ عَهْدِ الْحَوَارِيْبِينَ، بَلْ التُّورَةُ الْعَبْرِيَّةُ تَنَقَّلُ مِنَ الْلِسَانِ الْعَبْرِيِّ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْإِنْجِيلُ يَنَقُّلُ مِنَ الْلِسَانِ الرُّومِيِّ، أَوِ السَّرِيَّانِيِّ،

(١) فِي سِنْ (فِي).

(٢) سَقَطَتِ الْوَأْوَمْنَ طِ.

أو اليوناني^(١) أو غيرها^(٢) إلى اللغة^(٣) العربية، فلو كان عند كل أمة من الأمم توراة وإنجيل ونبوات بلسانهم، لكان نصارى العرب أحق بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند^(٤)، فإنهم جيران البيت المقدس، وهم بنو إسماعيل – عليه السلام – والأنجيل عندهم أربعة، وهم يدعون أن كل واحد كتبها بلسان، كتبت بلسان العبري^(٥)، والرومي، واليوناني، مع أن في بعض الأنجيل ما ليس في بعض. مثل قولهم: «عملدوا الناس باسم الآب، والابن وروح القدس»^(٦) الذي جعلوه أصل دينهم. وهذا إنما هو قوله في إنجيل متى، وإذا كان كل واحد من الأربعة كتب إنجيلاً بلسانه، لم يكن هناك إنجيل واحد^(٧) أصلي ترجع إليه الأنجيل كلها، ثم هم^(٨) (مع) هذا يدعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لساناً. وهذا فيه من الكذب والتناقض أمور سنتبّه – إن شاء الله – على بعضها، لكن غاية ما يدعون أنه ترجم باثنين وسبعين لساناً، ومعلوم أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا وقبل^(٩) زماننا أكثر من هذا، كما يعرفه من عرف أحوال العالم، بل اللسان الواحد كالعربي، والفارسي، والتركي، جنس تحته أنواع مختلفة لا يفهم بعضهم لسان

(١) في س (والسرياني أو غير اليوناني وغيرها)، وفي أ، ك (أو السرياني أو غيرها إلى العربية أو اليوناني).

(٢) في أ، ك (أو غيره).

(٣) سقطت (اللغة) من أ، س، ك.

(٤) سبق التعريف بهذه الأمم.

(٥) في أ، س (العربي)، وصححناه من ك، ط.

(٦) إنجيل متى الإصلاح الثامن والعشرون: ص ١٩.

(٧) سقطت (واحد) من ك.

(٨) في ط (إنهم).

(٩) في ط (وقيل).

بعض إلأ أن يتعلمهم ^(١) ، والعرب أقرب الأمم إلى بني إسحاق: بني إسرائيل ^(٢) ، والعيسى فـإـنـهـ بـنـوـ إـسـمـاعـيلـ وـجـيـرـانـهـمـ ، فـإـنـ أـهـلـ الحـجـازـ جـيـرـانـ الشـامـ ، وـمـكـةـ لـمـ تـزـلـ تـحـجـ إـلـيـهـ الـعـرـبـ ، وـلـمـ يـكـنـ قـطـ عـنـدـ العربـ تـورـةـ وـلـاـ إـنـجـيـلـ عـرـبـيـاـنـ مـنـ عـهـدـ الـمـسـيـحـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - ، بـلـ وـلـاـ كـانـ بـمـكـةـ لـاـ تـورـةـ وـلـاـ إـنـجـيـلـ ، لـاـ مـعـرـبـ وـلـاـ غـيـرـ مـعـرـبـ ، وـلـهـذـاـ قـالـ - تعالى - :

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ . . .﴾ ^(٣) .

فـكـيـفـ يـدـعـيـ أـنـ التـورـةـ ، وـالـإـنـجـيـلـ تـرـجـمـهـاـ ^(٤) الـحـوـارـيـوـنـ لـكـلـ قـوـمـ مـنـ جـمـيـعـ ^(٥) بـنـيـ آـدـمـ شـرـقـاـ وـغـرـبـاـ وـجـنـوـبـاـ وـشـمـالـاـ بـلـسـانـ يـفـهـمـونـهـ بـهـ ، وـهـلـ يـقـولـ هـذـاـ إـلـأـ مـنـ أـكـذـبـ النـاسـ وـأـجـهـلـهـمـ؟

الـوـجـهـ الثـانـيـ : أـنـ يـقـالـ تـرـجـمـةـ الـكـلـامـ مـنـ لـغـةـ إـلـىـ لـغـةـ لـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ مـعـصـومـ بـلـ هـذـاـ أـمـرـ تـعـلـمـهـ الـأـمـمـ ، فـكـلـ مـنـ عـرـفـ الـلـسـانـيـنـ أـمـكـنـهـ التـرـجـمـةـ وـيـحـصـلـ الـعـلـمـ بـذـلـكـ إـذـاـ كـانـ الـمـتـرـجـمـوـنـ كـثـيـرـيـنـ مـتـفـرـقـيـنـ

(١) لـعـلـ الشـيـخـ يـقـدـدـ اختـلـافـ الـلـهـجـاتـ الـتـيـ فـيـ الـلـغـةـ الـوـاـحـدـةـ بـحـيـثـ تـجـعـلـ أـبـنـاءـهـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ تـفـهـيمـ بـعـضـ كـلـمـاتـهـ ، أـمـاـ الـلـسـانـ كـلـهـ فـإـنـهـ غـيـرـ مـرـادـ هـنـاـ .

(٢) إـسـرـائـيلـ لـقـبـ عـلـىـ نـبـيـ اللـهـ يـعـقـوبـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - وـهـيـ كـلـمـةـ عـبـرـيـةـ مـرـكـبـةـ مـنـ إـسـرـاـ وـإـيـلـ وـمـعـنـيـ إـسـرـاـ: عـبـدـ ، وـمـعـنـيـ إـيـلـ: اللـهـ ، فـمـعـنـاـهـ إـذـنـ عـبـدـ اللـهـ .

وـانـظـرـ تـرـجـمـتـهـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - : فـيـ الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ١٩٤/١ ، وـابـنـ الـورـديـ ٢٨/١ .

وـالـعـيـصـ هوـ أـخـوـ يـعـقـوبـ الـأـكـبـرـ ، هوـ الـذـيـ تـنـاسـلـ مـنـهـ الـرـوـمـ ، وـالـعـيـصـ وـيـعـقـوبـ اـبـنـ إـسـحـاقـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ - عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ - .

وـجـاءـتـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ١٩٤/١ ، وـابـنـ الـورـديـ ٢٨/١ .

(٣) سـوـرـةـ الـقـصـصـ : الـآـيـةـ ٤٦ـ .

(٤) فـيـ طـ (ـتـرـجـمـهـمـاـ)ـ .

(٥) سـقـطـتـ (ـجـمـيـعـ)ـ مـنـ كـ .

لا يتواطؤون على الكذب، و^(١) بقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك، وهذا موجود معلوم، بل إذا ترجمه اثنان كل منهما لا يعرف ما يقوله الآخر ولم ^(٢) يتواطؤا حصل بذلك المقصود في الغالب، وهم يذكرون أن التوراة ترجمها اثنان وسبعون حبراً من اليهود، ولم يكونوا معصومين، وأن ^(٣) الملك فرقهم لثلا يتواطؤوا على الكذب، واتفقوا على ترجمة واحدة، وهذا كان بعد الخراب الأول، فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة.

وهذه التوراة في زماننا والإنجيل والزبور يترجم باللغة العربية، ويعرف المقصود به بلا ريب، فكيف بالقرآن الذي يفهم أهله معناه ويفسرونه ويترجمونه أكمل وأحسن مما يترجم أهل التوراة والإنجيل، التوراة والإنجيل؟

الوجه الثالث: أن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى - عليهما السلام - دعوى ممنوعة وهي باطلة، وإنما هم رسل المسيح - عليه السلام - بمنزلة رسل موسى ورسل إبراهيم ورسل محمد - صلى الله عليهم ^(٤) وسلم -، وأكثر النصارى أو كثير منهم ^(٥) أو كلهم يقولون: هم رسل الله وليسوا بأنبياء، وكل من ليسنبي، فليس برسول الله وليس بمعصوم، و^(٦) إن كانت له خوارق عادات، كأولياء الله من المسلمين وغيرهم؛ فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق، فليسوا معصومين من الخطأ،

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) سقطت (الواو) من ك، ط.

(٣) في سن (فيان).

(٤) في أ (عليه).

(٥) في أ (أو أكثرهم).

(٦) سقطت (الواو) من ط.

والخوارق التي تجري على يدي^(١) غير الأنبياء، لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء، فضلاً عن كونهم معصومين، فإن ولی الله من يموت على الإيمان * ومجرد الخارق لا يدل على أنه يموت على الإيمان^(٢) * بل قد يتغير عن ذلك الحال، وإذا قطعنا بأن الرجل ولی الله كمن أخبر النبي بأنه من أهل الجنة، فلا يجب^(٣) الإيمان بكل ما يقوله إن لم يوافق ما قالته الأنبياء بخلاف الأنبياء – عليهم السلام – فإنهم معصومون لا يجوز أن يستقر فيما يبلغونه خطأ، ولهذا أوجب الله الإيمان بهم، ومن كفر بواحد منهم فهو كافر، ومن يسب واحداً منهم، وجوب قتله في شرع الإسلام، كما قال – تعالى – :

﴿ قُلُّوا إِمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْقِيَ الْتَّيْمُونُ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لِلْمُسْلِمُونَ ﴾ ٢٣ فَإِنَّمَا أَمْنَوْا بِمِثْلِ مَا أَمْنَتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَلَنْ تُلَوِّنَا إِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْمَكِيرُ ﴾ ٤﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ أَمَّا رَسُولُنَا مِنْ أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا لَهُ كُلُّهُ وَرَسُولُهُ لَمْ يُنَزِّلْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أَغْرَانَكُمْ رَسَّا وَإِلَيْكُمُ الْمَصِيرُ ﴾ (٥).

(١) في ط (أيدي).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، ك، وزدناه من س، ط ، وفي ط (الخوارق) بدل (الخارق).

(٣) من قوله (والخوارق التي تجري على يدي . . . إلى : قوله فلا يجب الإيمان) ساقط كله من نسخة ك، أي حوالى أربعة أسطر.

٤) سورة البقرة: الآيات ١٣٦، ١٣٧. ٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

وهذا مبسوط في موضع آخر^(١).

● ● ●

(١) ألف الشيخ - رحمه الله - كتاباً عظيماً في هذا الموضوع وما يدور حوله تحت عنوان «الصارم المسلح على شاتم الرسول» ويقع في قرابة ستمائة صفحة (طبعه / مجلس دائرة المعارف / حيدر أباد، سنة ١٣٢٢هـ).

وانظر من هذا الكتاب صفحات ٤، ٢٨، ١١٦، ١٢٤، ٥٧٠ فما بعدها بَيْنَ أَنْ مَنْ سَبَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ فَإِنَّهُ يَجْبُ قُتْلَهُ قَالَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - : «هَذَا مَذْهَبُ عَلَيْهِ عَامَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ»، قَالَ أَبْنُ الْمَنْذِرِ: أَجْمَعُ عَامَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ حَدَّ مِنْ سَبِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقَتْلُ، وَمِنْ قَالَهُ: مَالِكُ، وَالْلَّيْثُ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ. وَقَالَ الْخَطَابِيُّ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا اخْتَلَفَ فِي وجوبِ قُتْلَهِ

وَقَدْ سَاقَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - الْأَيَّاتُ الدَّالَّةُ عَلَى كُفَّارِ الشَّاتِمِ وَقُتْلَهُ، وَذَكَرَ أَنَّ السَّابِعَ أَعْظَمُ جُرْمًا مِنَ الْمُرْتَدِ، وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةَ ارْتَدُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ دَعَا إِلَى التَّوْبَةِ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَابُوا فَقَبِّلُوا تُوبَتِهِمْ. أَمَّا الَّذِينَ شَتَّمُوا فَقَدْ أَهْدَرُتْ دَمَاؤُهُمْ، وَلَمْ تَقْبِلْ تُوبَتِهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ قُتِلُوا أَوْ أَمْرَ بِقُتْلِهِمْ كَابِنُ أَبِي سَرْحٍ، وَابْنُ خَطْلٍ، وَالْحَوَيْرِثُ بْنُ مَعْبُدٍ، وَغَيْرُهُمْ. وَكَذَلِكَ حَكْمُ سَبِّ الْأَنْبِيَاءِ كَحْكُمُ سَبِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِمْ وَاجِبٌ عَمُومًا، وَوَاجِبٌ خَصْوَصًا بِمَنْ قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ، وَسَبِّهِمْ كُفَّرٌ، وَرَدَّهُ إِنْ كَانَ مِنْ مُسْلِمٍ، وَمُحَارِبَتِهِ إِنْ كَانَ مِنْ ذَمِيٍّ. قَالَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - : «وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا فَرَقَ بَيْنَهُمَا، إِنَّمَا أَكْثَرَ كَلَامَ الْفَقَهَاءِ، إِنَّمَا فِيهِ ذَكْرٌ مِنْ سَبِّ نَبِيِّنَا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمُسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ

انظر الصارم المسلح ص ١١٦، وغيرها.

وانظر في هذه المسألة: المحلّي لابن حزم ٤٠٩/١١؛ وحاشية الروض المربع ٤٠١/٧؛ والعدة شرح العمدة ص ٥٧٩؛ والكافي ١٠٩١/٢؛ والمقنع لابن قدامة ١٥٣/٤.

فصل

وأما قولهم: لا يلزمـنا اتباعـه؛ لأنـنا نـحن قد أـتـانا رـسـلـ من قـبـلـه
خـاطـبـونـا بـالـسـتـنـا وـأـنـذـرـونـا بـدـيـنـا الـذـي نـحـنـ مـتـمـسـكـونـ بـهـ يـوـمـنـا هـذـا وـسـلـمـوا
إـلـيـنـا التـوـرـاـةـ وـالـإـنـجـيـلـ بـلـغـتـنـا عـلـىـ ماـ يـشـهـدـ لـهـمـاـ الـكـتـابـ الـذـيـ أـتـيـ بـهـ هـذـا
الـرـجـلـ^(١) حـيـثـ يـقـولـ فـيـ سـوـرـةـ إـبـرـاهـيـمـ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسْانِ قَوْمِهِ...﴾^(٢).

وقـالـ فـيـ سـوـرـةـ النـحـلـ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً...﴾^(٤).

فالـجـوابـ عـنـهـ مـنـ وـجـوهـ:

أـحـدـهـاـ: أـنـ إـثـبـاتـ رـسـولـ مـنـ قـبـلـهـ إـلـيـكـمـ لـاـ يـمـنـعـ إـتـيـانـ رـسـولـ ثـانـ،
فـإـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيـلـ قـدـ بـعـثـ اللـهـ إـلـيـهـمـ مـوـسـىـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - وـكـانـواـ عـلـىـ
شـرـيـعـةـ التـوـرـاـةـ، ثـمـ بـعـثـ اللـهـ - تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ - إـلـيـهـمـ الـمـسـيـحـ - عـلـيـهـ
الـسـلـامـ - وـوـجـبـ^(٥) عـلـيـهـمـ إـلـيـمـاـنـ بـهـ وـمـنـ لـمـ يـؤـمـنـ بـهـ كـانـ كـافـرـاـ وـإـنـ قـالـ

الـرـدـ عـلـىـ
زـعـمـهـ
الـاسـتـفـاءـ
بـرـسـلـ اللـهـ
إـلـيـهـمـ عـنـ
رـسـالـةـ مـحـمـدـ
- صـلـيـ اللـهـ
عـلـيـهـ وـلـمـ -

(١) سـقـطـتـ (الـرـجـلـ) مـنـ سـ، كـ، طـ.

(٢) سـوـرـةـ إـبـرـاهـيـمـ: الـآـيـةـ ٤ـ.

(٣) سـقـطـتـ (سـوـرـةـ) مـنـ أـ، سـ، كـ.

(٤) سـوـرـةـ النـحـلـ: الـآـيـةـ ٣٦ـ.

(٥) فـيـ سـ، كـ (وـجـبـ) وـفـيـ طـ (فـوـجـبـ).

إني متمسك بالكتاب الذي أنزل إلىَّ.

فكذلك إذا أرسل الله رسولاً بعد المسيح وجب الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً، كما أن من لم يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل كان كافراً.

وبنوا إسرائيل أكثر اختصاصاً بموسى والتوراة من الروم وغيرهم، فال المسيح والإنجيل فإنهم كانوا عبرانيين والتوراة عبرانية^(١).

الوجه الثاني: دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذي نقله الحواريون عن المسيح – عليه السلام – كذب ظاهر، بل هم عامة ما هم عليه من الدين: عقائده وشرائعه، كالأمانة، والصلة إلى المشرق، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط، والاستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع، وجعله خمسين يوماً، والصلوات والقرابين والناموس^(٢)

(١) هكذا جاءت هذه الجملة في جميع النسخ، وأرى أن فيها اضطراباً، وصحتها هكذا: (فال المسيح والإنجيل كانوا عبرانيين، والتوراة عبرانية).

(٢) يطلق الناموس على صاحب السر، وقد يقييد بصاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، والأول قول الجمهور كما قال ابن حجر، وفي المعاجم اللغوية كذلك، ويقال للحادق ومن يلطف مدخله، وجبريل – صلى الله عليه وسلم – وقد اشتهرت هذه الكلمة عند اليهود والنصارى، ويعنون بها الشريعة، انظر: إنجيل متى الإصلاح الخامس / فقرة ١٧؛ ويوحنا ١/١٧؛ وسفر الخروج ١٦/١٩؛ ويقسمه القس برسوم شحاته في كتابه (الخلاص) ص ٧٣ إلى ثلاثة أقسام: الناموس الأدبي، والناموس المدنى، والناموس الطقسى ثم قال أى: الوصايا، والأحكام، والفرائض، وفي الكتاب حديث واسع عن الناموس فانظره بطبعة دار نوبار. وانظر: في المعنى الأول فتح الباري ١/٢٤؛ وتفسير غريب الحديث ص ٢٤٦؛ والقاموس المحيط ٥٦/٢.

لم ينقله الحواريون عن المسيح ولا هو موجود لا في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما هم متৎكون بقليل مما جاءت به الأنبياء، وأما كفريائهم وبدعهم فكثيرة جداً لم^(١) ينقل أحد عن المسيح وال الحواريين أنهم أمروهُم أن يقولوا ما يقولونه في صلاتهم السحرية^(٢) : « تعالوا بنا

(١) في ط (ولم).

(٢) صلاتهم تقسم إلى سبع صلوات منها صلاة السحر كما ذكر كاتبهم الأب متى المسكين في كتابه «التسبيحة اليومية ومزامير السواعي» ص ٧٣، أما القدس فايز فارس فيقسمها في كتابه «حقائق أساسية في الإيمان المسيحي» ص ٢٠٠ - ٢٠٢ إلى ثلاثة أنواع :

- ١ - الصلاة السرية: وتعني ساعات الاختلاء مع الله.
- ٢ - الصلاة العائلية: رب الأسرة مع أفراد أسرته يجتمعون كل يوم لقراءة كتاب.
- ٣ - الصلاة الجمهورية: يقوم بها البعض في اجتماعات العبادة العمومية نيابة عن جمهور العبادين.

ويبدو أن الأول تحديد لأوقاتها - عندهم - والثاني بيان لأنواعها، ولم أجده النصوص التي ذكرها المؤلف - رحمة الله - بنصها ولكنني وجدتها بمعناها في كتاب «الرؤبة الأرثوذكسيّة لوالدة الإله» لمجموعة من مؤلفيهم ص ٤١ تحت عنوان الصلوات اليومية، وذكروا أنها تتضمن أناشيد وابتهالات عدّة موجهة إلى والدة الإله... ومنها: «أيتها السيدة العذراء النقيّة عروس الله... إلخ»، ومنها: «أيتها المجيدة المباركة والدة الإله الدائمة التبولية مريم قدمي صلاتنا إلى ابنيك وإلها متولسة إليه لكي يخلص نفوسنا»، قالوا وهذه من صلاة النوم الصغرى ثم ذكروا أناشيد وابتهالات أخرى ص ٤٢ «الكتاب المذكور» وانظر كتبهم التي تحدثت عن ذلك ومنها الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسيّة لأفلاطون، تعرّيف الخوري يوحنا ص ٢٠٠ - ٢١٦ (ط. كرم بيروت)، وكتاب (أو من حوار من الباب المملوكي) للمطران أغناطيوس ص ١٠٥ من منشورات النور، بيروت.

فانظر مدى ما وصلوا إليه من الكفر والإشرار بالله، والحكم على هذه النصوص، وعلى أصحابها لا يحتاج إلى كبير فطنة، وعظيم ذكاء، فالامر واضح جلي فسأل الله العافية والسلامة من الزيف والضلal.

ملاحظة: الكتب التي أشرت إليها موجودة بين يدي وسأشير إلى طبعاتها في الفهارس إن شاء الله.

نسجد لل المسيح إلهاً»، وفي الصلاة الثانية والثالثة: «يا والدة إلله مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة».

الوجه الثالث: قولهم أنهم سلموا إليهم^(١) التوراة وإنجيل بلغاتهم إنما يستقيم إن كان صحيحاً في بعض النصارى لا في جميعهم، فإن العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم أحد إليهم توراة ولا^(٢) إنجيل بلسانهم، وهذا أمر معروف ولا توجد^(٣) قط توراة ولا إنجيل مغرب من زمن الحواريين، وإنما عربت في الأزمان المتأخرة فإذا كانت النصارى من العرب تقوم^(٤) عليهم الحجّة قبل محمد – صلّى الله عليه وسلم – بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم، فكيف لا تقوم على الروم وغيرهم الحجّة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم؟.

الوجه الرابع: أن يقال: الأمة إذا غيرت دين رسولها الذي أرسل إليها وبذلتله أرسل الله إليها من يدعوها إلى الدين الذي يحبه الله ويرضاها، كما أنّ بنى إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلواه، بعث الله إليهم وإلى غيرهم المسيح بالدين الذي يحبه ويرضاها^(٥)، وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه، بعث الله إليهم وإلى غيرهم محمداً – صلّى الله عليه وسلم – بالدين الذي يحبه ويرضاها.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي – صلّى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم إلا بقایا

(١) في ك (إلينا).

(٢) سقطت (لا) من أ، س، ك، وزدناها من ط.

(٣) في ك، ط (يوجد) بالمنشأة التحتية.

(٤) في س (من تقوم).

(٥) في ك، ط (يحبه الله).

من أهل الكتاب»^(١).

وأولئك البقايا الذين كانوا^(٢) متمسكين بدين المسيح قبلبعث محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كانوا على دين الله – عز وجل – ، وأما من حين بعث محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فمن لم يؤمن به فهو من أهل النار، كما قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار»^(٣).

الوجه الخامس: أن يقال: دعواهم أن الرسل سلموا إليهم التوراة والإنجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لساناً، وأنها باقية إلى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم أن قائلها يتكلم بلا علم بل مفتر كذاب^(٤) ، وذلك أن هذا يقتضي أنه الآن في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعين لساناً كلها منقولة عن الحواريين وكلها متفقة غير مختلفة البتة فهذا^(٥) أربع دعوى: أنها موجودة باثنين وسبعين لساناً، وأنها متفقة، وأنها كلها منقولة عن الحواريين، الرابعة أنهم معصومون.

فيقال: من الذي منكم لو قدر أن هذه الكتب التي باثنين

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي في كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧ (رقم ٢٨٦٥)، ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢.

(٢) في س (إن كانوا).

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته في الجزء الأول ص ١٣٤ حديث رقم (١٥٣).

(٤) في س، ك، ط (كاذب).

(٥) في جميع النسخ (فهذا)، والأولى (فهذه).

وسبعين لساناً هي عن الحواريين، وهي موجودة اليوم، فمن الذي يمكنه أن يشهد بموافقة بعضها بعضاً؟ وذلك لا يمكن إلا لمن يعلم الاثنين وسبعين لساناً ويكون ما عنده من الكتب يعلم أنها^(١) مأخوذة عن الحواريين ويعلم أن كل نسخة في العالم بهذا اللسان تواافق النسخة التي عنده وإنما فلو جمع اثنين وسبعين نسخة باثنين وسبعين لساناً لم يعلم أن كل نسخة من هذه هي المأخوذة عن الحواريين إن قدر أنه أخذ عنهم اثنان وسبعون^(٢) لساناً. * ولا يعلم أن كل نسخة في العالم تواافق تلك النسخة^(٣) *، فإنه من المعلوم أنه في زماننا وقبل زماننا لم تزل هذه الكتب تنقل من لسان إلى لسان كما يترجم من العبرانية إلى العربية ومن السريانية والرومية واليونانية إلى العربية وغيرها.

وحييند فإذا وجدت نسخة بالعربية لم يعلم أنها مما عربت بعد الحواريين أو هي من المأخوذ عن الحواريين إذا قدر أنه أخذ عنهم نسخة بالعربية ولا يمكن لأحد^(٤) أن يجمع جميع النسخ المعرفة ويقابل بينها، بل وقد وجدنا النسخ المعرفة يخالف بعضها بعضاً في الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها، وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معرفة بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط وما يشهد بأنها مبدلة مغيرة لا يوثق بها، ورأيت من التوراة المعرفة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفه من أهل الكتاب، فكيف يمكنه أن يجمع جميع النسخ التي بالاثنين وسبعين لساناً ويقابل بين نسخ كل لسان حتى يكون فيها النسخة

(١) في ك، ط (إنما هي).

(٢) في ك، ط (اثنين وسبعين) والوجهان صحيحان.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ، س، وزدناه من ك، ط.

(٤) في أ، س (أحداً) وفي ك (أحد)، وما أثبتناه من ط أولى.

(٥) سقطت الواو من ط.

القديمة المأخوذة عن الحواريين؟ ثم يقابل بين نسخ جميع الألسنة ولا يمكن ذلك إلا لمن يكون عارفاً بالاثنين وسبعين لساناً معرفة تامة، وليس في بني آدم من يقدر على ذلك، ولو قدر وجود ذلك فلم يعرف أن القادر على ذلك فعل ذلك وأخبرنا باتفاقها.

ولو وجد ذلك لكان هذا خبر واحد أو^(١) أن يترجم كل لسان من يعلم صحة ترجمته حتى تنتهي الترجمة إلى لسان واحد كالعربي مثلاً ويعلم حينئذ اتفاقها، وإنما فإذا ترجم هذا الكتاب بلسان أو لسانين أو أكثر وترجم الآخر كذلك لم يعلم اتفاقها إن لم يعلم أن المعنى بهذا اللسان هو المعنى بهذا اللسان وهذا لا يكون إلا من يعرف اللسانين أو من يترجم له اللسانين^(٢) باللسان الذي يعرفه.

ومعلوم أن أحداً^(٣) لم يترجم له الاثنان وسبعون لساناً بلسان واحد أو لسانه يعرفها ولا يعرف أحد باثنين وسبعين لساناً.

وحيثند فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لساناً أو الجزم بأن نسخ كل لسان متفقة جزم بما لا يعلم صحته لولم يكن في الأرض اليوم الاثنان وسبعون لساناً منقوله عن الحواريين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك، فكيف وأكثر ما بأيدي الناس هو مما ترجم^(٤) بعد ذلك بالعربي وغيره؟.

هذا إذا ثبت أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لساناً وأنها باقية

(١) في ك، ط (وأن يترجم).

(٢) في ك، ط (ترجم له اللسانان)، وفي س (يترجم له اللسانان).

(٣) في أ، س (أحد).

(٤) في ك، ط (يترجم).

إلى اليوم وهذا أمر لا يمكن أحداً^(١) معرفته، فليس اليوم توراة، وإنجيل، ونبوات يشهد لها أحد أنها مترجمة باللسان العربي من عهد الحواريين، بل ولا بأكثر الألسنة، وإنّا إذا قدر أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لساناً مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات أمكن وقوع التغيير في بعض المترجمات، وحينئذ فالعلم بأن تلك النسخ القديمة^(٢) لا تغير فيها لا يمنع وقوع التغيير في بعض ما ترجم بعدها أو في بعض ما نسخ منها^(٣)، ولا سبيل إلى العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لساناً بخلاف القرآن الذي هو بلسان العرب وخط العرب، فإن العلم باتفاق ما يوجد من نسخة ممكن وهو محفوظ في الصدور و^(٤) لا يحتاج إلى حفظ في الكتب فهو منقول بالتواتر لفظاً وخطاً.

الوجه السادس: قولهم وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا على ما يشهد لهم^(٥) الكتاب الذي أتى به هذا الرجل^(٦)، فيقال لهم: ليس في القرآن ما يشهد لكم بأن التوراة والإنجيل سلمت إليكم بلسانكم فاستشهادكم بالقرآن على هذه الدعوى من جنس استشهادكم به على أن دينكم حق.

ومن جنس استشهادكم بالنبوات على ما أحدثتموه وغيرتم به دين

(١) في ط (الأحد).

(٢) سقطت (القديمة) من ك.

(٣) في ك، ط (بعدها).

(٤) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٥) بياض في أ، وأثبتناه من سائر النسخ.

(٦) سقطت (الرجل) من س، ك، ط.

المسيح – عليه السلام – من التثليث والاتحاد وغير ذلك وقولهم حيث يقول الله :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ . . .﴾^(١).

وقال^(٢) – تعالى – :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا . . .﴾^(٣).

فيقال : لا ريب أن قوم موسى – عليه السلام – هم بنو إسرائيل وبليسانهم نزلت التوراة، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح – عليه السلام – وبليسانهم كان المسيح يتكلم فلم يخاطب أحد^(٤) من الرسلين أحد إلأ باللسان العبراني ، لم يتكلم أحد منهما لا بروميه ، ولا سريانية ، ولا يونانية ، ولا قبطية .

وقوله – تعالى – :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا . . .﴾^(٥).

كلام مطلق عام ، قوله :

﴿وَإِنِّي مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ . . .﴾^(٦).

ليس في هذا تعرض لكون التوراة والإنجيل سلمت إليهم بالستتهم .

الوجه السابع : أن يقال عمدتهم في هذه الحجة أنهم يقولون :

(٤) في س ، ك ، ط (واحد).

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤.

(٥) سورة النحل : الآية ٣٦.

(٢) في ط (وقوله).

(٦) سورة فاطر : الآية ٢٤.

(٣) سورة النحل : الآية ٣٦.

الحواريون هم عندنا رسل الله كإبراهيم وموسى ، وال المسيح عندنا هو الله وهو أرسل إلينا هؤلاء^(١) فيجب أن يكونوا أرسلوا إلينا بلساننا ، وأن يكونوا سلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا.

فيقال لهم : هب أنكم تدعون هذا و تعتقدونه ونحن سنتين^(٢) – إن شاء الله تعالى – أن هذه دعوى باطلة لكن أنتم في هذا المقام تذكرون أن هذا الكتاب الذي هو القرآن الذي جاء به محمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يشهد لكم بذلك وهذا كذب ظاهر على محمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعلى كتابه وأنتم صدرتم كتابكم بأن كتابه يشهد لكم ، ونحن ننتين كذبكم وافتراءكم عليه سواء أقررتם بنبوته أو لم تقرروا بها : فإنه^(٣) من المعلوم يقيناً عنه أنه لم يشهد للمسيح بأنه الله ، بل كفر من قال ذلك ، ولا يشهد للحواريين بأنهم رسل أرسلهم الله ، بل إنما شهد للحواريين بأنهم قالوا إنا مؤمنون مسلمون وأنهم قالوا نحن أنصار الله كما شهد لمن آمن به بأنهم مؤمنون مسلمون ينذرون الله ورسوله ، بل وأنهم أفضل من الحواريين لكون أمنته خير الأمم كما قال – تعالى – :

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ إِمَّا إِلَيْهِ وَأَشْهَدُ إِنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

(١) في س ، ك ، ط (هؤلاء إلينا).

(٢) سيتحدث المؤلف – رحمة الله – عن هذا في موضعه المناسب من هذا الجزء ، وسيبين مدى بطلان هذه الدعوى ، بما يثبت أن الحواريين ليسوا رسلاً وإنما هم مبلغون كغيرهم من أصحاب الرسل ، وأنه ليس معهم على دعواهم دليل من نقل أو عقل ، بل هي دعوى باطلة ، ومزاعم كاذبة.

(٣) في ط (فإن).

(٤) سورة آل عمران : الآية ٥٢.

قال – تعالى – :

﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيْكَنَ أَنَّهُمْ أَمْنُوْا فَوَرَسُولِيْ قَالُوا إِنَّا أَمْنَا وَأَشَدَّ
إِنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

قال – تعالى – :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْنَوْا كُفُّوْا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْكَنَ مَنْ أَنْصَارِي
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيْكَنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَالِيفَةً مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَالِيفَةً فَأَيَّدَنَا
الَّذِينَ إِمْنَوْا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا أَظَاهِرِنَ﴾^(٢).

وسيأتي الكلام على هذا مبسوطاً ونبين أن الرسل المذكورين في سورة «يس» ليس هم الحواريين^(٣) ولا كانوا رسلاً للمسيح، بل كان هذا الإرسال قبل المسيح وأهل القرية كذبوا أولئك الرسل فأهلتهم الله كما قال – تعالى – :

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدِنَ أَلْسُنَهُ وَمَا كَانُ مُنْزَلِنَ﴾^(٤) إِنْ
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَحْدَةً فَإِذَا هُمْ خَدِيدُونَ﴾^(٥).

والرسل المذكورون في سورة «يس» هم ثلاثة، وكان في القرية رجل آمن بهم وهذه وإن كانت أنطاكية فكان هذا الإرسال قبل المسيح والمسيح – عليه السلام – ذهب إلى أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه

(١) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٢) سورة الصاف: الآية ١٤.

(٣) في أ، س، ك (الحواريون) وصححناه من ط.

(٤) سورة يس: الآية ٢٨، ٢٩.

(٥) سيسقط الكلام على هذه المسألة، ويبيّن خطأ من ظن من المفسرين أن الرسل المذكورون في سورة يس هم الحواريون.

إلى السماء ولم يعززوا بذلك ولا كان حبيب النجار^(١) موجوداً إذ ذاك^(٢)، وآمن أهل أنطاكية^(٣) بالمسيح - عليه السلام - وهي^(٤) أول مدينة آمنت به كما قد بسط في غير هذا الموضع^(٥).

والمقصود هنا: أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يشهد للمسيح بالألاهية^(٦) ولا للحواريين بأنهم رسل الله ولا أنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل بلسانهم ولا بأنهم معصومون وما ذكروه من قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوْمِهِ...﴾^(٧).

إنما يتناول رسل الله لا رسل رسل الله بل رسل رسل الله يجوز أن يبلغوا رسالات الرسل بلسان الرسل إذا كان هناك من يترجم لهم ذلك اللسان، وإن لم يكن هناك من يترجم ذلك اللسان كانت رسل الرسل

(١) اسمه حبيب بن مري، ثم قيل: كان نجاراً، وقيل: حبلاً، وقيل: إسكافاً - خرزاً -، وقيل: قصاراً، وقيل: كان يتبع في غار هناك فاله أعلم، قال ابن كثير: «وعن ابن عباس: أنه قد أسرع فيه العذام، وكان كثير الصدقة، قتله قومه، ولهذا قال الله - تعالى - : «قُبِيلٌ ادْخُلُ الْجَنَّةَ»، يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة، رواه ابن أبي حاتم». انظر: البداية والنهاية ١/٢٣٠؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٣٣٧ (كتاب الأنبياء، باب واخرب لهم مثلاً أصحاب القرية... الآية).

(٢) في س بدل (ذاك) جملة زائدة لا مكان لها هذا نصها: «إذ أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه إذ ذاك».

(٣) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة. مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد، وأمهاتها موصوفة بالتزاهة والطيبة والفاكه، وبينها وبين حلب يوم ولية، وبها كانت مملكة الروم. انظر: مراصد الاطلاع ١/١٢٥.

(٤) في أ، س، ك (وهم) وصححناه من ط.

(٥) بسط في ص ٢٤٤ مما بعدها من هذا الجزء.

(٦) في ط (بالألهية).

(٧) سورة إبراهيم: الآية ٤.

تاختفهم بلسانهم لكن لا يلزم من هذا أن يكونوا قد كتبوا الكتب الإلهية بلسانهم بل يكفي أن يقرأوها بلسان الأنبياء – عليهم السلام – ثم يترجموها بلسان أولئك وهو – سبحانه – قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوْمِهِ . . .﴾^(١)

ولم يقل وما أرسلنا من رسول إلّا إلى قومه بل محمد أرسل بلسان قومه وهم قريش وأرسل إلى قومه وغير قومه كما يذكرون^(٢) ذلك عن المسيح عليه السلام .

• • •

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤ .

(٢) في ك، ط (يذكرون هم ذلك).

فصل

وأما قوله – تعالى :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾

فحق^(١) . وتمام^(٢) الآية :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِّي أَعْبُدُ إِلَهًا وَأَجْتَنِبُوا إِلَهَيْنِي
فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيُرَوْفِي الْأَرْضَ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(٣) .

وهذا كقوله – تعالى – في الآية الأخرى :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا هُنَّ فِي أَخْلَاقِهَا نَذِيرٌ﴾^(٤) .

وقوله :

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٥) .

– في أصح الأقوال – أي : ولكل قوم داعٍ يدعوهم إلى توحيد الله

(١) سقطت (فتح) من ط .

(٢) في ك ، ط (فتحما) .

(٣) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٤) سورة فاطر : الآية ٢٤ .

(٥) سورة الرعد : الآية ٧ .

وَعِبَادَتِهِ كَمَا أَنْتَ هَادِي دَاعٍ لِمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، وَالْهَادِي: بِمَعْنَى الدَّاعِي الْمُعْلَمُ الْمُبْلَغُ لَا بِمَعْنَى الَّذِي يَجْعَلُ الْهَدَى فِي الْقُلُوبِ كَقُولَهُ: «وَإِنَّكَ لَتَهَدِي إِلَى صِرَاطِ الَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْسِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...» (١).

وقوله: «وَمَا أَنْتُ بِهِمْ فَهِدِيْهُمْ فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَىٰ . . .» (٢).

ومعلوم أنّ بنى إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء، بعث إليهم موسى، وبعث إليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل: إنهم ألف^(٣)نبي وكلهم يأمرُون بشرعية التوراة ولا يغيرون منها شيئاً، ثم جاء المسيح بعد ذلك بشرعية أخرى غير فيها بعض شرع التوراة بأمر الله عز وجل .

فإذا كان إرسال موسى والأنبياء بعده إليهم لم يمنع إرسال المسيح إليهم فكيف يمتنع إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولهم⁽⁴⁾ من حين المسيح لم يأتهم رسول من الله كما قال - تعالى - :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الْرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا﴾

(١) سورة الشورى: الآيات ٥٢ - ٥٣

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٣) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : في تاريخ البداية والنهاية ١٥٢/٢ : روى البزار قال: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إني لخاتم النبيين وأكثر، وإنه ليس منهمنبي إلا وقد أذن ربيه الدجال، وأنه قد تبين لي فيه ما لم يتثن لأحد منهم، وأنه أغرور، وأن ربكم ليس بأغور». ثم قال - رحمه الله - : وهذا إسناد حسن . . . إلخ . وسيأتي زيادة بيان لعدد الأنبياء وتحديده .

٤) في ط (وهم).

مَاجَاهَ نَامِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

وهذه^(٢) الفترة التي كانت بين المسيح^(٣) ومحمد^(٤) – صلوات الله عليهما وسلامه – وهي فيما ذكره غير واحد من العلماء كسلمان الفارسي^(٥) وغيره كانت ستمائة سنة وقد قيل: ستمائة سنة^(٦) شمسية وهي ستمائة وعشرون أو ثمانية عشر هلالية وذلك أن كل مائة سنة^(٧) شمسية تكون مائة وثلاث سنين هلالية. كما قال – تعالى – :

﴿وَلَيَشْوَافِ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَأَرَادُوا أَتْسِعًا﴾^(٨).

وهذه التسع وبعض العاشرة، والتاريخ قد تمحض فيه التامة وتحسب فيه الناقصة، فمن قال عشرين حسب الناقصة، ومن قال ثمانية عشر حسب التامة فقط.

● ● ●

(١) سورة المائدة: الآية ١٩. (٢) سقطت الواو من ط.

(٣) في ط (وبين) وهي منفردة عن سائر النسخ، والصواب عدم تكرار بين إلا إذا كانت الأولى مضافة إلى ضمير فلنها تكرر بين في هذه الحالة كقوله بينه وبين محمد.

(٤) أبو عبد الله سلمان الخير الفارسي، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصله من فارس كان أبوه دهقان رامهرمز وسيدها وسادن نارها.

روى أصحاب التراثم قصة إسلامه العجيبة، وتدرجه من دينه إلى النصرانية إلى الإسلام حتى أطلق عليه الباحث عن الحقيقة، وأول مشاهده مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوم الخندق، وهو الذي أشار بحفره، ولم يختلف عن مشهد بعده، فضائله كثيرة، مات – رضي الله عنه – سنة ٣٥ هـ في خلافة عثمان – رضي الله عنه – .

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٦٠؛ والاستيعاب: هامش الإصابة ٢/٥٣؛ وتهذيب التهذيب ٤/١٣٧؛ والرياض المستطابة ص ١٠٣.

(٥) سقطت (سنة) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

(٦) سقطت (سنة) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

(٧) سورة الكهف: الآية ٢٥.

رَدَّ عَمَّهُمْ بِأَنْ
عَدْلَ اللَّهِ
يَقْتَضِي أَنْ لَا
يَطَّالِبُوا بِاتِّبَاعِ
إِنْسَانٍ لَمْ يَأْتِ
إِلَيْهِمْ

فصل

وَمَا قَوْلُهُمْ : نَعْلَمُ^(١) أَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ وَلَيْسَ مِنْ عَدْلِهِ أَنْ يَطَّالِبَ أَمَّةَ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِ إِنْسَانٍ لَمْ يَأْتِ إِلَيْهِمْ وَلَا وَقَفُوا لَهُ عَلَى كِتَابٍ بِلِسَانِهِمْ
وَلَا مِنْ جِهَةِ دَاعٍ مِنْ قَبْلِهِ ، فَيُقَالُ الْجَوابُ مِنْ وِجْهِهِ :

أَحَدُهَا : أَنَّ هَذَا الْكَلَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَهُ مِنْ كِتَابٍ هَذَا الْكِتَابُ
وَلَا أَحَدٌ يَفْهَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ * فَإِنْ هُؤُلَاءِ يَفْهَمُونَ هَذَا الْكِتَابَ بِالْعَرَبِيَّةِ *^(٢)
وَقَدْ قَرَءُوهُ وَنَاظَرُوهُ بِمَا فِيهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَفْهَمُونَ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ كَانُوا
ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي قِيَامِ الْحَجَّةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ يَمْكُنُهُمْ فَهْمُ مَا قَالَ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَتَفَهُّمُ^(٣) ذَلِكَ لِقَوْمِهِمْ بِاللِّسَانِ الْآخَرِ .

الثَّانِي^(٤) : كَمَا^(٥) أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ مَا فِي كِتَبِهِمُ الرُّوْمِيَّةِ ، وَالسُّرِّيَّانِيَّةِ
وَالْقَبْطِيَّةِ ، وَغَيْرُهَا وَيَتَرَجَّمُونَهَا لِلْعَرَبِ مِنَ النَّصَارَى بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَإِذَا قَامَتِ
الْحَجَّةُ عَلَى عَرَبِ النَّصَارَى بِاللِّسَانِ الرُّوْمِيِّ فَلَأَنَّهُمْ تَقْوُمُ عَلَى الرُّوْمِ
بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْلَى ، فَإِنَّ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ أَكْثَرَ اِنْتَشَاراً فِي الْعَالَمِ مِنَ
اللِّسَانِ الرُّوْمِيِّ ، وَالنَّاطِقُونَ بِهِ بَعْدَ ظُهُورِ الإِسْلَامِ أَكْثَرُ مِنَ النَّاطِقِينَ بِغَيْرِهِ
وَهُوَ أَكْمَلُ بِيَانًاً وَأَتَمُّ تَفْهِمًاً .

(١) فِي لَكَ ، طَ (وَنَعْلَمُ) .

(٢) مَا بَيْنَ النَّجْمَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ أَ ، وَزَدْنَاهُ مِنْ هَامِشِ النَّسْخَتَيْنِ سَ ، لَكَ ، وَمِنْ طَ .

(٣) فِي سَ ، لَكَ (وَيَفْهَمُ) .

(٤) فِي طَ (الْوَجْهِ الثَّانِي) .

(٥) سَقَطَتْ (كَمَا) مِنْ سَ ، لَكَ ، طَ .

وحيثئذٍ فيكون وصول المعاني به إلى غير أهل لسانه أيسر لكمال معناه ولكترة العارفين به، وهؤلاء علماء النصارى يقرءون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي مع أن مصنفيها كانوا عجماً من رومي ويوناني وغير ذلك، فما المانع أن يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – باللسان العربي؟ مع أنه أخذ عن الرسول بالعربي فهو أولى بأن يعرف به مراد المتكلم به.

الوجه الثالث: أن يقال الناس لهم في عدل الله ثلاثة أقوال، قيل: كل ما يكون مقدوراً فهو عدل، وقيل: العدل منه نظير العدل من عباده، وهم قولان ضعيفان وقيل: من عدله أن يجزي المحسن بحسنته لا^(١) ينقصه شيئاً منها ولا يعاقبه بلا ذنب.

ومعلوم أنه إذا أمر العبد بما يقدر عليه كان جائزاً باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، وإن كان الفعل مكروراً للإنسان فإن الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات، وقد كلفت بنو إسرائيل والنصارى من الأعمال ما هو مكرور لهم وشاق عليهم، فكيف يمتنع أن يأمرهم وينهاهم بلغة يبين بعض المسلمين معناها لهم^(٢) والعرب الذي نزل القرآن بلسانهم طبقو الأرض، ومنهم نصارى لا يحصون، فكل من عرف بالعربية من النصارى أمكنه فهم ما يقال بالعربي، ومن كان منهم رومياً كان له أسوة من أسلم من سائر طوائف الأعاجم كالفرس، والترك، والهند، والبربر، والحبشة، وغيرهم وهو متتمكن من معرفة ما أمره الله^(٣) والعمل به، كما يمكن هؤلاء كلهم، بل

(١) في ط (ولا).

(٢) سقطت (لهم) من أ.

(٣) في ط (أمره الله به).

الروم أقدر على ذلك من غيرهم، فلأي وجه يمتنع أن يأمرهم الله بذلك؟ وما لا يتم الواجب إلا به إذا كان مقدوراً للعبد، فعليه أن يفعله باتفاق أهل الملل: المسلمين، واليهود، والنصارى.

وإنما^(١) تنازع الناس فيه هل يسمى واجباً؟ فقيل: يسمى واجباً، وقيل: لا يسمى واجباً، فإن الأمر لم يقصده بالأمر وقد لا يخطر بباله إذا كان الأمر مخلوقاً.

قال هؤلاء^(٢): ولأن الواجب ما يلزم تاركه شرعاً، أو يعاقب تاركه شرعاً، أو ما يستحق تاركه الذم^(٣)، أو ما يكون تركه سبيلاً للذم أو العقاب، وقالوا^(٤): وما لا يتم الواجب إلا به لا يستحق تاركه الذم والعقاب، فإن الحج إذا وجب على شخصين أحدهما بعيد والآخر قريب ولم يفعلاه لم تكن عقوبة بعيد على الترك أعظم من عقوبة قريب، مع أن المسافة التي لا بد لها من قطعها أكثر.

وكذلك من وجب عليه قضاء دينه من غير احتياج إلى بيع شيء من ماله ليست عقوبته على الترك بأقل من عقوبة من يحتاج إلى بيع مال له ليقضي به دينه.

وفصل الخطاب أن ما لا يتم الواجب إلا به هو من لوازمه وجود الواجب، ووجود الملزم بدون لازمه ممتنع، فالماضي به لا يمكن فعله إلا بلوازمه، والمنهي عنه لا يمكن تركه إلا بترك ملزماته، لكن هذا الملزم لزوم عقلي أو عادي، فوجوبه وجوب عقلي عادي، لا أن الأمر

(١) في س، ك (وإنما)، وفي ط (وإن ما).

(٢) سقطت (هؤلاء) من ط.

(٣) في هامش نسختي س، ك، وفي ط زيادة (أو العقاب).

(٤) في س، ك، ط (قالوا) بدون واو.

نفسه قصد إيجابه والذم والعقاب على تركه.

وتنازع الناس هل يقال ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، سواء كان وجوبه شرعاً أو عقلياً؟ أو يحتاج أن يقال ما لا يتم الواجب إلا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب؟

فالجمهور أطلقوا العبارة الأولى، وبعض المتأخرین قيدوها بالقدرة^(۱) ولا حاجة إلى ذلك. فإن ما لم يكن مقدوراً ينتفي الوجوب مع انتفاءه فيكون شرطاً في الوجوب لا في فعل الواجب والجمهور قالوا: ما لا يتم الواجب إلا به فإنه يجب.

والمقصود هنا: أن الله إذا أوجب على العباد شيئاً واحتاج أداء^(۲) الواجب إلى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً فإذا كان معرفة العبد لما أمره^(۳) الله به تتوقف على أن يعرف معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الألفاظ التي ليست بلغته أو على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك.

ولو جاءت رسالة من ملك إلى ملك بغير لسانه، لطلب من يترجم مقصود الملك المرسل ولم يجز أن يقول: أنت لم تبعث إلى من يخاطبني بلغتي مع^(۴) قدرته على أن يفهم مراده بالترجمة، فكيف يجوز أن يقال ذلك لرب العالمين؟ ولو أمر به^(۵) بعض الملوك بعض رعاياه وجنوده بلغته وهم قادرون على معرفة ما أمرهم به إما بتعلم لغته وإما

(۱) في ط (المقدور).

(۲) سقطت (أداء) من ك.

(۳) في أ (أمر).

(۴) في ط (من) بدل (مع).

(۵) سقطت (به) من ك، ط.

بمن يترجم لهم ما قاله لم يكن ذلك ظلماً^(١)، فكيف يكون ظلماً من رب العالمين مع أنه ليس بظلم من المخلوقين؟

ولو وجب لبعض الرعية حق على بعض أو ظلم بعضهم بعضاً لوجب على الملك أن ينصف المظلوم ويرسل إلى الظالم من يأمره بالعدل والإنصاف، ويعاقبه إذا لم ينصف إذا كان الظالم متمكناً من معرفة أمر الملك بالترجمة أو غيرها وهذا هو العدل، ليس العدل أن يترك الناس ظالمين في حق الله وحق عباده والله - تعالى - أرسل رسلاً وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كما قال - تعالى - :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا بِالْبِيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . .﴾^(٢).

فليس لأحد من أرسل إليه رسول وهو قادر على معرفة ما أرسل به إليه بالترجمة أو^(٣) غير الترجمة أن يمتنع من شرع الله الذي أنزله^(٤)، وهو القسط الذي بعث به رسوله لكون الرسول ليس لغته لغته، مع قدرته على أن يعرف مراده بطرق متعددة.

والناس في مصالح دنياهم يتosl أحياناً إلى معرفة مراد الآخر بالترجمة وغيرها فيتباينون، وبينهم ترجمان يبلغ بعضهم عن بعض، ويتراسلون في عمارة بلادهم، وأغراض نفوسهم بالترجمون الذين يترجمون لهم، وأمر الدين أعظم من أمر الدنيا، فكيف لا يتoslون إلى معرفة مراد بعضهم من بعض؟! وكيف يكون أمر الدنيا أهم من أمر الدين إلا عند من أغفل الله قلبه عن ذكر ربه، واتبع هواه وأعرض عن

(١) في ط (لم يكن ظلماً ذلك).

(٢) في أ (نزله).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

ذكر ربه^(١) ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم .

قال - تعالى - :

﴿فَأَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢) .

وقال^(٣) - تعالى - :

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْمُشْتَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُنْطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَبِعْ هَوَنَهُ وَكَاتَ أَمْرَهُ فَرِطَا﴾^(٤) .

الوجه الرابع : أنه من العجب أن تعد النصارى مثل هذا ظلماً خارجاً عن العدل ، وهم قد نسبوا إلى الله من الظلم العظيم على هذا الأصل ما لم ينسبة إليه أحد من الأمم كما سبوا وشتموا ، مسبة ما سباه إياها أحد من الأمم فهم من أبعد الأمم عن توحيده وتمجيده ، وحمده ، والثناء عليه ؛ وذلك أنهم يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه ، وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب ، وأنه كانت الذرية في حبس إبليس ، فمن مات منهم ذهب روحه إلى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الأنبياء : نوح وإبراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم .

ومعلوم أن إبراهيم كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه فكيف

(١) سقطت جملة (واتبع هواه وأعرض عن ذكر ربه) من كـ .

(٢) سورة النجم : الآية ٢٩ ، وفي سـ ، كـ (ذلك مبلغهم من العلم) .

(٣) في كـ (قال) .

(٤) سورة الكهف : الآية ٢٨ . وانظر في سبب نزول هذه الآية في أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ؛ ولباب النقول للسيوطى ص ٩٩ .

يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد هذا لوقُدْرَ أن آدم لم يتب، فكيف وقد أخبر الله عنه بالتبوية؟ ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدام وذريته من عذاب الجحيم، وبه عاقب إبليس مع أن إبليس ما زال عاصيًّا لله مستحقاً للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ووسوس لآدم إلى حين مبعث المسيح والرب قادر على عقوبته، وينو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم، فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاة، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الإنسان بتعلم ما يقدر على تعلمه، وفيه صلاح معاشه، ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجباً لتكذيب كتابه، ورسله، والإصرار على تبديل الكتاب الأول، وتكذيب الكتاب الآخر وعلى أنه يتضمن مخالفة موسى، وعيسى، وسائر الأنبياء والرسل؟

والنصارى يقولون: إن المسيح الذي هو عندهم اللاهوت والناسوت جمِيعاً إنما مكن^(١) الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة إبليس، قالوا: فأنْخَفَى نفسه عن إبليس لثلا يعلم، و^(٢) مكن أعداءه من أخذه وضربه، والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه وأظهر الجزء من الموت وصار يقول: يا إلهي لم سلطت أعدائي علي ليختفي^(٣) بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليس أنه الله أو ابن الله ويريد إبليس أن يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخذ أرواح نوح، وإبراهيم،

(١) في س (تمكن).

(٢) في ك، ط (قالوا أو مكن)، وفي س (تمكن).

(٣) في ك، ط (ليختفي).

وموسى وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين^(١)، فيحتاج عليه الرب، حينئذٍ ويقول: بماذا استحللت يا إبليس أن تأخذ روحي؟ فيقول له إبليس: بخطيئتك، فيقول ناسوتي: لا خطيئة له كنواسيت الأنبياء، فإنه كان لهم خطايا استحقوا بها أن تؤخذ^(٢) أرواحهم إلى جهنم، وأنا لا خطيئة لي.

وقالوا: فلما أقام الله الحجة على إبليس جاز للرب حينئذٍ أن يأخذ إبليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من إدھابهم إلى الجحيم، وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم إلى الله ما يطول وصفه، فمن هذا قوله: فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحًا ما قدحه فيه أحد، وذلك من وجوه:

أحدها: أن يقال: إبليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره، وإن كان بخطاياهم فلَم يأخذهم بذنب أبيهم، وهم قالوا: إنما أخذهم بذنب آدم.

الثاني: أن يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرین، وكلهم بالنسبة إلى آدم سواء، وهم أيضًا يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين، فكيف جاز تمكين^(٣) إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين، ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح؟

الوجه الثالث: أن يقال أخذ إبليس لذرية آدم وإدخالهم جهنم: إما أن يكون ظلماً من إبليس، وإما أن يكون عدلاً، فإن كان عدلاً

(١) في س (والمتقين).

(٢) في س، ك، ط (تأخذ).

(٣) في أ، س، ك (تمكن).

فلا لوم على إبليس، ولا يجوز أن يحتال عليه ليمتنع من العدل الذي يستحقه بل يجب تمكينه من المتأخرین والمتقدمنیین^(۱).

وإن كان ظلماً فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح؟

فإن قيل: لم يقدر فقد نسبوه إلى العجز، وإن قيل: قدر على دفع ظلم إبليس ولم يفعله فلا فرق بين دفعه في زمان دون زمان، إن^(۲) جاز ذلك جاز في كل زمان وإن امتنع امتنع في كل زمان.

الوجه الرابع: أن إبليس إن كان معذوراً قبل المسيح فلا حاجة إلى عقوبته ولا ملام^(۳) عليه، وإن لم يكن معذوراً استحق العقوبة ولا حاجة إلى^(۴) أن يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه.

الوجه الخامس: إنه بتقدير أنه لم يقم عليه الحجة^(۵) قبل الصلب فلم يقم عليه حجة^(۶) بالصلب، فإنه يمكنه أن يقول أنا ما علمت أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب، وأنت يا رب قد أذنت لي أن آخذ جميع ذرية آدم فأؤديهم إلى الجحيم، فهذا واحد منهم، وما علمت أنك أو ابنك اتحد به، ولو علمت ذلك لعزمته فأنا معذور في ذلك فلا يجوز أن تظلمني.

الوجه السادس: أن نقول^(۷) أن إبليس يقول حينئذ: يا رب فهذا

(۱) في ك، ط (من المتأخرین والمتقدمنیین).

(۲) في ك، ط (أو).

(۳) في س، ك، ط (يلام).

(۴) سقطت (إلى) من ك، ط.

(۵) في س، ك، ط (حجۃ).

(۶) سقطت (حجۃ) من س، ك، ط.

(۷) (أن نقول) ساقطة من أ، س.

الناسوت الواحد أخطأ في أخذ روحه لكن سائر بني آدم الذين بعده لي أن أحبس أرواحهم في جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح، إما بذنب أبיהם، وإما بخطاياهم أنفسهم وحيثئذٍ فإن كان ما ي قوله النصارى حقاً فلا حجة لله على إبليس.

الوجه السابع: أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوه بتزيين الشيطان، فعقوبة^(١) بني آدم على ذنبهم هي^(٢) إلى الله أو إلى إبليس؟ فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ثم له أن يعاقبهم جميعاً بغير إذن من الله في ذلك^(٣)، وهل هذا القول إلا من^(٤) قول المجروس الشفوية الذين يقولون إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئاً من ذلك، ولا عاقب الله أحداً على ذنب؟

ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجروس، لهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن أحد من الحواريين ولهذا كان المانوية بينهم مركباً من دين النصارى والمجروس، وكان رأسهم ماني^(٥) نصرانياً مجروسياً فالنسبة بين النصارى والمجروس^(٦)، بل وسائر المشركين نسب معروف^(٧).

(١) في س (وعقوبة).

(٢) في أ، س (هن)، وصححناه من ك، ط.

(٣) في س، ك، ط (له في ذلك).

(٤) في س (من جنس قول).

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سقطت (المجروس) من ك.

(٧) عقد الشيخ محمد أبو زهرة فصلاً في كتابه (مقارنة الأديان – الديانات القديمة) قارن فيه بين البوذية والنصرانية، وبين أوجه الاتفاق، والصلة القائمة بينهما من ص ٥٣ – =

الوجه الثامن: أن يقال إبليس عاقببني آدم وأدخلهم جهنم

بإذن الله أو بغير إذنه؟

إن قالوا بإذنه، فلا ذنب له ولا يستحق أن يحتال عليه ليعاقب ويمتنع، وإن كان بغير إذنه فهل جاز في عدل الله أن يمكنه من ذلك أم لم يجز؟ فإن جاز ذلك في زمان جاز في جميع الأزمنة، وإن لم يجز في زمان لم يجز في جميع الأزمنة، فلا فرق بين ما قبل المسيح وما بعده.

الوجه التاسع: أن يقال هل كان الله قادرًا^(١) على منع إبليس وعقوبته بدون هذه الحيلة وكان ذلك عدلاً منه لوفعه أم لا؟ فإن كان ذلك مقدوراً له وهو عدل منه لم يحتاج أن يحتال على إبليس ولا يصلب نفسه أو ابنه، ثم إن كان هذا العدل واجباً عليه وجب منع إبليس وإن لم يكن واجباً جاز تمكينه في كل زمان فلا فرق بين زمان وزمان.

وإن قيل: لم يكن قادراً على منع إبليس فهو تعجيز للرب عن^(٢) منع إبليس، وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول

٦٨. وهذا يعطينا صورة واضحة على مدى ما وصلت إليه النصرانية من تحرير وصل بها إلى درجة كبيرة من الأوهام والأساطير التي لا يقرها عقل ولا شرع، وبين مدى عبث العابثين، وتحريف المحرفين، واتصال المبطلين حيث تحولت إلى عقيدة وثنية منافية لملة أبينا إبراهيم الخليل - عليه السلام -، وجميع الرسل من قبل ومن بعد، ولذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز: «يُضاهِئُونَ قُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُوَ».

وانظر: كتاب أديان الهند الكبرى في سلسلة مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي، الجزء الرابع ص ٢٠٣، ٢٠٦ - ٢٢٣، وكتاب الشيخ محمد رشيد رضا «عقيدة الصلب والفداء» ص ١٦٣، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص ١٢٧.

(١) في أ (قادر)، وصويناه من سائر النسخ. (٢) في ك، ط (على).

الثنوية الذين يقولون: لم يكن يقدر النور أن يمنع الظلمة^(١) من الشر، ومن جنس قول ديمقراطيين^(٢) والحنانين^(٣) الذين يقولون: لم يمكن^(٤) واجب الوجود أن^(٥) يمنع النفس من^(٦) ملابسه الهيولي^(٧) بل تعلقت النفس بها بغير اختياره.

الوجه العاشر: أن ما فعله به الكفار اليهود الذين صلبوه^(٨) طاعة الله أو معصية فإن كان طاعة الله: استحق اليهود الذين صلبوه أن يثيبيهم ويكرهم على طاعته كما يثيب سائر المطيعين له، والنصارى متفقون على أن أولئك من أعظم الناس إثماً – وهم من شر الخلق – وهم يستحلون من^(٩) دمهم ولعنتهم مالا يستحلونه من غيرهم، بل

(١) في ك، ط (العالم)، وفي س (الظلم)، وما أثبتناه من أ.

(٢) فيلسوف من فلاسفة اليونان، وحكمائهم، وأطبائهم. ولد حوالي ٤٦٠ م، درس الفلسفة وأنشأ جيلاً من تلامذته، وكان ذا مال وثروة، ثم طوف في أنحاء الديار، واستقر به المقام أخيراً في أثينا له تصانيف في الطبيعيات، وعلم الفلك، والسلوك والرياضيات والهندسة.

انظر: كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٤ (ط السعادة بمصر)، وكتاب فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط للدكتور جعفر آل ياسين ص ١٢٨ ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م.

(٣) هكذا ورد في جميع النسخ، ولم أقف له على ترجمة، فلعل الاسم محرف والله أعلم.

(٤) في ك، ط (يكن).

(٥) في ك، ط (الذى) بدل (أن).

(٦) في س، ك، ط (عن).

(٧) سبق توضيح معنى الهيولي.

(٨) في س (صلبوه هل كان) وفي ك، ط (صلبوه قد كان).

(٩) سقطت (من) من ط .

بيالغون في طلب اليهود، وعقوبتهم في آخر^(١) صومهم الأيام التي تشبه أيام الصليب، وإن كان أولئك اليهود عصاة الله فهل كان قادراً على منعهم من هذه المعصية أم لا؟ فإن لم يكن قادراً لم يكن قادرًا على منع إبليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل وإن كان قادراً على منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادراً على منع إبليس بدون هذه الحيلة، وإذا^(٢) كان حسناً منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسناً منه تمكين إبليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل فلا حاجة إلى الحيلة عليه.

واعلم: أن الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً، وكلما تصور العاقل مذهبهم، وتصور لوازمه، تبين له فساده، لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الإيمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه - سبحانه - عدلاً لا يأمر^(٣) الناس بما يعجزون عنه، وهو - سبحانه - لم يأمرهم إلا بما يقدرون عليه وقد نسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد منبني آدم يوضح هذا:

الوجه الحادي عشر: وهو أنه^(٤) إما أن يقال^(٥) في الظلم بقول^(٦) الجهمية المجبرة الذين يقولون يفعل ما يشاء بلا حكمة ولا سبب

(١) زاد في أ هنا جملة سبق الإتيان بها قبل أسطر ولا مكان لها وهي (في آخر رأسهم ماني نصرانياً مجوسيأ فالنسبة بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين معروف)، وبيدو أن هذا سهو من الناسخ.

(٢) في ك، ط (وإن).

(٣) في س (لا يأمرون).

(٤) سقطت (أنه) من ك، ط .

(٥) في ك، ط (تقول).

(٦) في ك، ط (كما تقول).

ولا مراعاة عدل، وإنما أن يقال بقول القدرية أنه يجب عليه العدل الذي يجب على المخلوقين، وإنما أن يقال هو عادل متزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوق، فهذه أقوال الناس الثلاثة.

فإن قيل بالأول: جاز أن يسلط إبليس على جميع الذرية بلا ذنب وأن يعاقبهم جميعاً بلا ذنب، ولا حاجة حينئذ إلى الحيلة على إبليس.

وإن قيل بالثاني: فمعلوم أن الواحد من الناس لو علم أن بعض مماليكه أمر^(١) غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه أن يعاقب الأمر والمأمور جميعاً.

وأما تسلیطه للأمر على عقوبة المأمور فليس من العدل وكذلك تسلیط الأمر الظالم على جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل.

وإن قيل: بل هو استحق أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه قيل: فحينئذ يستحق أن يأسر الأولين والآخرين فلا يجوز أن يمنع من حقه بالاحتياط عليه.

وإن قيل: إنما يستحق أخذهم خطايهم، قيل: فله أن يأخذ الأولين والآخرين.

وإن قيل: هو لما طلب أخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب؟ قيل: هذا إن كان ذنباً فهو أخف ذنبه فإنه لم يعلم أنه^(٢) ناسوت الإله وإذا^(٣) استحق الرجل أن يسترق أولاد غيره فطلب رجلاً

(١) في ك، ط (أمره).

(٢) سقطت (أنه) من س.

(٣) في ط (فإذا).

ليسترقه لظنه أنه منهم، ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنباً يمنع استرقة الباقيين.

وإن قيل: إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله أن لا ينقص أحداً من حسناته ولا يعاقبه إلا بذنبه لم يجز حيشد أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم، ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلا ذنب تابوا منه بذنب غيرهم فإن^(١) الأنبياء معصومون أن يقرروا على ذنب، فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصراً على الذنب مع أن هذا تقدير باطل، ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسلیط إبليس على عقوبهم مع أن هذا تقدير باطل، فمن بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك، فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين^(٢) المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من^(٣) هو من الكفار؟

الوجه الثاني عشر: أن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم إبليس فهلا اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على إبليس فيمنعه من ظلم من تقدم، فإن المنع من الشر الكثير أولى من المنع من الشر القليل، أتراء ما كان يعلم أن إبليس يعمل هذا الشر كله؟ فهذا تجهيل له، أو كان يعرف^(٤) وعجز عن دفعه فهذا تعجيز له، ثم ما الفرق بين زمان وزمان؟ أم كان ترك منعه عدلاً منه فهو عدل في كل زمان؟

● ● ●

(١) في س (وأن) وفي ك، ط (بأن).

(٢) في أ (من)، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الصواب.

(٣) سقطت (من) من س.

فصل

الردة على
النصارى في
دعواهم أنْ منْ
في قوله
– تعالى – :
«وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ»^(١).

بأن مراده قومه كما قالوا.

وأما قوله^(٢) – تعالى – :

«وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ»^(٣).

يريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم لا غيرهم
ممن لم يأتهم بما جاء فيه^(٣).

فيقال لهم من فسر مراد متكلم: أي متكلم كان بما يعلم الناس
أنه خلاف مراده فهو كاذب مفتر عليه، وإن كان المتكلم من آحاد
العامة، ولو كان المتكلم من المتبين الكاذبين، فإن من عرف كذبه إذا
تكلم بكلام وعرف مراده به لم يجز أن يكذب عليه، فيقال: أراد كذا

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) من قوله: (وَمَا قَوْلُهُ – تَعَالَى – إِلَى آخِرِ الْآيَةِ / ساقطٌ مِنْ سِ).

(٣) في ط (ب).

وكذا فإن الكذب حرام قبيح على كل أحد سواء كان صادقاً أو كاذباً، فكيف بمن يفسر مراد الله ورسوله بما يعلم كل من خبر حاله علمأ ضرورياً أنه لم يرد ذلك بل يعلم علمأ ضرورياً أنه أراد العموم؟

فإن قوله - تعالى - : **﴿وَمَنْ يَتَنَعَّمْ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ دِينَنَا﴾** صيغة عامة، وصيغة «من» الشرطية من أبلغ صيغ العموم كقوله - تعالى - : **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** ^(١).

ثم إن سياق الكلام يدل على أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم، فإن هذا في سورة آل عمران في أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته للنصارى، فإنها نزلت لما قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وفد نجران النصارى، وروى أنهم كانوا ستين راكباً، وفيهم السيد، والأيم، والعاقب، وقصتهم مشهورة معروفة كما تقدم ذكرها ^(٣).

وقد قال قبل هذا الكلام بذم دين النصارى الذي ^(٤) ابتدعوه وغيروا به * دين المسيح ولبسوا الحق الذي بعث به المسيح بالباطل الذي ابتدعوه

(١) سورة الزينة: الآيات ٧، ٨.

(٢) جاءت هذه الآية: **﴿وَمَنْ يَتَنَعَّمْ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ...﴾** الآية بعد قوله - تعالى - : **﴿أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَعْمَلُونَ...﴾** الآية ٨٣ من آل عمران، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - اختصم أهل الكتابين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كل فرقة زعمت أنها أولى بدینه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - كلا الفريقين برئ من دين إبراهيم فغضبوها، وقالوا والله ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله - تعالى - : **﴿أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَعْمَلُونَ...﴾**.

انظر: أسباب التزول للواحدي ص ٨٢، ٨٣.

(٣) تقدم ذكرها، وتخرجهما من مظانها في أول الكتاب.

(٤) في ط (الذين).

حتى صار دينهم مركباً من حق وباطل، واحتللت أحدهما بالأخر فلا يكاد يوجد معه من يعرف ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره والمسيح قرر أكثر شرع التوراة، وغير المعنى، وعامة النصارى لا يميزون ما قرره مما غيره فلا يعرف دين المسيح *^(١).

قال – تعالى – :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثِّبَوَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عَبْدَ أَنِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ كُونُوا رَبِّيَّنِي كُنْ سَاهِنُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾٢٦﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَنْحِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيُّ أَمْرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾٢٧﴾.

فقد بين أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر، فمن اتخذ من دونهم أرباباً كان أولى بالكفر، وقد ذكر أن النصارى اتخذوا من هو دونهم أرباباً بقوله – تعالى – :

﴿أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبُوكُنُهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرِيمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾٢٨﴾.

ثم قال – تعالى – في سورة^(٤) آل عمران :

﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّنَ لِمَا مَا تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

(١) ما بين النجمتين من قوله (دين المسيح وليسوا به الحق...) إلى قوله فلا يعرف دين المسيح) ساقط من أ وبعده ساقط من ك، وما ثبناه من نسخة س، ط.

(٢) سورة آل عمران: الآياتان: ٧٩، ٨٠.

(٣) سورة التوبه: الآية ٣١.

(٤) سقطت (سورة) من أ، س، ك.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّهِيدِينَ)١(.

قال ابن عباس وغيره من السلف : ما بعث الله نبياً إلّا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمن به ولينصرنه)٢(، والأية تدل على ما قالوا ، فإن قوله - تعالى - :

﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّنَ﴾ : يتناول جميع النبئين .

﴿... لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾)٣(.

وهذه اللام الأولى تسمى : اللام الموطئة للقسم ، واللام الثانية تسمى : لام جواب القسم ، والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط ، والقسم كقوله - تعالى - :
 ﴿لَيْنَ أُخْرِجُوكُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوْتُلُوكُمْ لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنَ نَصَرُوكُمْ لَيُؤْلِكُمْ الْأَذْرَاثُ لَا يُنْصُرُونَكُم﴾)٤(.

ومنه قوله - تعالى - :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَيْلَاتٍ أَتَتْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾)٤(.

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٢) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ، وعن علي بن أبي طالب ، وعن عكرمة ، وعن السدي . انظر : تفسير ابن جرير الطبرى ٢٣٦/٣ - ٢٣٧ (مجلد ٣) ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٧٧ - ٢٧٨ ، تفسير آية ٨١: آل عمران ، وفتح القدير للشوكاني

(٣) سورة الحشر: الآية ١٢ . ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٤) سورة التوبه: الآية ٨١ . ٧٥ .

وقوله :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لِئَنْ جَاءَهُمْ أَيْهَ لَيْوَمِنْ بَهَا . . . ﴾^(١).

وقوله :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لِئَنْ أَمْرَهُمْ لِيَخْرُجُنَ قُلْ لَا نُقْسِمُوا . . . ﴾^(٢).

وقوله :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لِئَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ يَكُونُ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ . . . ﴾^(٣).

ومنه قوله :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . . . ﴾^(٤).

(وقوله)^(٥) :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَعْبُ . . . ﴾^(٦).

(وقوله)^(٧) :

﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْنَا لَنَا كُونَنَا مِنَ الْخَسِيرِينَ . . . ﴾^(٨).

وقوله :

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَفِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنَغْرِيَنَّكَ بِهِمْ . . . ﴾^(٩).

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.

(٢) سورة التور: الآية ٥٣.

(٥) سقطت (وقوله) من جميع النسخ عدا ط.

(٦) سورة التوبه: الآية ٦٥.

(٧) سقطت (وقوله) من جميع النسخ عدا ط.

(٨) سورة الأعراف: الآية ١٤٩.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤٢.

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٥.

وقوله^(١) :

﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾^(٢).

وقوله :

﴿ . . . وَإِنْ لَدَيْنَاهُو أَعْمَالَهُؤُلُونَ لَيَمْسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣).

وقوله :

﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَاءِمَرْءٍ لِيُسْجِنَنَ وَلَيَكُونُنَا مِنَالصَّغِيرِينَ . . . ﴾^(٤).

وقوله^(٥) :

﴿ وَلَئِنْ جَهَّتْهُمْ بِأَيَّاً لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنَّمِ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾^(٦).

وقوله :

﴿ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ . . . ﴾^(٧).

وقوله :

﴿ وَلَئِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِنَّ أَمْتَهَ مَعْدُودَةٌ لَيَقُولُنَّ مَا يَحِسْسُهُ . . . ﴾^(٨).

ومثل هذا كثير وحيث لم^(٩) يذكر القسم فهو محذوف مراد تقدير

(١) (وقوله) ساقطة من جميع النسخ عدا ط.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٢.

(٥) في ط (قوله تعالى).

(٦) سورة الروم: الآية ٥٨.

(٧) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

(٨) سورة هود: الآية ٨.

(٩) سقطت (لم) من أ، وجاءت الجملة هكذا (وحيث ذكر القسم فهو محذوف مراد)

وهي لازمة للسياق كما أثبتناها من س، ك، ط.

الكلام – والله – ﴿لَئِنْ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ . . .﴾ – والله – ﴿. . . وَلَئِنْ قُتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ . . .﴾^(١).

ومن محسن لغة العرب أنها تمحى من الكلام ما يدل المذكور عليه اختصاراً وإيجازاً، لا سيما فيما يكثر استعماله^(٢) كالقسم، (وقوله)^(٣) :

﴿. . . لَمَّا أَتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . . .﴾^(٤).

هي ما الشرطية والتقدير، أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومن به ولتنصرنه، ولا تكتفوا بما عندكم مما جاء به ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة على أن تتركوا متابعته، بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه، وإن كان معكم من قبله من كتاب وحكمة فلا يغريكم^(٥) ما آتيتكم مما جاء به فإن ذلك لا ينجيكم من عذاب الله.

فدل ذلك على أنه^(٦) من أدرك محمداً من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد وينصره كما قال:

﴿. . . لَمَّا أَتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُرَجَأَهُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . . .﴾^(٧).

(١) سورة الحشر: الآية ١٢.

(٢) في س (استحاله) وهو تصحيف ظاهر.

(٣) سقطت (وقوله) من أ.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٥) في س، ط (فلا تستغنو بما) وسقط من قوله: (فلا يغريكم) إلى (عذاب الله) من ك.

(٦) في ط (أن).

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨١.

وقد أقر الأنبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال

– تعالى – :

﴿... أَقْرَرْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۖ قَالَ فَأَشَهَدُوا
وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١).

ثم قال – تعالى – :

﴿فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

ثم قال – تعالى – :

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ۖ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٣).

ثم قال – تعالى – :

﴿قُلْ إِنَّمَا يَأْلَمُ اللَّهُ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ
لَا يُنَفِّرُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

ثم قال – تعالى – :

﴿وَمَنْ يَتَّبِعَ عِزَّ الْإِسْلَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَسِيرِينَ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٢. وسقطت هذه الآية من أ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

قالت^(١) طائفة من السلف^(٢) : لما أنزل الله هذه الآية قال من قال من اليهود والنصارى نحن مسلمون . فقال – تعالى – :

﴿... وَلَلَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾^(٣) .

فقالوا : لا نحج . فقال – تعالى – :

﴿... وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) .

فكل من لم ير^(٥) حج البيت واجباً عليه مع الاستطاعة فهو كافر باتفاق المسلمين كما دل عليه القرآن .

واليهود والنصارى لا يرونها واجباً عليهم فهم من الكفار حتى أنه روى في حديث مرفوع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – : «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فليمتحن إن شاء^(٦) يهودياً وإن شاء نصراوياً»^(٧) .

(١) في أ ، س ، ك (قال) .

(٢) أخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة ، قال : لما نزلت : «وَمَنْ يَتَّسِعَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ دِينًا ...» الآية ، قالت اليهود : فتحن مسلمون ، قال الله – عز وجل – : لنبيه – صلى الله عليه وسلم – قل لهم إن الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر من أهل الملل فإن الله غني عن العالمين .

انظر : تفسير ابن جرير الطبرى ٢٤١/٣ (المجلد الثالث) عند آية ٨٥ آل عمران .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٥) في س ، ك (يرأ) .

(٦) في ط (إن شاء الله) .

(٧) رواه الترمذى في كتاب الحج ، باب التغليظ في ترك الحج ١٧٦/٣ (٨١٢) بسنده عن علي بن أبي طالب يرفعه . ثم قال : وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال . وهلال بن عبد الله – أحد رجال السنن – مجھول والحارث يضعف في الحديث ، وقد ذكر هذا ابن حجر أيضاً في كتابه تلخيص الحبیر ٢/٢٢٢ ، ثم ذكر عدة طرق كلها ضعيفة ، ثم قال : «وله طريق صحيحه إلا =

وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(١)، وقد اتفق المسلمين على أن من جحد وجوب *مباني الإسلام الخمس*^(٢): الشهادتين، والصلوات الخمس، والزكاة وصيام شهر رمضان، وحج البيت فإنه كافر.

وأيضاً فقد قال - تعالى - في أول السورة^(٣):

﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١٨﴿ إِنَّ الَّذِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ الْأَيُّلُمُ وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ فَيَأْتِيهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾١٩﴿ فَإِنَّ حَاجَوْكَ فَقُلْ أَسَمَّتْ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ أَتَبَعَنِّ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِمِينَ إِذَا أَسْلَمُوكُمْ فَإِنَّ أَسْلَمُوكُمْ فَقَدِ اهْتَدَوْ وَإِنْ تُوْلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَبَادِ ﴾٤﴾.

أنها موقوفة رواها سعيد بن منصور، والبيهقي عن عمر بن الخطاب . . . ولفظ البيهقي أن عمر قال: ليتم يهودياً أو نصراياً - يقولها ثلاط مرات - رجل مات ولم يحج، ووجد لذلك سعة، وخليت سبيله. قال الحافظ ابن حجر: «وإذا انضم هذا الموقف إلى مرسى ابن سابط (وهي إحدى الطرق التي ذكرها في مستهل كلامه عن هذا الحديث) علم أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحل الترك، وتبيين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع، والله أعلم.

وقد: أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢٠٩/٢ - ٢١٠ وذكر طرق الحديث كلها، ونقل أقوال العلماء من أئمة الجرح والتعديل في رجال أنسانيده. وانظر سنن البيهقي الكبرى ٤/٣٣٤، وحسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من الحديث وخبر وأثر، لمحمد بن السيد درويش الحوت ص ٢٢٣ . قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه في سنن الترمذى ٣/١٧٦: «لم يخرج هذا الحديث من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذى».

(١) سقطت (رضي الله عنه) من أ، ك، ط.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، وزدناه من سائر النسخ.

(٣) في س، ط (في أول سورة آل عمران).

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١٨ - ٢٠ .

فقد أمره^(١) – تعالى – بعد قوله:
﴿إِنَّ الَّذِينَ عَنْدَ اللَّهِ أَلْسَلَمُوا...﴾^(٢).

أن يقول أسلمت وجهي لله، ومن اتبعن، وأن يقول للذين أوتوا الكتاب: وهم اليهود والنصارى، والأميين، وهم الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم أسلتم فالعرب الأميون^(٣) يدخلون في لفظ الأميين باتفاق الناس.

وأما من سواهم: فإما أن يشمله هذا اللفظ أو يدخل في معناه بغيره من الألفاظ المبينة أنه أرسل إلى جميع الناس.

قال – تعالى – :

﴿... فَإِنَّ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٤).

فقد أمر أهل الكتاب بالإسلام كما أمر به الأميين وجعلهم إذا أسلموا مهتدين، وإن لم يسلموا فقد قال: إنما عليك البلاغ، أي: تبلغهم رسالات ربكم إليهم والله هو الذي يحاسبهم، فدلل هذا^(٥) كله على أنه عليه أن يبلغ أهل الكتاب ما أمرهم به من الإسلام كما يبلغ الأميين، وأن الله يحاسبهم على ترك الإسلام كما يحاسب الأميين.

وفي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الكتاب الذي كتبه إلى هرقل ملك النصارى: «من محمد رسول الله^(٦) إلى هرقل

(١) في س (أمره الله).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٣) في أ (الأميين) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

(٥) في س، ك، ط (بهذا).

(٦) سقط لفظ الجلالة من ط.

عظيم الروم سلام على من اتبع المهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعابة الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»^(١).

و^(٢) «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا إِنَّا مُسْلِمُونَ»^(٣).

وأبلغ من ذلك أن الله – تعالى – أخبر في كتابه أن الإسلام دين الأنبياء كنوح وإبراهيم، ويعقوب، وأتباعهم إلى الحواريين، وهذا تحقيق لقوله – تعالى – :

«وَمَنْ يَبْتَغَ عِنْدَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ..»^(٤).

وإن الدين عند الله الإسلام في كل زمان ومكان.

قال – تعالى – عن نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض:

«وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَوَمَّ إِنْ كَانَ كَبُرُّ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِشَائِنَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَنْهُمْ وَشَرَكَاهُ كُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُنَّةٌ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْهِ وَلَا نُنْظَرُونَ»^(٥) فَإِنْ تَوَلَّتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٥).

فهذا نوح الذي غرق أهل الأرض بدعوته، وجعل جميع الأدميين

(١) سبق تخریج هذا الحديث في أول الكتاب.

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٥) سورة يونس: الآيات ٧١، ٧٢.

من ذريته يذكر أنه أمر أن يكون^(١) من المسلمين.

وأما الخليل فقال – تعالى – :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنْا إِنَّكَ أَنْتَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾١١٣﴾ رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرَنَا مَنَاسِكَنَا وَشَعَّابَ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾١٢﴾ .

قال – تعالى – :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَضْطَفَنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّابِرِينَ ﴾١٢﴾ إِذْ قَالَ لِهِ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾١٣﴾ وَوَصَّى رَبَّهُمْ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بْنَيَّهُ إِنَّ اللَّهَ أَضْطَفَنَ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَمْ يَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾١٤﴾ .

فقد أخبر – تعالى – أنه أمر الخليل بالإسلام، وأنه قال أسلمت لرب العالمين وأن إبراهيم وصى بنيه، * ويعقوب وصى بنيه *^(٤) أن لا يموتون إلّا وهم مسلمون.

وقال – تعالى^(٥) – :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾١٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ لَذِلِّيْنَ أَتَبَعُوهُ وَهَذَا أَنَّهُمْ أَنَّهُمْ وَاللَّهُ أَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾١٨﴾ .

وقال – تعالى – عن يوسف الصديق بن يعقوب أنه قال :

(١) في أ، س، ك (أكون) وصححناه من ط.

(٢) سورة البقرة: الآياتان ١٢٧، ١٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٣٠، ١٣٢.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ.

(٦) سورة آل عمران: الآياتان ٦٧، ٦٨.

(٥) سقطت (تعالى) من أ، س.

﴿رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَأَطْرَفَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْفِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقَى بِالصَّدِيقَيْنَ﴾^(١).

وقال – تعالى – عن موسى :

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُولُ إِنَّكُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُكُمْ إِنَّكُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى :

﴿فَالْوَلَا أَضِيرُنَا إِلَىٰ رِبِّنَا مُقْلِبُونَ ﴿٦﴾ إِنَّا نَطَمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وقالوا أيضاً^(٤) :

﴿وَمَأْنِقُمُ مِنَّا إِلَّا آتَتْءَمَنَا بِثَائِتِ رَبِّنَا لِمَاجَاهَتْنَا رَبِّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبَرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٥).

وقال^(٦) – تعالى – في قصة سليمان :

﴿إِنَّهُمْ مِنْ شَرِّيْمَنَ وَإِنَّهُ يُسَجِّدُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ أَلَا تَعْلُمُوا عَلَىٰ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٧).

وقال :

﴿قَالَ يَتَأَيَّهَا الْمَلَوْأُ أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٨).

وقال^(٩) :

﴿. . . وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . . .﴾^(١٠).

(٦) سقطت الواو من ط.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٧) سورة النمل: الآيات ٣٠، ٣١.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٤.

(٨) سورة النمل: الآية ٣٨.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٥٠، ٥١.

(٩) في ط (وقال تعالى).

(٤) في ك، ط (وقال تعالى).

(١٠) سورة النمل: الآية ٤٢.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.

وقال عن^(١) بلقيس التي آمنت بسليمان:

﴿... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وقال – عن أنبياء بني إسرائيل – :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْمُتَّيَّثُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ...﴾^(٣).

وقال – تعالى – عن الحواريين:

﴿وَإِذَا أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيْكَنَ أَنَّهُمْ أَمْنَوْا فِي وَرَسُولِيْ فَأَلْوَاءَمْنَأَا وَأَشَهَدَ يَا نَنَا مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

* وقال – تعالى – *^(٥):

﴿رَبَّنَا أَمْنَأَ إِمَّا أَنْزَلَتْ وَأَتَبَعَنَا الرَّسُولَ فَأَكْتُبُنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ﴾^(٦).

فهؤلاء الأنبياء^(٧) وأتباعهم. كلهم يذكر^(٨) تعالى أنهم كانوا مسلمين، وهذا مما يبين أن قوله – تعالى – :

﴿وَمَنْ يَبْتَغَ عِرْضَالْإِسْلَامِ دِينًا فَنَّ يُقْبَلَ مِنْهُ ...﴾^(٩).

وقوله:

﴿إِنَّ الَّذِيْكَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ...﴾^(١٠).

لا يختص بمن بعث إليه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، بل

(١) في ط (وقال تعالى).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٤) سقط ما بين النجمتين من جميع النسخ وزدناء من ط.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٦) في ك، ط (الأنبياء كلهم).

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٨) في ط (يدرك الله).

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٩.

هو حكم عام في الأولين والآخرين ، ولهذا قال – تعالى – :

﴿وَمَنْ أَحْسَنْ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَنَّهُدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(١).

وقال – تعالى – :

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَا تُؤْمِنُ هَذِهِ كُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١١ بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

• • •

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١١١، ١١٢.

فصل

قولهم: ثم وجدنا في هذا الكتاب من تعظيم السيد^(١) المسيح وأمه توسط المسلمين بين تنصير اليهود وغلو التنصاري حيث يقول في سورة الأنبياء^(٢):

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فِرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال في سورة آل عمران:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِرُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِكَ وَطَهَرَكَ وَأَصْطَفَنِكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمه من غير مباضعة رجل لبشرارة ملائكة^(٥) الله لأمه، وأنه تكلم في المهد، وأحيا^(٦) الميت، وأبرأ^(٧) الأكمه، ونقى الأبرص وأنه خلق من الطين كهيئة الطير فنفع فيه فكان طائراً^(٨) بإذن الله. أي: بإذن الlahوت الذي هو كلمة الله الممتدة في الناسوت، ووجدنا أيضاً في الكتاب أن الله رفعه إليه.

وقال في سورة النساء:

(٥) في أ، س، ك (ملأك).

(١) سقطت (السيد) من أ.

(٦) في ط (وإحياء).

(٢) في ط زيادة (هذا) بعد الأنبياء.

(٧) في ط (وإبراء).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٨) في ك، ط (طيراً).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

﴿... وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا ﴾^(١) **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ...﴾**

وفي سورة آل عمران :

﴿... إِنَّ مُتَوَفِّيَكَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ وَمُظْهِرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءُكُمْ
الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾^(٢)

وقال في سورة البقرة :

﴿... وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ...﴾^(٣)

وقال في سورة الحديد :

﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبَّبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُ
رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَأَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ...﴾^(٤)

وقال في سورة آل عمران :

﴿... مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّلَعَّنُونَ إِنَّ اللَّهَ مَا نَأَلَّ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ ﴾^(٥) **يَوْمَ مِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٦)**

ثم وجدناه يعظم إنجيلنا^(٧).

الجواب : أما تعظيم المسيح وأمه فهو حق ، وكذلك مدح من كان

(٣) سورة النساء : الآيات ١٥٧ ، ١٥٨.

(١) سورة النساء : الآيات ١٥٧ ، ١٥٨.

(٤) سورة آل عمران : الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران : الآية ٢٧.

(٥) سورة آل عمران : الآيات ١١٣ ، ١١٤.

(٦) من أول الفصل إلى هذا الموضع يوافق ورقة (٣) من نص المخطوط الذي وجدناه
في المتحف القبطي برقم (١٢٥٤) . مع اختلاف يسير في الفاظه.

على دينه الذي لم يبدل قبل أن يبعث^(١) – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، أو بقي على ذلك إلى أن بعث محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) – فآمن به، فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وكذلك من كان على دين موسى الذي لم يبدل إلى أن بعث المسيح فآمن به فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وقد قدمنا أن المسلمين هم عدل متوسطون لا ينحرفون إلى^(٣) غلو، ولا إلى تقصير^(٤).

وأما اليهود والنصارى: فهم على طرف في نقىض، هؤلاء ينحرفون إلى جهة، وهؤلاء إلى الجهة^(٥) التي تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ، وكذلك تقابلهم في التحرير، والتحليل، والطهارة، والنجاسة. فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون في اجتناب النجاسات

(١) في ك، ط (ابنث).

(٢) سقطت جملة (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من أ، س.

(٣) في س، ك، ط (لا إلى غلو).

(٤) قال القرافي – رحمة الله – الجواب على هذا من وجوه:

١ – أن تعظيمهما لا نزاع فيه، ولم تكفر النصارى بالتعظيم، وإنما كفرت بنسبة أمور إليهما لا يليق بجلال الربوبية، ولا بدناءة البشرية من الأبوة والبنوة، والحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والأولاد...

٢ – أنه إذا اعترف بأن القرآن العظيم ورد بما يعتقد أنه حق فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق، فإن الباطل لا يؤكّد الحق. بل المؤكّد للحق حق جزماً فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً، وهذا هو سبب إسلام كثير من أهّل اليهود ورهباني النصارى.

٣ – أن هذا برهان ناطق على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان، فإنه مشتمل على تعظيم جميع الرسل، وجميع الكتب المنزلة.
انظر: الأرجوبة الفاخرة للقرافي (رسالة ماجستير/ تحقيق زميلنا سالم بن محمد القرني)
القسم الأول ص ١٥٣.

(٥) في س، ك (جهة).

حتى أن الحائض لا يؤكلونها، ولا يساكتونها^(١)، ولا يجامعونها^(٢)، وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها، ويستخرجون الدم من العروق إلى غير ذلك من الأصار، والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النصارى: ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئاً حراماً، ولا نجساً إلا ما كرهه الإنسان بطبيعة، ويصلون مع الجنابة، والحدث، وحمل النجاسات، ويأكلون الخبائث: كالدم، والميته، ولحم الخنزير، إلا من كره منهم شيئاً فتركه، والمسلمون وسط كما قال - تعالى - فيهم:

﴿وَكَذَّالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا إِنْ كُوْنُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣).

أي: عدلاً خياراً، قال^(٤) - تعالى - :

﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الْزَكَوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَمَّا الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبٌ بِعِنْدِهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

(١) في ك، ط (يشاربونها).

(٢) ذكر السيوطى في لباب النقول ص ٣٥ ما نصه «روى مسلم والترمذى عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاصلت المرأة منهم لم يؤكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله ﴿ويسألونك عن المحيض...﴾ الآية فقال اصنعوا كل شيء إلا النكاح.

رواه مسلم في كتاب الحيض، باب في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض...﴾ الآية. انظر مختصر صحيح مسلم ص ٥٤ حديث رقم (١٧١)؛ ورواه الترمذى في كتاب التفسير حديث رقم (٢٩٧٧) ٢١٤/٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

وَيَنْهَا مِنْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّبَابَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَثَ وَيَضْعُعُ
عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوا
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

ولهذا كان من انحرف من المسلمين إلى ^(٢) شبه اليهود والنصارى، مأموراً بترك ذلك الانحراف، واتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم كاليهود، وغير ^(٣) الصالحين كالنصارى.

وذلك مثل من يبالغ ^(٤) في اجتناب النجاسات فبنجس ما لم ينجسه الله ورسوله، ويحرم ما لم يحرمه الله ورسوله، ويأخذه الوسواس في اجتناب النجاسات، ويحرم طيبات ^(٥) أحلها الله للMuslimين، مثل: من يرى أن القياس أن النجاسة لا تزول لا بماء ولا بغيره، أو يرى أنها وإن زالت فلم يبق ^(٦) لها أثر فال محل نجس إذا لم تزل بما يشترطه هو من الماء أو غيره ^(٧)، أو يرى أن الطيبات التي

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٥٦، ١٥٧.

(٢) في أ (كما).

(٤) في ك، ط (بالغ).

(٥) في ط (الطيبات التي).

(٦) في أ (يبقى).

(٧) في ك، ط (ولا).

(٧) مذهب مالك، والشافعى، ومحمد بن الحسن، وزفر، ورواية عن أحمد أن الطهارة من النجاسة لا تحصل إلا بما يحصل به طهارة الحديث لدخوله في عموم الطهارة

ورجح هذا ابن قدامة في المغني ٩/١؛ والمصنف ١/٧٩.

وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز إزالة النجاسة بكل مائع طاهر مزيل للعين والأثر كالخل، وماء الورد، وماء الشجر، وهذه رواية عن الإمام أحمد، واعتبارها الشيخ تقى الدين (ابن تيمية) وابن عقيل، قالوا لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا ولغ الكلب في إماء أحدكم فليغسله سبعاً، فاطلق الغسل، وتقييده بالماء يحتاج إلى دليل، ولأنه مائع طاهر مزيل فزالت النجاسة به.

أحلها الله حرام خبيثة لأنها مستحيلة عن المحرم مع أن الخل حلال، وإن كان قد كان خمراً باتفاق المسلمين إذا بدا إلى حاليه^(١)، أو يرى أن الماء الطيب، والمائعات الطيبة التي ليس فيها أثر من الخبيث حرام لكون الخبيث لا يلقيها، أو^(٢) استهلك فيها مع أنها من الطبيات لا من الخبائث، أو يرى تحريم ما سوى موضع الدم الذي هو أذى، إلى غير ذلك من أقوال قالها بعض العلماء، ولكن غيرهم نازعهم في ذلك واتبع ما دلّ عليه الكتاب والسنة.

وأعظم من ذلك من يكفر من خالقه من المسلمين، ويبرئ نجاسته الكفار كما^(٣) عليه كثير من أهل البدع من الرافضة والخوارج وغيرهم، فإذا أكل غيرهم من وعائهم نجسه عندهم، وأما ما يفعله كثير من الناس من غير أن يقوله عالم مثل من يغسل يديه، وثيابه، وحصر بيته بتوهם نجاستها، أو يأمر الحائض إذا طهرت أن تبدل ثيابها الأولى أو^(٤) تغسلها، أو يمنع الجنب أن يأكل * أو يشرب حتى يغسل *^(٥)، فهذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود^(٦).

وأما من يشبه النصارى: فمثل من يحسن الظن بمن لا يظهر، ولا

انظر: المغني ٩/١ - ١٠ والمقنع ٧٩/١ والكافي لابن عبد البر ١٦٢/١ ومجموع
الفتاوى ٤٧٤/٢١.

(١) في أ، س (بد الله بإحالته) وهي جملة مضطربة. (٢) سقطت (أو) من ط.

(٣) في ك، ط (كما دل عليه)، ولا مكان لكلمة (دل) في هذه الجملة.

(٤) في س (و). (٥) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر السخ.

(٦) ذكر ابن الجوزي - رحمة الله - جملًا مفيدة - في كتابه القيم تلبيس إبليس - فيما

يتعلق بتلبيس الشيطان على العباد في الموضوع وغيره في ص ١٣٥ - ١٣٧ وأرجع

ذلك إلى الجهل وقال: «اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس

هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهل بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا

مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم

يشتغل بالتعبد، ولم يحكم العلم...» إلخ. ما ذكره من كلام مفيد في هذا الباب.

يصلّى من المنسوبين إلى الفقر والزهد والعبادة^(١)، مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات. كالحمام، والأتائين^(٢)، والمزابل وهو متلوث^(٣) بالبول والعذرة ويعاشر^(٤) الكلاب ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة، بل ولا يصلّى أو^(٥) يصلّى بلا وضوء، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس فرض على كل أحد، وأن الوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة فرض لا^(٦) يصلّى إلا به مع القدرة، ولا^(٧) يتيمم مع القدرة. فمن أنكر وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين.

(١) يشير المؤلف إلى الصوفية الذين ابتدعوا في دين الله، وأحدثوا فيه ما ليس منه، واتبعوا ما رتبه لهم مشائخهم الجهال، الذين رتبوا لهم ترتيبات في المطاعم، وصنفوا مصنفات في رياضة النفوس، وابتدعوا كثيراً من الأقوال والأعمال التي لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا إجماع من سلف الأمة، يقول ابن الجوزي - رحمه الله - «وكان أصل تلبيس إبليس عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطfa مصباح العلم عندهم تخطوا في الظلمات...» وقد مررت الصوفية بمراحل عديدة كان آخرها مرحلة وحدة الوجود التي يبتلي أصحابها الكفر والإلحاد، ويبخرون المحظورات، بل يجعلونها عبادة يديرون بها و يؤثرونها على الصلوات، أعادنا الله من الزيف والضلال.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٥/١١؛ وصفوة الصفة لابن الجوزي ٢٥/١ بتحقيق محمد الفاخوري، ومقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣؛ والصلة بين التصوف والتسبیح للدكتور مصطفى كامل الشببي ص ٣٧٦؛ والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شففة، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل.

(٢) الأتائين: قال في المصباح المنير: ٤/١ «الأتون وزان رسول قال الأزهري هو للحمام والجصاصة وجمعته العرب أتائين بتعانين نقلة عن القراء...». وجاء في مختار الصحاح ص ٤ «الأتون بالتشديد الموقد وال العامة تخففه وجمعه أتائين». وانظر القاموس المحيط ٤/١٩٤/ باب التون فصل الهمزة.

(٣) في ط (متلوث).

(٤) في ك، ط (ولا).

(٥) في ط (ويباشر). (٦) في ك، ط (أو). (٧) في س، ك، ط (وأن لا).

ومن جعل الزاهد العابد الذي له نوع من الخوارق مثل نوع من الكشف والتصرف الذي يكون من الشياطين^(١)، والجهال يظنون أنه من كرامات أولياء الله إذا لم يكن يصلبي الصلوات الخمس ويتوضاً ويغسل من الجنابة من المؤمنين، أو من أولياء الله فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن لم يحرم الخبائث التي حرمتها الله ورسوله كالبول والعذرة والدم والميّة ولحم الخنزير والخمر فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن جعل مستحل ذلك مع العلم بمخالفته لدين الرسول ولِيَ الله فهو كافر باتفاق المسلمين، وكذلك فيمن يتتحل بالإسلام ويندم أهل الكتاب من يكون منافقاً في الدرك الأسفل من النار، ويكون كثير من اليهود والنصارى أخف عذاباً في الآخرة منه. قال الله^(٢) - تعالى - :

﴿ إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَحْدَلَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥ ﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَ إِلَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

وكذلك المسلمون وأهل السنة في المسلمين وكذلك^(٤) في التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق، وهو صفات النقص الذي يجب تزييه الرب عنها. والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق، وهو صفات الكمال التي لا يستحقها إلا الله — تبارك تعالى — : فقال من قال من اليهود:

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧ ذكر حكايات كثيرة موضوعة في الكرامات، وذكر المخارات الشيطانية التي لبس بها الحالج وغيره على كثير من الناس.

٢) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.

(٣) سورة النساء: الآيات ١٤٥، ١٤٦.

(٤) سقطت (وكذلك) من ك، ط.

»... إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ» (١).

وقالوا:

»... يَدُ اللَّهِ مَغْلُوَةٌ...» (٢).

وهو بخيل، وقالوا: إنه خلق العالم فتعب فاستراح.

وحكى عن بعضهم أنه قال: بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، وأنه ناح على بعض من أهلكه من عباده كما ينوح المصاب على ميته (٣)، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه ويتقدس — سبحانه وتعالى — .

وأيضاً فهم يستكرون عن عبادة الله وطاعة رسle، ويعصون أمره ويتجاوزون حدوده، ولا يجوزون له أن ينسخ ما شرعه بل يحجزون عليه. والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه (٤) رب

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) ورد في سفر التكوين: إصلاح ٦: ٦ - ٨ ما نصه «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض... إلخ.

وجاء في التلمود — الذي هو كتاب تشريعاتهم وأخلاقهم — أن الله ندم، وحزن بعد خراب هيكل أورشليم. وأنه من ذلك الوقت لم يعد له جلد على اللعب والرقص، كما كان يصنع في الأزمان السالفة. وأول رقصة رقصها مع حواء، أما من بعد تدمير الهيكل فإنه لم ينقطع عن البكاء والتحبيب؛ لأنه ارتكب خطية ثقيلة، وهو يطوي ثلاثة أرباع الليل منكشاً على ذاته مالاً الدنيا زهيراً كالأسد الصريح، ثم يصرخ الويل لي لأنني تركت بيتي ينهب، وهيكلني يحرق، وأولادي يتشتتون». تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

انظر: كتاب همجية التعاليم الصهيونية ص ٣١.

(٤) في ك، (يجعلوه) وفي أ، س (فيجعلوه).

العالمين خالق كل شيء ومليكه الذي هو بكل شيء علیم، وعلى كل شيء قادر، واتخذوا أحبارهم ورہبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو - سبحانه - عما يشرون واتخذوا الملائكة والنبين أرباباً^(١) وصوروا تماثيل المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله كما فعل^(٢) عباد الأولئان كما قال الله^(٣) - تعالى - :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا شَفَاعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتِّبُونَ اللَّهَ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ . . . ﴾^(٤).

ولهذا قال - تعالى - :

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِئِنْ لَّا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾^(٥).

وقال - تعالى - :

﴿ أَلَّهُ أَلَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ . . . ﴾^(٦).

وال المسلمين وسط يصفون الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسالته من غير تحرير ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، يصفونه بصفات الكمال، وينزهونه عن الناقص التي تمنع على الخالق ولا يتصف بها

(١) في لك، ط (أرباباً من دون الله).

(٢) في سن، لك، ط (فعلت).

(٣) سقط لفظ الجلالة من لك، ط.

إلا^(١) المخلوق، فيصفونه بالحياة والعلم^(٢) والقدرة، والرحمة والعدل، والإحسان وينزهونه عن الموت. والنوم، والجهل، والعجز، والظلم، والفناء، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثيل له في شيء من صفات الكمال فلا أحد يعلم كعلمه، ولا يقدر كقدرته، ولا يرحم كرحمته، ولا يسمع كسمعه ولا يبصر بصره، ولا يخلق كخلقه، ولا يستوي كاستواه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله كما قال – تعالى – :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْهِ كُفُواً أَحَدٌ ﴿٣﴾ .

ولا يصفون أحداً من المخلوقين بخصائص الخالق – جل جلاله – ، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير إليه عبد له ، وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء ، ويسأله كل أحد ، وهو غني بنفسه لا يحتاج إلى أحد في شيء من الأشياء كما قال – تعالى – :

﴿وَقَالُوا أَنْتَ أَنْحَدُ الرَّحْمَنَ وَلَدًا ﴿١﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٢﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْبَأْلُ هَذَا ﴿٣﴾ أَنْ دَعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٤﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَنْحَذِدَ وَلَدًا ﴿٥﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٦﴾ لَقَدْ أَخْصَنَاهُمْ وَعَدَهُمْ عَدَدًا ﴿٧﴾ وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرَدًا ﴿٨﴾ .

وقال – تعالى – :

﴿يَا أَهْلَ الصِّكِّرِ لَا تَقْنُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ

(١) سقطت (إلا) من س ، ك ، ط وهي في أ ولازمة للسياق.

(٢) سقطت لفظة (العلم) من ك ، ط.

(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ – ٩٥.

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلْمَتُهُ، أَلْقَنَهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَقَاتِلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنَّهُمْ خَيْرٌ الْكُمُّ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَمِنْ أَسْمَوْتَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَ بِاللَّهِ وَكَيْلًا (٦) لَنْ يَسْتَنِكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلِكِ كَمَقْرِبُوْنَ وَمَنْ يَسْتَنِكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِرُ فَسِيرَهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (٧) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوْقِيْهِمْ أَجُورُهُمْ وَيَرِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ أَسْتَكَفُوا وَأَسْتَكَبُرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَحِدُّونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَأُولَئِكَ نَصِيرًا (٨).

وكذلك هم في المسيح، فالنصارى يقولون: هو الله، ويقولون: أيضاً هو (٩): ابن الله وهو إله تام وإنسان تام، واليهود يقولون: هو ولد زنا، وهو ابن يوسف التجار، * ويقولون عن مريم: إنها بغي بعيسى كما قال - تعالى - : ﴿... وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيمَ بُهْتَنَاعْظِيْمًا﴾ (١٠).
ويقولون (١١) هو ساحر كذاب.

وأما المسلمين فيقولون: هو عبد الله ورسوله * وكلمة ألقها إلى مريم العذراء البتول وروح منه (١٢)، وهو وحيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه لا يغلون فيه غلو النصارى، ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود، وكذلك قولهم في سائر الأنبياء والمرسلين: وفي أولياء الله. فاليهود قتلوا النبيين والذين يأمرؤن بالقسط من الناس. والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

(١) سورة النساء: الآيات ١٧١ - ١٧٣.

(٢) سقطت (هو) من ك، ط.

(٣) الآية من سورة النساء: ١٥٦ وما بين النجمتين ساقط من أ.

(٤) في س، ك، ط (ويقولون عنه).

(٥) ما بين النجمتين ساقط من أ، ك وزدناه من س، ط.

دون الله والمسيح بن مریم، وما أمروا إلّا ليعبدوا إلّهًا واحدًا لا إلّه إلّا هو – سبحانه – عما يشركون، ومع هذا فقد شارك النصارى اليهود في نقص حق كثیر من الأنبياء فيقولون أن سليمان لم يكننبياً^(١)، ويقولون: إن الحواريين مثل موسى وإبراهيم، ويقولون: إن من عمل بوصاية الله من غير الأنبياء صار مثل الأنبياء، وكان له أن يشرع شريعة، وبعض اليهود غلووا في العزير^(٢) حتى قالوا – إنه ابن الله.
ولهذا قال نبينا – صلّى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح «لا تطروني كما أطربت النصارى»^(٣) عيسى بن مریم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله»^(٤).

(١) ويرجع ذلك إلى أن كتاب العهد القديم قد خلعوا صوراً مقيمة على أنبياء الله جمیعاً، وقد صور النبي الكريم سليمان – عليه السلام – في سفر الملوك الأول في الإصلاح الأول منه بأنه رجل ملك وسياسة صارع (أدونيا بن حجیث) الذي حاول أن يتولى الملك بعد داود – عليه السلام –، فأخذ سليمان يقتل ويبطش... إلخ ما وصفه به الكاتب كعادتهم في وصف كثیر من الأنبياء – عليهم السلام –، وقبح الله أعداءه وأعداء أنبيائه.

وانظر تفصيلاً عن النبي سليمان – عليه السلام – في كتاب التراث الإسرائيلي في العهد القديم و موقف القرآن الكريم منه للدكتور صابر طعيمه ص ٥١٧ – ٥٤٥ ص ٧٦٤ حيث تحدث عن النبي سليمان في رؤية العهد القديم، وعنده في عطاء القرآن الكريم.

(٢) في ط (العزيز) بالزای المعجمة، وسبقت ترجمته.

(٣) في أزیادة (المسيح) بعد كلمة النصارى، وليست في الحديث.

(٤) رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، باب واذکر في الكتاب مریم، عن ابن عباس أنه سمع عمر – رضي الله عنه – يقول على المنبر: سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – يقول لا تطروني... الحديث في البخاري ٤/٤٢، وأحمد في المسند ١/٢٣، ٢٤، ٥٥ وفيه بقية خطبة عمر – رضي الله عنه –. والدارمي في السنن، باب قول النبي – صلّى الله عليه وسلم – لا تطروني ٢/٣٢٠ كتاب الرقائق؛ والحمیدي في مسنده ١/١٦ (٢٧).

والله – تعالى – ذكر في القرآن في سورة (كهيعص) قصة ابني
الخالة يحيى وعيسى . ويحيى يسمونه النصارى يوحنا وهو يوحنا^(١)
المعمداني عندهم فقال – تعالى – بعد أن ذكر قصة يحيى :

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَبِ مَرِيمَ إِذْ أَنْتَبَذَتِ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٦ فَأَخْتَدَتِ
مِنْ دُونِهِمْ جَهَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سُوِّيًّا ١٧ قَالَتِ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَا هُبَّ لَكِ عُلَمَاءُ
رَّكِيًّا ١٩ قَالَتْ أَفَنْ يَكُونُ لِي عُلَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغْيَيًّا ٢٠ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنَ وَلَنْجَعَلَهُ ۚ أَيَّةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَفْضِيًّا ٢١ * فَحَمَلَتْهُ فَأَنْتَبَذَتِ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢ فَلَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَىٰ حِجْنَ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ٢٣
فَنَادَاهَا مِنْ تَحْنَاهَا الْأَلْتَخْرَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّكَ تَحْنَكَ سَرِيًّا ٢٤ وَهُرْزِيٌّ إِلَيْكَ بِحِجْنِ النَّخْلَةِ
شُقْطَعَلَتِكَ رُطْبَاجِنِيًّا ٢٥ فَكُلُّهُ وَأَسْرِيٌّ وَقَرِيٌّ عَيْنَاهَا فَإِمَاتِرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولَيٌّ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ
قَالُوا يَنْمِرِيمُ لَقَدْ حِثَتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧ يَتَأْخَتْ هَدْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سُوِّيًّا وَمَا
كَانَتْ أُمُّكَ بَغْيَيًّا ٢٨ فَأَسْهَرَتِ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَلَنِي الْكِتَبَ وَجَعَلَنِي بَنِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارِكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ

(١) سقطت جملة (وهو يوحنا) من س ، ط .

ويوحنا هو يحيى بن زكريا – – عليهما السلام – الذي ورد ذكره في القرآن
الكريم : في سورة آل عمران ، وفي سورة مريم ، وفي سورة الأنبياء ، وهو ابن خالة
عيسى – عليه السلام – على قول الجمهور ، وقد أورد ابن كثير في تاريخه ٥٢/٢ –
٥٥ له ترجمة طويلة ، وذكر سبب مقتله ، وورد ذكره في كتب العهد الجديد في
إنجيل مرقس ٢٠/٦ ؛ ومتى ١/١٤ – ٢ ؛ ولوقا الإصلاح الأول منه .
وانظر تفصيلاً عنه في : كتاب مستقل للدكتور أحمد السقا بعنوان : يوحنا المعمدان
بين الإسلام والنصرانية .

وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوةِ وَالرَّكْوَةِ مَا دُمْتُ حَيَاً ﴿٢١﴾ وَبَرَأْ بِالدَّقِّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا
شَقِيقًا ﴿٢٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمِ وُلْدَتْ وَيَوْمِ الْمُوْتِ وَيَوْمِ أُعْثَرْ حَيَاً ﴿١﴾.

ثم قال الله - تعالى - :

﴿ذَلِكَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمٍ قَوْلَكَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ
يَنْخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٢٦﴾ فَأَخْنَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوْلَلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
مَّشَهِدِ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَبْصِرُهُمْ يَأْتُونَا لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾﴾.

فذكر - سبحانه - قصة مريم والمسيح في هذه السورة المكية التي أنزلها في أول الأمر بمكة في السور التي ذكر فيها أصول الدين المدنية التي يخاطب فيها من اتبع الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، لما قدم عليه نصارى نجران فكان فيها الخطاب لأهل الكتاب فقال - تعالى - :

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَطَفَ أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾
ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴿٣٠﴾ إِذَا قَالَتْ أَمْرَاتُ عِمْرَانَ رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِ مُحَرَّرٍ فَتَقْبَلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّي إِنِّي
وَضَعَتْهَا أَنْتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الدَّكَوُ كَالْأَنْثَى وَلَيْسَ سَمِيَّتَهَا مَرْيَمٌ وَلَيْسَ
أُعِيْدُهَا إِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٢﴾﴾.

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ما من مولود إلا يمسه الشيطان فيستهل صارخاً من

(١) سورة مريم: الآيات ١٦ - ٣٣.

(٢) سورة مريم: الآيات ٣٤ - ٣٨.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٣٣ - ٣٦.

الشيطان إلّا مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم (ولاني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) *^(١).

قال — تعالى^(٢) — :

﴿فَلَقِبَاهَا رَبُّهَا بِقَبْوِلِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا رَجُلًا كَمَادَخَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا الْمِحَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْعَمُ أَنَّ لِلَّهِ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).

ثم ذكر قصة زكريا ويعيى ثم قال:

﴿هُنَالِكَ دَعَازَكَرِبَارِبِهِ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَيِّعُ الدُّعَاءَ ﴿٢٨﴾ فَنَادَاهُ الْمَلَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يَصْلِي فِي الْمِحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَعِيَ مُصَدِّقًا بِكَلْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّ يَكُونُ لِي عُلُمٌ وَقَدْ بَلَغْنِي الْكِبْرُ وَأَمْرَأٌ فِي عَلَقٍ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ أَجْعَلْ لِيَ إِيمَانًا يَكُونُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةً أَيَّامًا إِلَّا رَمَزًا وَأَذْكُرْ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَيِّعْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبَكَرِ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَئِكَةُ يَنْعَمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِكَ وَطَهَرَكَ وَأَصْطَفَنِكَ عَلَى نَسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ يَنْعَمُ إِنَّمَّا قُنْتَيْ رَبِّكَ وَأَسْجُدُ وَأَرْكُعُ﴾

(*) ما بين التجمتين ساقط من جميع النسخ عدا نسخة ط.

(١) والحديث: رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله — تعالى — واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانتاً شرقياً ١٣٨؛ ورواه في التفسير، سورة آل عمران، باب ولاني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ١٦٦/٥؛ ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى — عليه السلام — ١٨٣٨/٤؛ ورواه أحمد في المسند ٢٣٦٦؛ ورواه أبي حمزة في المسند ٢٣٣/٢، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٢؛ وابن جرير الطبرى في تفسيره من طرق متعددة من حديث أبي هريرة عند آية (ولاني أعيذها بك وذريتها...) الآية ١٦٠/٣ (المجلد الثالث) ط. دار الفكر.

(٢) سقطت جملة (قال تعالى) من آ، س.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

مَعَ الْرَّكِعَيْنَ ٤٢ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءَ الْغَيْبِ نُوَحِّيْهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَلْقَوْنَ
 أَقْلَمَهُمْ أَيْمَنَهُ يَكْفُلُ مَرِيمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٣ إِذْ قَالَتْ
 الْمَلَائِكَةُ يَمْرِئُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِكَلْمَةٍ مِنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ وَجِئْهَا فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ٤٤ وَيَكْلِمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلَوْنَ مِنَ الصَّدِّيقِينَ ٤٥
 قَالَتْ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسِكْنِي بِشَرٍّ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى
 أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٦ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَبُ وَالْحِكْمَةُ وَالْتَّوْرِثَةُ وَالْإِنْجِيلُ ٤٧
 وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ حِشْتَكُمْ بِحَايَاةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الْطِينِ
 كَهْيَةً الْطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَنْتَ أَلَاكِمْهُ وَالْأَبْرَصُ
 وَأُخْيَ الْمَوْقِعِ يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَنْتَ شَكُّمْ بِمَا تَلْكُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي يُوْتَحْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً
 لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٤٨ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْدَ إِنْ مِنَ الْتَّوْرِثَةِ وَلَا حِلًّا لَكُمْ
 بَعْضَ الَّذِي حُرِمَ عَلَيْكُمْ وَحِشْتَكُمْ بِحَايَاةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْقَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ٤٩
 إِنَّ اللَّهَ رَبِّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صَرْطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥٠ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى
 مِنْهُمُ الْكُفَّارَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ فَأَكَ الْحَوَارِيُّونَ خَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ مَا مَنَّا بِاللَّهِ
 وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ ٥١ رَبِّنَا إِنَّمَا إِنْ أَنْزَلْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّهِيدِينَ ٥٢ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكَرِينَ ٥٣ إِذَا تَأَلَّ
 اللَّهُ يَعْسَى إِلَيْيِ مُتَوْقِيَّكَ وَرَأَيْكَ إِلَيْ وَمُطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءُكَ الَّذِينَ
 أَنْبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ شُرَاعًا إِلَى مَرْجِعِكَ فَأَخْكُمْ بَيْنَكُمْ
 فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ٥٤ فَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرٍ ٥٥ وَمَا الَّذِينَ إِنْ أَمْسَنُوا وَعَمِلُوا الصَّدِّيقَاتِ
 فَيُوَفِّيْهُمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٥٦ ذَلِكَ نَتْلُوُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
 الْحَكِيمِ ٥٧ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَدَمَ خَلْقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ ٥٨ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ٥٩ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَاجَأَكَ

مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
 شَهَدْنَا بِهِ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَذَّابِينَ ٦١ إِنَّهَذَا هُوَ الْقَصْصُ الْحَقُّ
 وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْعِزَّةُ الْعَلِيُّ ٦٢ فَإِنْ تَوَلَّ أَفَإِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ
 بِالْمُفْسِدِينَ ٦٣ قُلْ يَتَاهُ الْكَتَبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامِيَّةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدْ
 إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَقُولُوا أَشْهَدُوا إِنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤ يَتَاهُ الْكَتَبُ لِمَ تُحَاجِجُونَ فِي
 إِنْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلَتِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ إِنَّمَا تَعْقِلُونَ ٦٥ هَذَا نَمْتُ
 هَذُولَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِنْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِنْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ وَهَذَا الَّتِي وَالَّذِينَ أَمْنَوْا
 وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ٦٨

فهو – سبحانه – قد ذكر قصة مريم والمسيح في هاتين السورتين:
 إحداهما: مكية نزلت في أول الأمر مع السور الممهدة لأصول الدين،
 وهي سورة (كهيعص) والثانية: مدنية نزلت بعد أن أمر بالهجرة والجهاد،
 ولهذا تضمنت مناظرة أهل الكتاب وبماهتهم، كما نزلت في «براءة»
 مجاهديهم، فأخبر في السورة^(١) المكية أنها لما انفردت للعبادة
 أرسل الله إليها روحه فتمثل لها بشرًا سوياً. فقالت:
 «... إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا»^(٢).

قال أبو وائل: علمت أن المتقى ذو نهاية^(٤)، أي: تقواه ينهاه عن
 الفاحشة. وأنها خافت منه أن يكون قصده الفاحشة، فقالت: أعدوا

(١) سورة آل عمران: الآيات ٣٨ – ٦٨.

(٢) في ط (السور).

(٣) سورة مريم: الآية ١٨.

(٤) رواه البخاري موقوفاً مجزوماً به في كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم =

بالرحمن منك إن كنت تقىا، أي^(١): تتقى الله، وما يقول بعض الجهال
من أنه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقى فهو من نوع الهدىان وهو من
الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلاً جاهم، ثم قال:

﴿... إنما أنا رسول ربك ليهبك لك غلاماً زكيأ﴾^(٢).

وفي القراءة الأخرى: «لأهَبَ لَكِ عَلَمَازَكِيَّا».

فأخبر هذا الروح الذي تمثل لها^(٣) بشرأً سوياً أنه رسول ربها،
فدل الكلام على أن هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها،

١٤٠/٤ بلفظ «قال أبو وائل: علمت مريم أن التقى ذونهية حين قالت إن كنت
تقىأ». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦ ٣٤٤ «وصله عبد بن حميد من طريق
عاصم، وذكره». ثم بين - رحمة الله - معنى نهيه فقال: وقوله نهية بضم النون،
وسكون الهاء، أي: ذو عقل وانتهاء عن فعل القبيح وأغرب من قال أنه اسم رجل
يقال له تقى. كان مشهوراً بالفساد فاستعذت منه» وأخرجه ابن جرير الطبرى بسنده
عن أبي وائل في تفسيره ٤٧/١٦ (المجلد السابع) وانظر تفسير ابن كثير ٣٦١/٤
سورة مريم.

أبو وائل هو:

شقيق بن سلمة الأسدى، الكوفي أحد سادة التابعين، ثقة مخضوم مات في خلافة
عمر بن عبد العزىز وله مائة سنة.

انظر: تقرير التهذيب ١/٣٥٤ (٩٦)؛ وتهذيب التهذيب ٤/٣٦٣ - ٣٦١.
والخلاصة للخزرجي ص ١٦٧.

(١) سقطت (تقىأ أي) من أ، ك، وألحقناها من س، ط.

(٢) سورة مريم: الآية ١٩. وفي ط (لأهَب) وهذا مخالف لسائر النسخ وال الصحيح ذكرها
بلفظ (ليهب) لأنه أوردها فيما بعد بلفظ (لأهَب) على القراءة الأخرى. وقراءة
(ليهب) هي قراءة أبي عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع على معنى أرسلني ليهب
لك. أما بالهمز (لأهَب) فهي قراءة الباقين.

انظر: فتح القدير للعلامة الشوكاني ٣/٢٢٨؛ والغاية في القراءات العشر
للحافظ اليسابوري ص ٢٠٢؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني
ص ١٤٨.

(٣) في ط (ل).

وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله؛ ولهذا قال جماهير العلماء: أنه جبريل – عليه السلام – فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس، وسماه جبريل، وهكذا عند أهل الكتاب أنه تجسد من مريم ومن روح القدس، لكن ضلالهم حيث يظنون أن روح القدس حياة الله وأنه إله يخلق ويرزق ويعبد وليس في شيء من الكتب الإلهية ولا في كلام الأنبياء أن الله سمي صفتة القائمة به روح القدس، ولا سمي كلامه، ولا شيئاً من صفاته أبداً، وهذا أحد ما يثبت^(١) به ضلال النصارى، وأنهم^(٢) حرفوا كلام الأنبياء وتأولوه على غير ما أرادت^(٣) الأنبياء؛ فإن أصل تلisiهم مبني على ما في أحد الأنجل^(٤) من أن المسيح – عليه السلام – قال لهم: «عندوا الناس باسم الآب والإبن وروح القدس». فيقال لهم: هذا إذا كان قد قاله المسيح، وليس في لغة المسيح ولا لغة أحد من الأنبياء، أنهم يسمون صفة الله القائمة به و^(٥) لا كلمته ولا حياته لا^(٦) أبداً ولا روح قدس، ولا يسمون كلمته أبداً، ولا يسمونه نفسه أبداً، ولا روح قدس، ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم أنهم يصفون^(٧) المصطفى المكرم أبداً، وهذا موجود في حق المسيح وغيره كما يذكرون أنه قال – تعالى – لإسرائيل: «أنت أبني بكري^(٨)».

(١) في س، ك (يتبيّن) وفي ط (تبين).

(٢) سقطت (وأنهم) من أوزدناها من سائر النسخ. (٣) في ط (أرادت به).

(٤) في إنجليل متى: إصلاح ٢٨:١٩ وسبق تخرجهها.

(٥) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٦) في أ (ولا) والواو زائدة. (٧) في س، ك، ط (يسمون).

(٨) في سفر الخروج، الإصلاح ٤: فقرة ٢٢ – ٢٣ «فتقول لفرعون هكذا يقول رب إسرائيل أبني البكر... إلخ.

وفي سفر التكوين إصلاح ٤٩: ٣ «رأو بين أنت بكري، قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة، وفضل العز».

وفي إرميا إصلاح ٣١: ٩ «إني صرت أبا لإسرائيل، وأفرام هو بكري».

أي : بنى إسرائيل^(١) .

وروح القدس . يراد به الروح التي تنزل على الأنبياء كما نزلت على داود وغيره ، فإن في كتبهم أن روح القدس كانت في داود وغيره ، وأن المسيح قال لهم : «أبى وأبىكم وإلهى وإلهكم» فسماه أبا للجميع ، لم يكن المسيح مخصوصاً عندهم باسم الابن ، ولا يوجد عندهم لفظ^(٢) الابن إلّا اسماً للمصطفى المكرم^(٣) لا اسمًا لشيء من صفات الله^(٤) ، ولا في كتب الأنبياء أن صفة الله تولدت منه .

وإذا كان كذلك كان في هذا ما يبين أنه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية التي يقولون أنها تولدت من الله عندهم مع كونها أزلية ، ولا بروح القدس حياة الله ، بل المراد بالابن ناسوت^(٥) المسيح ، وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي والملك الذي نزل به فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله ، وبرسوله ، وبما أنزله على رسوله ، والملك الذي نزل به^(٦) ، وبهذا أمرت الأنبياء كلهم وليس للمسيح خاصة استحق بها أن يكون فيه شيء من الالهوت ، لكن ظهر فيه نور الله وكلام الله وروح الله كما ظهر في غيره من الأنبياء والرسل ؛ فإن^(٧) غيره أيضاً فيما

(١) لعل الشیخ یقصد دعوی بنی إسرائیل التي ذکرها القرآن عنهم في قوله تعالى : «وقالت اليهود والنصاری نحن أبناء الله وأحبابه...» الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٢) في س (لغة) .

(٣) في أ ، س ، ك (المخلوق) بدل (المصطفى المكرم) .

(٤) في ط : بعد لفظ الجلالة جاءت العبارة هكذا (القديمة حتى يكون الابن صفة الله التي تولدت منه) وسقطت الجملة وما قبلها ابتداءً من قوله : (فإن في كتبهم أن روح القدس) من نسخة ك ، وما أثبتناه من أ ، س .

(٥) في أ (بشر) .

(٦) في ط (وبهذا الذي نزل به) بعد جملة (والملك الذي نزل به) .

(٧) في س ، ك ، ط (ومعلوم أن) .

ينقلونه عن الأنبياء يسمى إينا وروح القدس حلت فيه، وهذا مبسط في غير هذا الموضع^(١).

والمقصود هنا: التنبية على أن كلام الأنبياء – عليهم السلام – يصدق بعضه بعضاً، وأنه ليس مع النصارى لـ^(٢) حجة سمعية، ولا عقلية توافق ما ابتدعوه، ولكن فسروا كلام الأنبياء بما لا يدل عليه، وعندهم في الإنجيل أنه قال: «إن الساعة لا يعلمها الملائكة ولا الإِبن وإنما يعلمها الأب وحده»^(٣) فيبين أن الإِبن لا يعلم الساعة فعلم أن الإِبن ليس هو القديم الأَزلي وإنما هو المحدث الزماني.

● ● ●

(١) سيتحدث المؤلف – رحمة الله – عن هذا بتوسيع أكثر في القسم الثاني من هذا الكتاب.

(٢) سقطت (لا) من ط.

(٣) إنجيل متى إصلاح ٢٤: ٣٦. وسبق تخريرها

فصل (١)

والمضار إلى الله نوعان: فإن المضار إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، وإما أن يكون عيناً قائمة ب نفسها. الفرق بين ما يُضاف إلى الله من صفات، وما يضاف إليه من ملوكاته.

فالأول: إضافة صفة كقوله:

﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ...﴾ (١).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنُ﴾ (٢).

وقوله: ﴿أَوْلَئِرِوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَحَدٌ مِّنْهُمْ قُوَّةٌ...﴾ (٣).

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح حديث الاستخاراة: «إذا هم أحذكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخلك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك» (٤).

(١) سقطت كلمة (فصل) من أ، وزدناها من س، ك، ط.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٨.

(٤) سورة فصلت: الآية ١٥.

(٥) تمامه: وأسألك من فضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وأجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري =

وقوله - تعالى - : ﴿... وَتَمَّتْ لَكُمْ رِبَّكَ صِدْقًا وَعَدَّاً...﴾^(١).

وقوله : ﴿... ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ...﴾^(٢).

وقوله : ﴿... ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ...﴾^(٣).

والثاني : إضافة عين ، كقوله - تعالى - :

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلْطَّاهِرِينَ...﴾^(٤).

وقوله : ﴿... نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقِينَهَا﴾^(٥).

وقوله : ﴿عَيْنَنَا يَشَرُّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ...﴾^(٦).

فالمضارف في الأول : صفة الله قائمة به ليست مخلوقة^(٧) له بائنة^(٨) عنه والمضارف في الثاني : مملوك الله مخلوق له بائنة عنه ، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله

وأجله ، فاصرفه عني واصرفي عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به . قال ويسمي حاجته .

ال الحديث رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله في كتاب التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثني مثني ٥١/٢ ، وفي كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ١٦٢/٧ ، وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله - تعالى - «قل هو القادر» ١٦٨/٨ .
ورواه الترمذى في أبواب الوتر ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ٣٤٦/٢ (٤٨٠) .
ورواه أبو داود في الصلاة ، باب في الاستخارة ١٨٧/٢ ، ١٨٨ (١٥٣٨) ، والنمسائى في النكاح ، باب كيف الاستخارة ٨٠/٦ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ٤٤٠/١ (١٣٨٣) ، وأحمد في مسند جابر ٣٤٤/٣ . وانظر :
فتح الباري ١١/١٥٥ ، ١٥٩ تجد الكلام عليه هناك .

(١) سورة الأنعام : الآية ١١٥ . (٥) سورة الشمس : الآية ١٣ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ . (٦) سورة الإنسان : الآية ٦ .

(٣) سورة الطلاق : الآية ٥ . (٧) في س ، ك (مخلوق) وفي ط (مخلوقًا) .

(٤) سورة الحج : الآية ٢٦ . (٨) في س ، ك ، ط (بائنة) .

— تبارك وتعالى — ، كما خص ناقة صالح من بين النوق ، وكما خص بيته بمكة من البيوت ، و^(١) كما خص عباده الصالحين من بين الخلق ، ومن هذا الباب قوله — تعالى — : ﴿... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا...﴾^(٢) .

فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها^(٣) بشرأً سوياً ، وأنها استعادت بالله منه إن كان تقيناً وأنه قال : ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ﴾ .

وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها ، وهي التي تسمى في اصطلاح النظار جوهراً ، وقد تسمى جسماً إذا كانت مشاراً إليها مع اختلاف الناس في الجسم ، هل هو مركب من الجواهر المفردة ، أم من المادة والصورة ، أم ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا؟ وإذا كان الله قد بين أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الأعيان القائمة بنفسها علم أن المضاف مملوك الله مخلوق له ، لكن إضافته إلى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة ، وقد ذكرت فيما كنت كتبته^(٤) قبل هذا من الرد على النصارى ، الكلام في ذلك وغيره وبينت أن المضافات إلى الله نوعان : أعيان ، وصفات .

(١) سقطت (الواو) من ط.

(٢) سورة مريم : الآية ١٧ .

(٣) سقطت (لها) من أ ، س ، ك .

(٤) لعله يقصد بذلك ما ورد في مجموع الفتاوى ١٧ / ٢٧٣ — ٢٨٥ فقد بسط الكلام هناك كما رد على النصارى في مواضع متعددة من هذا القسم (قسم التفسير) الجزء الرابع منه ، والشيخ — رحمة الله — يعرض لهذه القضية في مواضع كثيرة من كتبه التي رد فيها على غلاة المبتدةعة المتسبين إلى الإسلام ، ويعقد مقارنة بينهم وبين النصارى في هذه القضية وغيرها كما ورد في منهج السنة النبوية .

فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها فيسمى^(١) المقدور قدرة، والمخلوق بالكلمة كلاماً، والمعلوم علمًا، والمرحوم به رحمة كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»^(٢).
وقوله - تعالى - فيما يروي عنه^(٣) نبيه أنه قال للجنة: (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)^(٤).

(١) في سن، ك، ط (يسمي).

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر الذي عند الله من الرحمة لم يتأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

أخرجه في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف ١٨٣/٧، ورواه مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله - تعالى - وأنها سبقت غضبه ٤٢٩٣ (٢٧٥٢) بلفظ مقارب، ومن حديث سلمان الفارسي (٢٧٥٣) بنحوه.

وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيمة بلفظ مقارب ١٤٣٥/٢، ومن حديث أبي سعيد الخدري بنحوه (٤٢٩٤)، (٤٢٩٣)، وأحمد في مستند سلمان الفارسي ٤٣٩/٥.

(٣) في ط (عن). وهو خطأ.

(٤) هذا قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب التفسير، تفسير سورة ق، باب قوله تعالى: (وتقول هل من مزيد) ٤٨/٦، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء ٤٢١٨٦ (٣٥)، (٣٦)، والترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار ٦٩٤/٤ (٢٥٦١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ويقال للمطر والسحب: هذه قدرة قادر، وهذه قدرة عظيمة،
ويقال في الدعاء: غفر الله لك علمه فيك، أي: معلومه.

وأما الأعيان إذا أضيفت إلى الله - تعالى - فلما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدورة، ونحو ذلك، فهذه إضافة عامة مشتركة كقوله: **﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾**

وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله، وروح الله، فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق، وكذلك اختصاص الكعبة، واختصاص العبد الصالح الذي عبد الله وأطاع أمره، وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الأرواح؛ فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجري عليها حكمه وقضاءه وقدره، وهذه الإضافة لا اختصاص فيها، ولا فضيلة للمضاف على غيره.

وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه إليه، ويأمر به، أو يعظمه ويحبه فهذه الإضافة يختص بها بعض المخلوقات كإضافة البيت، والناقة، والروح، وعبد الله من هذا الباب^(١).

وقد قال - تعالى - في سورة الأنبياء:

﴿وَالَّتِي أَحَصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا

وأحمد في المسند ٢٧٦/٢، ٣١٤، ٤٥٠، ٥٠٧. وفي مسندي أبي سعيد الخدري ولفظه: «وقال للجنة أنت رحمتي وسعت كل شيء»، ١٣/٣، ٧٨، ٧٩.

(١) انظر الأجوية الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافي ص ١٦١ (رسالة ماجستير، تحقيق سالم القرني، كلية أصول الدين بالرياض).

وَأَبْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .

وقال في سورة التحرير:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبُّ أَبِنِي لِي عِنْدِكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ وَمَرِيمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿٢﴾ . ﴿٢﴾ .

ذكر امرأة فرعون^(٣) التي ربت موسى بن عمران، وجمعت بينه وبين أمه حتى أرضعته أمه عندها. وذكر مريم أم المسيح التي ولدته وربته فهاتان المرأةان ربنا هذين الرسولين الكريمين، فلما قال هنا: **﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾**، أي: في المرأة، **﴿ وَفِيهِ ﴾**، أي: في فرجها من روحنا،

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٢) سورة التحرير: الآية ١١، ١٢.

(٣) هي آسية بنت مزاحم، آمنت بدعاوة موسى - عليه السلام - فعذبها فرعون زوجها أشد العذاب، ولكنها كانت مثلاً يستحق أن يضرب في كتاب الله في الثبات على الطاعة، والصبر في الشدة، والتمسك بدين الله... وهذه المرأة صارت بذلك في جنات النعيم... قال المفسرون استحباب الله لها فبني لها بيتاً في الجنة، وذلك حينما قالت: **﴿ رَبِّ ابْنِي لِي عِنْدِكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ... ﴾** الآية، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري، كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخدية بنت خوبيلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أخرجاه في الصحيحين.

وأنظر: تفسير ابن جرير الطبرى ١١٠/٢٨ (مجلد ١٠)؛ وتفسير القرطبي ٢٠٣/١٨ (مجلد ٩) مطبعة دار الكتاب العربي.

وتفسير ابن كثير ٣٩٣/٤؛ وفتح القدير ٥/٢٥٦؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٣٨٢/٨؛ وتبسيير الكرييم الرحمن لابن سعدي ٤٢٦/٧.

وقال هنا: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا» – إلى قوله – «إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكُلَّيْهِ^(١) لَكِ غُلَامًا رَّكِيًّا»، دل على أن قوله: روحنا ليس المراد به أنه صفة لله لا الحياة، ولا غيرها، ولا هو رب خالق فلا هو الرب الخالق، ولا صفة الرب الخالق، بل هو روح من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها كما تقدم في قوله: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا»، وأن الأكثرين على أنه جبريل.

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين^(٢) صفاتة، وبين مملوكتاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم؛ فإن كتب الأنبياء: التوراة، والإنجيل، والقرآن، وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه: فاختلف الناس في هذه الإضافة، فقالت المعطلة نفاة الصفات من أهل الملل: إن الجميع إضافة ملك وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب، ولا بغض ولا غضب، ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.

وهذا أول ما ابتدعه في الإسلام الجهمية وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين لهم بإحسان وكان مقدمهم رجل يقال له: الجهم بن صفوان^(٣)،

(١) هذه قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش عن نافع، أما قراءة الجمهور فهي (لأهب) وسبق بيان ذلك.

(٢) في لك، ط (من).

(٣) هو أبو محرز الجهم بن صفوان السمرقندى الضال المبتدع، رأس الجهمية من أبرز أقواله القول بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وقوله بنفي الصفات وبالجبر والاضطرار في الأعمال، هلك في زمان صغار التابعين، قتل سنة ١٢٨هـ، وسببه أنه كان يقضى في عسكر الحارث بن شريح الخارج على أمراء

فنسّبت^(١) الجهمية إليه، ونفوا الأسماء والصفات، واتبعهم المعتزلة
وغيرهم فنفوا الصفات دون الأسماء، ووافقهم طائفة من الفلاسفة
أتباع^(٢) أرسطو.

وقالت الحلولية: بل ما يضاف إلى الله قد يكون^(٣) هو صفة له
وإن كان بائناً عنه، بل^(٤) قالوا: هو قديم أزلي، فقالوا: روح الله قديمة
أزليّة صفة الله، حتى قال كثير منهم: إن أرواح بني آدم قديمة أزليّة
وصفة لله^(٥)، وقالوا: إن ما يسمعه الناس من أصوات القراء ومداد
المصاحف قديم أزلي، وهو صفة الله.

وقال حذاق هؤلاء بل غضبه، ورضاه، وحبه، وبغضه، وإرادته لما
يخلقه قديم أزلي، * وهو صفة الله*^(٦) وكلامه الذي سمعه موسى
قديم أزلي، وأنه لم يزل راضياً محباً لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق،
ولم يزل غضباناً ساخطاً على من علم أنه يكفر قبل أن يخلق، ولم يزل

خراسان فقبض عليه نصر بن سيار، فقال له: استبني، فقال نصر: «لا تقوم علينا
مع اليمانية أكثر مما قمت» وأمر بقتله فقتل. انظر: لسان الميزان لابن حجر
١٤٢/٢؛ وميزان الاعتدال ١/٤٢٦؛ والممل والنحل للشهرستاني ١٠٩/١؛
ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٢٤؛ والفصل في الملل والنحل
٤/٢٠٤؛ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٢؛ ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام
ابن تيمية ٥/٣٧٤؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي رسالة ماجستير
ص ١٥٥؛ وأصول الدين للبغدادي ص ٣٣٣.

(١) في أ، س (فنسّب).

(٢) في س (وابياع).

(٣) سقطت (قد يكون) من أ.

(٤) في أ (قالوا بل).

(٥) (صفة لله) ساقط من أ.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من أ، ط، وزدناه من س.

ولا يزال قائلاً: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم قبل أن يوجدوا، وبعد موتهم،
ولم يزل ولا يزال يقول: يا معاشر الجن والإنس، قبل أن يخلقوا وبعد
ما يدخلون الجنة والنار.

وأما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة
المسلمين المشهورون بالإمامية فيهم^(١) كالأربعة، وغيرهم، وأهل العلم
بالكتاب و^(٢)السنة، فيفرقون بين مملوكته، وبين صفاته، فيعلمون أن
العباد مخلوقون، صفات العباد مخلوقة، وأجسادهم، وأرواحهم،
وكلامهم، وأصواتهم^(٣) بالكتب الإلهية وغيرها، ومدادهم، وأوراقهم،
والملائكة^(٤)، والأنبياء وغيرها، ويعلمون أن صفات الله القائمة به ليست
مخلوقة كعلمه، وقدرته، وكلامه^(٥)، وإرادته، وحياته، وسمعه، وبصره،
ورضاه، وغضبه، وجبه وبغضه، بل هو موصوف بما وصف به نفسه وبما
وصفته^(٦) به رسle من غير تحرif ولا تعطيل ومن غير تكيف^(٧) ولا
تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به^(٨) رسle، ولا
يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا^(٩) يتأنلون كلام الله بغير ما أراده، ولا
يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق، بل يعلمون أن الله

(١) في ط (فيها).

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) في ك، ط (أصواتهم وكلامهم).

(٤) في أ (المكتبة) وفي ك (الأنبياء والملائكة).

(٥) سقطت (وكلامه) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

(٦) في ك، ط (وصفه).

(٧) في ط (تكيف).

(٨) في ك، ط (ولا بما وصفه).

(٩) سقطت (لا) من أ، وزدناها من ط وفي س (وسياق كون كلام الله).

— سبحانه — ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاتـه، ولا في (١) أفعالـه بل هو موصوف بصفـاتـ الكـمالـ، مـنـزـهـ عنـ النـقـائـصـ، وليـسـ لهـ مـثـلـ فيـ شـيـءـ منـ صـفـاتـهـ، وـيـقـولـونـ: إـنـهـ لـمـ يـزـلـ (٢) وـلـاـ يـزـالـ مـوـصـوـفـاـ بـصـفـاتـ الـكـمالـ، لـمـ يـزـلـ مـتـكـلـمـاـ إـذـاـ شـاءـ بـمـشـيـتـهـ وـقـدـرـتـهـ، وـلـمـ يـزـلـ عـالـمـاـ، وـلـمـ يـزـلـ قـادـرـاـ، وـلـمـ يـزـلـ حـيـاـ سـمـيـعـاـ بـصـيـراـ، وـلـمـ يـزـلـ مـرـيـدـاـ، فـكـلـ كـمالـ لـاـ نـقـصـ فـيـ يـمـكـنـ اـتـصـافـهـ بـهـ فـهـوـ مـوـصـوـفـ بـهـ لـمـ يـزـلـ وـلـاـ يـزـالـ مـتـصـفـاـ بـصـفـاتـ الـكـمالـ مـنـعـوـتـاـ بـنـعـوتـ الـجـلـالـ وـالـإـكـرـامـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ .

والنصارى من أعظم الناس اضطراباً في هذا الأصل، فتارة: يجعلون كلامـهـ الـذـيـ تـكـلـمـ بـهـ كـالـتـورـاـةـ وـالـإـنـجـيـلـ مـخـلـوـقـاـ مـنـفـصـلـاـ عـنـهـ وـيـنـفـونـ عـنـهـ الصـفـاتـ، وـتـارـةـ يـجـعـلـونـ كـلـمـتـهـ قـدـيمـةـ أـزـلـيـةـ مـتـولـدـةـ عـنـهـ لـمـ تـزـلـ وـلـاـ تـرـازـلـ، ثـمـ يـقـولـونـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ هـيـ اـبـهـ، وـيـجـعـلـونـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ عـلـمـهـ، اوـ حـكـمـتـهـ وـيـقـولـونـ: إـنـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ هـيـ إـلـهـ خـالـقـ وـهـوـ الـذـيـ خـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـأـنـ (٣) هـذـهـ الـكـلـمـةـ هـيـ الـمـسـيـحـ وـالـمـسـيـحـ إـلـهـ (٤) خـالـقـ الـعـالـمـ .

ويـقـولـونـ: مـعـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ لـيـسـ هـيـ الـأـبـ الـذـيـ خـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ فـيـجـعـلـونـ كـلـمـتـهـ صـفـةـ قـدـيمـةـ أـزـلـيـةـ، وـيـجـعـلـونـهـ اـبـنـاـ لـهـ، وـيـجـعـلـونـ الصـفـةـ إـلـهـاـ خـالـقـاـ، وـيـجـعـلـونـ الـمـسـيـحـ هـوـ إـلـهـ الـخـالـقـ، وـيـقـولـونـ مـعـ هـذـاـ: هـوـ إـلـهـ حـقـ مـنـ إـلـهـ حـقـ مـنـ جـوـهـرـ أـبـهـ .

ولـهـمـ فـيـ كـلـامـ اللـهـ وـصـفـاتـهـ مـنـ التـنـاقـضـ وـالـاضـطـرـابـ، وـمـخـالـفـةـ كـلـامـ الـأـنـبـيـاءـ، وـتـقـسـيـرـهـ بـغـيـرـ مـاـ أـرـادـهـ (٥)، وـمـخـالـفـةـ صـرـيـحـ الـمـعـقـولـ

(١) سـقـطـتـ (فـيـ) مـنـ أـ، سـ . (٤) سـقـطـتـ (إـلـهـ) مـنـ أـ، سـ .

(٢) سـقـطـتـ (يـزـلـ) مـنـ طـ . (٥) فـيـ طـ (أـرـادـهـ) .

(٣) فـيـ طـ (وـيـقـولـونـ) بـدـلـ (أـنـ) .

وصحيح المنقول ما سنذكر – إن شاء الله^(١) – منه ما يسره الله، سبحانه وتعالى^(٢)، إذ بيان فساد أقوال^(٣) النصارى بالاستقصاء لا يتسع له هذا الكتاب، ولما قص^(٤) – تعالى – قصة المسيح قال:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . . .﴾^(٥).

أي: يشكرون ويتمارون كتماري اليهود والنصارى.

ثم قال – تعالى – : ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ . . .﴾^(٦).

فاختلاف اليهود والنصارى فيه^(٧)، ثم اختلفت النصارى فيه وصاروا أحزاباً كثيرة جداً، كالنسطورية، واليعقوبية، والملكية، * والباروبية، والمريمانية، والسمياطية. وأمثال هذه الطوائف، كما سنذكر – إن شاء الله – كثيراً من طوائفهم واختلافهم في مجتمعهم كما حكى ذلك عنهم أحد أكابرهم سعيد بن الطريقي وغيره، فإنه ليس في الأمم أكثر اختلافاً في رب العالمين منهم *^(٨)، فويل للذين كفروا من هذه الطوائف كلها من مشهد يوم عظيم:

(١) في ل، ط (إن شاء الله تعالى) وسيتناول هذا في موضع متعددة من كتاب الجواب الصحيح وخصوصاً الجزء الثاني منه.

(٢) في أ، س (ما نزه الله) وسقطت (سبحانه وتعالى) من س و ط.

(٣) في ل، ط (دين).

(٤) في ط (قص الله).

(٥) سورة مريم: الآية ٣٤.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٦٥.

(٧) سقطت (فيه) من أ.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من س، ل، ط.

﴿أَسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرُهُمْ يَأْتُونَا . . .﴾^(١).

يقول - تعالى - : ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتيوننا ، لكن الظالمون اليوم كالنصارى الذين ظلموا يأفكهم وشركهم في ضلال مبين ضلوا عن الحق في المسيح ، وقد وصف الله النصارى بالضلال في مثل قوله - تعالى - :

﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوْا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضْلَلُوْا كَثِيرًا وَضَلَّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢).

وقال - تعالى - :

﴿وَيُنَذِّرُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَنَّهُمْ كَذَّالُوْنَاهُ وَلَدَاهُ ﴿١﴾ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لَأَبَاةِهِمْ كَبَرُتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِيْلًا﴾^(٣).

لأن الغالب عليهم الجهل بالدين ، وأنهم يتكلمون بكلام لا يعقلون معناه * ليس منقولاً عن الأنبياء حتى يسلم لقائله بل هم ابتدعواه ، وإذا سألهم عن معناه قالوا : هذا لا يعرف بالعقل فيتدعون كلاماً يعرفون بأنهم لا يعقلونه *^(٤) ، وهو كلام متناقض ينقض أوله آخره ؛ ولهذا لا تجدهم يتفقون على قول واحد في معبودهم حتى قال بعض الناس : لو اجتمع عشرة نصارى ، افترقوا على أحد عشر قولأ .

وقال الربعي^(٥) : النصارى أشد الناس اختلافاً في مذاهبهم ،

(١) سورة مريم : الآية ٣٨.

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٧.

(٣) سورة الكهف : الآيات ٤ ، ٥.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ ، وزدناه من سائر النسخ .

(٥) لعله : محمد بن عبد الله بن أحمد الربعي : مؤرخ من حفاظ الحديث ، كان محدث =

وأقلهم تحصيلاً لها، لا يمكن أن^(١) يعرف لهم مذهب، ولو سالت قسًا من أقساهم عن مذهبهم في المسيح، سألت أباه وأمه لاختلفوا عليك الثالثة، ولقال كل واحد منهم قولًا لا يشبه قول الآخر.

وقال بعض النظار: و^(٢) ما من قول يقوله طائفة من العقلاة إلا إذا تأملته تصورت^(٣) منه معنى^(٤) معمولاً وإن كان باطلًا، إلا قول النصارى فإنك كلما تأملته لم^(٥) تتصور له حقيقة تعقل لكن غايتها أن يحفظوا الأمانة أو غيرها، وإذا طولبوا^(٦) بتفسير ذلك فسره كل منهم بتفسير يكفر به الآخر، كما يكفر اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية بعضه ببعضًا لاختلافهم في أصل التوحيد والرسالة إذ كان قولهم في التوحيد. والرسالة من أفسد الأقوال وأعظمها تناقضًا كما بين في موضع آخر.

● ● ●

دمشق وابن قاضيها، له تصانيف منها: أخبار ابن أبي ذئب، وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ووصايا العلماء عند حضور الموت، مات سنة ٥٣٧٩هـ.
انظر: شذرات الذهب ٩٥/٣؛ وال عبر للذهبي ١٢/٣؛ و تذكرة الحفاظ ١٧٩/٣؛
والأعلام للزركلي ٢٢٥/٦؛ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٩٦/١٠.
أما النص الذي ذكره المؤلف — رحمة الله — فلم أقف عليه، فلعله ورد في كتاب له
لم ير النور والله أعلم.

(١) سقطت (أن) من أ، وألحقتها من سائر النسخ.

(٢) في س، ث، ط (ما) بدون واو.

(٣) في ط (لم تصورت) وهو خطأ.

(٤) في س، ث (يعني) وهو تصحيف.

(٥) سقطت (لم) من ط.

(٦) في ط (طويلبوا).

فصل

وأما قولهم: فكان طيراً بإذن الله. أي: بإذن الlahوت الذي هو كلمة الله المتجدة في الناسوت، فهذا إذا قالوه على أنه مذهبهم من غير أن يقولوا أن محمداً أراده تكلمنا معهم في ذلك وبيننا فساد ذلك عقلاً ونقلأ.

وأما قولهم: أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: أن المراد إذن الlahوت الذي هو كلمة الله المتجدة في الناسوت، فهذا من البهتان الظاهر على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو من جنس قولهم أن قوله:

﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾^(١).

أراد به: النصارى. ومن جنس قولهم أن قوله:

﴿وَمَنْ يَبْتَغَ عَدَلَيْنَا إِلَيْسَنَا دِينًا...﴾^(٢).

أراد به: العرب^(٣)، ومن جنس قولهم:

﴿لَقَدْ أَرَزَّنَا رُسَلًا مِّنْ أُنْفُسِ أَهْلِ الْأَرْضِ...﴾^(٤).

أراد بهم: الحواريين، ومن جنس قولهم:

(١) سورة الفاتحة: الآيات ٦، ٧. (٣) في أ، س، ك زبادة (من).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥. (٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

﴿الْمَ ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَرَبِّ فِيهِ هُدَىٰ لِلشَّقِيقِينَ ٢﴾^(١).

أراد به الإنجيل، فهذه المواقع التي فسروا بها القرآن وزعموا أنَّ محمداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الذي بين للناس ما أنزل إليهم، كان ي يريد بما^(٢) يتلوه من القرآن هذه المعاني التي ذكروها هي^(٣) من الكذب الظاهر الذي يدل على غاية جهل قائلها، أو غاية معاندته، ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى، فإنهم قد فسروا مواقع كثيرة من التوراة والإنجيل، والزبور، والنبوات بنحو هذه التفاسير التي حرفوا فيها الكلام الذي جاءت به الأنبياء عن مواقعه تحريفاً ظاهراً، فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله، وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدلوا، وإن

اختلت جهة التحريف والتبدل، فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم تشباهه^(٤) للتوراة والإنجيل وهم من الذين يدعون المحكم ويتبعون ما نشأ به منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لكن في هذه المواقع حرفوا المحكم الذي معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحداً فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد من الصواب ممن حرف معنى المتشابه، وذلك أنه قد علم بالاضطرار من دين محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه كان يقول: أنَّ المسيح عبد الله^(٤) مخلوق كسائر المرسلين وأنَّه يكفر النصارى الذين يقولون: هو الله أو^(٥) ابن الله.

قال – تعالى – :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنَّ أَرَادَ أَنْ يُهَلِّكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمْكَنَهُ﴾

(١) سورة البقرة: الآيات ١، ٢. (٤) في ط (عند الله).

(٢) في س، ك، ط (بها ما). (٥) في ط (و).

(٣) في ط (وهي).

وَمَنِ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

وقال – تعالى – :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيَمٍ وَقَالَ الْمَسِيحُ
يَأَنْتُ إِسْرَئِيلَ أَعْبُدُهُ أَنَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّمَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَاوِنَهُ الْتَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٦١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةَ وَمَا كَانَ إِلَيْهِ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنَّمَا يَنْتَهُونَ عَمَّا يَقُولُونَ
لَيَسْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ أَفَلَا يَشْوُبُونَ إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيَمٍ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْمَهُ صِدِّيقَةٌ كَانَتْ يَأْكُلَانَ الطَّعَامَ أَنْظَرَ
كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْأَيَّتِ شَهَادَةً أَنْظَرَنَا فَيُؤْفَكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَا تَغُلوْ فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَسْتَبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْ مِنْ
قَبْلٍ وَأَضَلُّوا أَكْثَرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّكِينِ ﴿٦٦﴾ .

فقد ذكر كفر النصارى في قولهم : هو الله مرتين ، وذكر أنه ليس
المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فغايتها الرسالة كما قال في
محمد – صلى الله عليه وسلم – :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ . . . ﴿٦٧﴾ .

(١) سورة المائدة: الآية ١٧ .

(٢) سورة المائدة: الآيات ٧٢ – ٧٧ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤ .

وغاية أمه أن تكون صديقة ودل بهذا أنها ليست بنبيه^(١)، ثم قال:
كَانَا يَأْكُلَانِ الْطَّعَامَ.

وهذا من أظهر الصفات النافية للإلهية؛ لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات.
والرب – تعالى – أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

(١) قول جمهور العلماء أن مريم – رضي الله عنها – ليست نبية، وإنما هي صديقة. أما ابن حزم في كتابه الفصل ١٧/٥ – ١٩، فقد عقد فصلاً بعنوان «نبوة النساء» وانتصر فيه للقول بأنها نبية، كذلك فعل القرطبي في تفسيره ورجم أنها نبية ٩٠/١١ (مجلد ٦) [الأية ١٦ من سورة مريم]، فقال: «وأختلف الناس في نبوة مريم، فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال والمحاورة للملك، وقيل: لم تكن نبية، وإنما كلّمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما رؤي جبريل – عليه السلام – في صفة دحية الكلبي... والأول أظهر»، وقد تناول هذا أكثر وذكر أدلته في تفسير سورة آل عمران ٨٣/٤ – ٨٤.

وقد زاد عليه ابن حزم بآيات نبوة أم موسى – عليه السلام – في الفصل ١٨/٥ والصحيح قول جمهور العلماء – رحمهم الله – أن مريم لم تكن نبية، وكذلك أم موسى جاء في شرح مسلم للنبوة: «قال القاضي عياض: هذا الحديث – كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وأسية...» إلخ. هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء، ونبوة آسية ومريم، والجمهور على أنهمما ليستا بنبيتين بل هما صديقتان ووليتان من أولياء الله – تعالى – ، ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء، وتناهيه في بابه، والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل، وخلال البر والتقوى.

ثم قال النبوة: وهذا الذي نقله من القول بنبوتهما غريب ضعيف، وقد نقل عن جماعة الإجماع على عدمها والله أعلم.

انظر: صحيح مسلم بشرح النبوة ١٩٨/١٥ – ١٩٩ (مجلد ٨)؛ باب فضائل خديجة رضي الله عنها؛ وتفسير القرطبي ٨٣/٤ – ٨٤، ٩٠/١١؛ والفصل لابن حزم ١٨/٥؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦٤٤/٢ – ٦٤٥؛ والنبوة والأنباء للصابوني ص ١٢.

والنصارى يقولون^(١) : إنه يلد، وأنه يولد، وأن له كفواً كما قد بين في موضع آخر، وقد أخبر بعبودية المسيح في غير موضع كقوله – تعالى –

﴿ وَلَمَّا صَرَبَ أَبْنَى مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوا أَلَيَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضِرٌ يُوَهُ لَكَ إِلَاجْدَلًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِّمُونَ ٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا أَعْبَدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . . . ٥٩ ٤٢ . ٢﴾

وأخبر – تعالى – أن أول شيء نطق به المسيح قوله :

﴿ . . . إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَلَنِي الْكِتَبَ وَجَعَلَنِي بَنِيًّا ٤٣ . ٣﴾

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَسُوعَى ابْنَ مَرِيمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْخُذُونِي وَأَمِّي إِلَيْهِنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْبَحْنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ . . . ٤٤ . ٤﴾

الآيات – إلى قوله : ﴿ . . . شَهِيدٌ ٤٥ . ٤﴾

وقال – تعالى – :

﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَبُ لَا تَقْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمٍ . . . ٤٦ . ٥﴾

الآيات كلها.

فإذا كان قد علم بالاضطرار من دين محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وبالنقل المتواتر عنه، وبإجماع أمه إجماعاً يستندون فيه

(١) في س، ك، ط (تقول).

(٢) سورة الزخرف: الآيات ٥٧ – ٥٩.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٠.

(٤) سورة المائدة: الآيات ١١٦ – ١١٧.

(٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

إلى النقل عنه، وبيكتابه المنزل عليه وستته المعروفة عنه^(١) أنه كان يقول: أن المسيح عبد الله ورسوله ليس هو إلا رسول، وأنه يكفر النصارى الذين يقولون: هو الله وهو ابن الله، والذين يقولون: ثالث ثلاثة وأمثال ذلك، كان بعد هذا تفسيرهم لقول الله الذي بلغه نبيه محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيكون طيراً بإذن الله، أي: بإذن الlahوت الذي هو كلمة الله المتحدة بالناسوت كذباً ظاهراً على محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وهذا مما يعرف كذبهم فيه على محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جميع أهل الأرض العالم بحال محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، سواء أقروا بنبوته أو أنكروها.

فالمقصود في هذا المقام: أن هؤلاء كذبوا على محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كذباً ظاهراً معلوماً للخلق المؤمنين به والمكذبين له ليس هو كذباً خفياً.

وإن قدر أن^(٢) ما قالوه يكون معقولاً، فكيف إذا كان ممتنعاً في صرائح العقول؟ بل هو قول غير معقول، أي: غير معقول ثبوته في الخارج، وإن كان يعقل ما يختلفون ويعلم به فساد عقولهم لمن قال سائر الأقوال المتناقضة الفاسدة التي يمتنع ثبوتها في الخارج، وذلك كما قد بسط في موضع آخر^(٣)، فإن قولهم: بإذن الlahوت الذي هو

(١) جملة (وبيكتابه المنزل وستته المعروفة عنه) ساقطة من ك.

(٢) سقطت (أن) من أ.

(٣) سبق الحديث عن افترائهم على النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وزعمهم بأن كلامه متناقض والرد على هذه الفرية في أول الكتاب. وفي غير ذلك الموضع في مواضع متعددة من هذا الكتاب وفي مجموع الفتاوى الجزء السابع عشر منه تحدث فيه عن هذه القضية في مواضع متفرقة.

كلمة الله المتحدة في الناسوت باطل من وجوه:

منها: أن تلك الكلمة إما أن تكون هي الله أو صفة لذاته، أو لا هي ذاته ولا^(١) صفة له، أو الذات والصفة جمِيعاً.

فإن لم تكن هي ذات الله ولا صفتة، ولا الذات والصفة كانت بائنة عنه مخلوقة له، ولم يكن لاهوتاً، بل ولا خالقه، وحيثئذ فلم يتحد بالMessiah لاهوت، بل إن لم يتحد به إنه كان اتحد به إلا مخلوق.

وإن كانت الكلمة هي الذات أو الذات والصفة فهي رب العالمين، وهي الآب عندهم، وهم متفقون على أن المسيح ليس هو الآب، ولم يتحد به الآب بل الابن.

وإن كانت الكلمة صفة الله – عز وجل – ، صفة الله ليست هي الإله الخالق والمسيح عندهم هو الإله الخالق، وأيضاً صفة الله قائمة بذاته لا تفارق ذاته وتحل بغيره وتتحد به وكلمة الله عندهم اتحدت بالMessiah.

وإن قالوا: قولنا هذا كما تقول^(٢) طائفة من المسلمين: إن القرآن أو التوراة، أو الإنجيل حل في القراء أو اتحد بهم، وأن القديم حل في المخلوق أو اتحد به، ونحو ذلك.

قيل: لو كان قول هؤلاء صواباً لم يكن لهم فيه حجة، فإنه على هذا التقدير لا فرق بين المسيح وبين سائر من يقرأ التوراة، والإنجيل، والزبور والقرآن، وأنتم تدعون أن المسيح هو الله أو ابن الله مخصوصاً بذلك دون غيره، وأيضاً فهؤلاء وجميع الأمم متفقون على أن قراء

(١) في ط (ولا هي).

(٢) في ط (يقول) بالمنشأة التحتية.

القرآن، وسائر الكتب الإلهية ليس واحد منهم هو الله، ولا هو ابن الله، ولا أنه خالق للعالم، فإذا جعلتم قولكم مثل قول هؤلاء لزمامكم أن لا يكون المسيح هو الله، ولا ابن الله، ولا ربا للعالم، وأيضاً فلم نعلم أحداً من هؤلاء قال: أن الالاهوت اتحد بالناسوت ولا أن القديم اتحد بالمحdet، ولا أن كلام الله صار هو والمخلوق شيئاً واحداً، فالاتحاد باطل باتفاق هؤلاء وغيرهم.

ولكن طائفة منهم أطلقت لفظ الحلول، وطائفة أنكرت لفظ الحلول، وقالوا: إنما نقول ظهر القديم في المحدث لا حل فيه، لكن قالوا ما يستلزم الحلول.

وسلف المسلمين وجمهورهم يخطئون هؤلاء، ويبينون خطأهم عقلاً ونقلأً، وقولهم ليس هو قول أحد من أئمة المسلمين، ولا قول طائفة مشهورة من طوائف المسلمين كالمالكية^(١) والشافعية^(٢)،

(١) نسبة إلى الإمام مالك بن أنس الأصبهني الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعه ولد في المدينة سنة ٩٣هـ . وتوفي بها سنة ١٧٩هـ . كان قرياً صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، صنف الموطأ، وله رسالة في الوعظ وفي الرد على الفدرية ، وتفسير غريب القرآن وغيرها.

انظر: تهذيب التهذيب ٥/١٠؛ والانتقاء لابن عبد البر ص ٨ - ٣٦ وتنزكرة الحفاظ ١/٢٠٧؛ وطبقات الحفاظ ص ٩٦ (١٨٩)؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٥٧.

(٢) نسبة إلى محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المطibli الشافعى، أحد الأئمة الأربعه، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ . وحمل إلى مكة وهو صغير، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ برع في العلوم، وصنف وأفقي وهو ابن عشرين سنة، ومن تصانيفه الأم في سبع مجلدات وهو في الفقه، والرسالة، والمسند وغيرها.

انظر: تهذيب التهذيب ٩/٢٥؛ وتنزكرة الحفاظ ١/٣٦١؛ والانتقاء ص ٦٦؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١/٤٤؛ وطبقات الحفاظ ص ١٥٧ (٣٣٦)؛ والأعلام للزركلي ٦/٢٦.

والحنفية^(١)، والحنبلية^(٢)، والثورية^(٣)، والداودية^(٤)، والإسحاقية^(٥)،

(١) نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، الفقيه المجتهد أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة ونشأ بها من تصانيفه المسند في الحديث والمخارج في الفقه، والفقه الأكبر، مات — رحمه الله — ببغداد سنة ١٥٠ هـ .
انظر: البداية والنهاية ٩٧/١٠، ١٠٧؛ والانتقاء ص ١٢٢؛ والأعلام ٣٦/٨؛ وطبقات الحفاظ ص ٨٠ (١٥٦)؛ وتذكرة الحفاظ ١/١٦٨ .

(٢) نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، إمام المذهب الحنبلية وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، رحل في سبيل العلم رحلات طويلة وكثيرة، امتحن بالقول بخلق القرآن في زمن المعتضم وسجين سنتين وأربعة أشهر — رضي الله عنه — . من تصانيفه المسند في ستة مجلدات، والناسخ والمنسوخ والرد على الزنادقة والجهمية، وغيرها. مات — رحمه الله — سنة ٢٤١ هـ .
في زمان المتوكل .

انظر: البداية والنهاية ١٠/١٠ — ٣٢٥؛ وطبقات الحنابلة ١/٤ — ٢٠؛ طبقات الحفاظ ص ١٨٩ (٤١٧)؛ وتذكرة الحفاظ ٢/٤٣١ .

(٣) نسبة إلى سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، سيد أهل زمانه ولد سنة ٩٧ هـ في الكوفة، مات بالبصرة سنة ١٦١ هـ ومن تصانيفه الجامع الكبير والجامع الصغير في الحديث وكتاب في الفرائض .
انظر: طبقات الحفاظ ص ٩٥ (١٨٨)؛ وتذكرة الحفاظ ١/٢٠٢ .

(٤) نسبة إلى داود بن علي الأصبهاني الملقب بالظاهري، تنسب إليه الظاهيرية، وسميت بذلك لأنها بظاهر الكتاب والسنة، دون التأويل والرأي والقياس، ولد في الكوفة سنة ٢٠١ هـ ، له تصانيف كثيرة ذكرها ابن النديم في زهاء صفحتين توفي ببغداد سنة ٢٧٠ هـ .

انظر: الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣ — ٣٠٥؛ ولسان الميزان ٢/٤٢٢؛ وتذكرة الحفاظ ٢/٥٧٢؛ وميزان الاعتدال ٢/١٤؛ وطبقات الحفاظ ص ٢٥٧ (٥٧١)؛ والأعلام ٢/٣٣٣ .

(٥) نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي التيمي المروزي، ولد سنة ١٦١ هـ ، عالم خراسان في عصره من سكان مرو، أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه أحمد والبخاري ومسلم والترمذى والنسائي وغيرهم من تصانيفه المسند وغيره مات رحمه الله سنة ٢٣٨ هـ بنيسابور .

وغيرهم، ولا قول طائفةٍ من طوائف المتكلمين من المسلمين، لا المنتسبين إلى السنة كالأشعرية، والكرامية ولا غيرهم كالمعتزلة والشيعة، وأمثالهم وإنما قال ذلك طائفة قليلة انتسبت إلى بعض علماء المسلمين مثل قليل من المالكية، والشافعية، والحنبلية، وهؤلاء غایتهم أن يقولوا بحلول صفة من صفات الله، وكذلك من قال بحلول الرب واتحاده في العبد من طوائف الغلاة المنتسبين إلى التشيع، والتتصوف أو غيرهم، فهم ضلال كالنصارى مع أنه لا حجة للنصارى على هؤلاء؛ إذ كان ما يقولونه لا يختص به المسيح، بل هو مشترك بينه وبين غيره من الأنبياء، والصالحين.

والنصارى تدعى اختصاص المسيح بالاتحاد مع أن المتحد بالناسوت صار هو^(١) والناسوت شيئاً واحداً، ومع الاتحاد فيمتنع أن يكون لأحدهما فعل أو صفة خارج عن الآخر، والنصارى يدعون الاتحاد ثم يتناقضون. فمنهم من يقول: جوهر واحد، ومنهم من يقول: جوهران، ومنهم من يقول: مشيئه واحدة، ومنهم من يقول: مشيئان، كما سيأتي الكلام – إن شاء الله تعالى – على ذلك^(٢).

• • •

انظر: تهذيب التهذيب ٢١٦/١؛ وطبقات الحنابلة ١٠٩/١؛ وطبقات الحفاظ ص ١٩١ (٤١٨)؛ وتنذكرة الحفاظ ٤٣٣/٢.

(١) في جميع النسخ زيادة (هي).

(٢) سيتحدث عن ذلك في مواضع متفرقة من هذا الكتاب، وخصوصاً في الجزء الثاني منه.

فصل

وأما قوله – تعالى – :

﴿... يَعِسَى إِنِّي مُتَوَقِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُظْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءُكَ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾^(١).

فهذا حق كما أخبر الله به، فمن اتبع المسيح – عليه السلام – جعله الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة وكان الذين اتبعوه على دينه الذي لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود، وأيضاً فالنصارى فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيمة.

وأما المسلمين فهم مؤمنون به ليسوا كافرین به بل لما بدل النصارى دينه وبعث الله محمداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء جعل الله محمداً وأمته فوق النصارى إلى يوم القيمة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأننا، إنه^(٢) ليس بيبي وبيبي نبي»^(٣).

وقال – تعالى – :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الَّذِينِ مَا وَصَّيْنَاهُ بِهِ، نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا نَنْفَرُ قُوَّافِيهِ...﴾^(٤).

رَدِّ دُعَوَّاهُم
الْفَضْلُ لَهُم
عَلَى
الْمُسْلِمِينَ
بِقَوْلِهِ
– تَعَالَى – :
﴿وَجَاءُكَ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَيَّ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ﴾

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) سبق تخریجه في أول الكتاب.

(٤) في ط (لأنه).

وقال – تعالى – :

﴿ يَأَيُّهَا أَرْسُلَكُو مِنَ الظَّبَّابِتِ وَأَعْمَلُوا صَنْلَحًا إِنِّي مَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ ﴾^(١)
وَإِنَّ هَذِهِ أَمْتَكُمْ أُمَّةً وَنِجَادَةً وَإِنَّ رَبَّكُمْ فَالْقَوْنُ ﴾٢﴿ فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُنَّ بِنَمْهٍ زَبَرًا كُلُّ
جِزْبٍ بِمَا لَدُّهُمْ فَرِحُونَ ﴾^(١).

فكل من كان أتم إيماناً بالله ورسله، كان أحق بنصر الله
– تعالى – ؛ فإن الله^(٢) يقول في كتابه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ صَرَرُوا رُسُلَنَا وَالَّذِينَ لَمْ يَأْمُنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ
أَلَا أَشَهَدُ ﴾^(٣).

وقال في كتابه :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٤) إِنَّهُمْ الْمَنْصُورُونَ ﴾١٧١﴿ وَإِنَّ جُنَاحَنَا
لَهُمُ الْغَنَّابُونَ ﴾^(٤).

واليهود كذبوا المسيح ومحمدًا – صلى الله عليهما وسلم – كما
قال الله فيهم :

﴿ يُشَكِّمَا أَشَرَّرَ وَأَوْيَهَ وَأَنْفَسَهُمْ أَنْ يَكُفُّرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْيَانًا أَنْ يُنَزَّلَ
الَّهُ مِنْ فَصْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَأْءَهُ وَيَغْضِبُ عَلَى غَضَبٍ . . . ﴾^(٥).

فالغضب الأول : بتكذيبهم^(٦) المسيح ، والثاني : بتكذيبهم
لمحمد^(٧) – صلى الله عليه وسلم – والنصارى لم يكذبوا المسيح ،
فكانوا^(٨) منصورين على اليهود ، والمسلمون منصورون على اليهود

(١) سورة المؤمنون : الآيات ٥١ – ٥٣. (٦) في ك ، ط (تكذيبهم).

(٢) في ط (إن الله تعالى).

(٣) سورة غافر : الآية ٥١.

(٤) سورة الصافات : الآيات ١٧١ – ١٧٣. (٨) في ك ، ط (وكانوا).

(٥) سورة البقرة : الآية ٩٠.

والنصارى، فإنهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله، ولم يكذبوا بشيء من كتبه ولا كذبوا أحداً من رسله، بل اتبعوا ما قال الله لهم، حيث قال:

﴿فُلُوَّا مَمْتَأْيَا لِلَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَلِسَمْعَيْلَ وَلِسَحْقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْقِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ﴾^(١).

وقال - تعالى - :

﴿إِنَّمَا أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَا تَرَكَ كَبِيرٌ وَكَبِيرٌ وَرَسُولٌ لَا نَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا أَغْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمُصِيرُ﴾^(٢).

ولما^(٣) كان المسلمين هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح وغيره، وكان الله قد وعد أن ينصر^(٤) الرسل وأتباعهم قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(٥).

وقال أيضاً: «سألت ربي أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فيجتازهم فأعطانيها»^(٦) الحديث.

فكان ما احتجوا به حجة عليهم لا لهم.

• • •

(٤) سقطت (أن ينصر) من ك، ط.

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٥) سبق تخربيجه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٦) سبق تخربيجه.

(٣) في س (فلما).

فصل

وأما قوله – تعالى – (١) :

﴿... وَإِنَّا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيْتَنِتِ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ...﴾ (٢).

بيان معنى فهو (٣) حق كما أخبر الله به، وقد ذكر – تعالى – تأييد عيسى بن مريم بروح القدس في عدة مواضع، فقال – تعالى – في سورة البقرة: ﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَإِنَّا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيْتَنِتِ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ...﴾ (٤). وقال – تعالى – :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ درَجَتٍ وَإِنَّا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيْتَنِتِ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ وَلَوْشَاءُ اللَّهِ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَ نَهْمُ الْبَيْتَنِتُ وَلَكِنَّ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْشَاءُ اللَّهِ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٥). وقال – تعالى – :

﴿... يَعِيسَى ابْنَ مَرِيمَ أَذْكُرْ نَعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى الْدَّرِيَّكَ إِذْ أَيَّدْتَكَ بِرُوحِ الْقُدْسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَمْتَكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّوْرَةَ وَالْأِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَّةً الطَّيْرِ إِذْ فِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

(١) في ك، ط (واما قولهم).

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٣) في س (فهذا) وفي ك، ط (فهذا حق كما قال تعالى).

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

طَيْرًا بِإِذْنِ وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ . . . (١).

وقال – تعالى – في القرآن:

«وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١١١ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ يَأْلِمُ الْحَقَّ» (٢).

وقال – تعالى – :

«نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١١٢ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ» (٣).

وقال – تعالى – :

«قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا» (٤).

فروح القدس الذي نزل (٥) بالقرآن من الله هو الروح الأمين، وهو جبريل.

وثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول لحسان بن ثابت: «أجب عني اللهم أいで بروح القدس» (٦).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٢) سورة النحل: الآيات ١٠١، ١٠٢.

(٣) سورة الشعرا: الآيات ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٥) في س (ينزل).

(٦) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد ١/١٦٦، وفي كتاب بده الخلق بباب ذكر الملائكة – صلوات الله عليهم – ٤/٧٩؛ ومسلم في فضائل الصحابة، بباب فضائل حسان – رضي الله عنه – ٤/١٩٣٣، (١٥١)، (١٥٢)؛ وأحمد في مسنده أبي هريرة ٢/٢٢٢، ٥/٢٦٩؛ والحميدي في مسنده ٢/٤٧٠، (١١٠٥).

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لحسان بن ثابت^(١): «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»^(٢).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»^(٣).

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، شاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش في الجاهلية ٦٠ سنة ومثلها في الإسلام وعمي قبل وفاته، مات - رضي الله عنه - بالمدينة سنة ٥٤ هـ ، حفظ بعض شعره في ديوان مطبوع.

انظر: تهذيب التهذيب ٢٤٧/٢؛ والإصابة لابن حجر ٣٢٥/١ (١٧٠٤)؛ والأعلام ١٧٥/٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان ١٩٣٦/٤ (١٥٧)؛ ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر ٢٨٠/٥ (٥٠١٥)، ورواه الترمذى في الأدب، باب إنشاد الشعر ١٣٨/٥ (٢٨٤٦)، ورواه أحمد في مسنده من حديث عائشة ٧٢/٦.

المنافحة: المدافعة، ومنه قولهم نفتح الرجل بالسيف إذا تناولته من بعد وفتحته الدابة إذا أصابته بحد حافرها.

انظر: معالم السنن للخطابي ٢٨٠/٥، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، رواه البخاري في كتاب المغازي ٦١/٥؛ وفي المناقب ١٦٢/٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ٥١/٥؛ وروى مسلم في كتاب فضائل الصحابة بباب فضائل حسان بن ثابت - رضي الله عنه - ١٩٣٢/٤ (١٥٢)؛ وأحمد في مسنده ٢٨٦/٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣ من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - .

فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله، وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل - عليه السلام - وأهل الأرض يعلمون أن محمدًا - صلَّى الله عليه وسلم - لم يكن يجعل اللاهوت متحداً بناسوت^(١) حسان بن ثابت، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرؤن بذلك وأن غيره من الأنبياء كان مؤيداً بروح القدس، كداود وغيره، بل يقولون إن الحواريين كانت فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح، بل في غير الأنبياء كما سيأتي إن شاء الله^(٢).

وإنما المقصود في هذا المقام، بيان كذبهم على محمد - صلَّى الله عليه وسلم - وهذا التأييد نظير قوله - تعالى - :

﴿لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكَائِنُوا إِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٣).

فهذا التأييد بروح منه عام لكل من لم يحب أعداء الرسل وإن كانوا أقاربه، بل يحب من يؤمن بالرسل وإن كانوا أجانب، ويبغض من لم يؤمن بالرسل وإن كانوا أقارب وهذه ملة إبراهيم.

(١) في ط (بناسوت) وهو خطأ ظاهر.

(٢) في ك، ط (إن شاء الله تعالى).

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

وقال – تعالى – :

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُشْوَى حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَإِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرِءَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِمَا يَنْبَغِي لَنَا وَبِمَا كُمْ الْعَدُوُّ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَهُنَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . . .﴾^(١).

وقال – تعالى – :

﴿وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَأَ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

وقال^(٣) : « . . . فَلَمَّا بَيْنَ لَهُ وَآتَهُ عَدُوُّهُ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . . . »^(٤).

وهذا التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب كما تقدم^(٥) وليس في القرآن، ولا في الإنجيل، ولا غير ذلك من كتب الأنبياء أن روح القدس الذي أيد به المسيح هو صفة الله القائمة به وهي حياته ولا أن روح القدس رب^(٦) يخلق ويرزق فليس روح القدس هي الله، ولا صفة من صفات الله، بل ليس في شيء من كلام الأنبياء أن صفة الله القائمة به تسمى ابنًا، ولا روح القدس.

فإذا تأول النصارى قول المسيح^(٧) عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس على أن الابن صفتة التي هي العلم، وروح

(١) سورة الممتحنة: الآية ٤.

(٢) سورة الزخرف: الآيات ٢٦ – ٢٨.

(٥) في س (كما كان تقدم).

(٦) سقطت (رب) من ك. ط.

(٧) هذا على التسليم بأنه قال ذلك، وإنما لم يثبت بطريق صحيح كما سيوضح الشيخ – رحمة الله – في موضع عديدة.

القدس صفتة التي هي الحياة، كان هذا كذباً بينماً على المسيح، فلا^(١) يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء تسمية الله، ولا شيئاً من صفاتة ابناً، ولا حياته روح القدس.

وأيضاً: فهم يذكرون في الأمانة أن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس وهذا يوافق ما أخبر الله به من أنه أرسل روحه الذي هو جبريل، وهو روح القدس فنفخ في مريم فحملت باليسوع، فكان المسيح متجسدأً^(٢) مخلوقاً من أمه ومن^(٣) ذلك الروح – وهذا الروح ليس صفة لله^(٤)، لا حياته ولا غيرها، بل روح القدس قد جاء ذكرها كثيراً في كلام الأنبياء، ويراد بها إما الملك، وإما ما يجعله الله في قلوب أنبيائه وأوليائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك كما قال – تعالى – :

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٥).

وقال – تعالى – :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ تَدْرِي مَا أَلْكَتُ بِهِ وَلَا أَلِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ ثُورًا هَدِيٌّ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٦).

(١) في ك، د (ولا).

(٢) في س (متحداً).

(٣) في ك، ط (من) بدون واو.

(٤) في ك، ط (الله).

(٥) سورة المجادلة: الآية ٢٢، وفي التفسير قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – : قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا، وسمى نصره لهم روحأ لأن به يحيا أمرهم، وقيل: هو نور القلب، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن والحجۃ، وقيل: بجبريل، وقيل: بالإيمان، وقيل: برحمة.

انظر: فتح القدیر ١٩٣/٥.

(٦) سورة الشورى: الآية ٥٢. قال ابن كثير الوحي هنا: القرآن ٤/١٢٢ من تفسيره.

وقال – تعالى – :

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوهُ أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَإِنَّقُونَ﴾^(١).

وقال – تعالى – :

﴿ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ الْتَّلَاقِ﴾^(٢).

فسمى الملك روحًا وسمى ما ينزل به الملك روحًا وهما متلازمان،
واليسعى – عليه السلام – مؤيد بهذا وهذا.

ولهذا قال كثير من المفسرين: إنه جبريل، وقال بعضهم: إنه
الوحى، وهذا كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد
بالجاسوس صاحب سر الشر فيكون الناموس جبريل، ويراد به الكتاب
الذى نزل به وما فيه من الأمر والنهى والشرع، ولما^(٣) قال ورقة بن نوفل
للنبي – صلى الله عليه وسلم – : «هذا هو الناموس الذى كان يأتي
موسى»^(٤)، فسر الناموس بهذا وهذا وهمما متلازمان.

● ● ●

(١) سورة النحل: الآية ٢.

المراد بالروح هنا الوحي كما ذكر المفسرون قال الشوكاني – رحمة الله – سمي
الوحى روحًا، لأنه يحيى قلوب المؤمنين، فإن من جملة الوحي القرآن، وهو نازل
من الدين منزلة الروح من الجسد. انظر: فتح القدير ١٤٧/٣.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

(٣) في أ (قلمما) وفي س (فلما)، وصححناه من ك، ط.

(٤) سبق تخریجه في أول الكتاب.

فصل

وأما قوله – تعالى – :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُ وَرَسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ ﴾٢٥﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذِرِّيَّتِهِمَا الْبُوَّةَ وَالْكِتَبَ فِيهِمْ مُهَنْدِهُ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾٢٦﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَإِتَّيْنَاهُ الْأَنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبَبَنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُمْ رَضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَأَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَأَتَيْنَا الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾٢٧﴾ (١).

الرَّهْبَانِيَّةُ عَلَى
الْمُنَصَّارِ فِي
احْجَاجِهِمْ
بِآيَةِ سُورَةِ
الْحَدِيدِ عَلَى
مَدْحِ الرَّهْبَانِيَّةِ

فهو حق كما قال – تعالى – وليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح ، وإنما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ .

ثم قال: ﴿ . . . وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبَبَنَا عَلَيْهِمْ ﴾ .

أي وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم « وهذه الرهبانية لم يشرعها الله (٢) ولم يجعلها مشروعة لهم ، بل نفي جعله عنها كما نفي ذلك عما

ابتدعه المشركون بقوله :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَابِقَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ ﴾ (٣) .

(١) سورة الحديد: الآيات ٢٥ – ٢٧ .

(٢) في أ ، س (لهم) بدل (الله) . (٣) سورة المائدة: الآية ١٠٣ .

وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذي أثبته للمشروع بقوله - تعالى - : **﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾**^(١) .

وقوله : **﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ نَاسِكُوهُ﴾**^(٢) .

فالرهبانية ابتدعواها لم يشرعها الله . وللناس في قوله : «ورهبانية»

قولان :

أحدهما : أنها منصوبة^(٣) : يعني ابتدعواها إما بفعل مضمر^(٤) يفسره ما بعده ، أو يقال هذا الفعل عمل^(٥) في المضمر والمظاهر كما هو

(١) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٢) سورة الحج : الآية ٦٧ .

(٣) إذا نسبت كان في إعرابها وجهان :

- ١ - رهبانية : معطوف على ما قبله ، وابتدعواها (الجملة) في موضع صفة رهبانية .
- ٢ - ذهب أبو علي الفارسي ، والزمخشري إلى أنها منصوبة على إضمار فعل يفسره ما بعده فهي من باب الاشتغال . قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٢٨/٨ : «وهذا إعراب المعتزلة ، وكان أبو علي معتزلياً ، وهم يقولون ما كان مخلوقاً لله لا يكون مخلوقاً للعبد ، فالرأفة ، والرحمة من خلق الله ، والرهبانية من ابتداع الإنسان فهي مخلوقة له ، وهذا الإعراب ليس بجيد...». وقال ابن هشام في مغني اللبيب ٦٣٩/٢ : «والمشهور أنه عطف على ما قبله ، وابتدعواها صفة ، ولا بد من تقدير مضارف أي : وحب رهبانية ، وإنما لم يحمل أبو علي الآية على ذلك لاعتزاله فقال : لأنما يبتدعونه لا يخلقه الله - عز وجل -». اهـ .

وانظر في هذا زيادة على ما تقدم : التبيان في إعراب القرآن للعكري ص ١٢١١ ، ومغني اللبيب لابن هشام ٦٣٩/٢ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم لعبد الحالى عضيمة / القسم الثالث / ١٦ - ١٧ ، وتفسير القرطبي ٢٦٣/١٧ (مجلد ٩) .

(٤) في أ ، س جملة زائدة بعد كلمة (مضمر) ، وجاءت هكذا (بفعل مضمر على قوله وأصحابه يفسره...) إلخ ، ويبدو لي أن جملة (على قوله وأصحابه) زائدة لا مكان لها .

(٥) في ط (يعلم) .

قول الكوفيين^(١). حكاه عنهم ابن جرير^(٢) وثعلب^(٣) وغيرهما ونظيره قوله: «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، وَالظَّالِمِينَ أَعْدَدْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»^(٤). قوله: «فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ ...»^(٥). وعلى هذا القول، فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة، والرحمة.

والقول الثاني: * إنها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم^(٦) * الرأفة والرحمة والرهبانية^(٧) المبتدعة، ويكون هذا جعلاً

(١) قال ابن يعيش في باب الاشتغال: «وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب بالفعل الظاهر، وإن كان قد اشتغل بضميره؛ لأن ضميره ليس غيره، وإذا تعدى إلى ضميره كان متعدياً إليه». انظر: شرح المفصل ٢/٣٠.

(٢) ابن جرير: سبقت ترجمته.

(٣) ثعلب: هو أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، مولاه، اشتهر بالحفظ ومعرفة الغريب، ورواية الشعر القديم، وكان محدثاً، ولد سنة ٢٠٠هـ ببغداد، ومات بها سنة ٢٩١هـ، له تصانيف كثيرة منها: معاني القرآن، وإعراب القرآن والفصيح، وقواعد الشعر، وغيرها.

انظر ترجمته في: مراتب النحوين ص ١٥١؛ وطبقات النحوين أو اللغويين ص ١٥٥ – ١٦٧؛ وإنباء الرواة ١/١٣٨؛ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٦١٢؛ والأعلام ١/٢٥٢.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٠.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من س، وجاءت الجملة هكذا (القول الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة)، وهو ثابت في أ، ط، وأما في ك فسقط كلام كثير سنهده فيما بعد بعده أسطر.

(٧) نقل القرطبي في تفسيره ١٧/٢٦٣ (مجلد ٩)، عن الماوردي أن في (رهبانية) قراءتين: إحداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب، الثانية بضم الراء، وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان.

وانظر: لسان العرب ١/٤٢١؛ والنهاية ٢/١١٣.

خلفياً كونياً والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله - تعالى - :

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةَ يَدْعُونَ إِلَى الْتَّكَارِ . . . (١).

وعلى هذا القول: فلا ملح للرهبانية بجعلها^(٢) في القلوب، فثبتت على التقديرين أنه^(٣) ليس في القرآن مدح للرهبانية^(٤).

ثم قال: (إلا ابتغاء رضوان الله).

أي لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يبتدع، وهذا يسمى استثناء منقطعاً^(٥).

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٢) في س، ط (لأنها) بدل (يجعلها).

(٣) في س، ط (ثبت أنه على التقديرين).

(٤) سقطت (للرهبانية) من ط.

(٥) إذا استثنى بـلا وكان الكلام غير تام وهو الذي لم يذكر فيه المستثنى منه فلا عمل إلا، وهذا يسمى مفرغاً. وشرطه أن يكون الكلام غير إيجاب. أي سبقه نفي أو نهي أو استفهام إنكارى نحو: وما محمد إلا رسول، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فهل يهلك إلا القوم الفاسقون. وإن كان الكلام تاماً أي ذكر فيه المستثنى منه: فإن كان موجباً نصب المستثنى نحو فشربوا منه إلا قليلاً، وإن كان الكلام غير موجب فله حالان: إما أن يكون الاستثناء متصلة، والأرجح في ذلك اتباع المستثنى للمستثنى منه، بدل بعض عند البصريين أو عطف نسق عند الكوفيين، نحو ما فعلوه إلا قليل منهم أي لكن قليل منهم.

وأما أن يكون الاستثناء منقطعاً فإن لم يمكن تسلیط العامل على المستثنى وجب النصب بالاتفاق نحو ما زاد هذا المال إلا ما نقص. وإن أمكن التسلیط فالحجازيون ينصبون وجوباً نحو ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وتعیم يرجحونه ويجیزون الاتباع، نحو وبلدة ليس بها أئیس: إلا الیعافير والإعیس.

هذا ملخص ما ورد عن الاستثناء المفرغ والمتصل، والمنقطع.

وانظر: أوضح المسالك ص ٣٠٧؛ وشذور الذهب ص ٢٦٠.

كما في قوله :

﴿أَخْنَلَقُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا أَثْيَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوا﴾ (١).

وقوله - تعالى - :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ مِنْكُمْ بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَحْكِرَةً عَنْ تَرَاضِّي مِنْكُمْ وَلَا . . .﴾ (٢).

وقوله - تعالى - :

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى . . .﴾ (٣).

وقوله - تعالى - :

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعِذَابِ الْمِنْعِ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ إِمَّا نَعْلَمُ أَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَنْ نَوْيَ (٢٥)﴾.

وقوله - تعالى - :

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْغَوَّا لَا تَأْتِي مَا (٢٦) إِلَّا قِيلَ لِسَلَمَاسَلَمًا﴾ (٥).

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (٦).

وهذا أصح الأقوال في هذه الآية كما هو مبسوط في موضع

آخر (٧).

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧. (٤) سورة الانشقاق: الآيات ٢٠ - ٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٩. (٥) سورة الواقعة: الآيات ٢٥ - ٢٦.

(٣) سورة الدخان: الآية ٥٦. (٦) سورة النساء: الآية ٩٢.

(٧) في ط جملة زائدة هكذا (وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية) ولا مكان لها هنا حيث سأتأتي بعد أسطر قليلة في موضعها المناسب.

ولا يجوز أن يكون المعنى أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله ؛ فإن الله لا يفعل شيئاً ابتغاء رضوان نفسه ، ولا أن المعنى أنهم ابتدعواها ابتغاء رضوانه كما يظن هذا وهذا بعض الغالطين ، كما قد بسط في موضع آخر.

وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية ، وما رعوها حق رعایتها^(١) ، وليس في ذلك مدح لهم بل هو ذم ، ثم قال – تعالى – :

﴿فَعَانَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾^(٢).

وهم الذين آمنوا بمحمد – صلّى الله عليه وسلم – وكثير منهم فاسقون ، ولو أريد الذين آمنوا بال المسيح أيضاً فالمراد من اتبّعه على دينه الذي لم يبدل وإلّا^(٣) فكلّهم يقولون إنّهم مؤمنون بال المسيح ، وبكل حال فلم يمدح – سبحانه – إلّا من اتبّع المسيح على دينه الذي لم يبدل ، ومن آمن بمحمد – صلّى الله عليه وسلم – لم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد صلّى الله عليه وسلم^(٤).

فإن قيل : قد قال بعض الناس : إن قوله – تعالى – : ورهبانية ابتدعواها عطف على رأفة ورحمة ، وإن المعنى أن الله جعل في قلوب الذين اتبّعوه رأفة ورحمة ورهبانية أيضاً^(٥) ابتدعواها وجعلوا الجعل شرعاً

(١) من قوله : ولم يجعلها مشروعة لهم بل نهى جعله عنها – إلى هذا الموضع ساقط كلّه من نسخة ك ، أي من بعد بداية الفصل بأربعة أسطر إلى هذا الموضع ، أي حوالي (٣٠) سطراً.

(٢) سورة الحديد : الآية ٢٧.

(٣) في ك ، ط (والآن) ، وهو خطأ.

(٤) جملة (لم يمدح إلى آخرها) ساقطة من س.

(٥) سقطت (أيضاً) من س ، ك ، ط .

ممدوحاً. قيل: هذا غلظ لوجه:

منها: أن الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب، وإنما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه.

ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة، فإنهم لم يبتدعوها، وإذا كانوا ابتدعواها لم يكن قد شرعاها لهم، فإن كان المراد هو الجعل الشرعي الديني لا الجعل الكوني القدري فلم تدخل الرهبانية في ذلك^(١)، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرهبانية في ذلك.

ومنها: أن الرأفة والرحمة جعلها في القلوب، والرهبانية لا تختص بالقلوب بل الرهبانية ترك المباحثات من النكاح واللحم وغير ذلك، وقد كان طائفة من الصحابة – رضوان الله عليهم – هموا بالرهبانية^(٢)، فأنزل الله – تعالى – نهيم عن ذلك بقوله – تعالى – :

﴿يَكَايِهَا الَّذِينَ أَمَنُوا لَا تُخْرِجُ مُؤْطَبِتَيْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣).

وثبت في الصحيحين: أن نفراً من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال آخر: أما أنا

(١) سقطت جملة (فلم تدخل الرهبانية في ذلك) من ك.

(٢) في س، ك، ط (بالترهيب).

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٧.

انظر أسباب التزول للواحدي ص ١٥٢ – ١٥٣؛ وتفسير ابن جرير الطبرى ٧/٧ – ٩ (مجلد ٥)؛ وتفسير ابن كثير ٢/٨٧؛ وفتح القدير للشوكانى ٢/٧٠.

فأقوم لا أنام . وقال آخر^(١) : أما أنا فلا أتزوج النساء ، وقال آخر^(٢) : أما أنا فلا آكل اللحم .

فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - خطيباً فقال : «ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا لكنني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، وأأكل اللحم فمن رغب عن ستي فليس مني»^(٣) .

وفي صحيح البخاري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال : ما هذا؟ قالوا : هذا أبو^(٤) إسرائيل^(٥) نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم . فقال : «مروه فليجلس وليس له شمس ولا يستظل ولن يكلم ولن يتم صومه»^(٦) .

(١) في ط (الآخر) .

(٢) في س ، ك ، ط (الآخر) .

(٣) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك في أول كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح وليس فيه «فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيباً ١١٦/٦ ، وأخرجه مسلم من حديث أنس أيضاً في النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووهد مؤونة ٢٠٢٠/٢ ، وفيه اختلاف يسير في اللفظ لا يضر بالمعنى وقد ورد فيه «فحمد الله وأتني عليه»... الحديث ، ورواه أحمد في مستند أنس ٣٤١ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ورواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بنحوه ١٥٨/٢ .

(٤) سقطت (أبو) من أ .

(٥) هو أبو إسرائيل الأنباري أو القرشي العامري ، قال ابن حجر : «ذكره البغوي وغيره في الصحابة ، وقال أبو عمر : قيل اسمه يسir بتحتانية ومهملة مصغراً ، وأورده ابن السكن والبابوري في حرف القاف وفي قشير بقاف ومعجمة» . اه . قلت : هذا ما ذكره ابن حجر ولم نقف على مولده ووفاته وشيء من حياته غير هذه الإشارة من ابن حجر في الإصابة في موضعين ٣/٢٢٧ (٧١١٢) ، ٤/٦ (٢٦) .

(٦) رواه البخاري من حديث ابن عباس في كتاب الأئممان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصيته ٧/٢٣٤ ، وأبو داود في كتاب الأئممان والنذور ، باب من رأى =

وُثِّبَتْ فِي *صَحِّيْحِ مُسْلِمِ* عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ^(١) يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «خَيْرُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحَدُّثَتَهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ»^(٢).

وَفِي *السَّنْنَ* عَنِ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةٍ^(٣) أَنَّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

عَلَيْهِ كَفَارَةً إِذَا كَانَ فِي مُعْصِيَةٍ ٥٩٩/٣، وَابْنِ مَاجَهِ فِي الْكَفَارَاتِ ١٦٩٠/١ (٢١٣٦)، وَمَالِكُ فِي الْمُوطَأِ، كِتَابُ النَّذُورِ وَالْأَئِمَّاْنِ (مُرْسَلًا) بِسَنَدِهِ عَنْ حَمِيدِ بْنِ قَيْسٍ، وَثُورَ بْنِ زَيْدِ الدِّيلِيِّ، ٤٧٥/٢، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ٤/١٦٨ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْرَائِيلٍ. وَرَوَاهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِي مَسْنَدِهِ، عَنْ طَاوُوسٍ صَ ٣٣٩.

قَالَ الْخَطَابِيُّ - رَحْمَهُ اللَّهُ - فِي *مَعَالِمِ السَّنْنِ* ٥٩٩/٣: «قَدْ تَضَمَّنَ نَذْرُهُ نَوْعَيْنِ مِنْ طَاعَةٍ وَمُعْصِيَةٍ فَأَمْرَهُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْوَفَاءِ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا طَاعَةً وَهُوَ الصَّوْمُ، وَأَنْ يَتَرَكَ مَا لَيْسَ بِطَاعَةً مِنْ الْقِيَامِ فِي الشَّمْسِ، وَتَرَكُ الْكَلَامِ، وَتَرَكُ الْاسْتَظْلَالَ بِالظَّلْلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مَشَاقٌ تَتَبَعُ الْبَدْنَ وَتَؤَذِّيْهِ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا قَرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ - سَبَحَانَهُ - وَقَدْ وُضِعَتْ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَصْلَارُ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.

(١) سَقَطَتْ (أَنَّهُ كَانَ) مِنْ أَ.

(٢) هَذِهِ قَطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْجَمَعَةِ، بَابِ تَحْفِيفِ الْصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ ٥٩٢/٢ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَّ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَ غَضْبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْذُرٌ جِيشٍ، يَقُولُ: صِبْحَكُمْ وَمَسَاكُمْ، وَيَقُولُ: بَعْثَتْ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتِيْنِ، وَيَقْرَنُ بَيْنَ إِصْبَعِيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحَدُّثَتَهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ. مِنْ تَرْكِ مَالًا فَلَأَهْلِهِ، وَمِنْ تَرْكِ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلَأَيْلَيْهِ وَعَلَيْهِ».

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهِ فِي الْمُقْدِمَةِ، بَابِ اجْتِنَابِ الْبَدْعِ وَالْجَدْلِ ١/١٧ (٤٥).

(٣) الْعَرَبَاضُ (بِكَسْرِ أَوْلَهُ وَسَكُونِ الرَّاءِ بَعْدِهَا مُوْحَدَة) ابْنُ سَارِيَةِ السَّلْمِيِّ أَبْوَ نَجِيْحٍ، صَحَابِيٌّ مُشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ الصَّفَةِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَهُوَ مِنْ نَزْلِ فِيْهِ قَوْلَهُ - تَعَالَى -: «وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكُمْ لَتَحْلِمُّهُمْ». حَدِيثُهُ فِي *السَّنْنِ الْأَرْبَعَةِ* نَزَلَ حَمْصَ، وَمَاتَ بَعْدِ السَّبْعِينِ، قَيْلٌ: سَنَةُ ٧٥٧هـ، وَقَيْلٌ: فِي فَتْنَةِ ابْنِ الزَّبِيرِ.

وسلم – قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها واعضوا عليها بالتواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله»^(١).

قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة وضلاله ، وما كان بدعة وضلاله لم يكن هدى ، ولم يكن الله جعلها بمعنى أنه شرعها ، كما لم يجعل الله ما شرعه المشركون من البحيرة ، والسائلة ، والوصيلة ، والحام^(٢) .

انظر: الإصابة لابن حجر ٤٦٦ / ٢ (٥٥٠٣) ؛ وتقريب التهذيب ١٧ / ٢ ؛ وتهذيب الأسماء واللغات للنووى ١ / ٣٣٠ (٤٠٢) .

(١) هذا جزء من حديث رواه الترمذى في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة راجتناب البدع ٤٤ / ٥ (٢٦٧٦) ، وفيه تقديم وتأخير ، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٥ / ١ (٤٢) ، ورواه بلفظ مقارب من طريق أخرى وفيه زيادة (تركتم على البيضاء ليلها كنهاها) ، حديث (٤٣) ، ورواه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ١٣ / ٥ (٤٦٠٧) ، وأحمد في مسنده ١٢٦ / ٤ ، ١٢٧ .

(٢) البحيرة: هي الناقة إذا نتجت خمسة أطنان عمد إلى الخامس فما لم يكن ذكراً شق آذانها ثم لا يجز لها وبراً ، ولا يذوق لها لبناً ، وسمها لآهتهم .

والسائلة: ما يسيب من ماله ، ولا يمنع من حوض ولا حمى .

والوصيلة: الشاة إذا ولدت سبعاً عمد إلى السابع فإن كان ذكراً ذبح لآهتهم وإن كان أنثى تركت ، وإن كان في بطنهما اثنان ذكر وأنثى فيتركان جمِيعاً لا يذبحان ، وقالوا: وصلت أخاها .

والحام: الفحل يكون عند الرجل فإذا لقح عشر سنين قيل: قد حمى ظهره وسمى بحام .

انظر: تفسير ابن جرير ٧ / ٥٦ – ٦٠ (مجلد ٥) ؛ وتفسير ابن كثير ٢ / ١٠٧ – ١٠٨ ؛ وفتح القدير ٢ / ٨٢ ؛ وصحیح البخاری ، كتاب التفسیر ، باب ما جعل الله من بحیرة . . . ، ١٩١ / ٥ .

فإن قيل: قد قال طائفة: معناها ما فعلوها إلّا ابتغاء رضوان الله
ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله^(١).

وقالت طائفة: ما فعلوها أو^(٢) ما ابتدعواها إلّا ابتغاء رضوان الله.

قيل: كلا القولين خطأ والأول أظهر خطأ؛ فإن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم، بل لم يشرعها لا إيجاباً ولا استحباباً، ولكن ذهبت طائفة إلى أنهم لما ابتدعواها كتب عليهم إتمامها وليس في الآية ما يدل على ذلك فإنه قال:

﴿... مَا كَبَّنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا...﴾^(٣).

فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرهبانية ولا إتمامها ولا رعايتها، بل أخبر أنهم ابتدعوا بدعة، وأن تلك البدعة لم يرعنها حق رعايتها.

فإن قيل: قوله - تعالى - : **﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾**.

يدل على أنهم لو رعنوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين.

قيل: ليس في الكلام ما يدل على ذلك، بل يدل على أنهم - مع عدم الرعاية - يستحقون من الذم ما لا يستحقونه بدون ذلك، فيكون ذم من ابتدع البدعة ولم يرعنها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها، وإن لم يكن واحداً منهم ممدوحاً، بل مذموماً مثل نصارىبني تغلب^(٤)

(١) سقطت جملة (ما كتبناها... إلخ) من س. (٢) في أ(و).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٤) بني تغلب بن وائل بن قاسط يتصل نسبهم إلى أسد بن ربيعة بن نزار ومنهم بنوجشم، وبنو مالك أبى بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل. وقد =

ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقسموا بواجباتها، بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم، فكان كفرهم وذمهم أغلظ من هو أقل شرًّا منهم والنار دركات كما أن الجنة درجات.

وأيضاً: فالله تعالى إذا كتب شيئاً على عباده لم يكتب ابتغاء رضوانه، بل العباد يفعلون ما يفعلون ابتغاء رضوان الله.

وأيضاً: فتخصيص الرهبانية بأنه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب، فإن ما كتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه فكيف بالرهبانية؟

وأما قول من قال: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية، فإن من فعل ما لم يأمر الله به، بل نهاه عنه مع حسن مقصده، غايتها أن يثاب على قصده لا يثاب على مانهى عنه، ولا على ما ليس بواجب، ولا مستحب، فكيف والكلام لا يدل عليه فإن الله قال^(١):

﴿... مَا كَبَّنَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانَ اللَّهِ...﴾^(٢).

ولم^(٣) يقل ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، ولا قال: ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله، ولو كان المراد ما فعلوها أو ما ابتدعوها^(٤) إلا

ذكر السمعاني في الأنساب نفراً من الصحابة والتابعين من بني تغلب.

انظر: الأنساب ص ١٠٨؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٢، ٤٦٩.

(١) في س، ك، ط (فإنه قال).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) في ك، ط (لم) بدون واو، وسقطت الجملة من قوله ولم يقل إلى قوله ولو كان المراد من نسخة من.

(٤) سقطت (أو ما ابتدعوها) من ك.

ابتعاء رضوان الله، لكان منصوباً على المفعولية^(١)، ولم يتقى لفظ الفعل ليعمل فيه ولا نفي الابتداع^(٢)، بل أثبته لهم، وإنما تقدم لفظ الكتابة فعلم أن القول الذي ذكرناه هو الصواب، وأنه استثناء منقطع فتقديره وابتدعوا رهbanية ما كتبناها عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتعاء رضوان الله، فإن إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق وذلك يكون بفعل المأمور وترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وترك ما لم ينه^(٣) عن تركه، والرهbanية فيها فعل ما لم يؤمر^(٤) به وترك ما لم ينه^(٥) عنه.

● ● ●

(١) في أ، س، ك (المفعول).

(٢) في ط (ابتداع) وسقطت جملة (ابتداع بل أثبته لهم) من ك.

(٣) في س، ك، ط (ينه).

(٤) في س، ك، ط (يأمر).

(٥) في س، ك، ط (ينه).

فصل

وأما قوله – تعالى – :

الردة على
النصارى في
احتجاجهم
بأن الله مذموم
في قوله
– تعالى – :
«من أهل
الكتاب أمة
فأئمةهم الآية.

﴿... مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَنَّ إِيمَانَهُ أَنَّهُ أَتَى اللَّهَ بِهِمْ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ ﴾١١٣﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأَوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾١١٤﴾.

فهذه الآية لا اختصاص فيها للنصارى، بل هي مذكورة بعد قوله – تعالى – :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْلَا أَمَّتَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِقُونَ ﴾١١٥﴿ لَنْ يَضْرُوكُمُ الْأَذَى وَإِنْ يُقْتَلُوكُمْ
يُولُوكُمُ الْأَدَبَارُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾١١٦﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلْلَةُ أَيْنَ مَا تَفْعَلُوْا إِلَّا يُجْبَلُ مِنَ اللَّهِ
وَجَبَلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعِيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَبُوا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ﴾١١٧﴾.

ثم قال (٣) :

﴿لَيَسْوَأَسْوَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران: الآيات ١١٣، ١١٤. (٣) في أ (قالوا) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١١٠ – ١١٢. (٤) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

ومعلوم أن الصفة المذكورة في قوله :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعِيَادَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ .

صفة اليهود^(١)، وكذلك قوله : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ .

قوله : عقب ذلك : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِلَةٌ﴾ .

لا بد أن يكون متناولاً لليهود، ثم قد اتفق المسلمين والنصارى على أن اليهود مع كفرهم بال المسيح ومحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليس فيهم مؤمن، وهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، والأية إذا تناولت النصارى كان حكمهم في ذلك حكم اليهود، والله - تعالى - إنما أثني على من آمن من^(٢) أهل الكتاب، كما قال - تعالى - :

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا آتَيْتُمْ خَشِيعَنَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعِيَادَتِ اللَّهِ ثُمَّ مَا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) .

وقد ذكر أكثر العلماء أن هذه * الآية الأخرى في آل عمران *^(٤) نزلت في النجاشي ونحوه من آمن بالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لكنه لم تمكنه الهجرة إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ولا العمل

(١) في ط (لليهود).

(٢) سقطت (من) من ط.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٤) سقط ما بين النجمتين من أ.

وانظر في سبب النزول لباب النقول للسيوطى ص ٥٧ - ٥٨؛ وأسباب النزول للواحدى ص ١٠٣؛ وال الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعى ص ٣٨ - ٣٩.

بشرائع الإسلام لكون^(١) أهل بلده نصارى لا يوافقونه على إظهار شرائع الإسلام، وقد قيل^(٢) : أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إنما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ لَمَّا مَاتَ؛ لأجل هذا، فإنه لم يكن هناك من يظهر الصلاة عليه في جماعة كثيرة ظاهرة، كما يصلي المسلمين على جنائزهم.

ولهذا جعل من أهل الكتاب مع كونه آمن بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بمنزلة من يؤمن^(٣) بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في بلاد الحرب، ولا يمكن من الهجرة إلى دار الإسلام، ولا يمكنه العمل بشرائع الإسلام الظاهرة، بل يعمل ما يمكنه ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال – تعالى –

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾^(٤)

فقد يكون الرجل في الظاهر من الكفار، وهو في الباطن مؤمن، كما كان مؤمن آل فرعون.

قال – تعالى –

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مَّنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُرُ إِيمَانَهُ أَنْ قَتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾

(١) في س، لـ، (الكونه).

(٢) جاء في معلم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود ٥٤٢/٣ : «النجاشي رجل مسلم قد آمن برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وصدقه على نبوته إلا أنه كان يكتنم إيمانه، والمسلم إذا مات وجب على المسلمين أن يصلوا عليه، إلا أنه كان بين ظهريني أهل الكفر، ولم يكن بحضرته من يقوم بحقه في الصلاة عليه، فلزم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يفعل ذلك إذ هونبيه ووليه وأحق الناس به، فهذا – والله أعلم – هو السبب الذي دعاه إلى الصلاة عليه بظاهر الغيب».

(٣) في س (من لم يؤمن) وهو خطأ.

(٤) سورة النساء: الآية ٩٢.

وَإِن يُكَسَّادِقَ أَيُصْبِكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ^{٢٩}
 كَذَابٌ ^{٣٠} يَقُولُ لَكُمُ الْمُلْكُ أَيْوْمَ ظَهَرُونَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ
 اللَّهِ إِنْ جَاءَ نَاقَالْ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَيْلَ الرَّشَادِ^{٣١}
 وَقَالَ الَّذِي إِمَّا نَمَّ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ^{٣٢} مِثْلَ دَأْبٍ قَوْمٍ نَوْجَ
 وَعَادِ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ^{٣٣} وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 يَوْمَ النَّسَادِ ^{٣٤} يَوْمَ تَوْلُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
 هَادٍ ^{٣٥} وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَلْ بَنِتَ فَهَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ وَمَا جَاءَكُمْ
 بِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَهْلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ^{٣٦} كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ
 مِنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ^{٣٧} الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي إِيمَانِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَهُمْ
 كَبُرُّ مُفْتَأِعَنَدَ اللَّهِ وَعِنَّدَ الَّذِينَ أَمْنَوْا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قُلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
 جَبَارٌ ^{٣٨} وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَدُنِّ أَبْنِي صَرَحًا لَعَلِيٍّ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ^{٣٩} أَسْبَابَ
 الْسَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظْنُهُ كَذِبًا وَكَذِلِكَ زُنَيْلُ فِرْعَوْنُ
 سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّعَنَ السَّيْلُ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ^{٤٠} وَقَالَ
 الَّذِي إِمَّا نَمَّ يَقُولُ أَتَبِعُونِي أَهْدِيْكُمْ سَيْلَ الرَّشَادِ ^{٤١} يَقُولُمْ إِنَّمَا هَذِهِ
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَرَارِ ^{٤٢} مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
 يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ^{٤٣} وَيَقُولُمْ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوَةِ
 وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ^{٤٤} تَدْعُونَنِي لَا كُفْرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
 وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ^{٤٥} لَأَجْرَمَ أَنْمَاتَ دُعَوَتِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعَوَةٌ فِي
 الْدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرْدَنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسَرِّفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
 فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِيٍّ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ^{٤٦}

فَوَقَنَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِتَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ أَنَّا رُ
يَعْرِضُونَ عَلَيْهَا أَعْذَابًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا أَهْلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
الْعَذَابِ ﴿١٦﴾ .

فقد أخبر - سبحانه (١) - أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب ، وأخبر أنه كان من آل فرعون رجل مؤمن يكتمن إيمانه وأنه خاطبهم بالخطاب الذي ذكره ، فهو من آل فرعون (٢) باعتبار النسب والجنس والظاهر ، وليس هو من آل فرعون الذين يدخلون أشد العذاب وكذلك امرأة فرعون ليست من آل فرعون هؤلاء . قال الله (٣) - تعالى - :

وَوَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ أَمْنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَنِّي لِي
عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَخِفَّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَخِفَّي مِنْ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ .

وامرأة الرجل من آله بدليل قوله :

إِلَّا إِلَّا لُوطٌ إِنَّا مُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ فَدَرَنَا إِنَّهَا لَمِنَ
الْغَافِرِينَ ﴿٦﴾ .

وهكذا أهل الكتاب فيهم من هو في الظاهر منهم ، وهو في الباطن يؤمن بالله ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، يعمل بما يقدر عليه ويسقط عنه ما يعجز عنه علمًا وعملاً: و **﴿لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مُسْعَهَا﴾** ، وهو عاجز عن الهجرة إلى دار الإسلام ، كعجز النجاشي ،

(١) سورة غافر: الآيات ٤٦ - ٢٨ .

(٢) في ط (سبحانه و تعالى) .

(٣) سقطت (فرعون) من س .

(٤) سقط لفظ الجلالة من س ، ك ، ط .

وكما أن الذين يظهرون الإسلام فيهم من هم^(١) في الظاهر مسلمون، وفيهم من هو منافق كافر في الباطن، إما يهودي، وإما نصراني، وإما مشرك، وإما معطل.

كذلك في أهل الكتاب والمشركين، من هو في الظاهر منهم، ومن^(٢) هو في الباطن من^(٣) أهل الإيمان بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، يفعل ما يقدر على علمه وعمله، ويسقط^(٤) ما يعجز عنه في ذلك.

وفي^(٥) حديث حماد بن سلمة عن ثابت^(٦)، عن أنس قال: لما مات النجاشي قال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «استغروا لأخيكم» فقال بعض القوم: تأمنوا أن نستغفرا لهذا العلج^(٧)، يموت بأرض الحبشة. فنزلت:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ... ﴾^(٨).

(١) في أ (من هو) وسقطت (فيهم من) من س، وما أثبناه من ك، ط.

(٢) سقطت (من) من س، ك، ط.

(٣) سقطت (من) من ط.

(٤) في س، ك، ط (ويسقط عنه).

(٥) في ك (إلى).

(٦) سيأتي بعد أسطر ترجمة حماد وثابت.

(٧) العلج: بكسر العين المهلمة، العير، والحمار، والرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً، وجمعه علوج، وأعلاج. انظر: القاموس المحيط؛ فصل العين؛ باب الجيم ٢٠٠/١؛ والمصباح المنير ٥٨١/٢.

(٨) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران، وسبق تحرير الحديث، وجميع الأحاديث المتعلقة بموت النجاشي، ونعي الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – له.

ذكره ابن أبي حاتم وغيره بأسانيدهم^(١)، وذكره حماد بن سلمة^(٢)، عن ثابت^(٣)، عن الحسن البصري^(٤) أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) – قال: «استغفروا لأخيكم النجاشي» فذكر مثله^(٦).

وكذلك ذكر^(٧) طائفة من المفسرين، عن جابر بن عبد الله^(٨) وابن عباس وأنس وقتادة أنهم قالوا: نزلت هذه الآية في النجاشي ملك الحبشة، واسمها أصحمة. وهو بالعربية عطية. وذلك أنه لما مات نعاه جبريل للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في اليوم الذي مات فيه، فقال

(١) جاء ذلك في تفسير ابن أبي حاتم الجزء الثاني مخطوط رقم (٢٦٧٦) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ المكتبة المركزية قسم المخطوطات. عند تفسير الآية ١٩٩ من سورة آل عمران. بسند رجاله ثقات.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره مات سنة ١٦٧ هـ.

انظر تهذيب التهذيب ١١-١٦؛ وتقريبه ١٩٧/١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٩٢.

(٣) ثابت بن أسلم الباني: بضم الباء الموحدة، ونونين مخففتين، أبو محمد البصري ثقة، عابد مات رحمة الله سنة ١٢٧ هـ وقيل ١٢٣ هـ.

انظر: تهذيب التهذيب ٢/٢-٤؛ وتقريبه ١١٥/١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٥٦.

(٤) الحسن بن يسار (أبي الحسن) البصري الأنباري مولاهم، من كبار التابعين ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس مات – رحمة الله – سنة ١١٠ هـ، وقد قارب التسعين.

انظر: تهذيب التهذيب ٢/٢-٢٧١؛ وتقريبه ١٦٥/١ (٢٦٣)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٧٧.

(٥) سقطت (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من س، ك.

(*) مرسلاً، وجاء موصولاً من عدة طرق في الصحيحين وغيرهما وسقى تحريره.

(٦) سقطت (ذكر) من أ.

(٧) سقطت جملة (بن عبد الله) من س، ك، ط.

رسول الله^(١) – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِأَصْحَابِهِ: «اخْرُجُوا فَصَلُوْلُوا عَلَى أَخْ لَكُمْ ماتَ بِغَيْرِ أَرْضِكُمْ» قَالُوا^(٢): مَنْ هُوَ؟ قَالَ: «الْنَّجَاشِيُّ» فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى الْبَقِيعِ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ وَكَشَفَ لَهُ مِنَ الْمَدِيْنَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبِشَةِ، فَأَبْصَرَ سَرِيرَ النَّجَاشِيِّ وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَكَبَرَ أَرْبَعَ تَكَبِيرَاتٍ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «اسْتَغْفِرُوكُمْ لَهُ». فَقَالَ الْمَنَافِقُونَ: انظُرُوا^(٣) إِلَى هَذَا يَصْلِي عَلَى عَلِجِ حَبْشَيِّ نَصَارَى لِمَ يَرِهُ قَطُّ: وَلِيُسَّ عَلَى دِيْنِهِ. فَأَنْزَلَ اللهُ – تَعَالَى – :

﴿وَإِنَّمَا أَهْلُ الْكِتَابِ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْرُونَ بِعَايَدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لِتَكَلِّكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّمَا سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤).

وَقَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا نَزَّلَتْ فِيمَنْ كَانَ عَلَى دِيْنِ الْمَسِيحِ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – إِلَى أَنَّ بَعْثَ مُحَمَّدٍ^(٥) – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَمِنَ بِهِ، كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ عَطَاءٍ.

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهَا نَزَّلَتْ فِي مُؤْمِنِي^(٦) أَهْلِ الْكِتَابِ كُلَّهُمْ^(٧).

(٤) سُورَةُ آلِ عُمَرَانَ: الْآيَةُ ١٩٩.

(١) سُقط لِنَفْظِ الْجَلَالَةِ مِنْ كِ.

(٥) فِي ط (فَقَالُوا).

(٢) فِي ط (بَعْثَتِ اللهِ مُحَمَّدَ).

(٣) فِي س، ك، ط (أَبْصَرُوا).

(٤) فِي أ، س، ك (مُؤْمِنٌ) وَمَا أَتَبَتَاهُ مِنْ طِ أُولَى.

(٧) أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ جَابِرٌ وَأَنْسٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَاتِدٌ. وَأَصْحَابُ الْقَوْلِ الثَّانِي مجَاهِدٌ، وَابْنُ جَرِيْعَةَ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَدْ رَجَعَ أَبْنَ جَرِيْرٍ – بَعْدَ أَنْ سَاقَ الْأَقْوَالَ كُلُّهَا – الْقَوْلَ بِأَنَّهَا فِي عُوْمَ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْهَا أَنَّهُ لَا دَاعِيٌ لِلتَّخْصِيصِ لِأَنَّ اللَّهَ – جَلَّ ثَنَاءُهُ – عَمٌ بِقُولِهِ: «وَإِنَّمَا أَهْلَ الْكِتَابِ أَهْلُ الْكِتَابِ» أَهْلُ الْكِتَابِ جَمِيعًا فَلَمْ يَخْصُصْ مِنْهُمْ النَّصَارَى دُونَ الْيَهُودِ وَلَا الْيَهُودَ دُونَ النَّصَارَى، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْخَبَرَ الَّذِي سَاقَهُ دِلِيلًا لِلْأَوَّلِ عَنْ جَابِرٍ فِي نَظَرٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَا كَانَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ خَلَافٍ.

والقول الأول أجواد، فإن من آمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وأظهر الإيمان به، وهو من أهل دار الإسلام، يعمل ما ^(١) يعلمه المسلمين ظاهراً وباطناً فهذا من المؤمنين وإن كان قبل ذلك مشركاً ^(٢) وبعد الأوثان، فكيف إذا كان كتابياً؟ وهذا مثل عبد الله بن سلام ^(٣)، وسلمان الفارسي ^(٤) وغيرهما، وهؤلاء لا يقال: إنهم من أهل الكتاب، كما لا يقال في المهاجرين والأنصار: إنهم من المشركين وعبد الأوثان، ولا يمكن أحد من ^(٥) المنافقين ولا من ^(٦) غيرهم من أن يصلى على واحد منهم، بخلاف من هو في الظاهر منهم، وفي الباطن من المؤمنين.

وفي بلاد النصارى من هذا النوع خلق كثير، يكتمون إيمانهم، إما مطلقاً، وإما يكتمنه ^(٧) عن العامة ويظهرونه لخاصتهم، وهؤلاء قد

انظر: تفسيره ٤/١٤٦ – ١٤٧ (مجلد ٣) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران، وأسباب النزول للواحدي ص ١٠٣؛ وفتح القدير للشوكاني ١/٤١٥؛ وتفسير ابن كثير ٤٤٣/١.

(١) في ط (بما).

(٢) في أ (من المشركين).

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث من ذرية يوسف – عليه السلام – الإسرائيلي ثم الأنصارى كان من بني قينقاع، وأسلم أول ما قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة على الصحيح وكان اسمه الحصين فغيره النبي – صلى الله عليه وسلم – وفضائله معلومة مشهورة مات – رضي الله عنه – سنة ٤٣هـ بالمدينة.

انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٣١٢؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٢/٣٧٤. وانظر في فضائله: صحيح البخاري كتاب المناقب ٤/٢٩٩؛ وصحيح مسلم ٤/١٩٣٠.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في أ (ولا يمكن أحداً) وصححنا العبارة من سائر النسخ.

(٦) سقطت (من) من س، ك، ط.

(٧) سقطت (يكتمنه)، (ويظهرونه لخاصتهم) من أ (وزدناها من سائر النسخ). وجاءت الجملة في أ هكذا (اما مطلقاً واما عن العامة).

يتناولهم قوله – تعالى – :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ . . . ﴾ الآية .
 فهؤلاء لا يدعون الإيمان بكتاب الله ورسوله لأجل مال يأخذونه ،
 كما يفعل كثير من الأجراء والرهبان ، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل
 ويصدونهم عن سبيل الله ، فيمنعونهم ^(١) الإيمان بمحمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

وأما قوله – تعالى ^(٢) – :

﴿ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَّنُ إِيمَانَ اللَّهِ إِنَّهُ أَلَيْلٌ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُنْهَاونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٣﴾ .

فهذه الآية تناول اليهود أقوى مما تناول النصارى ، ونظيرها ^(٤)
 قوله – تعالى – : ﴿ وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدُّونَ بِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ^(٥) .
 وهذا ^(٦) مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة ، ليس في ذلك مدح لمن
 كذب المسيح ، ولا فيها مدح لمن كذب محمداً – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

وهذا الكلام يفسره ^(٧) سياق الكلام ، فإنه قال – تعالى – :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . . ﴾ .

(١) في س ، ك ، ط (ويمنعونهم من). (٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٩ .

(٢) سقطت (تعالى) من س ، ك ، ط . (٦) في س ، ك ، ط (هذا) .

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١١٣ – ١١٤ . (٧) في ك ، ط (تفسيره) .

(٤) في س ، ك ، ط (ونظيره) .

ثم قال – تعالى – :

﴿وَلَوْمَاءَمَنْ أَهْلُ الْكِتَبِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِقُونَ﴾^(١).

فقد جعلهم نوعين: نوعاً مؤمنين ونوعاً فاسقين وهم أكثرهم
وقوله^(٢) – تعالى – : ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

يتناول من كان منهم^(٣) مؤمناً قبل بعث^(٤) محمد – صلى الله
عليه وسلم – ، كما يتناولهم قوله – تعالى – :

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَبَعَوْهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾
إلى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٥).

وكذلك قوله – تعالى – :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا أَلْثُبَةً وَالْكِتَبَ
فِيهِمْ مُهَتَّدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٦).

وقوله عن إبراهيم الخليل:

﴿وَبَرَّكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَّقَ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحَسِّنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
مُبِينٌ﴾^(٧).

ثم لما قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِقُونَ﴾^(٨).

قال:

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذْهَىٰ وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠. (٥) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٢) في ك، ط (لقوله).

(٣) سقطت (منهم) من ك، ط.

(٤) في ك زيادة (قبل من كان قبل بعث). (٨) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

صُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ أَيْنَ مَا نَفَقُوا إِلَّا حِبْلٌ مِّنَ اللَّهِ وَحْبَلٌ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعِنْدِنَا مِنَ اللَّهِ وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِيَقِنَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾ .

* وضرب الذلة عليهم أينما ثقفو وبما هم بغضب الله *

— وما ذكر معه من قتل الأنبياء بغير حق وعصيائهم واعتداؤهم ^(٣) كان اليهود متصفين به قبل بirth محمد — صلَّى الله عليه وسلم — كما قال — تعالى — في سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنَنْصِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحْدِ فَادْعُ لَنَارَكَ يُخْرِجَ لَنَا مِنَ تُبْيَتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلِهَا وَقَشَّا إِلَيْهَا وَفُومَهَا وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَتَشَبَّهُونَ بِالَّذِي هُوَ أَدْفَأَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهِيَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعِنْدِنَا مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِيَقِنَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

ثم قال بعد ذلك :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالظَّاهِرَى وَالصَّدِّيقَى مَنْ إِمَّا أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(٤) .

فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه ^(٥) الملل الأربع متمسكاً بها ^(٦) قبل النسخ بغير تبديل، كذلك آية آل عمران لما وصف أهل

(١) سورة آل عمران: الآياتان: ١١١ - ١١٢.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من آ، وفي النسخ الثلاث الأخرى زيادة لفظ الآية وسط الكلام في غير موضعها. (٣) في س (واعداهم).

(٤) سورة البقرة: الآياتان: ٦١، ٦٢. (٥) سقطت (هذه) من س، ط.

(٦) سقطت (متمسكاً بها) من أ وزدناها من سائر النسخ.

الكتاب بما كانوا متصفًا به أكثرهم قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – من الكفر، قال^(١) :

﴿لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّلَوْنَ مَا يَأْتِيَنَّ اللَّهُمَّ أَنَّا أَنَّا إِنَّا
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾١٣٢ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآتَيْوْمَا الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الْمُصَلِّحِينَ ﴾١٣٣﴾.

وهذا يتناول من كان متصفًا منهم بهذا قبل النسخ، فإنهم كانوا على الدين الحق الذي^(٣) لم يبدل ولم ينسخ، كما قال في الأعراف.

﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَهُدٰءٍ يَعْدُلُونَ ﴾١٣٤﴾.

وقوله^(٤) :

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ أَصْنَلْحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ
وَيَلَوْنَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيَّعَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾١٣٥﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَبُّوا
الْكِتَبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْقَنِ وَيَقُولُونَ سَيَقْرَبُنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّتَلِّمٌ يَأْخُذُهُ أَلَا يُؤْخَذُ
عَلَيْهِمْ يَمْتَشِقُ الْكِتَبُ أَنَّ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّدُرُ الْآخِرَةُ حَيْرٌ
لِلَّذِينَ يَنْقُونُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾١٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَبْرَاجَ الْمُصْلِحِينَ ﴾١٣٧﴾.

وقد قال – تعالى – :

﴿وَمِنَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَهُدٰءٍ يَعْدُلُونَ ﴾١٣٨﴾.

فهذا خبر من الله عمن كان متصفًا بهذا^(٧) الوصف قبل بirth محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ومن أدرك من هؤلاء محمداً – صلى الله عليه وسلم – ، فآمن به كان له أجره مرتين.

● ● ●

(١) في أ، س (قالوا) وصححناه من ك، ط. (٥) سورة الأعراف: الآيات ١٥٩، ١٦٨ – ١٦٩.

سورة آل عمران: الآيات ١١٣، ١١٤.

١٧٠.

(٢) سقطت (الذي) من أ وزدناه من سائر النسخ. (٦) سورة الأعراف: الآية ١٨١.

(٣) سقطت (الذي) من أ وزدناه من سائر النسخ. (٧) في أ (به بهذا) وهي زائدة.

(٤) سقطت (وقوله) من جميع النسخ.

فصل

قالوا: ثم وجدناه يعظم إنجيلنا، ويقدم صوامعنا ويشرف مساجدنا

رَدُّ دُوَاهِم
تَعْظِيم
إِلَّا مَلِّم
لِمَعَابِدِهِم

ويشهد^(١) بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً وذلك مثل قوله - تعالى - ^(٢) :

﴿ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ أَنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَضِّهِمْ هَذِهِ مَتْصَوِّعَةُ صَوَامِعُ وَبَيْعُ وَصَلَوَاتُهُ ﴾

وَمَسَجِيدُهُ كَرُوفِهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ^(٣)

والجواب: أن فيها ذكر الصوامع والبيع، وأما قوله: **﴿ وَيَذْكُرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾** فإنما ذكره عقب ذكره^(٤) المساجد، والمساجد

للمسلمين، وليس المراد بها كنائس النصارى، فإنها^(٥) هي البيع. ثم

قوله - تعالى - ^(٦) : **﴿ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾** :

إما أن يكون مختصاً بالمساجد، فلا يكون في ذلك أخبار بأن

اسم الله^(٧) يذكر كثيراً في البيع والصوماع^(٨)، وإما أن يكون ذكر

اسم^(٩) الله في الجميع، فلا ريب أن الصوامع والبيع قبل أن يبعث الله^(١٠)

محمدأ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان فيها من يتبع دين المسيح الذي

لم يدل ويزكر فيها اسم الله كثيراً. وقد قيل: إنها بعد التسخ والتبديل

(١) في أ (وشهد). (٥) في ط (فإنما).

(٢) سقطت (تعالى) من س، ك، ط . (٦) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .

(٣) سورة الحج: الآية ٤٠ . (٧) سقط لفظ الجلالة من ط .

(٤) في س، ك، ط (ذكر). (٨) في س، ك، ط (في الصوامع والبيع).

(٩) سقطت (اسم) من س.

(١٠) في س، ك (قبل أن يبعث محمدأ) وفي ط (قبل أن يبعث محمد).

يذكر فيها اسم الله^(١) كثيراً وإن الله يحب أن يذكر اسمه.

قال الضحاك^(٢): «إن الله يحب أن يذكر اسمه^(٣) وإن كان يشرك به»^(٤) يعني: أن المشرك به خير من المعطل العاجد الذي لا يذكر اسم الله بحال.

وأهل الكتاب خير من المشركين، وقد ذكرنا أنه لما اقتل فارس والروم وانتصرت الفرس، ساء ذلك أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكرهوا انتصار الفرس على النصارى؛ لأن النصارى أقرب إلى دين الله من المجوس، والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكتميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وتقديم خير الخيرين على أدناهما حسب الإمكان، ودفع شر الشرين بخيرهما، فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد إذا هدمها المجوس والمشركون، وأما إذا هدمها المسلمون وجعلوا

(١) سقط لفظ الجلالة من ط.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهملاي، البلخي الخراساني، صاحب التفسير قال الذهبي في العبر: «وثقه الإمام أحمد وغيره»، وقال ابن حجر: «صدق كثير الإرسال». كان آية في التفسير له فيه كتاب، توفي – رحمه الله – بخراسان سنة ١٠٢ هـ، وقيل: ٤٥ هـ.

انظر: العبر في خبر من غبر ١٢٤/١؛ وشذرات الذهب ١٢٤/١؛ وتقريب التهذيب ٣٧٣/١؛ والأعلام للزركلي ٢١٥/٣.

(٣) سقطت (اسمه) من ك.

(٤) أخرجه ابن جرير بنحوه في تفسيره ١٢٦/١٧ (مجلد ٧)، ولفظه هكذا: «في كل هذا يذكر اسم الله كثيراً ولم يخص المساجد». قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: «قيل: الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد، لأنها أقرب المذكورات، وقال الضحاك: الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً».

انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٢٦؛ وانظر: تفسير ابن جرير ١٢٦/١٧؛ وفتح القدير ٣/٤٥٨.

اماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، فهذا خير وصلاح.

وهذه الآية ذكرت في سياق الإذن لل المسلمين بالجهاد بقوله

— تعالى — :

﴿أَذْنَ لِلَّذِينَ يَقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١).

وهذه الآية أول آية نزلت في الجهاد، ولهذا قال:

﴿الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِن دِيَرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(٢).

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَضٍ﴾^(٣).

فيدفع بالمؤمنين الكفار ويدفع شر الطائفتين بخирهما، كما دفع المجروس بالروم النصارى^(٤)، ثم دفع النصارى بالمؤمنين أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وهذا كما قال — تعالى — في سورة البقرة:

﴿وَقَتَلَ دَاؤُودَ جَالُوتَ وَأَتَكَهُ اللَّهُ الْمُلْكُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلَمُهُ
مِكَاتِبَهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُكَلِّمِينَ﴾^(٥).

وأما التقديم في اللفظ، فإنه يكون لانتقال من الأدنى إلى الأعلى، كقوله — تعالى — :

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رِبِّ الْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْأَنْوَافِ وَالْأَيْمَنِ وَالْأَيْمَنِ
وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَنَتِنَا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(٥) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(١) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٧) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٤) في ط (والنصارى).

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَهْرُبُ الْأَرْضُ مِنْ أَخِيهِ ﴾^(١) وَأَنْتَ وَأَيْهِ ﴿ وَصَحِّبَتْهُ وَنِيهٌ ﴾^(١).

وقوله :

﴿ وَالَّذِينَ تَذَرَّوْا ﴾^(٢) فَالْحَمْدَ لَهُ وَقَرَا ﴿ فَالْجَنَّاتُ يُسْرًا ﴾^(٣) فَالْمُقَسَّمَاتِ
أَمْرًا ﴾^(٤).

ونظائره متعددة.

وكذلك في قوله - تعالى - ^(٥) :

﴿ . . . هَذِهِ مُتَصَوِّعَاتٌ صَوَاعِمٌ وَيَعْوِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴾^(٦).

فيَّيَنَ^(٥) - سبحانَه - أَنَّه^(٦) لَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضَهُمْ لَهُدِمَتْ
مَوَاضِعُ الْعِبَادَاتِ، وَهُدِمَهَا فَسَادٌ إِذَا هُدِمَهَا مِنْ لَا يَبْدِلُهَا بِخَيْرٍ مِنْهَا وَأَدَنَهَا
هِيَ الصَّوَاعِمُ، فَإِنَّ الصَّوْمَعَةَ تَكُونُ لَوَاحِدٌ أَوْ لَطَائِفَةً^(٧) قَلِيلَةٌ فَبِدَا بِأَدْنِي
الْمَعَابِدِ، وَخَتَمَ بِأَشْرَفِهَا وَهِيَ الْمَسَاجِدُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا.
فِي الْجَمْلَةِ حُكْمُ هَذِهِ الْمَعَابِدِ حُكْمُ أَهْلِهَا، وَأَهْلُهَا قَبْلَ النَّسْخَةِ وَالتَّبْدِيلِ
مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ^(٨)، وَهُدِمَ مَعَابِدُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ فَسَادٌ، وَبَعْدَ النَّسْخَةِ
وَالتَّبْدِيلِ، إِذَا غَلَبَ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ هُوَ شَرُّهُمْ، كَالْمَجُوسِ
وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُدِمُوا مَعَابِدَهُمْ، كَانَ ذَلِكَ فَسَادًا إِذَا هُدِمَهَا مِنْ هُوَ خَيْرٌ
مِنْهُمْ كَامَةً مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبْدَلُوهَا مَسَاجِدٍ يُذْكَرُ فِيهَا

(١) سورة عبس: الآيات ٣٤ - ٣٦، وسقطت هذه الآيات من ك.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ١ - ٤.

(٦) في أ (أن) وصححناه من سائر النسخ.

(٧) في س، ك، ط (أو طائفة).

(٨) في أ (مسلمون يؤمنون).

(٣) سقطت (تعالى) من أ.

(٤) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٥) في س، ك، ط (بين).

اسم الله كثيراً، ولا يشرك به، ويدرك فيها الإيمان بجميع كتبه ورسله، كان ذلك صلحاً لا فساداً.

ولهذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتخذ^(١) المساجد مواضع معابد الكفار كما كان لثيق أهل الطائف^(٢) معبد يعبدون فيه اللات، التي قال الله فيها: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّهَ وَالْعَزَّى﴾^(٣).

فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يهدم ذلك المعبد، ويتخذ مكانه المسجد الذي يعبد الله وحده فيه^(٤)؛ فإن المساجد هي

(١) في ك، ط (يتخذ) بالمشنة التحتية.

(٢) ثقيف قبيلة من قبائل قيس عيلان بن مصر، وثقيف هم بنو قسي بن منه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة يتبعه نسبة إلى قيس عيلان.

وكان لهم معبد بالطائف يقال له اللات مبني على صخرة، وكانوا يحرمون واديه ويكسونه، وسادته آل أبي العاص من بني مالك بن ثقيف، هدم الصنم أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم. وقيل: خالد والمغيرة والأول أصح على ما سند ذكره بعد قليل.

انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٨٢، ٤٩١؛ وإغاثة اللهفان ٢/٢٣١؛
والإصابة لابن حجر ٤٣٢/٣.

(٣) سورة النجم: الآية ١٩.

(٤) أخرج ابن جرير الطبرى في تاريخه ٩٩/٣ - ١٠٠ بسنده. قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلامة (يعنى بن الفضل الأبرش)، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة... قال: «بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا سفيان والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية... وساق بقية القصة ولم يرد فيها أن الرسول اتخذ مكانها مسجداً، ولكن ابن كثير في تاريخه ٣٣/٥، ٣٤؛ وفي تفسيره ٤/٢٥٤ ذكر أنهما هدمها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف، وذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/٢١٣، «أن اللات كانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم». والله أعلم. أما ابن حجر فقد ساق القصة في الإصابة ٤٣٢/٣ (في ترجمة المغيرة) وعزماها لابن جرير ولم يتعقبها، ووردت في سيرة ابن هشام بدون ذكر الأمر ببناء المسجد ٤/١٣٧، ١٣٨.

بيوت الله في الأرض قال – تعالى – :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّيْ بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِدٍ وَأَدْعُوهُمْ خَلِصِينَ لَهُ الدِّيْنُ كَمَا بَدَأُوكُمْ تَعُودُونَ . . . ٤١﴾ (١).

وقال – تعالى – : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ٤٢﴾ (٢).

وقال – تعالى – :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْصُمُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَهِيدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَيْطَتْ أَعْمَالُهُمْ . . . ٤٣﴾ (٣) الآية إلى قوله ... أَلْمُهْتَدِينَ .

وقال – تعالى – :

﴿ أَللَّهُ نُورٌ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضٌ مَثْلُ نُورٍ . . . ٤٤﴾ الآية إلى قوله ... بِغَيْرِ حِسَابٍ . . . ٤٥﴾ (٤).

ثم لما ذكر المؤمنين ذكر الكفار من أهل الكتاب والشركين، فذكر أهل الجهل المركب والبسيط (٥)، فقال – تعالى – :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْنَاهُمْ كُرَبَابٌ يَقْرِئُ مِنْ يَحْسَبُهُ الظَّمَانَ مَاءً حَقَّ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَحِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَنَهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٤٦﴾ (٦) أَوْ كَظُلْمَتِ

وَسَنْد ابن جرير الطبرى فيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنون، ولكن القصة مشهورة عند أهل السير وقد ساقها المحققون الذين تقدم ذكرهم، والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

(٣) سورة التوبة: الآيات ١٧ ، ١٨.

(٤) سورة النور: الآيات ٣٥ – ٣٨.

(٥) الجهل البسيط: عدم العلم بما من شأنه أن يكون عالماً.
والجهل المركب: عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.
انظر: التعريفات للجرجاني ص ٨٤.

فِي بَحْرِ لِّيَجِي يَغْشَهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ
إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لِهِ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (١).

فقد تبيّن أنّه ليس لهم حجة في شيءٍ مما جاء به محمد
– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، بل ما جاء به حجة عليهم من وجوه متعددة.

• • •

(١) سورة النور: الآياتان ٣٩، ٤٠. وقد جاء في أ (يحسبه الظمان ماء، الآية إلى قوله:
»فِيمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»).

فصل

قالوا: وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديتنا وأن لا نهمل ما معنا
ولا نرفض مذهبنا، ولا نتبع غير السيد المسيح، كلمة الله، وروحه
وحواريه الذين أرسلهم إلينا.

رفض دعوام
وجوب
المُسْك
بدينهم بعد
بعثة محمد
- صلى الله
عليه وسلم -

والجواب: إنهم احتجوا بحجتين باطلتين:

إحداهما^(١): أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يرسل
إليهم بل إلى العرب، وقد تبيّن أن الاحتجاج بها من أعظم الكذب
والافتراء على محمد - صلى الله عليه وسلم -، فإنه لم يقل قط: إني
لم أرسل إلى أهل الكتاب، ولا قال قط: إني لم أرسل إلا إلى العرب،
بل نصوصه المتواترة عنه وأفعاله تبيّن أنه مرسل إلى جميع أهل الأرض:
أمّهم، وكتابيهم.

والحججة الثانية: قولهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم -،
أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ، وهي أيضاً أعظم كذباً عليه
من التي قبلها، كيف^(٢) يثنى عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من
كتابه، ويأمر بجهادهم وقتالهم، ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية
الذم، ويصف من لم يرطاعته في قتالهم بالفاق والكفر، ويذكر أنه

(١) في س، ك، ط (أحدهما).

(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٣) في ط (فكيف).

يدخل جهنم، وهذا كله يخبر به عن الله^(١) ويذكره تبليغاً^(٢) لرسالة ربه، وإنما يضاف إليه لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنسأه وابتداه.

كما قال – تعالى – :

﴿إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤١٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا نُؤْمِنُ ٤٢٠ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذَرُ ٤٣٠ كَنْزِيلٌ مَنْ زَرَ الْعَالَمَيْنَ ٤٤٠ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٥٠ لَأَخْذَنَا مِنْهُ بِالْمَيْنَ ٤٦٠ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنَ ٤٧٠ فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ عَنْهُ حَجَرِينَ ٤٨٠ وَإِنَّهُ لَنَذَرَ لِلْمُتَقِنِينَ ٤٩٠ وَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٥٠٠ وَإِنَّمَا لَحْسَرَةٌ عَلَى الْكُفَّارِينَ ٥١٠ وَإِنَّمَا لَحْقَ الْيَقِينِ ٥٢٠ فَسَيِّدٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٣٠﴾^(٣).

وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتباهه، وكان على دينه الذي لم يبدل، فهذا حق وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد – صلى الله عليه وسلم – على من بعث إليه^(٤)، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل، وأن محمداً – صلى الله عليه وسلم – أثني على كل من اتباهها، وقال مع ذلك إن الله أرسلني إليكم، لم يكن ذلك^(٥) متناقضاً، وإذا كفر من لم يؤمن به لم ينافض ذلك ثراه عليهم قبل أن يكذبوه.

(١) في ط (عز وجل).

(٢) في س (يبلغنا) وهو تصحيف.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ – ٤٢.

(٤) في هامش نسخة أتعليق بخط مغایر لخط النسخة نصه ما يأتي: «بل يجب عليهم اتباهه، ولو نكث عن دعورتهم، لأمر الله – تعالى – لهم في كتبه السابقة باتباهه، بل ولو لم يؤمنوا في الكتب السابقة، لظهور معجزاته الخارقة، وتحديهم بالقرآن وصدق ما أخبر فيه مما تقدم، وما تأخر، وعزبه المؤمنين من الفتوح، والنصر، والظفر والظهور على الدين كله». اهـ. ولعله استطراد من ناسخ النسخة.

(٥) سقطت (ذلك) من س، ط.

فكيف وهو إنما مدح من اتبع دينًا لم يبدل؟ وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم، كما قال:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَدَرَيْ أَخْذُنَا مِيَثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذَكَرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بِيَنْهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُبَيَّثُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

وقد قدمنا أن النصارى كفروا كما كفرت اليهود^(٢) : كفروا بتبدلهم ما في الكتاب الأول، وكفروا^(٣) بتكذيبهم بالكتاب الثاني.

وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمداً - صلى الله عليه وسلم -^(٤) فآمن به، فهو لاء مؤمنون، ومما يبيّن ذلك: أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها، وعمله^(٥) بشرائعها أعظم من تعظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - للإنجيل، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح، فكيف يكون تعظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - للإنجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه^(٦) .

● ● ●

(١) سورة المائدة: الآية ١٤.

(*) هنا ورد في نسخة أ تعليق بهامش النسخة نصه هكذا: «وكفى بها معجزة دالة على صدقه - صلى الله عليه وسلم -، فإن العداوة من حين نزولها إلى قيام الساعة قائمة ... كلما أودعوا ناراً للحرب أطfaها الله ...».

(٢) في أ، س (كفراً).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ط .

(٤) في س (وعلمه).

(٥) من قوله: (وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه) إلى هذا الموضع ساقط كله من نسخة ك.

فصل

وأما قولهم: وحواريه الدين أرسلهم إلينا أنذرونا بلغتنا، وسلموا لنا ديننا^(١) الذين قد عظموها في هذا الكتاب، بقوله في سورة الحديد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَيْبِنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَبَ وَأَمْيَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . .﴾^(٢).

وقال في سورة البقرة:

﴿. . . فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ . . .﴾^(٣).

فأعني^(٤) بقوله أنبياء المبشرين، ورسله ينحو بذلك الحواريين الذين^(٥) داروا في سبعة أقاليم العالم، وبشروا بالكتاب الواحد، الذي هو الإنجيل الظاهر؛ لأنه لوعني عن^(٦) إبراهيم وداود، وموسى ومحمد، لكان قال: معهم الكتب؛ لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون

(١) سقطت جملة (وسلموا لنا ديننا) من أ، ك.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ويرجع إلى نص الرسالة وهو مخطوط وعندى منه نسخة وجدت الكلمة هكذا (فعني).

(٥) في س (الذى).

(٦) هكذا وردت في جميع النسخ، وأحسبها زائدة، ويرجع إلى النص الأصلي لم أجدها فيه فالعبارة هكذا (لأنه لو كان أعني إبراهيم . . . إلخ).

غيره، ولم يقل: إلا الكتاب الواحد؛ لأنه ما أتى جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الظاهر. وجاء أيضاً في الكتاب:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُولُ أَتَيْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

* يعني الحواريين – لم يقل: رسول، إنما قال: المرسلين *^(٢)، والجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس فيما ذكر ولا في غيره، ما يوجب تكذيب الرسول الذي أرسل إليكم و^(٣) إلى غيركم وتمسكم بدين مبدل منسوخ، كما أنه ليس فيما يعزم به موسى والتوراة ومن اتبع موسى ما يوجب لليهود تكذيب الرسول الذي أرسل إليهم، وتمسكم بدين مبدل منسوخ.

الثاني: أن قولهم: ولا نتبع غير المسيح وحواريه، قول باطل، فإنهم ليسوا متبعين، لا للمسيح ولا لحواريه، لوجهين:

أحدهما: أن دينهم مبدل ليس كله عن المسيح والحواريين، بل أكثر شرائعهم أو كثير منها ليست عن المسيح والحواريين.

الثاني: أن المسيح بشر بأحمد، كما قال – تعالى – :

﴿وَإِذَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبَغِي إِلَيْهِ يَلِإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا إِلَيْكُمْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَهُ أَحْمَدٌ﴾^(٤).

(١) سورة يس: الآية ٢٠.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أوزدناه من سائر النسخ.

(٣) في ط (أ).

(٤) سورة الصاف: الآية ٦.

فإذا لم يتبعوا أَحْمَدَ، كانوا مكذبين للمسيح، وعندهم من البشارات عن المسيح وغيره من الأنبياء بِأَحْمَدَ، ما هو مبسوط في موضع آخر * كما سيأتي إن شاء الله *^(١).

وإنما المقصود هنا من احتجاجهم بشيء مما جاء به محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وبيان أنه حجة عليهم لا لهم، إذ زعموا أن في بعضه حجة لهم.

الثالث: أن قولهم عن الحواريين: أنهم الرسل الذين عظموا في هذا الكتاب قول باطل، فسروا به القرآن تفسيراً باطلأً من جنس تفسيرهم «الذين أنعمت عليهم» بالنصاري. وتفسيرهم «بِإِذْنِي» أي: ينفع فيه فيكون طيراً بإِذْنِ الْلَّاْهُوتِ الذي هو كلمة الله المتجدة في الناسوت، وتفسيرهم:

﴿الَّذِي أَنْذَلَكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ...﴾^(٢).

بِالْإِنْجِيلِ، وتفسيرهم:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُوَ يُوْقَنُ﴾^(٤) هم النصارى.

وتفسيرهم قوله: ﴿وَلَا تُحَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِأَلْقِي هِيَ أَحَسَنُ...﴾^(٤) هم النصارى.

(١) ما بين التجمتين ساقط من أوزانه من سائر النسخ.

وسيتحدث عن ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث وأول الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١، ٢.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٣، ٤.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا . . .﴾ هم اليهود.

وأمثال ذلك من تفسيرهم القرآن، مثل^(١) ما يفسرون به التوراة، والإنجيل، والزبور، من التفاسير التي هي من تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، والكذب على أنبيائه بما يظهر أنه كذب على الأنبياء^(٢) لكل من تدبر ذلك. وبطلان ذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله قال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتٍ وَأَنَّزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَبَ وَأَمْيَزَانَ لِقَوْمَ النَّاسِ بِالْقِسْطٍ وَأَنَّزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِعِلْمٌ أَللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ﴾^(٣).
وقوله – تعالى – : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾.

اسم جمع مضاد، يعم جميع من أرسله الله – تعالى – .

الثاني: أن أحق^(٤) الرسل بهذا الحكم الذين سماهم^(٥) في القرآن كما قال – تعالى – :

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَدْرُونَ وَسُلَيْمَنَ وَمَا تَبَيَّنَ دَأْوَدَ زَبُورًا ﴿٢٢﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ

(١) في س، ك، ط (بمثل).

(٢) في أ (أنبيائه).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٤) في أ (جعل) بدل (أحق) وصوابه ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٥) في ط (سماهم الله تعالى).

وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمَ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٦ وَمُنْذِرِينَ إِثْلَالِكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٧ .

وقال (٢) في سورة الشعرا :

﴿ كَذَّبَ قَوْمٌ نَوْجَ الْمُرْسَلِينَ ١٦٥ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نَوْجَ الْأَنْقَوْنَ ١٦٦ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٧ فَانْقُوْا إِلَيَّهُ وَأَطِيعُونِ ١٦٨ وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٩ فَانْقُوْا إِلَيَّهُ وَأَطِيعُونِ ١٧٠ ٣ .﴾

(وقوله) (٤) :

﴿ كَذَّبَ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ لَا نَنْقَوْنَ ١٧٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٣ فَانْقُوْا إِلَيَّهُ وَأَطِيعُونِ ١٧٤ وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧٥ . ٥ .﴾

(وقوله) (٦) :

﴿ كَذَّبَ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَلَحٌ الْأَنْقَوْنَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨ فَانْقُوْا إِلَيَّهُ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠ ٧ .﴾

(وقوله) (٨) :

(١) سورة النساء: الآيات ١٦٣ - ١٦٥ .

(٢) في س، ل، ط (وقال تعالى).

(٣) سورة الشعرا: الآيات ١٠٥ - ١١٠ .

(٤) سقطت (وقوله) من أ، س، ل و زدناه من ط.

(٥) سورة الشعرا: الآيات ١٢٣ - ١٢٧ .

(٦) سقطت (وقوله) من أ، س، ل و زدناه من ط.

(٧) سورة الشعرا: الآيات ١٤١ - ١٤٥ .

(٨) سقطت (وقوله) من أ، س، ل، و زدناه من ط.

﴿ كَذَّبَ قَوْمٌ لَوْطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لَوْطٌ أَلَا يَنْقُوْنَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَأَنْقَوْا اللَّهَ وَأَطْبَعُوْنَ ﴿١٦٣﴾ وَمَا آتَيْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ .)^(١)

وقوله^(٢) :

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ الْأَنْقُوْنَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٢﴾ فَأَنْقَوْا اللَّهَ وَأَطْبَعُوْنَ ﴿١٧٣﴾ وَمَا آتَيْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ .)^(٣)

وقال — تعالى — :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَيْنَكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَمَ فِرْعَوْنَ وَالرَّسُولَ فَأَخْذَذَنَهُ أَخْذَادَ بِيَلًا ﴿١٦﴾ .)^(٤)

وقال — تعالى —^(٥) :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَطْلِ لِيُتَحْضُرُوا بِهِ الْحَقُّ فَأَخْذَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ ﴿٦﴾ .)^(٦)

وقال — تعالى — :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا يَنْقُوْنَ ﴿٧﴾ .)^(٧)

(١) سورة الشعرا: الآيات ١٦٠ — ١٦٤. (٥) سقطت هذه الجملة من ك.

(٢) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط. (٦) سورة غافر: الآية ٥.

(٣) سورة الشعرا: الآيات ١٧٦ — ١٨٠. (٧) سورة المؤمنون: الآية ٢٣.

(٤) سورة المزمل: الآيات ١٥، ١٦.

وذكر قصته ثم قال^(١) بعد ذلك :

﴿ قَرَأْنَا مِنْ بَعْدِهِرْ قُرْنَاءَ أَخْرَيْنَ ٢١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفْلَانُّهُوَنَ ٢٢ ﴾ .

ثم لما قضى قصته قال - تعالى - :

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِرْ قُرْنَاءَ أَخْرَيْنَ ٢٣ مَا قَسَقَ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَاهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ٢٤ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِنَّمَا كُلُّ مَاجَاهَ أُمَّةٍ رَسُولُهَا كَذَبُوهُ فَاتَّبَعُنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ بَعْدَالْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٥ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِعَيْنَتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٢٦ إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ فَأَسْتَكْدِرُوا وَكَانُوا فَوْقَمَا عَالِيَّنَ ﴾ .^(٢)

فذكر إرسال رسله تترى - أي متواترة - ثم ذكر إرسال موسى، وهارون، وإرسال موسى وهارون قبل^(٤) المسيح بمدة طويلة.

وقال - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّلْمَوْتَ فِيْنَهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الظَّنَّلَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ ﴾ .^(٥)

فهذا إخبار منه - سبحانه وتعالى - بأنه بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وقال - تعالى - في المسيح - صلوات الله عليه - :

(١) في ط (ثم قال من بعد).

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ٣١ ، ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون : الآيات ٤٢ - ٤٦.

(٤) في ط (قبل إرسال المسيح).

(٥) سورة النحل : الآية ٣٦.

﴿مَا أَمْسِيْحٌ أَبْنَى مَرِيْمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّةٌ
صِدِّيقَةٌ . . .﴾^(١)

فأخبر أن المسيح رسول من هؤلاء الرسل:
﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ .

وبقائه قد بعث في كل أمة رسول^(٢).

وقد روى في حديث أبي^(٣) ذر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أن الأنبياء مائة ألفنبي، وأن الرسل منهم ثلاثة وثلاثة عشر»^(٤). وبعض الناس يصحح هذا الحديث وبعضهم يضعفه، فإن

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) في أ (رسول) وكلا الأمرين صحيح فيخرج على أن بعث مبني للمجهول في حال الرفع. (٣) في س (ابن) وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن حبان بسنده قال: أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني، والحسين بن عبد الله القطان، وابن سلم قالوا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخوارزمي، عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس وحده. وفيه أن أبي ذر سأله أسئلة كثيرة منها قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألف». قلت يا رسول الله: كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثة وثلاثة عشر جائعاً غافراً». . . ثم ذكر الحديث بطوله.

قال المishi - رحمه الله - «في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» فيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني قال أبو حاتم وغيره: كذاب. انظر: موارد الظمآن ص ٥٢ - ٥٤ حديث رقم (٩٤). وجاء في ميزان الاعتدال ٧٣ - ٧٢/١ «هو صاحب حديث أبي ذر الطويل، انفرد به عن أبيه عن جده. قال الطبراني: لم ي BRO هذا عن يحيى إلا ولده وهم ثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن أبي حاتم ينبغي ألا يحدث عنه وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب». وقد أخرج الحاكم في المستدرك ٢٦٢/٢ من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، معلم، مكلم» قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون» قال: كم كان بينه وبين إبراهيم؟ قال: =

كان صحيحاً، فالرسل ثلاثة وثلاثة^(١) عشر، وإن لم تعرف صحته
أمكـن أن يكونوا بقدر ذلك وأن يكونوا أكثر، كما يمكن أن يكونوا أقل،
فإن الله - تعالى - ^(٢) أخـبر أنه بعـث في كل أمة رسـولاً.

وقـال - تعالى - :

﴿إِنَّا أَرَسـلـنـاكـ بـالـحـقـ بـشـيرـاً وـنـذـيرـاً وـإـنـ مـنـ أـمـةـ إـلـاـخـلـاـ فـيـهـاـ نـذـيرـ﴾^(٣).

وروى أن^(٤) النبي - صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - قال^(٥): «أـنـتـمـ تـوـفـوـنـ
سـبـعـيـنـ أـمـةـ أـكـرـمـهـاـ وـأـفـضـلـهـاـ عـلـىـ اللهـ»^(٦) * وهو حـدـيـثـ جـيـدـ *^(٧).

وقد^(٨) قال - تعالى - في سـوـرـةـ الزـمـرـ:

﴿وـسـيـقـ الـذـيـنـ كـفـرـوـ إـلـىـ جـهـنـمـ زـمـاـحـيـ إـذـ أـجـاءـهـ وـهـاـ فـتـحـتـ أـبـوـبـهـاـ
وـقـالـ لـهـمـ خـرـنـهـاـ أـلـمـ يـأـتـكـمـ رـسـلـ مـنـكـمـ يـتـلـوـنـ عـلـيـكـمـ إـيـنـ رـتـيـكـمـ وـنـذـرـوـنـكـمـ﴾

«عـشـرـةـ قـرـونـ» قال: يا رسول الله كـمـ كـانـتـ الرـسـلـ؟ قال: «ثـلـاثـةـ وـخـمـسـ عـشـرـةـ
جـمـاـ غـفـيـرـاـ». قالـ الـحـاـكـمـ: سـنـدـهـ صـحـيـحـ عـلـىـ شـرـطـ مـسـلـمـ، وـوـافـقـهـ الـذـهـبـيـ.

(١) في سـ، كـ (ثـلـاثـ).

(٢) سـقطـتـ (تعـالـىـ) منـ سـ، كـ، طـ.

(٣) سـوـرـةـ فـاطـرـ: الآـيـةـ ٢ـ٤ـ.

(٤) في سـ، كـ، طـ (عـنـ).

(٥) في سـ، كـ، طـ (أـنـهـ قـالـ).

(٦) رـوـاهـ التـرـمـذـيـ فيـ كـتـابـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، تـفـسـيرـ سـوـرـةـ آـلـ عـمـرـانـ ٥/٢٦٦ (٣٠٠١)
بـلـفـظـ «إـنـكـمـ تـمـوـنـ سـبـعـيـنـ أـمـةـ أـنـتـمـ خـيـرـهـاـ وـأـكـرـمـهـاـ عـلـىـ اللهـ». وـقـالـ هـذـاـ حـدـيـثـ حـسـنـ
ثـمـ قـالـ وـقـدـ روـيـ غـيـرـ وـاحـدـ هـذـاـ حـدـيـثـ عـنـ بـهـزـ بـنـ حـكـيـمـ نـحـوـ هـذـاـ، وـرـوـاهـ
ابـنـ مـاجـهـ فـيـ الـزـهـدـ، بـابـ صـفـةـ أـمـةـ مـحـمـدـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - ١٤٣٣/٢
(٤٢٨٨)؛ وـرـوـاهـ الإـلـمـامـ أـحـمـدـ فـيـ الـسـنـدـ ٥/٥؛ وـجـاءـ فـيـ مـسـنـدـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـمـرـ
صـ ٢٧ـ رـقـمـ (٢٤ـ) بـلـفـظـ أـنـ أـمـتـيـ هـذـهـ تـوـفـيـ سـبـعـيـنـ أـمـةـ نـحـنـ آـخـرـهـاـ وـخـيـرـهـاـ.

(٧) سـقطـ مـاـ بـيـنـ النـجـمـيـنـ مـنـ أـ، سـ وـزـدـنـاهـ مـنـ كـ، طـ.

(٨) سـقطـ (قـدـ) مـنـ كـ، طـ.

لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَاتِلُوا بَلَى وَلَكِنَ حَقَّتْ كَلْمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَفَرِينَ ﴿١﴾.

وقال – تعالى – في سورة تبارك :

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ إِذَا أَقْرَأْفِيهَا سَعْوَالْمَأْمَدِ شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٣﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْفَيْظِ كَلَمًا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَالَمُهُ خَرَنَهَا الْمَيَاتِ كُمْ ذَنَبِرٍ ﴿٤﴾ قَاتِلُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبَنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَيْرٍ ﴿٥﴾﴾.

فهذا إخبار منه بأن كل فوج يلقى في النار، وقد جاءهم نذير كما

قال – تعالى – :

﴿ وَمَا كَانَ مَعَذِّبِينَ حَقَّ بَعْثَ رَسُولًا ﴿٦﴾﴾.

وقد قال – تعالى (٤) – :

﴿ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿٧﴾﴾.

وقال – تعالى – :

﴿ يَمْعَشَرَ الْحِنْ وَالْأَلْسِنَ الْمَيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ إِيمَانِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَاتِلُوا شَهِدَنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٨﴾﴾.

(١) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٢) سورة الملك الآيات ٦ – ٩، وقد سقطت آية ٧ من س، لـ، ط ومكانتها (وقال تعالى).

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٤) سقطت (تعالى) من ط.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

فقد أرسل الله قبل المسيح رسلاً كثرين إلى جميع الأمم، فكيف يجوز أن يدعي أن المراد بقوله – تعالى (١) – : **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا** **بِالْبَيِّنَاتِ﴾** هم الحواريون فقط، الذين أرسلهم المسيح، مع أن الحواريين رسول المسيح بمنزلة رسول موسى، وإبراهيم، ورسول محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ومن أرسله رسول الله – **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** – وجبت طاعته على الناس (٢) فيما يبلغه عن رسول الله (٣)، كما في الصحيحين عن النبي – **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** – أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني» (٤).

فبين أن أميره إنما تجب طاعته في المعروف الذي أمر الله به (٥) ورسوله. لا في كل ما يأمر به، ففي الصحيحين عن علي (٦): «أن

(١) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٢) في س، ك، ط (وجبت على الناس طاعته).

(٣) في س (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الأحكام، أول حديث في الباب ١٠٤/٨ بلفظ مقارب.

باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصيته وتحريمهما في المعصية ١٤٦٦/٣ (٣٢)؛ ورواه النسائي في كتاب البيعة، باب الترغيب في طاعة الإمام ١٥٤/٧؛ ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٥٠٦/٢ – ٥٠٧ باب ذكر السمع والطاعة بسنده من طرق متعددة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – رقم (١٠٦٥)، (١٠٦٦)، (١٠٦٧)، ورواه أبو عوانة في مستنده من حديث أبي هريرة بطرق متعددة ٤٤٤/٤ – ٤٤٦.

(٥) سقطت (الواو) من ط.

(٦) في ط (عن علي عليه السلام).

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً، وأمرهم أن يسمعوا ويطيعوا، فأغضبوا. فقال^(١): اجمعوا لي حطباً فجمعوا له. ثم قال: أوقدوا ناراً فأوقدوا ناراً، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا^(٢): إنما فررنا إلى رسول الله من النار، فكانوا كذلك حتى سكن غضبه، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم^(٣) –، وقال: «لودخلوها ما خرجوا منها أبداً» وقال: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»^(٤). وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «على المرء^(٥) المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع وطاعة»^(٦).

(١) في أ، (قالوا) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) في ك، ط (قالوا).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٤) رواه البخاري في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ١٠٦/٨؛ ورواه في أخبار الأحاد، أول الباب ١٣٤/٨، ١٣٥؛ وفي المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة ويقال أنها سرية الأنصار ١٠٧/٥؛ ورواه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣ (٤٠)، وأبو داود في الجهاد، باب في الطاعة ٩٢/٣ – ٩٣/٣ (٢٦٢٥)، والنسائي في البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية فطاع ١٥٩/٣، وأحمد في المسند ٨٢/١، ٩٤، ١٢٤، وأخرجه أبو عوانة في مسنده من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن علي – رضي الله عنه – بطرق متعددة وفيها أن الرجل من الأنصار ٤٥١/٤.

(٥) في س، ك، (المؤمن).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية بلفظ السمع والطاعة على المرء المسلم... الحديث ١٠٥/٨، ورواه في الجهاد باب =

وفي مسلم عن أم الحصين سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع يقول: «ولو استعمل عليكم عبد أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا»^(١).

وفي الصحيحين عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ليلبلغ الشاهد^(٢) الغائب فرب مبلغ أوعى له من سامع»^(٣).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي

السمع والطاعة للإمام ٤/٧، ورواه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٦٩/٣ (١٨٣٩)، وأبوداود في الجهاد، باب في الطاعة ٩٣/٣ (٢٦٢٦)، والترمذى في الجهاد، باب لا طاعة لمحلوق في معصية الخالق ٤/٢٠٩ (٢٠٧٠)، وقال حديث حسن صحيح، والنمساني في البيعة باب جزاء من أمر بمعصية ٧/١٥٩، وابن ماجه في الجهاد، باب لا طاعة في معصية ٢/٩٥٦ (٢٨٦٤)، وأحمد ١٦٠، ١٤٢، وأبوعوانة في مسنده من حديث ابن عمر ٤/٤٥٠ ومن حديث نافع بنحوه.

(١) جاءت جملة (فاسمعوا وأطيعوا) في أول الكلام في نسخة أبخلاف سائر النسخ ونص الحديث وهو في صحيح مسلم بلفظ: سمعته يقول: «إن أمر عليكم عبد مجدع – حسبتها قالت أسود – يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا». رواه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، ٢/٩٤٤ (٣١١)، ورواه أبو عوانة في مسنده من حديث أم الحصين الأحمسيّة ٤/٤٤٦، ورواه من حديث أبي ذر، وعبادة بن الصامت بلفظ متقابلاً ٤/٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) في س، ك، ط (فليلغ) وما أثبتناه من أ، ومن نص الحديث.

(٣) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – رب مبلغ أوعى من سامع ١/٢٤، ٢٥، وفي موضع آخر من كتاب العلم، باب ليلبلغ العلم الشاهد الغائب ١/٣٥، ورواه في الأضاحي ٦/٢٣٥، وفي الفتنة ٨/٩١، وفي التوحيد ٨/١٨٦، ورواه مسلم في الحج، باب تحريم مكة، ٢/٩٨ (٤٤٦)، وفي القسمة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/١٣٠٥ (٢٩)، (٣٠)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علمًا ١/٨٥ (٢٣٣)، وأحمد في مسنده ٥/٣٧، ٣٩، ٤٠ وكلهم رواه من حديث أبي بكرة عن أبيه.

— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ: «بَلَّغُوا عَنِي وَلَوْ آتَيْتُهُ وَهَدَّيْتُهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجٌ وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مَتَعَمِّدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابِ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٤/١٤٥، وَالْتَّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، بَابِ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٥/٤٠ وَقَالَ عَنْهُ هَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ صَحِحٍ، وَالْدَّارَمِيُّ فِي السِّنْنِ، بَابِ الْبَلَاغِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَتَعْلِيمِ السِّنْنِ ١/١٣٦، وَأَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي بَابِ كَرَاهَةِ رَوَايَةِ أَحَادِيثِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُأْثُورَةِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ٢/١١٧ (١٣٥٠) وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ٢/١٥٩، ٢٠٢، وَأَبُو دَاوُدُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، بَابِ الْحَدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٤/٧٠ (٣٦٦٢) مُقْتَصِّرًا عَلَى قَوْلِهِ: «هَدَّيْتُهُمْ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجٌ» عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — .

وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، بَابِ الشَّتَّادِ فِي الْكَذْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ٤/٦٣ مُقْتَصِّرًا عَلَى قَوْلِهِ «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مَتَعَمِّدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ» — مِنْ حَدِيثِ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — وَأَخْرَجَهُ أَبْنَيْ مَاجِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبْنِ مَسْعُودٍ مُقْتَصِّرًا عَلَى هَذِهِ الْجَمْلَةِ فِي الْمُقْدِمَةِ، بَابِ التَّغْلِيْظِ فِي تَعْمِدِ الْكَذْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ١/١٣ .

قَالَ الْخَطَابِيُّ — رَحْمَهُ اللَّهُ — «لَيْسَ مَعَنِاهُ إِبَاْحَةُ الْكَذْبِ فِي أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَرَفْعُ الْحَرْجِ عَنْ نَقْلِهِمُ الْكَذْبَ، وَلَكِنْ مَعَنِاهُ الرِّخْصَةُ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ عَلَى مَعْنَى الْبَلَاغِ، وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ صَحَّةُ ذَلِكَ بِنَقْلِ الْإِسْنَادِ، وَذَلِكَ لَأَنَّهُ أَمْرٌ قَدْ تَعْذَرَ فِي أَخْبَارِهِمْ لَبَعْدِ الْمَسَافَةِ، وَطُولِ الْمَدَةِ، وَوَقْعَةِ الْفَتْرَةِ بَيْنَ زَمَانِيَ النَّبُوَّةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَجُوزُ عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — إِلَّا بِنَقْلِ الْإِسْنَادِ وَالثَّبَّتِ فِيهِ» اَنْظُرْ : مَعَالِمِ السِّنْنِ ٤/٧٠ .

قَلْتَ: أَمَا عَنْ تَصْدِيقِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ تَكْذِيبِهِمْ فِي أَخْبَارِهِمْ فَالْأَمْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُوْجَهٍ: الْأُولَى: مَا وَافَقَ صَرِيحَ مَا جَاءَنَا بِهِ الْإِسْلَامُ فَهَذَا مَقْبُولٌ قَوْلًا وَاحِدًا مِنْ مَنْ تَلَقَّ إِيمَانًا بِدِينِنَا .

الثَّانِي: مَا خَالَفَ صَرِيحَ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ فَهَذَا مَرْفُوضٌ قَوْلًا وَاحِدًا مِنْ مَنْ تَلَقَّ إِيمَانًا بِدِينِنَا فِي صَدَقِ دِينِنَا .

الثَّالِثُ: مَا لَا يَوْفَقُ، وَلَا يَخَالِفُ صَرِيحَ مَا جَاءَ بِهِ دِينِنَا فَهَذَا عَلِمْنَا الرَّسُولُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّ لَا نَصْدِقُهُمْ فِيهِ وَلَا نَكْذِبُهُمْ وَنَقُولُ لَهُمْ: «أَمَّا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ فَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» .

وفي السنن عنه أنه قال: «نَصَرَ اللَّهُ امْرًا سَمِعَ^(١) مِنْ حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ^(٢) إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ فَرَبُّ حَامِلٍ فَقَهْ غَيْرُ فَقِيهِ، وَرَبُّ حَامِلٍ فَقَهْ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»^(٣).

فالحواريون في تبليغهم عن المسيح كسائر أصحاب الأنبياء في تبليغهم عنهم، وقال الله - تعالى - في كتابه:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤).

وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء، فإذا أمروا بما أمر الله به ورسوله، وجبت طاعتهم، وإن تنازع الناس في شيء وجب رده إلى الله والرسول، لا يرد إلى أحد دون الرسل الذين أرسلهم الله، كما قال في الآية الأخرى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُرْثَوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبِيْنَتُ بَعْنَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَأْذِنُهُ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).

(١) في س، ل، ط (استمع فسمع).

(٢) في س، ل، ط (ويبلغه).

(٣) سبق تحريره.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله ليس المراد به كتاباً معيناً، كما قال^(١) - تعالى - :

﴿لَيَسَ الَّرَّبُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الَّرَّبَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَئِكَةَ وَالْكِتَبِ وَالْبَيِّنَاتِ﴾^(٢).

ولم يرد بهذا أن يؤمن بكتاب معين واحد، بل و^(٣) هذا يتضمن الإيمان بالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وكل ما أنزله الله من كتاب، كما قال في سورة الشورى:

﴿فَلَذِلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَنْتَعَ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ...﴾^(٤).

فأمره الله - تعالى - أن يؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب، وأن يعدل بين من بلغتهم رسالته، كما قال:

﴿... لَا تُنْذِرُ كُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَ...﴾^(٥).

فكل^(٦) من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خطاب القرآن وفي الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «بلغوا عنى ولو آية»^(٧).

(١) في ط (كما قال الله تعالى).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٣) سقطت الواو من س، ك، ط.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٦) هنا تقديم وتأخير في س، ك، ط لا يضر بالسياق.

(٧) الحديث قطعة من حديث طويل سبق تخرجه من الصحيحين ومن كتب السنن قبل صفحات قليلة.

وقال – تعالى – :

﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ، وَكُلُّهُمْ وَرَسُولِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾^(١).

وفي القراءة الأخرى وكتابه ورسله وكلا القراءتين موافقة للأخرى^(٢) قوله – تعالى – : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾^(٣).

أي فاختلفوا بعد ذلك. كما قال في السورة الأخرى:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا...﴾^(٤).

فلما اختلف بنو آدم بعث النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب.

وذلك يتناول كل كتاب أنزله الله ليحكم الله، ويحكم كتابه بين الناس بالحق فالحاكم بين الناس هو الله – تعالى – ، وحكمه في كتبه المنزلة، فلهذا أمر الله المؤمنين إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول.

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، فأمرهم بالرد إلى كتابه ورسوله، وقد ذم – تعالى – من لم يتحاكم إلى كتابه ورسوله فقال – تعالى – :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّلْعَوْتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) في س، ك (الأخرى) وسيأتي في تخریج القراءتين بعد عدة صفحات.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٤) سورة يونس: الآية ١٩.

الشَّيْطَنُ أَن يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ٦١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ٦٢
وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُرُونَ عَنْكَ صُدُودًا ٦٣ فَكَيْفَ إِذَا
أَصَبَّتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَنَنَا وَتَوْفِيقًا ٦٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَعَظِّمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِتْ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيْغًا ٦٥ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ
فَإِنْ لِيْطَاعَ إِذَا ذَرَ اللَّهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءَهُمْ وَكَفَى سَعْفَرُوا
اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا ٦٦ فَلَا وَرِيْكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ
حَرَجًا مِمَّا فَضَيَّتْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ٦٧ .

فقد تبيّن أن الرسل الذين ذكرهم الله في قوله:
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾

يتناول الرسل الذين أرسلهم الله - تعالى - (١) كلهم ، ومن أحقرهم بذلك الرسل الذين أخبر في القرآن أنه أرسلهم إلى عباده ، فظهر بطلان قوله أنهم الحواريون .

الوجه الثالث: أنه قال :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَبَ وَالْمِيزَانَ
لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَّعَ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ﴾ (٢) .

فذكر أنه أنزل الحديد أيضاً؛ ليتبين من يجاهد في سبيل الله

بالحديد .

(١) سورة النساء: الآيات ٦٠ - ٦٥ .

(٢) سقطت (تعالى) من ك ، ط .

والنصارى يزعمون أن الحواريين والنصارى لم يؤمروا بقتال أحد بالحديد.

الوجه الرابع: أنه قال بعد ذلك:

﴿وَلَقَدْ أَرَسْلَنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِّيَّتِهِمَا الْشَّبَّوَةَ وَالْكِتَبَ فِيهِمْ مُهَتَّدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسِقُونَ ﴾٢٦﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَيْهِمْ بِرُسْلَنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ الْأَنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَبْعَأْنُهُمْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً . . .﴾^(١)

وأخباره بإرسال نوح وإبراهيم بعد قوله: لقد أرسلنا رسلنا بالبيانات من باب ذكر الخاص بعد العام، وبيان ما اختص به الخاص من الأحكام التي امتاز بها عن غيره، مما دخل في العام كما يأمر السلطان العسکر بالجهاد، ويأمر فلاناً وفلاناً بأن يفعلوا كذا وكذا، ومثل أن يقال^(٢) أرسل رسله إلى فلان، وأرسل إليهم فلاناً، وأمره بكذا وكذا، قال تعالى - :

﴿وَلَقَدْ أَرَسْلَنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِّيَّتِهِمَا الْشَّبَّوَةَ وَالْكِتَبَ . . .﴾^(٣)
ف Noah هو أبو الأدميين الذين حدثوا بعد الطوفان، فإن الله أغرق ولد آدم إلا أهل السفينة، وقال في نوح: ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُمْ أَبْلَاقِينَ﴾^{(٤)(٥)}

(١) سورة الحديد: الآيات ٢٦، ٢٧.

(٢) سقطت (يقال) من ط.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(٤) سورة الصافات: الآية ٧٧.

(٥) قال ابن كثير - رحمة الله - : «كل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم سامٍ وحامٍ ويافت».

وإبراهيم جعل الأنبياء بعده من ذريته، كما قال – تعالى – في إبراهيم:

﴿ وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذَرِيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١).

ثم قال بعد أن ذكر إرسال نوح وإبراهيم وأنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ أَثَارَهُمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ... ﴾^(٢).

فأخبر أنه قفى على آثارهم برسله وقفى بيعيسى بن مريم، وآتاه الإنجيل، وهولاء رسل قبل المسيح، وآخرهم المسيح ولم يذكر أنه أرسل أحداً من أتباع المسيح، بل أخبر^(٣) أنه جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة، فكيف يجوز أن يقال: أن مراده بالرسل الذين أرسلهم بالبيانات، وأنزل معهم الكتاب، والميزان، هم الحواريون، دون الرسل الذين ذكرهم وأرسلهم قبل المسيح.

وقد نقل إجماع أهل الأديان، الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان، على وقوع الطوفان، وأنه عم جميع البلاد، ولم يبق الله أحداً من كفرا العباد، استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذأ لما سبق في القدر المحتموم». وقد ذكر قبل هذا أنه لم ينكره إلا طائفة من جهله الفرس وأهل الهند، ويبين أن هذا سفطه منهم وجهل فضيع، ومكابرة للمحسوسات.

انظر البداية والنهاية ١١٨/١.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٧.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) سقطت (أخبر) من ط.

الوجه الخامس: أنه ليس في القرآن آية تنتقد بأن الحواريين
رسل^(١) الله، بل^(٢) ولا صرخ في القرآن بأنه أرسلهم، لكن قال في
سورة يس:

﴿وَأَخْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
أَثَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا شَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مِّنْ سَلُونَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ الْوَارِثُونَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ
لَمْ يُرْسَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَغُ الْمُبِينُ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَاطَرَنَا يَكْمُلُونَ لَيْلَنَّ تَنَاهُوا
لَنَزَّهُنَّكُمْ وَلَيَسْتُكُمْ مَنَّا عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٢٨﴾ قَالُوا طَاطِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكْرُمْ بَلْ
أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٠﴾ أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْعَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَمَالِي لَا أَعْبُدُ
الَّذِي فَطَرَ فِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا تَنْهَى مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ كَهْنَةٌ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرِّ
لَا تُغْنِي عَنِ شَفَاعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٣٣﴾ إِنْ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ ﴿٣٤﴾ إِنْ فَسَرَ
إِمَانَتِكُمْ فَإِنَّمَا سَمِعُونَ ﴿٣٥﴾ قِيلَ أَدْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
يُمَاغِفَرَ لِرَقِّ وَجَلَّنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزَلِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَاصِيَحَةُ وَنِجَادَةٌ فَإِذَا هُمْ خَدِيمُونَ
يَحْسَرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ﴿٣٩﴾^(٣).

فهذا كلام الله ليس فيه ذكر أن هؤلاء المرسلين كانوا من
الحواريين، ولا أن الذين أرسلوا^(٤) إليهم آمنوا بهم، وفيه أن هؤلاء القوم
الذين أرسل إليهم هؤلاء الثلاثة أنزل الله عليهم صيحة واحدة، فإذا هم
خامدون.

(٣) في ط (هم رسول الله).

(٤) سقطت (بل) من س.

(١) سورة يس: الآيات ١٣ - ٣٠.

(٢) في ك، ط (أرسل).

وقد ذكر طائفة من المفسرين، أن هؤلاء كانوا من الحواريين، وأن القرية أنطاكية وأن هذا الرجل اسمه حبيب التجار^(١)، ثم إن بعضهم يقول: إن المسيح أرسلهم في حياته، لكن المعروف عند النصارى، أن أهل إنطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم لم يهلك الله أهل إنطاكية.

والقرآن يدل على أن الله أهلك قوم هذا الرجل الذي آمن بالرسل .

وأيضاً فالنصارى يقولون: إنما جاءوا إلى أهل إنطاكية بعد رفع المسيح، وأن الذين جاءوا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث. قيل: أحدهما: شمعون الصفا. والآخر بولص^(٢). ويقولون: إن أهل إنطاكية آمنوا بهم، ولا يذكرون حبيب التجار، ولا مجيء رجل من أقصى المدينة، بل يقولون: إن شمعون وبولص، دعوا الله حتى أحيا ابن الملك، فالأمر المنقول عند النصارى، أن هؤلاء^(٣) المذكورين^(٤) في القرآن، ليسوا من الحواريين، وهذا أصح^(٥) القولين عند علماء

(١) سبقت ترجمته.

(٢) جاء في تفسير ابن الجوزي ١٠/٧ - ١١ [سورة يس: آية ١٤]: «وفي اسميهما ثلاثة أقوال: أحدهما - صادق، وصدق، قاله ابن عباس، وكتب.

والثاني: يوحنا وبولس، قاله وهب بن منبه.
والثالث: تومان وبولس، قاله مقاتل.

قال ابن الجوزي - رحمه الله - ، قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريين، وهو وصي عيسى - عليه السلام - ، وانتظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٣٣٧. كتاب الأنبياء، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية.

(٣) في هامش ك، ط (هؤلاء الرسل).

(٤) في أ، س، ك (المذكورون) وهو خطأ صوابه ما أثبته من ط .

(٥) في ط (أصل) وهو تصحيف.

المسلمين، وأئمة المفسرين و^(١) ذكروا أن^(٢) المذكورين في القرآن في سورة يس، ليسوا من الحواريين، بل كانوا قبل المسيح، وسموهم بأسماء غير^(٣) الحواريين، كما ذكر محمد بن إسحاق، قال: سلمة بن الفضل^(٤): كان من حديث صاحب يس فيما حديثي محمد بن إسحاق، عن ابن عباس، وعن كعب^(٥)، وعن وهب^(٦) بن منبه، أنه كان رجلاً^(٧) من أهل إنطاكية، وكان اسمه حبيباً، وكان يعمل الحرير^(٨)، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة،

(١) سقطت (الواو) من ك، ط .

(٢) في ك (أن الرسل المذكورين).

(٣) في ك، ط (غير أسماء).

(٤) سقطت (ابن الفضل) من ك، وسبقت ترجمته.

(٥) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري، كان يهودياً يمنياً، ثم أسلم، وقدم المدينة أيام عمر، ثم خرج إلى الشام فاختاره معاوية وجعله من مستشاريه، وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام، وهو من رواة الحديث، مات في حمص سنة ٣٢٥هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٥٢/١ (٣٣)؛ وحلية الأولياء ٣٦٤/٥ (٣٢٥)؛ والإصابة لابن حجر ٢٩٧/٣ (٧٤٩٨)؛ والأعلام ٢٢٨/٥.

(٦) سقطت (وعن وهب) من ط، وجاءت الجملة فيها هكذا (وعن كعب بن منبه) وهو خطأ.

ووهب بن منبه: هو أبو عبد الله وهب اليماني الصنعاني، ولد سنة ٣٤هـ في اليمن، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهما من الصحابة، وروى عنه ابنه عبد الله عبد الرحمن، وأنجح له البخاري ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائي، مات سنة ١١٤هـ.

انظر: معجم المؤلفين ١٣/١٧٤؛ ووفيات الأعيان ٢/٢٣٨؛ والأعلام ٩/١٥٠.

(٧) في ط (رجل).

(٨) في ط (بالحرث).

يتاجر^(١)، وكان مؤمناً بما صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين، فيطعم نصفه عياله، ويتصدق بنصفه وكان بالمدينة التي هو بها، مدينة إنطاكيه، فرعون من الفراعنة، يقال له: إنطخس بن أنطخس، يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله إليه المرسلين وهم ثلاثة: صادق، وصدق، وشلوم^(٢)، فقدم الله إليه وإلى أهل المدينة منهم اثنين فكذبواهما، ثم عزز الله بالثالث^(٣).

وروى الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله - تعالى -^(٤) :

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَثْنَيْنِ فَكَذَبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا إِلَيْهِمْ ...﴾^(٥).

لكي تكون الحجة عليهم أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهם إلى الله وحده، وعبادته لا شريك له، فكذبواهم، فأتوا على رجل في ناحية القرية في زرع له فسألهم الرجل: ما أنتم؟ قالوا^(٦): نحن رسول رب العالمين،

(١) في ط (يتاجر).

(٢) في س، ك، ط (شلوم) بالسين المهملة.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه. وذكره. في التفسير ١٠١/٢٢ (مجلد ٨).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٣٦، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية... الآية: «القرية المراد بها إنطاكيه فيما ذكر ابن إسحاق، و وهب ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة، لأن الله أخبر أنه أهلك أهلهما، وليس بذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن، ولم يذكر المصطف - يعني البخاري في ذلك حديثاً مرفوعاً». اهـ.

(٤) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٥) سورة يس: الآياتان ١٣ - ١٤.

(٦) في أ (قال) وصححناه من سائر النسخ.

أرسلنا إلى أهل هذه القرية ندعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
قال لهم: أتسألون على ذلك أجراً؟ قالوا: لا. قال^(١): فألقى ما في
يده، ثم أتى أهل المدينة فقال:

﴿يَنْقُومُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾٢٠﴿ أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْنُ أَجْرًا وَهُمْ مُهَتَّدُونَ ﴾٢١﴾ (*).

وهذا القول هو الصواب، وأن هؤلاء المرسلين كانوا رسلاً لله قبل المسيح، وأنهم^(٣) كانوا قد أرسلوا إلى إنطاكية وآمن بهم حبيب النجار، فهم كانوا قبل المسيح، ولم تؤمن أهل المدينة^(٤) بالرسل. بل أهلükهم الله - تعالى - كما أخبر في القرآن ثم بعد هذا عمّرت إنطاكية. وكان أهلها مشركين حتى جاءهم من جاءهم من الحواريين فآمنوا بال المسيح على أيديهم. ودخلوا في دين المسيح.

ويقال: إن إنطاكية أول المدائن الكبار الذين آمنوا بال المسيح عليه السلام - ، وذلك بعد رفعه إلى السماء. ولكن ظن من ظن المفسرين أن المذكورين في القرآن هم رسول المسيح^(٥). وهم من

(١) سقطت (قال) من س.

٢١) سورة يس: الآياتان ٢٠، ٢١.

(*) وقد جاء في الدر المثور للسيوطى ٢٦١/٥ ما نصه: «أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالية - رضى الله عنه - في قوله: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوا بهما فعززنا بثالث» قال: لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده لا شريك له فكذبوا بهم».

(٣) في س، ك، ط (ولان).

(٤) في س، ك، ط (القرية).

(٥) عَنْ أَبْنَاءِ الْجَوَادِ فِي تَفْسِيرِ

(٥) عزاه ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ١١/٧، ١٤، (ط. المكتب الإسلامي) «إلى قنادة، وابن جريح». اهـ. وهذا قول ضعيف كما سيأتي زيادة بيان له.

الحواريين وهذا^(١) غلط لوجوه:

منها: أن الله قد ذكر في كتابه أنه أهلك الذين جاءتهم الرسل، وأهل إنطاكية لما جاءهم من دعاهم إلى دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا.

ومنها: أن الرسل في القرآن ثلاثة، وجاءهم رجل من أقصى^(٢) المدينة يسعى، والذين جاءوا من أتباع المسيح كانوا اثنين، ولم يأتهم رجل يسعى، لا حبيب ولا غيره.

ومنها: أن هؤلاء جاءوا بعد المسيح فلم يكن الله أرسلهم، وهذا كما أن الله ذكر في القرآن أنه أهلك أهل^(٣) مدين بالظلمة لما جاءهم شعيب. وذكر في القرآن أن موسى أتاهما وتزوج بنت واحد منها فظن بعض الناس أنه شعيب النبي، وهذا غلط عند علماء المسلمين مثل ابن عباس، والحسن البصري، وابن جريج وغيرهم كلهم ذكروا أن الذي صاهره موسى ليس هو شعيباً النبي، وحکى أنه شعيب عنمن لا يعرف من العلماء^(٤) ولم يثبت^(٥) عن أحد من الصحابة والتابعين، كما^(٦) بسطناه في^(٧) موضعه^(٨).

(١) في س، ك، ط (فهذا).

(٢) في س، ك، ط (أهل).

(٣) سقطت (أهل) من أوزدناها من سائر النسخ.

(٤) سقطت (من العلماء) من س، ك، ط وسقطت (ولم) من س.

(٥) في س، ك، ط (ثبت ذلك).

(٦) في س، ك، ط (كما قد).

(٧) في ط (في موضع آخر).

(٨) ذكر المفسرون في ذلك عدة أقوال، فقيل: إنه شعيب النبي، وقيل: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى - عليه السلام - بمدة طويلة لأنه قال: «وما قوم لوط منكم =

وأهل الكتاب يقرؤن بأن الذي صاهره موسى ليس هو شعيباً بل
رجل من أهل مدين، ومنهم من يقول: إنها غير مدين التي أهلك الله
أهلها، والله أعلم.

وكذلك ذكر المفسرون في المرسلين هل أرسلهم الله، أو أرسلهم
المسيح؟ قولين:

أحدهما: أن الله هو الذي أرسلهم^(١).

قال أبو الفرج ابن الجوزي. وهذا ظاهر القرآن، وهو مروي^(٢)
عن ابن عباس وشعب، و وهب بن منبه. قال: وقال المفسرون في
قوله^(٣):

بعيد، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل - عليه السلام - بنص القرآن، وقد
علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعينأة سنة
كما ذكره غير واحد، وما قبل: إن شعيباً عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز
من هذا الإشكال كما ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ، قال: ومن المقوى
لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إيه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ها هنا،
وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذلك في قصة موسى لم يصح إسناده...
وقد ذكر ابن جرير - رحمه الله - الصواب في هذا أنه لا يدرك إلا بخبر تجب به
الحججة في ذلك.

انظر: تفسير ابن جرير الطبرى ٤٠/٢٠ (مجلد ٨)؛ و تفسير ابن كثير
٣٨٤/٣؛ وفتح القدير للشوكاني ٤/١٦٨.

ومدين اسم قبيلة، وقيل: اسم بلد، قال الشوكاني: والأول أولى، وسميت المدينة
باسم أبيهم: وهو مدين بن إبراهيم كما يقال بكر وتميم. انظر فتح القدير ٢/٢٢٣.

(١) ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٣/٥٦٩ أن هؤلاء رسول الله وليسوا
رسلاً للمسيح، وأجاب عن القول بأنهم رسلاً للمسيح من عدّة وجوه.
وانظر أيضاً البداية والنهاية ١/٢٩٩.

(٢) في س، ك (يروي).

(٣) في ط (قوله تعالى).

﴿إِنْ كَانَتِ الْأَصْحَاحَهُ وَيَعْدَهُ . . .﴾^(١).

أخذ جبريل بعضاً مني^(٢) بباب المدينة و^(٣) صاح بهم صيحة واحدة
فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار إذا أطافت ذلك قوله :

﴿ . . . فَإِذَا هُمْ خَدِيدُونَ﴾^(٤).

أي : ساكنون كهيئة الرماد الخامد^(٥).

ومعلوم عند الناس أن أهل إنطاكية لم يصبهم ذلك بعد ببعث
المسيح بل آمنوا قبل أن يبدل دينه، وكانوا مسلمين مؤمنين به على دينه
إلى أن تبدل دينه بعد ذلك، ومما يبيّن ذلك أن المعروف عند أهل العلم
أنه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبي الأمم بعذاب من السماء^(٦)
يعهم، كما أهلك قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون
وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار، كما أمربني إسرائيل على
لسان موسى بقتال الجبابرة، وهذه القرية أهلك الله أهلها بعذاب من
السماء، فدل ذلك على أن هؤلاء الرسل^(٧) المذكورين في يس كانوا
قبل موسى – عليه السلام – ، وأيضاً فإن الله لم يذكر في القرآن رسولاً

(١) سورة يس : الآية ٢٩.

(٢) في س (بعضاً دين).

(٣) في س، ك، ط (ثم).

(٤) سورة يس : الآية ٢٩.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١١/٧، ١٤، (ط. المكتب
الإسلامي)، وقد جاء القول الثاني فيه منسوباً إلى قتادة وابن جرير وهو أن عيسى
أرسلهم وسبق التحقيق في ذلك، وأن هذا القول ضعيف والأصح أنهم رسل الله.

(٦) في س، ك، ط (سماوي).

(٧) سقطت (الرسل) من أوزانها من سائر النسخ.

أرسله غيره، وإنما ذكر الرسل الذين أرسلهم هو^(١)، وأيضاً فإنه قال:

﴿إِذَا رَسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَثْيَنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا شَالِثٍ . . .﴾^(٢).

فأخبر أنه أرسلهم، كما أخبر أنه أرسل نوحًا وموسى وغيرهما^(٣).

وفي الآية: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ . . .﴾^(٤).

(١) روى ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقَرْوَنَ الْأَوَّلِ﴾ [الآية ٤٣ من سورة القصص] [٥٠ / ٢٠ (مجلد ٨)، روى من حديث عوف الأعرابي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء أو من الأرض بعدهما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة، ألم تر أن الله تعالى – يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى . . .﴾ الآية.

وقد عزاه ابن كثير – رحمه الله – في البداية والنهاية ١ / ٢٢٧؛ والتفسير ٣ من هذا الطريق إلى ابن أبي حاتم، والبزار، وابن جرير ثم قال: ورفعه البزار في رواية له، والأشبه – والله أعلم – وقنه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى – عليه السلام – فمنهم أصحاب الرس، قال – تعالى – في سورة الفرقان: ﴿وَعَادَا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّس وَقَرْوَنًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكَلَّا ضَرَبَنَا لَهُ الْأَمْثَال﴾ الآية. وقال تعالى – في سورة ق: ﴿كَذَّبُتُمْ قَوْمَ نُوحٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾، وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبرروا وهو الهلاك. وقال الشوكاني في فتح القدير ٤ / ١٧٤: «أخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخت قردة» ألم تر قوله وذكر الآية السابقة ٤٣ من سورة القصص».

قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٠٨ / ٢ تفسير آية القصص ٤٣، وقال: صحيح على شرط الشيختين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي. والله أعلم.

(٢) سورة يس: الآية ١٤.

(٣) في ط (وغيرها).

(٤) سورة يس: الآية ١٥.

ومثل هذا هو خطاب المشركين لمن قال: إن الله أرسله وأنزل عليه الوحي لا لمن^(١) جاء رسولاً من عند رسول، وقد قال بعد هذا:

﴿يَحْسِرَةً عَلَى الْعَبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ﴾^(٢).

وهذا إنما هو في الرسل الذين جاءوهم من عند الله لا من عند رسله. وأيضاً: فإن الله ضرب هذا مثلاً لمن أرسل إليه مهداً - صلى الله عليه وسلم - يحذرهم أن يتقمم الله منهم، كما انتقم من هؤلاء، ومحمد إنما يضرب له المثل برسول نظيره لا بمن أصحابه أفضل منهم، فإن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً أفضل من الحواريين باتفاق علماء المسلمين، ولم يبعث الله بعد المسيح رسولاً بل جعل ذلك الزمان زمان فترة كقوله:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبِينٌ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ...﴾^(٣).

وأيضاً فإنه قال - تعالى - :

﴿إِذَا رَسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَنْتِينَ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا بِشَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ فَأَلَوْمَأُمَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا...﴾^(٤).

ولو كانوا رسل رسول لكان التكذيب لمن أرسلهم، ولم يكن في قولهم: إن أنتم إلّا بشر مثلكم شبهة، فإن أحداً لا ينكر أن يكون رسول^(٥) رسول الله بشرأً، وإنما أنكروا أن يكون رسول الله بشرأً، وأيضاً فلو كان

(١) في س، ك، ط (من).

(٢) سورة يس: الآية ٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٩.

(٤) سورة يس: الأيتان ١٤، ١٥.

(٥) سقطت (رسل) من ط.

التكذيب لهما وهم رسل الرسول لأمكنتهما أن يقولا: فأرسلوا إلى من أرسلنا، أو إلى أصحابه فإنهم يعلمون صدقنا في البلاغ عنه، بخلاف ما إذا كانا رسل الله وأيضاً قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمَا أَثَرْنَيْنِ﴾.

صريح في أن الله هو المرسل ومن أرسلهم غيره إنما أرسلهم ذلك لم يرسلهم الله كما لا يقال لمن أرسله محمد بن عبد الله أنهم رسل الله فلا يقال لدحية بن خليفة^(١) الكلبي أن الله أرسله، ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن حداقة وأمثالهما^(٢) من أرسلهم الرسول وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرسل رسله إلى ملوك الأرض، كما أرسل دحية بن خليفة إلى قيصر وأرسل عبد الله بن حداقة إلى كسرى، وأرسل حاطب بن أبي بلترة إلى المقوس، كما تقدم ذكر ذلك.

ومعلوم أنه لا يقال في هؤلاء إن الله أرسلهم، ولا يسمون عند المسلمين رسل الله، ولا يجوز باتفاق المسلمين أن يقال هؤلاء داخلون في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٣).

إذا كانت رسل محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يتناولهم اسم رسل الله في الكتاب الذي جاء به. فكيف يجوز أن يقال: إن هذا الاسم يتناول رسل رسول غيره، والمقصود هنا بيان معاني القرآن وما أراده الله - تبارك وتعالى - بقوله:

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمَا أَثَرْنَيْنِ . . .﴾^(٤).

(١) سقطت (ابن خليفة) من وزنها من سائر النسخ.

(٢) في ط (أمثالهم).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥. (٤) سورة يس: الآيات ١٣، ١٤.

هل مراد الله ورسوله محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أرسلهم الله ، أو من أرسلهم رسوله ، وقد علم يقيناً أن محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يدخل في مثل هذا فمن قال : إن محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -^(١) ، أراد بذلك من أرسله رسول^(٢) فقد كذب على محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عمداً أو خطأ .

• • •

(١) سقطت الجملة الدعائية من س ، ك ، ط .

(٢) في ط (رسولاً) .

فصل

وقد تبيّن بما ذكرناه فساد قولهم في تفسير آية البقرة، فإنهم قالوا:
وقال في سورة البقرة:

﴿... فَبَعَثَ اللَّهُ الَّتِيَّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾^(١).

قالوا: فأعني بقوله أنبياء المبشرين ورسله ينحو بذلك عن
الحواريين الذين داروا في سبعة أقاليم العالم ويسروا بالكتاب الذي هو
الإنجيل الظاهر، لأنه لو كان أعني عن إبراهيم وموسى وداود ومحمد
لكان قال: ومعهم الكتب لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره
ولم يقل إلّا الكتاب الواحد، لأنه ما أتي جماعة مبشرين بكتاب واحد
غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الظاهر^(٢).

فيقال لهم: قد تقدم بعض ما يدل على فساد هذا التفسير.

وأيضاً فإنه قال - تعالى - : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾.

أي: فاختلقو. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ الَّتِيَّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

والحواريون ليسوا من النبيين، وإن كان المسيح أرسلهم ولا يلزم
من إرساله لهم أن يكونوا أنبياء كمن أرسلهم موسى ومحمد وغيرهما
ولهذا تسميهم عامة النصارى رسلاً ولا يسمونهم أنبياء.

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) هكذا نص رسالتهم وفيه أخطاء وضعف في الأسلوب واضح.

وأيضاً فإنه قال: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ﴾.

والحواريون لم ينزل معهم الكتاب إنما أنزل الكتاب مع المسيح، ولكن الأنبياء أنزل معهم جنس الكتاب؛ فإن الكتاب اسم جنس فيدخل فيه الكتب المنزلة كلها كما في قوله:

﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَبِ...﴾

﴿وَالنَّبِيِّنَ...﴾^(١).

وفي قوله: ﴿... كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ...﴾^(٢).

* وفي القراءة الأخرى (وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ)^(٣)، وكذلك قوله عن

مريم: ﴿... وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتُبِهِ...﴾^(٤).

وفي القراءة الأخرى: (وَكِتَابِه)^(٥)، وأيضاً قال - تعالى - :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سقط ما بين النجمتين من أوزدناه من سائر النسخ.

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٥) قال الشوكاني - رحمة الله - : «قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر (في آية البقرة) وكتبه بالجمع، وقرأوا في التحرير وكتابه. وقرأ ابن عباس هنا (يقصد آية البقرة) وكتابه، وكذلك قرأ حمزة والكسائي، وروي عنه أنه قال: الكتاب أكثر من الكتب، وبين الزمخشري في الكشاف أنه إذا أريد بالواحد الجنس لم يخرج منه شيء».

انظر: فتح القدير ١/٣٠٧؛ والتبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب

ص ٥٣٣؛ والغاية في القراءات العشر ص ١٢٢؛ والتسهيل في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٨٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

وقال – تعالى – في سورة يونس :

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَأَخْتَلُفُواْ . . . ﴾^(١).

وهذا يدل أنه لما اختلفت بنو آدم بعث الله النبيين، واحتلafهم كان^(٢) قبل المسيح بل قبل موسى، بل قبل الخليل، بل قبل نوح، كما قال ابن عباس^(٣) : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم حدث فيهم الشرك والاختلاف على وجهين : تارة يختلفون فيؤمن بعضهم، ويُكفر بعضهم، كما قال – تعالى – :

﴿ . . . وَلَوْشَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَبْيَنْتُ وَلَكِنَّ أَخْتَلُفُواْ فِيمِنْهُمْ مَنْ عَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ . . . ﴾^(٤).

وقال – تعالى – : **﴿ هَذَا إِنْ خَصْمَانِ أَخْصَصُواْ فِي رَبِّهِمْ . . . ﴾^(٥).**

يعني : أهل الإيمان والكفر، وقد يكون المختلفون كلهم على باطل كقوله :

(١) سورة يونس : الآية ١٩.

(٢) في س، ك، ط (وكان اختلفهم).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، باب ذكر نوح – عليه السلام – ٥٤٦/٢، ٥٤٧، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وجاء في مجمع الزوائد للهيثمي ١٩٦/١، عن أبي أمامة الباهلي أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبيي كان آدم؟ قال : «نعم» قال : كم بينه وبين نوح؟ قال : «عشرة قرون» قال : كم بين نوح وإبراهيم؟ قال : «عشرة قرون» قال : يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال : «ثلاثمائة وخمسة عشر». قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجله رجال الصحيح. وانظر : تفسير ابن كثير ٢٢٣/٢؛ وفتح القدير للشوکانی ٢١٧/٢، وقد عزاه فيه إلى ابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٣.

(٥) سورة الحج : الآية ١٩.

﴿... وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلُفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ^(١).

وقوله:

﴿... وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ...﴾ ^(٢).

وأيضاً: فالإنجيل ليس فيه حكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بل عامته مواعظ ووصايا وأخبار المسيح ^(٣). بخلاف التوراة والقرآن فإن فيهما من الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الإنجليل.

وأيضاً فإنه قال:

﴿... وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُواهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعْدَمَا بَيَّنَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ...﴾ ^(٤).

وذلك يقتضي أن الله هدى الذين آمنوا بعد اختلف الدين أوتوا الكتاب بغياناً بينهم لما اختلفوا فيه من الحق، وهذا ذم لمن أوتوا الكتاب فاختلفوا.

والنصارى داخلون في هذا الذم. ولو كان المراد الإنجليل ^(٥) لكانوا ^(٦) هم المذمومين دون غيرهم، وليس كذلك، بل اليهود وغيرهم من المختلفين مذمومون أيضاً، وإنما المذموم هم المؤمنون الذين ^(٧) هدتهم الله لما اختلف أولئك فيه من الحق بإذنه.

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٦.

(٢) سورة هود: الآيات ١١٨، ١١٩.

(٣) سبق بيان التوراة والإنجيل في أول الكتاب.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٥) في ط (بالإنجيل).

(٦) في س، ك، ط (كانوا).

(٧) في أ والذين.

وهذا يتناول أمة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قطعاً، وقد يتناول كل من آمن من الأمم المتقدمة، كالذين كانوا على دين موسى، والمسيح، وإبراهيم الخليل، كما قال – تعالى – :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْأَنْصَارَى وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَجُونَ﴾^(١).

وأما أمة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فإن الله هداهم لما اختلف فيه الأمم قبلهم من الحق بإذنه، وهذا بين فإنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل وهذا ظاهر في اتباعهم الحق الذي اختلفت^(٢) فيه اليهود والنصارى في التوحيد والأنبياء والأخبار، والتشريع، والنسخ، والحلال والحرام، والصدق، والتكذيب^(٣)، وغير ذلك.

أما التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالملائكة فوصفوه بالرب – سبحانه – بصفات النقص الذي يختص بها المخلوق، فقالوا: إن الله^(٤) فقير وبخيل، وإنه يتعب وغير ذلك.

والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال الذي^(٥) يختص بها الخالق، فقالوا عن المسيح: إنه خالق السموات والأرض القديم الأزلي علام الغيوب القادر على كل شيء، و :

(١) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٢) في أ (اختلاف).

(٣) في أ (وغير ذلك من التصديق والتكذيب)، وما أثبتناه من سائر النسخ أصح.

(٤) في س، ك، ط (إنه فقير).

(٥) في س، ك، ط (التي).

﴿أَخْذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مَنْ دُوبَتِ اللَّهُ﴾ (١) الآية.

والملمون هداهم الله لما اختلفوا^(٢) فيه من الحق فلم يشبهوا
الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق، بل أثبتو الله ما يستحقه من
صفات الكمال، ونَزَّهُوهُ عن الناقص وأقرُوا بأنه أحد ليس كمثله شيء
وليس له كفواً أحد في شيء من صفات الكمال فنَزَّهُوهُ عن الناقص
خلافاً لليهود^(٣)، وعن مماثلة المخلوق له خلافاً للنصارى.

وَمَا الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - إِنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوا بَعْضًا وَكَذَبُوا بَعْضًا
كَمَا قَالَ - تَعَالَى - :
﴿... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا يَهُوَ أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرُمُ فَفَرِيقًا كَذَبُمُ
وَفَرِيقًا نَفْتَلُونَ﴾ (٤).

والنصارى أشركوا بهم ويمن هو دونهم^(٥) فعبدوا المسيح بل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وجعلوا الحواريين رسلاً لله وزعموا أن الإنسان يصير بطاعته^(٦) بمنزلة الأنبياء، وصوروا تماثيل الأنبياء والصالحين، وصاروا يدعونهم ويستشفعون بهم بعد موتهم، وإذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تماثيلهم.

وفي الصحيحين أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَ لِهِ كُنِيَّةً

(١) سورة التوبة: الآية ٣١، وليس في س، ك، ط لفظ (الآية).

(٢) ف، س، ك، ط (اختلاف).

(٣) في أ (خلف اليهود)، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأولى.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٥) فی، س، (دنهم).

(٦) في، س، ك، ط (إن الإنسان بطاعته يصير).

بأرض الجبنة وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة»^(١).

وأما المسلمين فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فآمنوا بأنبياء الله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يغلوا فيهم غلو النصارى ولا قصروا في حقهم تقصير اليهود، وكذلك قتل اليهود الذين يأمرن بالقسط من الناس. والنصارى يطيعون من يأمر بالشرك. وإن الشرك لظلم عظيم، ويطيعون من يحرم الحلال ويحلل الحرام. والmuslimون يطيعون من يأمر بطاعة الله، ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله. والنصارى فيهم الشرك بالله. واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله كما قال - تعالى - في النصارى:

«أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرِيكَمْ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَنَّهَا وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ»^(٢).

وقال في اليهود:

«... أَفَكُلَّمَاجَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا يَهُوَ أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرُهُمْ فَفَرِيقًا كَذَبُهُمْ وَفَرِيقًا قَاتَلُونَ»^(٣).

والإسلام هو أن يستسلم العبد لله وحده فيعبده وحده بما أمره به. فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، والله لا يغفر أن يشرك به. ومن

(١) سبق تخربيجه.

(٢) سورة التوبه: الآية ٣١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٧.

لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه:

﴿... أَدْعُونَهُ أَسْتَحِبُّ لَهُ إِنَّ الَّذِي يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي
سَيَدُّخُلُونَ جَهَنَّمَ دَالِخِرِينَ ﴾ (٦٠). (١)

فلهذا كان جميع الأنبياء وأمهم مسلمين الله يعبدونه وحده بما أمرهم به وإن تنوّع شرائعهم. فاليسوع لم يزل مسلماً لما كان متبّعاً لشرع التوراة ولما نسخ الله له نسخة منها.

ومحمد - صلى الله عليه وسلم - لم يزل مسلماً لما كان يصلي إلى بيت المقدس ثم لما صلى إلى الكعبة ولما بعثه الله إلى الخلق كانوا كلهم مأمورين بطاعته وكانت عبادة الله طاعته، فمن لم يطعه لم يكن عابداً لله فلم يكن مسلماً.

وأما التشريع فإن اليهود زعموا أن ما أمر الله (٢) به يمتنع منه أن ينسخه.

والنصارى زعموا أن ما أمر الله به يسوغ لأكابرهم أن ينسخوه فهدى الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق، فقالوا: إن الله - سبحانه - له أن ينسخ ما شرعه خلافاً لليهود، وليس للمخلوق (٣) أن يغير شيئاً من شرع الخالق خلافاً للنصارى.

وأما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وشددت (٤) عليهم من (٥) أمر النجاسات، حتى منعوا (٦) من

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) في س، ك، ط (أمره).

(٣) في س (المخلوق) وفي ك، ط (المخلوق).

(٤) في س، ك، ط (وشدد).

(٥) في س، ك، ط (في).

(٦) في س، ك، ط (فمنعوا).

مؤاكلاً العائض، والجلوس معها في بيت ومن إزالة النجاسة، وحرم عليهم شحم الترب^(١) والكليتين، وكل ذي ظفر وغير ذلك.

وال المسيح - عليه السلام - أحل لهم بعض الذي حرم عليهم فقابلهم النصارى، فقالوا: ليس شيء محرم، لا الخنزير ولا غيره. بل ولا شيء نجس، لا البول، ولا غيره وزعموا أن بعض أكبابهم رأى ملائكة^(٢) صور له فيها صور الحيوان وقيل له: كل ما طابت نفسك ودع ما تكره * وأنه أبيح لهم جميع الحيوان ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك *^(٣). فالحلال عندهم ما اشتته أنفسهم. والحرام عندهم ما كرهته أنفسهم^(٤). فهدى الله^(٥) الذين آمنوا لما اختلف^(٦) فيه من الحق فأحل لهم^(٧) الله الطيبات وحرم عليهم الخبائث وأزال عنهم الأصار والأغلال التي كانت على بني إسرائيل خلافاً لليهود وأمرهم بالطهارة طهارة الحدث والخبث خلافاً للنصارى. وال المسيح - عليه السلام - جعلته اليهود ولد زناً كذاباً ساحراً، وجعلته النصارى هو الله خالق السموات والأرض، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا^(٨) فيه من الحق بإذنه

(١) في ط (الترب) بالمتشاة الفوقية، وجاءت في س غير منقوطة والترب وزان فلس: شحم رقيق على الكرش والإمعاء كما قال في المصباح المنير ١١١/١، ١١٢.

(٢) قال في المصباح المنير ٧٩٨/٢: الملاعة: بالضم والمد، والرَّيْطة ذات لفقين، والجمع ملأ بحذف الهاء. قلت: والرَّيْطة الشوب الليّن الرقيق كما ذكر أيضاً ٣٣٨/١.

(٣) ما بين التجمتين ساقط من أوزدناه من س وهاشم ك، ط.

(٤) سقطت (أنفسهم) من أوزدناها من سائر النسخ.

(٥) سقط لفظ الجلالة من أوزدناه من سائر النسخ.

(٦) في ط (اختلفوا).

(٧) في س، ك، ط (فأحل الله لهم).

(٨) في س، ك، ط (اختلف).

فشهدوا أنه عبد الله مخلوق خلافاً للنصارى وأنه رسول وجيء في الدنيا
والآخرة ومن المقربين خلافاً لليهود، وأما التصديق والتکذيب فبأن اليهود
من شأنهم التکذيب بالحق، والنصارى من شأنهم التصديق بالباطل فإن
اليهود كذبوا من كذبوا من الأنبياء وقد جاءوا بالحق كما قال
— تعالى — :

﴿ أَفَكُلَّمَاجَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرُتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبُتُمْ
وَفَرِيقًا نَفَّلُتُمْ ﴾^(١).

والنصارى يصدقون بمحالات العقول والشرائع كما صدقوا
بالتلبيث والاتحاد ونحوهما من الممتنعات.

• • •

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

فصل

ثم ^(١) قالوا عن القرآن أنه يشهد ^(٢) لهم أنهم أنصار الله حيث يقول كما قال عيسى بن مريم ^(٣) : من أنصاري إلى الله قال الحواريون :

﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَعَمِّنْ بَعْدَ إِلَيْهِ يُرْجَى ثَلَاثَةُ مُؤْمِنَاتٍ وَكَفَرَتْ طَالِعَةٌ فَأَيَّدَنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ^(٤) .

فيقال : هذا حق والحواريون مؤمنون مسلمون وهم أنصار الله ، لكن ليس في هذا أنهم رسل الله ، ولا في هذا أن كل ما أنتم عليه من الدين مأخوذ عنهم ، ولا في هذا أن الواحد من الحواريين معصوم من الغلط ، بل أمر ^(٥) الله المؤمنين من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) .

وقد وصف الله المؤمنين أصحاب ^(٦) النبي – صلى الله عليه وسلم – من أهل المدينة النبوية بأنهم أنصار الله ^(٧) بقوله – تعالى – :

(١) سقطت (ثم) من س ، ك ، ط .

(٢) في س ، ط (شهد) .

(٣) في ك ، ط زيادة (للحواريين) .

(٤) سورة الصف : الآية ١٤ .

(٥) في ك ، ط (يأمور) .

(٦) في س (من أصحاب) .

(٧) سقط لفظ الجلالة من س ، ك ، ط .

وَالسَّنِيقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ (١)

والهاجرون أفضل من الأنصار، وهم أيضاً من أنصار الله نصره
كما نصره الأنصار، لكن لما كان لهم اسم^(٢) يخصهم، وهو^(٣)
المهاجرون، وهو أفضل الاسمين، خص الأنصار بهذا الاسم.
والهاجرون والأنصار أفضل من آمن بموسى ومن آمن بعيسى عند
المسلمين.

ومع هذا فليس فيهم عندهمنبي ولا رسول الله، ولكن فيهم رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلیماً.

• • •

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠ .

(٢) سقط (اسم) من ط .

(٣) في ط (وهم) .

الرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي
رَغْمِهِمْ أَنْ
الْإِسْلَامُ عَظِيمٌ
إِنْجِيلِهِمُ الَّذِي
بَنَ أَيْدِيهِمْ

فصل

قالوا وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي بأيدينا^(١) فيقول:

﴿ وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . . ﴾^(٢).

وقال في سورة آل عمران:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ . . . ﴾^(٣).

وقال في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَبُ لَرَبِّ فِيهِ هُدَى لِلشَّفَّافِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُعْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٤).

فأعني^(٥) بالكتاب^(٦) الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب نحن

(١) في س، ك، ط (في أيدينا).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١ - ٤.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١ - ٥.

(٥) في ط (فعني).

(٦) في س (الكتاب).

النصارى الذين آمنا باليسوع^(١) وما رأيناهم، ثم اتبع بالقول والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك فأعني^(٢) بهم المسلمين الذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله، وقال في سورة المائدة:

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦٠ وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٧﴾^(٣).

وقال في سورة آل عمران:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبُّرُ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ٤٨﴾^(٤).

فأعني^(٥) أيضاً بالكتاب المنير الذي هو الإنجيل المقدس.

وقال أيضاً:

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسُئِلُ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ٤٩﴾^(٦).

فثبت بهذا ما معنا ونفي عن إنجيلنا وكتابنا التي في أيدينا التهم والتبدل والتغيير لما فيها بتصديقه إليها^(٧).

(١) في س، ك، ط (بالسيد المسيح).

(٢) في ط (فعني).

(٣) سورة المائدة: الآيات ٤٦، ٤٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٥) في ط (فعني).

(٦) سورة يوونس: الآية ٩٤.

(٧) النص من أول الفصل إلى هذا الموضع يوجد في المخطوطة التي بآيدينا (رسالة بولص الأنطاكي) في الورقة الخامسة صفحة أ، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

والجواب : بعد أن تعرف أن لفظ الآية الأولى من سورة المائدة :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ . . . ﴾ (١).

أن يقال : أما تصديق خاتم الرسل محمد رسول الله (٢) – صلى الله عليه وسلم – لما أنزل الله قبله من الكتب ولمن جاء قبله من الأنبياء، فهذا معلوم بالاضطرار من دينه متواتراً تواتراً ظاهراً كتواتر إرساله إلى الخلق كلهم وهذا من أصول الإيمان.

قال – تعالى – :

﴿ قُلُّوا إِمَانَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَاهُمْ وَلَا سَمِيعَ وَلَا سَحَّقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لِهُمُ الْمُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ فَإِنَّمَا أَمَنُوا بِمِثْلِ مَا أَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ أَهْتَدَوْا وَإِنْ تُلَوُّا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣).

وقال – تعالى – :

﴿ قُلْ إِمَانُكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَلَا سَمِيعَ وَلَا سَحَّقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لِهُمُ الْمُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ فَإِنَّمَا يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ (٤).

(١) سورة المائدة : الآية ٤٨.

(٢) سقط (رسول الله) من س، ك، ط.

(٣) سورة البقرة : الآيات ١٣٦ ، ١٣٧.

(٤) سورة آل عمران : الآيات ٨٤ ، ٨٥.

وقال :

﴿ لَيْسَ الِّرَّبُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّبَّ مَنْ عَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْأَخِرُ وَالْمَلَئِكَةُ وَالْكِتَبُ وَالنِّيَّشُ وَمَايَ الْمَالُ عَلَىٰ حِجَّةٍ دُوَيِ الْقُرْبَىٰ وَالْيَسْمَىٰ وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّاَلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الْصَّلَاةَ وَأَقَى الْزَّكُّوَةَ وَالْمُؤْفُوتُ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَجِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَّقُونَ ﴾ (١) .

وقال - تعالى - :

﴿ إِنَّ الرَّسُولَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولِهِ لَا نَفِقَ فِيْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَاتَلُوا سَيِّدَنَا وَأَطْعَنَّا عُقْرَانَكَ رَبِّا وَإِيْلَكَ الْمَصِيرَ ﴿٢٥﴾ لَا يَكِلُّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْكِمْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

وتصديقه للسورة والإنجيل مذكور في مواضع من القرآن، وقد

قال (٣) :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمِنًا عَلَيْهِ . . . ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة: الآيات ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) في ط (قال تعالى) .

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٨ .

وقال – تعالى – :

﴿أَلَّا تَرَى أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَتَبْأَمْسَيْهَا مَثَانِيَ . . .﴾^(١).

وقال^(٢) : ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ . . .﴾^(٣).

فَبَيْنَ أَنَّهُ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهِيمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَبِ، وَالْمَهِيمِنُ الشَّاهِدُ الْمُؤْتَمِنُ الْحَاكِمُ، يَشَهِدُ^(٤) بِمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَيَنْفِي^(٥) مَا حَرَفَ فِيهَا وَيَحْكُمُ بِإِقْرَارِ مَا أَقْرَهَ اللَّهُ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَيَنْسُخُ مَا نَسَخَ اللَّهُ مِنْهَا وَهُوَ مُؤْتَمِنٌ فِي ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَحْسَنُ الْقَصَصِ وَهَذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ كُلُّ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالْتُّورَةِ قَبْلَ النَّسْخِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهَا فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْهُدَىِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالْإِنْجِيلِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ قَبْلَ النَّسْخِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْهُدَىِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَدْحُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِشَرْعِ مَبْدِلٍ، فَضْلًا عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِشَرْعِ مَنْسُوخٍ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ^(٦) مِنَ الرَّسُولِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ بَلْ قَدْ بَيْنَ^(٧) كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِتَبْدِيلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَبِتَرْكِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ قَوْلُهُ : ﴿هَذِهِ الْكِتَاب﴾، إِنَّهُ الْإِنْجِيلُ. وَ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣ وَفِي ط (نَقْشُرُ مِنْهُ جَلُودَ الَّذِينَ آمَنُوا . . .) إِلَى آخر الآية.

(٢) فِي ط (وَقَالَ تَعَالَى).

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

(٤) فِي كَ، ط (فَشَهَدَ).

(٥) فِي ط (وَبَيْنَ).

(٦) فِي سَ، وَهَامِشُ كَ، (إِلَيْهِ سَبَحَانَهُ).

(٧) فِي سَ، ط (بَيْنَ سَبَحَانَهُ).

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَأَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١﴾ - عَنِّي بهم النصارى فهو من تحريف الكلم عن مواضعه، وتبديل كلام الله كما فعلوه في قوله: **«وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينَنَا**»، وفي قوله: **«بِإِذْنِنِي**» أي باللاهوت^(١)، وفي قوله: **«أَهَدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**».

وفي غير ذلك مما ذكروه وتأولوه من القرآن على غير المعنى الذي أراد الله به ، وهذا مما يؤيد أنهم فعلوا كذلك بالتوراة والإنجيل ؛ فإنه إذا كان القرآن الذي قد عرف تفسيره ، والمراد به : العام والخاص ، ونقل ذلك عن الرسول نقلًا متواترًا حتى عرف معناه علمًا يقينًا اضطرارياً فييدلون معناه ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقل لفظ ذلك ومعناه كما نقل القرآن وليس في أهل تلك الكتب من^(٢) يذب عن لفظها ومعناها كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه؟

وهولاء غرهم قوله: **«ذَلِكَ الْكِتَابُ**»، فظنوا أن لفظ **«ذَلِكَ**» لما كان يشار بها إلى الغائب أشير بها إلى الإنجيل .
فيقال لهم هذا كقوله: **«ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**».

وأشار بذلك إلى ما تلاه قبل هذه الآية ، وقوله:

﴿وَسَتَّلُوْمَاً أَنْفَقْتُمْ وَلَيَسْتُلُوْمَاً أَنْفَقْتُمْ ذَلِكُمْ حُكْمُهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَنْتَكُمْ . . .﴾^(٣).

(١) في ط (بإذن اللاهوت).

(٢) في أ، س، ك (من) وما أثبتناه من ط أصح.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

وقوله :

﴿فَإِذَا بَلَغُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوهُنَّ بِأَذَرْفٍ
عَدْلٌ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ...﴾^(١).

ومثله – قوله تعالى – بعد أن ذكر خبر يوسف الصديق:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَحِّيْهُ إِلَيْكَ...﴾^(٢).

وقال أيضاً لما ذكر خبر مريم:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَحِّيْهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ
أَقْلَمَهُمْ﴾^(٣).

كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح:

﴿تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَحِّيْهَا إِلَيْكَ﴾^(٤).

وقال:

﴿الرِّقْلَكَ مَا يَنْتَ الْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾^(٥) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ.

و «تلك» في المؤنث مثل «ذلك» في المذكر، ومع هذا فأشار إلى

(١) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٤) سورة هود: الآية ٤٩.

(٥) سورة يوسف: الآيات ١ – ٣.

القرآن ومنه قوله: ﴿الرَّتِلَكَءَيْتُ الْكِتَبِ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١).

وقوله: ﴿طَسْ تِلْكَءَيْتُ الْقُرْءَانَ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (٢).

ومنه قوله: ﴿طَسَمَ تِلْكَءَيْتُ الْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾ (٣).

ومنه قوله:

﴿حَمَدٌ عَسْقٌ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾ (٥).

وقوله:

﴿الْمَرْ تِلْكَءَيْتُ الْكِتَبُ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ...﴾ (٦) الآية.

ومثل هذا كثير، وذلك أنه لما أنزل قوله: ﴿هَذُلُكَ الْكِتَبُ﴾
﴿وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَب﴾ ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل
تلك الساعة، وإنما كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالغائب الذي يشار إليه
كما يشار إلى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ – يشار إليه كما يشار إلى الحاضر، كما قال – تعالى – :

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ...﴾ (٧).

(١) سورة الحجر: الآية ١.

(٢) سورة النمل: الآية ١.

(٣) سورة القصص: الآيات ١، ٢.

(٤) سورة الشورى: الآيات ١ – ٣.

(٥) سورة الشورى: الآية ٧.

(٦) سورة الرعد: الآية ١.

(٧) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

ولهذا قال غير واحد من السلف^(١) «ذلك الكتاب» أي هذا الكتاب، يقولون: المراد هذا الكتاب وإن كانت الإشارة تكون تارة إشارة غائب، وتارة إشارة حاضر، وقد قال:

وقد وصف النصارى بأنهم لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، وأنهم كافرون ظالمون، فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب.

قال - تعالى - :

﴿فَلَمَّا أَذْهَبْنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَحِرُّ مِنْهُمْ نَمَاء حَرَمٌ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا
الْحِزْنَىٰ عَنْ يَدِهِ وَهُمْ صَنَعُرُونَ﴾ (٣).

وأول التقوى تقوى الشرك، وقد وصف النصارى بالشرك في قوله:

(١) في تفسير ابن جرير الطبرى ١/٧٤ «قال ابن عباس ذلك الكتاب هذا الكتاب»، ويه
قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبیر، والسدی، ومقاتل، وزيد بن أسلم
وابن جریح . وقال الإمام الشوكاني : «والعرب قد تستعمل الإشارة إلى البعيد الغائب
مكان الإشارة إلى القريب الحاضر، كما قال خفاف :
أقول له والرمي يأطر منه تأمل خفافاً أني أنا ذالك
انظر: فتح القدیر ١/٣٣ .

وقال الحافظ ابن كثير: « ومن قال أن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة وإنجيل فقد أبعد النجعة، وأغرق في التزع والتکلف ما لا علم له به ».

انظر: تفسيره ١/٣٩، وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - في تفسيره ١٥٧/١، (المجلد الأول) عشرة أقوال في المراد بالإشارة وال الصحيح الذي عليه المعول أن المراد به القرآن الكريم كما ذكر علماء السلف والله أعلم.

٢) سورة البقرة: الآيات ٢، ٣.

٢٩) سورة التوبة: الآية (٣)

﴿ أَنْهَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبْنَاهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُورِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ
أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَنَّهَا وَجِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾^(١).

وقال – تعالى – لما ذكر المسيح :

﴿ فَأَخْنَافَ الْأَحْرَابِ مِنْ بَنِيهِمْ فَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ^(٢) أَسْبَعَ
بِهِمْ وَأَبْصَرَ يَوْمًا يَأْتُونَا لِكِنَّ الظَّالِمِينَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٣).

وقال – تعالى – :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ . . . ﴾^(٤).

وقوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . . . ﴾^(٥).

ونهى عن موالاتهم فقال :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَيَاءَ بَعْضِهِمْ أُولَيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . . . ﴾^(٦).

وقد أخبر أن الله ولِي المتقين فقال :

﴿ ثُرَجَّعْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةِ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَسْبِعَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ^(٧) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أُولَيَاءَ بَعْضٍ
وَاللَّهُ وَلِيُ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٨).

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣٧، ٣٨.

(٢) سورة مريم: الآية ٥١.

(٦) سورة الجاثية: الآية ١٨، ١٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢.

فلو كانوا من المتقين فضلاً عن أن يكونوا هم المتقين لكان الله ولهم، وكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين، وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالماً، وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكافر بعضهم أولياء بعض، ولهذا لما قطع الله الم الولاية بين المؤمنين وبين الكافرين.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح :
« لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم »^(١).

وأتفق المسلمون على أن اليهودي والنصراني لا يرث مسلماً ولو كان أباًه وأباًه لأن الله قطع الم الولاية بينهما، وقد قال - تعالى - :

« لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ أَخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أَرَأَيْتَكَ كَيْبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْأَيْمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ »^(٢).

وأيضاً فإنه قال - تعالى - :

« الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ »^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين رکز النبي - صلى الله عليه وسلم - رايته يوم الفتح ٩٢٥ من حديث أسمة بن زيد وفيه (المؤمن) بدل (المسلم) ورواه في كتاب الفرائض ١١/٨، وأخرجه من قول عمر في الحج ١٥٧/٢، ورواه مسلم في الفرائض الحديث الأول من الكتاب ١٢٣٣/٣، وأبو داود في الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر ٣٢٧/٣ (٢٩٠٩)، والترمذى في الفرائض باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر ٤٢٣/٤ (٢١٠٧)، وابن ماجه في الفرائض، باب ميراث أهل الإسلام من الشرك ٩١١/٢ (٢٧٢٩)، والدارمي في الفرائض باب في ميراث أهل الشرك وأهل الإسلام ٣٧٠/٢.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣.

وهي الصلاة التي أمر بها في قوله :

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسْقِ أَتَّلِ وَقْرَأَنَ الْفَجْرَ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ
كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (١).

وقد قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » (٢). والنصارى يصلون بغير طهور.

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » (٣). وهم لا يقرؤونها. والصلاحة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر يرفعه بلفظ « لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقه من غلول ». في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاحة ١/٢٠٤، والترمذى في كتاب الطهارة، باب ما جاء لا تقبل صلاة بغير طهور ١/٥، ٦. وقال هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وابن ماجه في الطهارة باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور ١/١٠٠ (٢٧٢) وجاء الحديث من طريق أبي المليح عن أبيه (أسامي بن عمير الهذلي) يرفعه بنحوه في سنن أبي داود، في كتاب الطهارة ١/٤٩، وفي سنن ابن ماجه سنن النسائي في الطهارة ١/٨٧، باب فرض الوضوء، وفي سنن ابن ماجه ١/١٠٠ (٢٧١)، وفي سنن الترمذى ٦/١ كتاب الطهارة، وروى البخارى من حديث أبي هريرة يرفعه: « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » في كتاب الوضوء ٦/٤٣، ومسلم في الطهارة ١/٢٠٤. وقد تعقب الشيخ أحمد شاكر كلام الترمذى « بأن أصح شيء في الباب حديث ابن عمر » وقال: فيه نظر، ثم ذكر بأن أصح شيء هو حديث أبي هريرة انظر: سنن الترمذى ٦/٦ تعليق رقم (٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٥ (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت بلفظ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وأبو داود في الصلاة، باب القراءة في الفجر ١/٥١٤ (٨٢٢)، والترمذى في الصلاة، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ٢/٢٥ (٢٤٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والستة فيها، باب القراءة خلف الإمام ١/٢٧٣ (٨٣٧)، وأحمد في المستند ٥/٣٦٦، ٣٢٢، والحميدى في مستند ١/١٩١ (٣٨٦).

على استقبال الكعبة وعلى ركوع وسجدتين في كل ركعة، وغير ذلك مما لا يفعله النصارى فكيف يمدحهم بـإقامـة^(١) الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي أمر بـإقامـتها.

ثم لو قال اليهودي المراد بقوله: (ذلك الكتاب) التوراة، و(بالمتقين) اليهود، لكان هذا مع بطلانه أقرب من قول القائل: أن المراد بالكتاب الإنجيل؛ لأن التوراة أحق بذلك من الإنجيل فإنها الأصل والله - تعالى - يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله:

﴿فَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَنِي مِنْ رَبِّهِ وَيَتَّلَوُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾^(٢).

وقوله - تعالى - :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرُتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ وَمِثْلِهِ فَنَأَمَّنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وقد قالت الجن لما سمعت القرآن:

﴿فَالْأُولَٰئِقُومُمَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

وقال النجاشي - لما سمع القرآن - : «إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»^(٥). وكذلك ورقة بن نوفل قال: «هذا

(١) في ط (باقام).

(٢) سورة هود: الآية ١٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٠.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

(٥) سبق تخريرجه في أول الكتاب.

هو الناموس الذي كان ينزل^(١) على موسى بن عمران^(٢).

وقال – تعالى – :

﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِقَ مِثْلَ مَا أُوتِقَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكُنْ قُرْوَانِيَّا أُوتِقَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سَحْرَانِ تَظَاهِرَا﴾^(٣).

أي : التوراة والقرآن . وقالوا : ساحران تظاهرا ، أي موسى ومحمد . وقالوا : إنا بكل كافرون .

قال الله^(٤) :

﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَبٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَهُدَىٰ مِنْهُمَا أَتَيْعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥).

فقد بين أنه لم يأت من عند الله كتاب أهدى من التوراة والقرآن .

وقال – تعالى – :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذَا قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ (٦) بُوْرَأَ وَهُدَىٰ لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ فَرَاطِيسَ بَيْدُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمَتُمُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا إِبْرَاهِيمَ قُلِ اللَّهُ ثَمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٧) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارِكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَلِنُنذِرَ أَمَّا الْقَرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾^(٧).

(١) في س (نزل) وسقطت الكلمة من ك .

(٢) سبق تحريره في أول الكتاب .

(٣) سورة القصص : الآية ٤٨ .

(٤) في س ، ط (قال الله تعالى) وسقطت الجملة كلها من ك .

(٥) سورة القصص : الآية ٤٩ .

(٦) في هامش س وهامش ك ، ط بعد كلمة (موسى) جملة (أي الله هو الذي) وهي تفسيرية .

(٧) سورة الأنعام : الآياتان ٩١ ، ٩٢ .

وأما قوله – تعالى – :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾^(١)

فهي صفة ثانية للذين يؤمنون بالغيب مجملًا، ثم وصفهم بـ«يمان» مفصل^(٢) بما أنزل إليك، وما أنزل من قبله. والاعطف بالواو يكون لـ«تغير» الذوات ويكون لـ«تغير» الصفات كقوله تعالى :

﴿سَيِّدُ أَسْمَارِكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَرَ فَهْدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَمْ عَنَاءَ أَحْوَى﴾^(٣).

والذي خلق فسوى هو^(٤) الذي قدر فهدي وهو الذي أخرج المرعى، وكذلك قوله – تعالى – :

﴿وَلَمَنْ سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقُهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا يُقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ، بِلَدَةً مَيْتَانًا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(٥).

ومثله^(٦) قوله :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْأَغْوِيَةِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّزْكَوَةِ فَدَعْلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

(١) سورة البقرة: الآية ٤. (٤) سقطت (هو) من س ومكانها (و).

(٢) في ط (مفعل) وهو تحريف. (٥) سورة الزخرف: الآيات ٩ – ١٢.

(٣) سورة الأعلى: الآيات ١ – ٥. (٦) في س (ومثل).

فَمَنِ اتَّسَعَ وَرَأَءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُرُولَ مُلْتَسِمِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعْوَنَ ٨ وَالَّذِينَ هُرُولَ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَرْقُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْقِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ١١ ١٠).

فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو، وكذلك في

قوله:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ حُلِقَ هَلُوْعًا ١٦) وَإِذَا مَسَهُ الْشَّرْجُوْعًا ١٧) إِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ ١٨)
مَنْوِعًا ١٩) إِلَّا الْمُصَلِّيْنَ ٢٠) الَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُوْنَ ٢١) وَالَّذِيْنَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
مَعْلُومٌ ٢٢) لِلْسَّائِلِ وَالْمَعْرُومِ ٢٣) وَالَّذِيْنَ يَصِدِّقُوْنَ يَوْمَ الْدِيْنِ ٢٤) وَالَّذِيْنَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ
مُّسْفِقُوْنَ ٢٥) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُوْنٍ ٢٦) وَالَّذِيْنَ هُرْلَفُوْرُجُهُمْ حَفَظُوْنَ ٢٧) إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَالِكَتْ أَيْتَنِهِمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْمُوْمِيْنَ ٢٨) فِي أَبْتَغِي وَلَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِيْكَ هُمُ الْعَادِمُوْنَ ٢٩)
وَالَّذِيْنَ هُمْ لَا مُتَّسِّهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُوْنَ ٣٠) وَالَّذِيْنَ هُمْ شَهَدَتِهِمْ قَائِمُوْنَ ٣١) وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
صَحَافُلُوْنَ ٣٢) أُولَئِيْكَ فِي جَنَّتِيْ مُكْرَمُوْنَ ٣٣) . ٣٤)

وقد فسر قبل^(٣) – قوله يؤمنون بالغيب، صفة المؤمنين من غير
أهل الكتاب كمشركي العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك صفة من آمن به^(٤) من أهل الكتاب.

وعلى هذا القول: هؤلاء غير هؤلاء، لكن هذا ضعيف فإنه لا بد في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل إليه، وما أنزل من قبله، ولا بد في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن بالغيب. فكل من الإيمانين

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ - ١١.

٢) سورة المعارج: الآيات ١٩ - ٣٥.

(٣) في س، (وقد قيل أن قوله) وسقطت (قبل) من أ.

٤) سقطت (به) من س.

واجب على كل واحد، ولا يكون أحد على هدى من ربه مفلحاً إلا بهذا وهذا.

وأما قول النصارى: نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه. فهكذا اليهود آمنوا بموسى – عليه السلام – وما رأوه. والمسلمون آمنوا بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وما رأوه، بل المسلمون آمنوا بموسى، وعيسى وسائر النبيين، وما رأوه بخلاف اليهود والنصارى الذين آمنوا بعض وكفروا ببعض. ثم الغيب ليس المراد به صورة النبي – عليه السلام – فإن صورة النبي ليست من الغيب فإن الناس يرونها وليس في رؤيتها ما يوجب إيماناً ولا كفراً، ولكن الغيب ما غاب عن مشاهدة الخلق وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب فيدخل فيه الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، وهو الإيمان بأنهم رسول الله وسواء رأيت أبدانهم أو لم تر فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم، وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم.

والمقصود بالإيمان برسالتهم لا بنفس صورهم حتى يقول القائل: آمنا بنبي ولم نره وقد يعلم من دلائل نبوته وأعلام رسالته من لم يره أكثر مما يعلمها من رأه.

● ● ●

فصل^(١)

وأما قوله في سورة المائدة:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ بَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمَا أَتَيْنَاهُ إِلَّا يُخْبِلُ فِيهِ هُدًىٰ وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ وَلَيَحْكُمُوا أَهْلَ إِلَيْنِهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسَقُونَ﴾^(٢).

فهذا ثناء منه على المسيح والإنجيل وأمر للنصارى بالحكم بما أنزل فيه، كما أثنى على موسى والتوراة بأعظم مما عظم به المسيح والإنجيل فقال - تعالى - :

﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُ عَوْنَ فِي الْكُفَّارِ مِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِمَانَهَا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُوَّبِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ أَخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكُ . . .﴾^(٣).

أي: قاتلون للكذب مصدقون مستجبيون مطيعون لقوم آخرين

(١) كلمة «فصل» في غير موطنه لأن الكلام موصول، وكثيراً ما كانت كلمة «فصل» ترد في مثل هذا المقام في غير موضعها، ولعل المقصود التنبيه، وليس الانتقال من فكرة إلى فكرة كما هو متبع الآن.

(٢) سورة المائدة: الآيات ٤٦، ٤٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

لم يأتوك فهم مصدقون للكذب مطعون لمن^(١) يخالفك وأنت
رسول الله .

فكل من تصدق بالكذب والطاعة لمن خالف رسول الله
– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –^(٢) من أعظم الذنوب .

ولفظ «السميع»: يراد به الإحساس بالصوت ويراد به فهم المعنى
ويراد به قبوله فيقال: فلان سمع ما يقول فلان. أي: يصدقه أو يطيعه
ويقبل منه .

فقوله^(٣) سماعون للكذب أي: مصدقون به وإنما مجرد سماع
صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذموماً على الإطلاق .

وكذلك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي: مستجبيون لهم
مطعون^(٤). كما قال في حق المنافقين: «وفيكم سماعون لهم»^(٥) ،
أي: مستجبيون مطعون لهم ، ومن قال: إن المراد به الجاسوس فهو
غالط كغلط من قال سماعون لهم: هم الجواسيس ، فإن الجاسوس إنما
ينقل خبر القوم إلى من لا يعرفه ، ومعلوم أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ – كان ما يذكره ويأمر به ويفعله يراه ويسمعه كل من بالمدينة
مؤمنهم ومنافقهم ، ولم يكن يقصد أن يكتم يهود المدينة ما يقوله ويفعله ،
خلاف من كان يأتيه^(٦) من اليهود وهم يصدقون الكذب ويطعون لليهود

(١) في ط (لما) .

(٢) سقطت الجملة الدعائية من س ، ك ، ط .

(٣) في ك ، ط (بقوله) .

(٤) في س ، ك ، ط (مطعون لهم) .

(٥) من سورة التوبة: الآية ٤٧ .

(٦) في ط (يأتיהם) .

الآخرين الذين لم يأتواه، والله نهى نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يحزنه المسارعون في الكفر من^(١) هاتين الطائفتين المنافقتين الذين أظهروا الإيمان به ولم تؤمن قلوبهم ومن أهل الكتاب الذين يطلبون أن يحكم بينهم وليس مقصودهم أن يطيعوه ويتبعوا حكمه بل إن حكم بما يهونه قبلوه، وإن حكم بخلاف ذلك لم يقبلوه لكونهم مطيعين لقوم آخرين لم يأتواه.

قال – تعالى – :

﴿ سَمَّاعُونَ لِكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ أَخْرِينَ ﴾ .

أي: لم يأتكم أولئك القوم الآخرون «يقولون»، أي: يقول السماعون:

﴿ ... إِنَّ أُوْتِيَتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدَ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدَ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الْدُّنْيَا خَرَقٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) .

والحكم يفتقر إلى الصدق والعدل فلا بد أن يكون الشاهد صادقاً والحاكم عادلاً وهؤلاء يصدقون الكاذبين من الشهود^(٣) ويتبعون حكم المخالفين للرسل الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وإذا لم يكن قصدتهم اتباع الصدق والعدل فليس عليك أن تحكم بينهم، بل إن شئت فاحكم بينهم، وإن شئت فلا تحكم.

(١) في أ، من تقديم وتأخير في الجملة من قوله: (الآخرين إلى هذا الموضع)، وقد أدخل بتراكيبها، وما أثبتناه من ك، ط .

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) في أ، من (اليهود).

ولكن إذا حكمت فلا تحكم إلا بما أنزل الله إليك، إذ هو العدل.

قال - تعالى - ^(١) :

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّخْتَ فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّحُمْ بِيَنْهُمْ
أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَلَّ يَضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاتَّحُمْ
بِيَنْهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٢).

ثم قال:

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّونَ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ يَحْكُمُ
بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحَبَارُ
مَا أَسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِدَاءً فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَأَخْشُونَ وَلَا
تَشْرُو وَإِعْيَانِي ثَمَنًا قَيْلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ^(٤)
وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأَذْنُ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارٌ لَّهٗ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٥).

فهذا ثناؤه على التوراة، وإخباره أن فيها حكم الله، وأنه أنزل التوراة، وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا،
وقال عقب ذكرها:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُونَ ﴾^(٦).

(١) في ط زيادة قوله: (قال تعالى: «سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين»).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) سورة المائدة: الآيات ٤٣ - ٤٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

وهذا أعظم مما ذكره في الإنجيل؛ فإنه قال في الإنجيل:

﴿... وَمَا أَيَّنَهُ الْإِنْجِيلُ فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ...﴾^(١).

وقال فيه:

﴿وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ﴾^(٢).

وقال في التوراة:

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾.

وقال^(٣) عقب ذكرها:

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَّارُ﴾^(٤).

فهو – سبحانه – مع إخباره بإنزال الكتابين يصف التوراة بأعظم

مما يصف به الإنجيل.

كما قال – تعالى – :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا...﴾^(٥).

وإذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة لم يوجب ذلك مدح

اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمدًا^(٦) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧)،

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٣) في س (فقال) والأية من سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٦) في س (ومحمد).

(٧) في س، ك، ط (وسلم تسلیماً).

وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى، فكذلك^(١) أيضاً ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمداً - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبدل. فعلم اتفاق أهل الملل كلها: المسلمين، واليهود والنصارى، على أنه ليس^(٢) فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل، وموسى، وعيسى مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمداً^(٣) - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ولا مدح لدينهن المبدل قبل مبعثه فليس في ذلك مدح لمن تمسك بدین مبدل، ولا بدین منسوخ، فكيف بمن تمسك بدین مبدل منسوخ؟

• • •

(١) في س (وكذلك).

(٢) في س (إنس) وهو تصحيف.

(٣) في س (محمد).

فصل

وهنا^(١) أصل لا بد من بيانه^(٢) وهو أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب إلا من أرسل إليه رسولًا تقوم به الحجة عليه. قيام الحجة على من بلغه دعوة الرسول

قال - تعالى - :

﴿وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَرَمْتَهُ طَهِيرًا فِي عَنْقِهِ وَمُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلَقَنُهُ مَسْنُورًا ﴾٣﴿ أَقْرَا كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾٤﴿ مَنْ آهَتَنِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٍ وَزَرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَعْكُشَ رَسُولًا ﴾٥﴾.

وقال - تعالى - :

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَاءِيْكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾٦﴾.

وقال - تعالى - عن أهل النار:

﴿كُلُّمَا أَلْقَيْتِ فِيهَا فَوْجًا سَاهَمَ خَرْزَنَهَا الْمَيَاتُ كُلُّ مَنْذِرٍ ﴾٧﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾٨﴾.

وقال^(٩) :

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زَرْمَاحَى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

(١) في ك، ط (هذا).

(٢) في ك، ط (ثباته).

(٣) سورة الإسراء: الآيات ١٣ - ١٥.

(٤) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٥) سورة الملك: الآيات ٨، ٩، وذكر تمام الآية في ك، ط (إن أنتم إلا في ضلال

(٦) في ط (قال تعالى).

وَقَالَ لَهُمْ خَرْنَثَا أَلَّمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُوُنَ عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِيَتْ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكُنْ حَقَّتْ كَلْمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكُفَّارِينَ ١١).

وقال - تعالى - :

﴿ يَمْعَشَ الْجِنُّ وَالْإِنْسَانُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِيَتْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَا حَيَّةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ١٢).

وقال - تعالى - :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَارَسُولًا يَنْذُرُ أَعْيُنَهُمْ أَيَّتَنَا وَمَا كُنَّا نَمُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَاظَالِمُونَ ١٣).

وقال - تعالى - :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيَّدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

إِلَى قُولِهِ :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِقَ مِثْلَ مَا أُوتِقَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِقَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانٌ تَظَاهِرُوا قَالُوا إِنَّا يُكَلِّ كَفِرُونَ ١٤).

(١) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٤) سورة القصص: الآيات ٤٧، ٤٨، وقد جاء في النسخ المخطوطة كلها خطأ في الآية الأولى حيث ورد «ولو أَنَا أَهْلُكُنَّاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ . . .» الآية، ثم قال إلى قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ . . .» الآية، وذكر آية القصص مع أن الآية الأولى من سورة طه رقم ١٣٤، والمراد عرض آيات القصص.

وقال – تعالى – :

﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْرِئُكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ﴾^(١).

(وقوله):

﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْرِئُكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).
وإذا كان كذلك فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه
قوله: «لَا نَذِيرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَنْهُ»^(٣)، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض
قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه، فإذا^(٤) اشتبه معنى بعض
الآيات، وتنازع الناس في تأويل الآية، وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله
ورسوله^(٥)، فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراده الرسول^(٦) فال المصيب له
أجران والمخطيء له أجر^(٧) فلا يمنع^(٨) أن يقال ذلك في أهل الكتاب
قبلنا فمن لم يبلغه جميع نصوص الكتاب قبلنا، لم تقم عليه الحجة
إلا^(٩) بما بلغه وما^(١٠) خفي عليهم^(١١) معناه منه فاجتهد في معرفته فإن

(١) سورة المائدة: الآية ١٥، وقد سقط ذكر هذه الآية من ك، ط.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٩.

(٣) في س (وإذا).

(٤) في س، ك، ط (والرسول).

(٥) في ك، ط (الرسل).

(٦) في ط (أجر واحد).

(٧) في س، ك، ط (يمنع).

(٨) سقطت (إلا) من ك، ط.

(٩) في ك، ط (فيما) بدل (وما).

(١٠) في س (عليه).

(١١) في س (عليه).

أصحاب فله أجران. وإن أخطأ فله أجر وخطأ محظوظ عنه. فاما من تعمد تحريف الكتاب لفظه أو معناه وعرف ما جاء به الرسول فعانده فهذا مستحق للعقاب، وكذلك من فرط في طلب الحق واتباعه^(١) متباعاً لهواه مشتغلاً عن ذلك بدنياه.

وعلى هذا، فإذا كان بعض أهل الكتاب قد حرفوا بعض الكتاب وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك فهم^(٢) مجتهدون في اتباع ما جاء به الرسول لم يجب أن يجعل هؤلاء من المستوجبين للوعيد، وإذا^(٣) جاز أن يكون في أهل الكتاب من لم يعرف جميع ما جاء به المسيح، بل خفي عليه بعض ما جاء به أو بعض معانيه فاجتهد لم يعاقب على ما لم يبلغه. وقد تحمل أخبار اليهود الذين كانوا معه^(٤) والذين كانوا يتظرون بالإيمان بمحمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من أهل المدينة كابن التيهان^(٥) وغيره على هذا، وإنهم لم يكونوا مكذبين للمسيح تكذيب غيرهم من اليهود.

(١) سقطت (واباعه) من أوزانها من سائر النسخ.

(٢) في س، ك، ط (وهم).

(٣) في ك، ط (فإذا).

(٤) تبع بن حسان بن تبان: من ملوك حمير في اليمن. قيل: اسمه مرثد، وهو تبع الأصغر، آخر التباعية، ملك بعد عبد كلال، وعقد الحلف بين اليمن وربيعة، وسار إلى الشام فلقيه قوم من حمير، فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود في يثرب (المدينة) فسار إلى يثرب ونزل في سفح «أحد» وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثة وسبعين رجلاً، وذلّلها لهم، وكان ملكه ٧٨ سنة.

انظر: البداية والنهاية ٢/٣١٠؛ والأعلام للزركلي ٢/٨٣.

(٥) في أ، س (الهبيان) وفي ك، ط (الهبيان) وكلها خطأ والصواب (التيهان) بفتح المثناة الفوquaniة مع كسرها كما ضبطه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٠٩. وهو أبو الهيثم بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، يقال التيهان لقب، واسمه مالك وقد اشتهر بكنيته، كان أحد القباء ليلة العقبة، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها. قالوا:

وقد تنازع الناس هل يمكن مع الاجتهاد واستفراغ الوسع أن لا يبيّن للناظر^(١) المستدل صدق الرسول أم لا^(٢) .

وإذا لم يبيّن له ذلك هل يستحق العقوبة في الآخرة أم لا^(٣) ؟
وتنازع^(٤) بعض الناس في المقلد منهم أيضاً والكلام في مقامين:
المقام الأول^(٥) : في بيان^(٦) خطأ المخالف للحق وضلاله. وهذا
مما يعلم بطرق متعددة عقلية وسمعية، وقد يعرف الخطأ في أقوال
كثيرة^(٧) من أهل القبلة المخالفين للحق، وغير أهل القبلة بأنواع متعددة
من الدلائل.

والمقام الثاني: الكلام في كفرهم واستحقاقهم الوعيد في
الآخرة.

فهذا فيه ثلاثة أقوال للناس من أصحاب الأئمة المشهورين مالك

وكان شاعراً له قصيدة في رثاء النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول فيها:
لقد جدعت آذاننا وأنوفنا غداة فجعنا بالنبي محمد
مات – رضي الله عنه – سنة إحدى وعشرين على الصحيح كما قال ابن حجر.
انظر في ترجمته: الإصابة ٢٠٩/٤ (١١٩٩)؛ والاستيعاب لابن عبد البر هامش
الإصابة ٤/١٩٩؛ ومخازي الواقدي ٧١٨/٢؛ وطبقات ابن سعد ١/٢١٨، وصفة
الصفوة ١/١٨٣، والأعلام للزركلي ٥/٢٥٨.

(١) في لـ، ط (المناظر).

(٢) في لـ، ط (أولاً).

(٣) في سـ، لـ، ط (أم لا يستحقها).

(٤) سقطت (الواو) من لـ.

(٥) سقط المقام الأول من أـ، سـ، لـ وزدناه من طـ .

(٦) في لـ، ط (شأن).

(٧) في سـ (كثير).

والشافعي وأحمد لهم الأقوال الثلاثة.

قيل^(١): إنه يعذب في النار من لم يؤمن وإن لم يرسل إليه رسول لقيام الحجة عليه بالعقل، وهذا قول كثير من يقول بالحكم العقلي من أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، وهو اختيار أبي الخطاب^(٢).

وقيل: لا حجة عليه بالعقل، بل لا^(٣) يجوز أن يعذب من لم يقم عليه حجة لا بالشرع، ولا بالعقل، وهذا قول من يحوز تعذيب أطفال الكفار ومجانيئهم، وهذا قول كثير من أهل الكلام كالجهم^(٤)، وأبي الحسن الأشعري^(٥) وأصحابه، والقاضي

(١) في س (فقيل).

(٢) محفوظ بن أحمد الكلوذاني، نسبة إلى كلوذان من ضواحي بغداد ولد عام ٤٣٢هـ، وتوفي عام ٥١٠هـ، وهو إمام الحنابلة في عصره، وأحد تلاميذ القاضي أبي يعلى، واسع العلم، قوي الإدراك. ألف في فنون مختلفة وصنف في المذهب الحنابلة، وله اختيارات معتمدة عند أئمة الحنابلة، وله شعر حسن من تصانيفه: الهدایة في الفقه، والتمهید في أصول الفقه، وغيرها.

انظر: شذرات الذهب ٤/٢٧؛ وال عبر في خبر من غرب ٤/٢١؛ وطبقات الحنابلة ٢/٢٥٨، وذيله ١١٦ - ١٢٧ (٦٠)؛ ومناقب الإمام أحمد ص ٦٣٥؛ والبداية والنهاية ١٨٠/١٢؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور عبد العزيز السعيد ١/٥٥.

(٣) سقطت (لا) من أ، س وزدناها من ك، ط.

(٤) الجهم بن صفوان السمرقندى وسبقت ترجمته.

(٥) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠هـ في البصرة، كان معتزلياً ثم رجع عن ذلك وجاهر بخلافهم، وألف كتابه الإبانة في أصول الديانة، يوضح فيه أنه يقول بقول الإمام أحمد، اشتهر بسعة علمه، ودقة فهمه، وكثرة تصانيفه، ومن أشهر مؤلفاته: مقالات الإسلامية، والإبانة عن أصول الديانة، واللمع في الرد على أهل الزبعة والبدع وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٣٢٤هـ ببغداد.

أبي يعلى^(١)، وابن عقيل^(٢) وغيرهم .
 والقول الثالث: وعليه السلف والأئمة: إنه لا يعذب إلا من بلغته
 الرسالة، ولا يعذب إلا من خالف الرسل كما دل عليه^(٣) الكتاب
 والسنّة .

قال – تعالى – لإبليس^(٤) :

﴿لَمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥) .
 وإذا كان كذلك فنحن فيما^(٦) ناظر فيه أهل الكتاب: متقدميهم
 ومتأخريهم، تارة نتكلّم في المقام الأول، وهو بيان مخالفتهم للحق
 وجهلهم وضلالهم، فهذا تنبيه لجميع الأدلة الشرعية والعقلية وتارة^(٧)
 نبّين^(٨) كفرهم الذي يستحقون به العذاب في الدنيا والآخرة، فهذا

انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٨٤ (٤٢٩)؛ وال عبر للذهبي ٢٠٢/٢؛ والبداية والنهاية ١١/١٨٧؛ وشذرات الذهب ٢/٣٠٣؛ تاريخ بغداد ١١/٣٤٦؛ والأعلام للزركلي ٤/٢٦٣ .

(١) سبقت ترجمته .

(٢) ابن عقيل هو علي بن محمد بن عقيل البغدادي، قاضي القضاة، وعالم العراق وشيخ الحنابلة في وقته، ولد سنة ٤٣١هـ، واشتهر بسعة علمه، وكثرة تصانيفه ومنها الفنون في مختلف العلوم يقال لم يُؤلف في الدنيا أوسع منه، والقصول في الفقه وغيرهما وهو من تلاميذ القاضي أبي يعلى الفراء، مات رحمة الله سنة ٥١٣هـ .
 راجع طبقات الحنابلة ٢/٢٥٩؛ وذيل طبقات الحنابلة ٣/١٤٢؛ والبداية والنهاية ١٢/١٨٤؛ وابن قدامة وأثاره الأصولية للدكتور عبد العزيز السعيد القسم الأول ص ٥٦ – ٥٨ .

(٣) في س (على ذلك) .

(٤) سقطت (إبليس) من كـ .

(٥) سورة ص: الآية ٨٥ .

(٦) في كـ ، ط (فهو كما تناظر) .

(٧) سقطت (تارة) من أـ ، طـ ، كـ وزدناها من سـ .

أمره إلى الله ورسوله لا يتكلّم فيه إلاً بما أخبرت به الرسّل^(١)، كما أنا أيضًا لا نشهد بالإيمان والجنة إلاً لمن شهدت له الرسّل، ومن لم تقم عليه الحجّة في الدنيا بالرسالة للأطفال والمجانين وأهل الفقرات^(٢) فهو لاءٌ فيهم أقوالٌ أظهرها ما جاءت به الآثار أنّهم يمتحنون يوم القيمة فيبعث الله^(٣) إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الشواب، وإن عصوه استحقوا العقاب^{(٤)(٥)}.

(١) في أ (أُخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ). (٣) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.

(٢) في ك (العثران) وهو تحريف ظاهر. (٤) في ط (العذاب).

(٥) ذكر العلماء أنّ أهل الفقرة على قسمين:

١ - من بلغته الدعوة وهم على قسمين:

(أ) من كان موحدًا كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهما فهو لاءٌ ماتوا على التوحيد كما وردت بذلك نصوص.

(ب) ومن كان مشركًا كعمرو بن لحيٍ. أول من سن عبادة الأصنام في بحر البحيرة، وسيب السائبة... إلخ. وقد ثبت في صحيح مسلم ٢١٩١/٤ (٢٨٥٦) أنّ الرسّول - صلّى الله عليه وسلّم - قال رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه (امعاهه) في النار، وعبد الله بن جدعان وقد ثبت في صحيح مسلم ١٩٦/١ (٢١٤) أنّ عائشة لما سالت النبي - صلّى الله عليه وسلّم - هل ينفعه صلته للرحم وكرمه؟ قال - صلّى الله عليه وسلّم - : «لا، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خططيتي يوم الدين»، فهو لاءٌ ماتوا على الشرك - وهذا القسم بنوعيه ليس محلًا للنزاع.

٢ - من لم تبلغه الدعوة وبقي على حين غفلة. وللعلماء فيه ثلاثة أقوال: الأولى: أنّهم ينجون من العذاب. وهذا قول الأشاعرة من أهل الكلام، وبعض الشافعية من الفقهاء، ومن أدلةهم قوله - تعالى - : «مَنْ أَهْنَىٰ فَإِنَّمَا يَهْنَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا تُنَزِّرُ وَلَا زَرَّ وَلَا أَخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ يَنْعَثُ رَسُولُهُ» [سورة الإسراء: الآية ١٥].

وقوله - تعالى - : «لِتَلَأِّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» [سورة النساء: الآية ١٦٥] وغيرها. وحديث: «ما من أحد أحب إلى الله العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسّل». قالوا: وأهل الفقرة معذورون لعدم إرسال الرسّل إليهم.

الثاني: أنهم من أهل النار، وهذا قول المعتزلة، وبعض الماتوريدية.
قالوا: لأنهم مكلفون، وإن لم يرسل لهم رسول أن يستدلوا بعقولهم فما استحسن
العقل فهو حسن، وما استتبّحه فهو قبيح، واستدلوا بأدلة عامة لا تنفي التفصيص،
والتفصيص كقوله - تعالى - : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَأْتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلُ مِنْ
أَحْدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ...» [الآية ٩١ من سورة آل عمران].
وقوله - تعالى - : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ...» [الآية ١٤٨ من سورة
النساء]. وغيرها من أدلة العموم.

واستدلوا بمحاجة الرسل لأقوامهم حينما دعوهم إلى التفكير واستخدام العقل،
وهذا واضح في أن هؤلاء مرسل إليهم، ولا خلاف في مبنى بلغته الدعوة.
الثالث: أن أهل الفترة يمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمر الله بدخولها فمن دخلها
كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها فقد عصى الله - تعالى - فيدخله الله فيها،
وهذا قول السلف وجمهور الأئمة، واختاره الإمام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير،
وابن حجر، وابن حزم، والشنقيطي في أضواء البيان /٣٤٨٣/، وأدلة هذا القول كثيرة
منها:

الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من طريق الأسود بن زريع أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال: «أربعة يحتاجون يوم القيمة: رجل لا يسمع شيئاً،
ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة...» وذكر في آخر الحديث -
في رسول إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانوا عليهم بردًا
وسلامًا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد /٧٢١٦/ وهذا لفظ أحمد، ورجاله من طريق
الأسود بن زريع، وأبي هريرة رجال الصحيح، ثم ذكر الهيثمي حديثاً آخر بمعناه.
وهذه الأحاديث تخصيص ما ورد من أدلة العموم التي استدل بها أصحاب القول
الآخر، وغير متنافية معها، والجمع بين الأدلة واجب ما أمكن كما بين العلماء.
وعللوا أن عمل الدليلين أولى من إسقاط أحدهما. وأما أدلة الفريق الآخر فلا تدل
على أن أهل الفترة ناجون، وأنهم من أهل الجنة.

يقول ابن حجر - رحمة الله - في فتح الباري /٣٤٦/ : «قد صحت مسألة الامتحان
في حق من مات في الفترة والمجنون». اهـ.

ويرد هنا سؤال: هل يتناهى التكليف والامتحان في عرصات القيامة مع كون الآخرة
دار جزاء؟ والجواب كما ذكر العلماء: لا تناهى في ذلك، والأدلة على أنه يكلف =

المرء في الآخرة قوله - تعالى - : **﴿يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدَعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾**
الأية [سورة القلم : الآيات ٤٢ - ٤٣]. وهذا تكليف، وحديث في صحيح البخاري
٦/٧٢؛ كتاب التفسير وفيه **﴿يُكَشِّفُ رَبِّنَا عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ**
ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رثأة وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره
طبعاً واحداً.

وأما من قال بعدم التكليف فأدلةهم عقلية لا تقوى على معارضته الأدلة النقلية والله
- عز وجل - فعال لما يريد، ولا راد لمشيته.

راجع في هذه المسألة المؤلفات التالية :

مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٤٦؛ وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٧٠٥، ٦٩٥
وفتح الباري ٣/٢٤٦، ٨/٤٨٦، ٢٤٦/٣، ٦٦٤؛ وتفسير ابن كثير ٣٥/٣؛ والفصل
لابن حزم ٤/٦٠، ٧٠؛ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٣٤٩
ومجمع الروايد للهيثمي ٧/٢١٦؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٣/٤٨٣، وجمع
الجوامع للسبكي ١/٦٢ - ٦٣ حاشية البناني على شرح المحتلى على متن جمع
الجوامع، والبداية والنهاية ٢/٢٣٠؛ وتجريد التمهيد لابن عبد البر ص ٣٢٦
ورسالة ماجستير للشيخ موفق شكري بعنوان (أهل الفترة).

وأما أطفال المشركين فقد تعددت أقوال العلماء في شأنهم فقيل في الجنة وقد ذهب
إلى ذلك البخاري، والنووي، وابن الجوزي، وابن حزم، وابن حجر، وجماعة من
المفسرين. وقيل : في النار، قاله القاضي أبويعلي، وذهب إليه الأزارقة من الخوارج
وغيرهم.

وقيل : يمتحنون في عرصات القيمة، اختاره ابن تيمية وابن القيم.
وقيل : التوقف فلا يحكم لهم بجنة أو نار.

انظر في هذه المسألة : مجموع الفتاوى ٢٤/٣٧٢؛ وفتح الباري ٣/٢٤٥؛ والنووي
بشرح مسلم ١٦/٢٠٧؛ وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني ص ٤٧٧
والفصل ٤/٧٤؛ وروح المعاني للألوسي ١٥/٣٧؛ وتجريد التمهيد لما في الموطأ
من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ص ٣١٠، وحكي الأقوال كلها بأدتها في نحو
خمسين صفحة؛ والفتح المبين لأبي يعلى ١/٢٤٥؛ وأحكام أهل الذمة
٢/٦١٩ - ٦٥٦؛ طريق الهجرتين ص ٦٧٩.

وإذا كان كذلك فنحن نشهد لمن كان مؤمناً بموسى متبعاً له أنه^(١) مؤمن مسلم مستحق للثواب.

وكذلك من كان مؤمناً بال المسيح متبعاً له. ونشهد لمن قامت عليه الحجة بموسى فلم يتبعه كآل فرعون أنهم من أهل النار.

وكذلك من^(٢) قامت عليه الحجة بال المسيح الذين قال الله فيهم:

﴿... قَالَ إِنِّي مَنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرُ بِعُدُونَكُمْ فَإِنِّي أَعْذُّ بِهِ عَذَابًا لَا أَعْذُّ بِهِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

والذين قال فيهم:

﴿... يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَقِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُظَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءُكُمْ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوَقَّا إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُسْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْذِذُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الْأَذْنِيَّةِ وَالْأُخْرَيَّةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَصِيرٍ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ إِمَّا كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّلَاحَاتِ فَيَوْمَ يُحْكَمُ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وأما من بعد عهده بال المسيح وبلغته بعض أخباره دون بعض، أو بموسى وبلغه^(٥) أخباره دون بعض، فهؤلاء قامت عليهم الحجة بما بلغهم من أخبارهم دون ما لم يبلغهم من أخبارهم، وإذا اختلفوا في تأويل بعض التوراة والإنجيل فمن قصد الحق واجتهد في طلبه لم يجب

(١) في س (وأنه) وفي ط (بأنه) وسقطت من ك.

(٢) في ك، ط (لمن).

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٥.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ٥٥ - ٥٧.

(٥) في ك، ط (وبلغته).

أن يعذب، وإن كان مخطئاً للحق جاهلاً به ضالاً عنه، كالمجتهد في طلب الحق من أمة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

وعلى هذا فإذا قيل: أن الحواريين، أو بعضهم، أو كثيراً من أهل الكتاب، أو أكثرهم كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه صلب. كانوا مخطئين في ذلك ولم يكن هذا الخطأ مما يقدح في إيمانهم بال المسيح إذا آمنوا بما جاء به، ولا يوجب لهم النار فإن الأنجليل التي بأيدي أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح وعندهم أنها مأخوذة عن الأربعة: مرقس^(١)، ولوقا^(٢)، ويوحنا^(٣)،

(١) مرقس: اسم لاتيني معناه (مطرقة) وهو من السبعين الذين يقال أن المسيح عيسى عليه السلام – اختارهم، وأرسلهم ليعلموا المسيحية، وقد طاف البلاد داعياً ثم اتَّخذ مصر مقرًا له، وكان يهودياً من بيت لاوي، ثم تلمذ على يد بطرس، ومات مقتولاً كما في سفر الأعمال في الإسكندرية سنة ٦٨ قتله الوثنيون في عهد نيرون من ملوك الرومان، وقد ألف الإنجيل لطلب أهل رومية لذلك فيما بين عامي ٦٠ – ٧٠ م. انظر: نظم الجوهر لابن البطريق ص ٤٤؛ والمسيحية للدكتور شلبي ص ٢٠٩؛ وتحقيق تاريخ الأنجليل ص ٣٤؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٥٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣.

(٢) لوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصار «لوقانوس» وهو تلميذ بولس الذي كان عدواً للنصارى ثم أصبح رسولاً لهم، وهو من أهل أنطاكية ولم ير المسيح وليس من الحواريين، ولا من تلاميذهم. كان طيباً، وقيل: مصوراً كتب إنجيله باللغة اليونانية فيما بين عامي ٦٠ – ٧٠ م، وهو رسالة إلى صديقه (ثاوفيلس) كما أُعلن هو عن ذلك في الإصلاح الأول منه، وقد ذكر المحققون من المسيحيين أنه ليس إلهاماً.

انظر: تحقيق تاريخ الأنجليل ص ٣٦ – ٣٧؛ والمسيحية لشلبي ص ٢١٢؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٥٥؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٢.

(٣) يوحنا أحد الحواريين الثاني عشر، ولد في صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زيدي الصياد، وأخو يعقوب الكبير، كان صياداً ثم اتبع المسيح، نفاه القيصر (دوميتان) إلى جزيرة بطمس من جزر بحر إيجه ثم عاد إلى أفسس ولبث بها مبشرأً، ثم مات شيخاً، كتب إنجيله باليونانية، وعرض فيه ليسوع المسيح من وجهة نظر اللاهوتية،

ومتى^(١). ولم يكن في الأربعة من شهد صلب المسيح ، ولا من الحواريين ، بل ولا في أتباعه من شهد صلبه^(٢)، وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود فمن الناس من يقول: أنهم علموا أن المصلوب غيره وتعتمدوا الكذب في أنهم صلبوه وشبه صلبه على من أخبروهم . وهذا قول طائفة من أهل الكلام: المعتزلة وغيرهم وهو قول ابن حزم^(٣)

ويتصف إنجيل يوحنا بالطابع الفلسفى الذى يعد روح المدرسة الاسكندرية.

انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤١ - ٣٤٢؛ وتحقيق تاريخ الأنجيل ص ٤١؛ والمسيحية لشلبي ص ٢١٣؛ ومحاضرات في النصرانية ٥٧ - ٥٨؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٦ .

(١) متى: من الاسم العبرى (مثيا) الذى معناه (عطية يهوه) أحد الحواريين الذين آمنوا باليسوع ، وعاونوه ، وتلمندوه عليه ، وعدهم اثنا عشر وقد ورد ذلك في الإصلاح العاشر: ص ١ - ٤ من إنجيل متى ، ويعرف بمتى العشار حيث كان عشاراً، أي: من جهة الضرائب للحاكم الرومانى في ذلك الوقت ، وكان يهودياً ثم آمن بدعوة المسيح ، وترك وظيفة العشارين ، وقد كتب إنجيله بالعبرية ثم فقد هذا الإنجيل حسبما ذكر صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ، وترجم بعد ذلك باللغة اليونانية ، ولم يعلم متى ترجم ، ومن هو المترجم ، وتشار حوله شكوك كثيرة ، مات متى سنة ٧٩ م ببلاد العبيشة .

انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٩ - ٢٠؛ وسلسلة مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٢٠٩؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٤٩؛ وتحقيق تاريخ الأنجيل المعتمدة ص ٣٠ - ٣٤، وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٢ .

(٢) في لك، ط (الصلب) .

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، عالم الأندلس في عصره ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، وكانت له ولائيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبیر المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف ، كان فقيهاً ، حافظاً ، زاهداً ، متواضعاً ، متفتاً في علوم جمة ، صاحب تصانيف كثيرة منها المحلى في الفقه في أحد عشر جزءاً ، والفصل في الملل والأهواء والنحل في خمسة أجزاء وجمهور الأنساب وغيرها من المؤلفات الكثيرة مات رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ .

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٣٢٥ / ٣٤٨؛ ومعجم الأدباء ٢٣٥ / ١٢ وله فيه =

وغيره^(١). ومنهم من يقول: بل اشتبه على الذين صلبوه، وهذا قول أكثر الناس^(٢)، والأولون يقولون أن قوله:

﴿وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَا كُنْ شَيْهَ لَهُمْ . . .﴾.

أي: شبه للناس الذين أخبرهم أولئك بصلبه.

الجمهور يقولون: بل شبه للذين يقولون^(٣) صلبوه كما قد ذكرت القصة في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن الناس في هذا المقام على طرفين ووسط.

ترجمة طويلة، وتاريخ الحكماء للفقطي ص ٢٣٣؛ وال عبر للذهبي ٣/٢٣٩؛ وشذرات الذهب ٣/٢٩٩؛ والأعلام ٤/٥٤٠.

(١) ما ذكره المؤلف عن ابن حزم ورد في الفصل ١/٥٩، وقالت به المعتزلة وانظر: المغني للقاضي عبد الجبار ٥/١٤٣ - ١٤٤ (بتحقيق محمود الخضيري).

(٢) نص القرآن صريح في أن عيسى - عليه السلام - لم يقتل، ولم يصلب، ولكن شبه على القوم. والاختلاف هو في صفة التشبيه فقيل: أن عيسى اتذب أحدهم ليلقى عليه شبيه ويكون رفيقه في الجنة فقام أحدهم ويقال له جرجس فجلس مكانه ورفع الله عيسى ثم وقع الصلب على جرجس. وقيل: أن الله ألقى شبهه على رجل اسمه يهودا الأسخريوطى الذي تذكر الأنجليل أنه هو الذي دس عليه وأرشد القابضين إليه، وقد كان من تلاميذه، ورفع الله عيسى ووقع الصلب على يهودا، والأنجليل مختلفة في ذلك اختلافاً عظيماً وقيل: بل حول الله القوم كلهم الذين كانوا مع عيسى في صورة عيسى فلم يعرفوا عيسى من غيره لتشابه الصور عليهم.

انظر: تفسير ابن حجرير ٦/١١، ٦/١٢ (مجلد ٤)؛ وتفسير القرطبي ٦/٩ - ١٠ (مجلد ٣)؛ والبداية والنهاية ٢/٩١ - ٩٢؛ وفتح القدير ١/٥٣٤؛ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٢٨، ٢٩؛ ومجموع الفتاوى ٤/٣٢٢ - ٤/٣٢٣. وفي ظلال القرآن ٦/٨٠١؛ وإنجيل برنيابا بتحقيق سيف الله أحمد فاضل ص ٢٨٩ الفصل السابع عشر بعد المتيين.

(٣) في ك (يقول صلبوه) وسقطت (يقولون) من أ، س.

أما الطرف الواحد: فهم الغلاة من النصارى الذين يدعون أن الحواريين كانوا معصومين فيما يقولونه ويرونه، وكذلك يقولون بتصويب علماء النصارى فيما يقولونه^(١) من تأويل الإنجليل.

والطرف الآخر يقول: بل كل من غلط وأخطأ في شيء من ذلك فإنه مستحق للوعيد^(٢) بل كافر.

والثالث، الوسط: أنهم لا يعصمون، ولا يؤثمون^(٣) بل قد يكونون مخطئين خطأ مغفراً لهم^(٤) إذا كانوا مجتهدين في معرفة الحق واتباعه بحسب وسعهم وطاقتهم، وعلى هذا تدل^(٥) الأدلة الصحيحة وكتب الله تدل على ذم الضال والجادل^(٦) ومقته مع أنه لا يعاقب إلا بعد إنذاره.

وقد ثبت في الصحيح عن عياض بن حمار^(٧)، عن النبي

(١) في أ، س (يقوله) وما أثبتناه من ك، ط.

(٢) في ك، ط (يستحق الوعيد).

(٣) في أ (يقولون) وهو تحريف وصححناه من سائر النسخ.

(٤) في أ، س (مغفور) وصححناه من ك، ط.

(٥) في ك، ط (تصح).

(٦) سقطت (الجادل) من س.

(٧) في ك، ط (حماد) وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه وعياض بن حمار بن أبي حمار التميمي المجاشعي، سكن البصرة، وكان صديقاً للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قدِيمًا وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأنَّه كان من الجملة الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسى. حديثه في صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذى، عاش إلى حدود الخمسين - رضي الله عنه ورحمه - .

انظر: الإصابة ٤٨/٣؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١٢٩/٣؛ والرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ص ٢٤٠.

— صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ إِلَّا بَقِيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١).

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَقْتَهُمْ إِلَّا هُؤُلَاءِ الْبَقِيَا، وَالْمَقْتُ هُوَ الْبَغْضُ بْلَ أَشَدُ الْبَغْضِ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَخْبَرَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْذِبَهُمْ^(٢) حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَقَالَ: «وَمَا كَانَ مُعَذَّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا...».

وَقَالَ:

«وَلَوْاَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ، لَقَاتَلُوْرَبِّنَا الْوَلَاّ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّيَعَ، أَيَّنَاكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْرَى»^(٣).

فَدَلَّ ذَلِكُ عَلَى أَنَّ الْمَقْتَضِيَ لِعَذَابِهِمْ قَائِمٌ وَلَكِنَ شَرْطُ الْعَذَابِ هُوَ بِلُوغِ^(٤) الرِّسَالَةِ، وَلِهَذَا قَالَ:

«... إِنَّلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ...»^(٥).

وَفِي الصَّحِيفَتَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَحَبَ إِلَيْهِ الْعَذْرَ مِنَ اللَّهِ^(٦)؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، أَرْسَلَ الرَّسُولَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَبَ».

وَفِي رَوَايَةِ: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، بَعَثَ الرَّسُولَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ،

(١) الْحَدِيثُ: سَبَقَ تَخْرِيْجَهُ، وَهُوَ فِي صَحِيفَتِ مُسْلِمِ رَقْمِ (٦٣)، وَمَسْنَدُ أَحْمَدَ ٤/١٦٢.

(٢) فِي أَ (يَعْذِبُهُمْ).

(٣) سُورَةُ طَهِ: الْآيَةُ ١٣٤ وَقَدْ حَصَلَ خُلْطٌ وَخَطَا فِي الْآيَةِ فِي جَمِيعِ النُّسُخِ بَيْنَ آيَةِ سُورَةِ طَهِ، وَآيَةِ سُورَةِ الْقَصْصِ: ٤٧، وَجَاءَ فِي طَ (بِالْآيَةِ كَامِلَةِ مِنْ سُورَةِ الْقَصْصِ).

(٤) فِي كَ، طَ (هُوَ بَعْدَ بِلُوغِ).

(٥) سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ ١٦٥.

(٦) فِي كَ، طَ (مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

وما أحب إليه المدح من الله؛ من أجل ذلك مدح نفسه، وما^(١) أحد غير من الله؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»^(٢).

وقد تنازع الناس في حسن الأفعال^(٣) وقبحها كحسن العدل والتوحيد، والصدق، وقبح الظلم، والشرك، والكذب: هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالسمع^(٤)، وإذا قيل: أنه يعلم بالعقل فهل يعاقب من

(١) في ط (وما من).

(٢) الحديث: سبق تخرجه.

(٣) في ط (الأقوال).

(٤) ذهب أكثر أصحاب الشافعى، وطائفة من المتكلمين، وجماعة من أصحاب أبي حنيفة والإمام أحمد، وأكثر أصحابه، وطائفة من الفقهاء. إلى أن العقل لا يحسن ولا يقبح ولا يوجب، ولا يحرم، والعقل بذاته ليس بدليل على تحسين شيء ولا تقييده، ولا يعرف حسن الشيء وقبحه حتى يرد السمع بذلك، والعقل آلة تدرك به الأشياء، فيدرك به ما حسن، وما قبح بعد أن ثبت ذلك بالسمع.

جاء في العدة في أصول الفقه ٤٢٢/٢ (وقد دل على هذا الأصل قوله تعالى - : «وما كنا نعذب الناس حتى نبعث رسولًا» فأخبر أنهم آمنوا من العذاب قبل بعثة الرسول إليهم، فعلم أن الله - تعالى - لم يوجب على العقلاء شيئاً من جهة العقل. بل أوجب ذلك عند مجيء الرسول، وقوله - تعالى - : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول» سورة النساء: الآية ١٦٥ فلو كان العقل حجة عليهم لما قال: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول» بل كان الواجب أن يقول لئلا يكون للناس على الله حجة بعد العقل، ولما لم يقل هذا ثبت أن العقل لا تأثير له في ذلك».

أما القول الثاني: فهو قول طائفة من الأحناف، والمعتزلة بأسرهم. وهو أن الحسن والقبح ضربان ضرب علم بالعقل كحسن العدل، والصدق النافع، وشكر النعمة، وقبح الظلم، والكذب الضار، وكفران النعمة. وضرب عرف بالسمع كحسن مقادير العبادات وهباتها، وقبح الزنا، وشرب الخمر، قالوا: وسيلة السمع إذا ورد بموجب العقل أن يكون وروده مؤكداً لما في العقل. والذي رجحه كثير من أهل العلم هو القول الأول والله أعلم.

=

فعل ذلك قبل أن يأتيه رسول؟ على ثلاثة أقوال معروفة في أصحاب الأئمة وغيرهم، وهي ثلاثة أقوال لأصحاب الإمام أحمد وغيرهم. فقالت طائفة لا يعرف ذلك إلا بالشرع لا بالعقل، وهذا قول نظار المجبرة كالجهنم بن صفوان وأمثاله، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأتباعه * من أصحاب الأئمة الأربعَةَ ^(١) كالقاضي أبي بكر بن الطيب ^(٢)، وأبي عبد الله بن حامد ^(٣)، والقاضي أبي يعلى ^(٤)، وأبي المعالي ^(٥)،

انظر في هذه المسألة: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، ١٨٣/١
والعدة في أصول الفقه بتحقيق د. أحمد مباركي ٤٢٢/٢ - ٤٢٣ ، وشرح الكوكب
المهير المسمى بمحضر التحرير تحقيق محمد حامد فقي ص ٩٥، ونهاية السول في
شرح منهاج الأصول للبيضاوي الحاشية ٨٢/١ - ٨٧ .

(١) سقط ما بين النجمتين من أوزانه من س، ك، ط.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ ، وسكن بغداد، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وفي الرد على الفرق، وجهه عضد الدولة سفيراً إلى ملك الروم فجرت له في القدسية مناظرات مع علماء النصارى انتصر فيها عليهم. ومن كتبه إعجاز القرآن، والملل والنحل، وتمهيد الدلائل، وكشف أسرار الباطنية وغيرها. مات - رحمة الله - سنة ٤٠٣هـ .

انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٦٩؛ وشذرات الذهب ٣/١٦٨؛ وتاريخ بغداد ٥/٣٧٩ (٢٩٠٦)؛ وال عبر في خبر من غرب ٣/٨٦؛ والأعلام ٦/٢٧٦ .

(٣) الحسن بن حامد بن علي، أبو عبد الله البغدادي. إمام الحنابلة في زمانه، ومدرسيهم، وفقيههم، اشتهر بزهده وورعه، من أصحاب القاضي أبو يعلى وأبو إسحاق وغيرهما وقد انتفع به خلق كثير. من تصانيفه الجامع في المذهب الحنبلية، وشرح الخرقى، وتهذيب الأجوية وغيرها مات سنة ٤٠٣هـ .

انظر: طبقات الحنابلة ٢/١٧١ (٦٣٨)؛ والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ٢/٨٢ (٦٢٩) .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوني إمام الحرمين. ولد سنة ٤١٩هـ في جوين من نواحي نيسابور، من أصحاب الشافعى، عالم متقن في العلوم من =

وأبي الوفاء بن عقيل^(١) وغيرهم، وقيل: بل قد يعلم حسن الأفعال^(٢) وقبحها بالعقل.

قال^(٣) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد^(٤): وهذا^(٥) قول أكثر الفقهاء والمتكلمين^(٦).

وهذا هو المنسوق عن أبي حنيفة نفسه، وعليه عامة أصحابه، وكثير من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وأهل الحديث كأبي الحسن التميمي^(٧)، وأبي الخطاب، وأبي بكر القفال^(٨)، وأبي نصر

الأصول والفروع. كثير الرحلات، وهو من المتكلمين، ونقل في الشذرات جملة من كلامه في العقيدة النظامية كدليل على رجوعه عن مذاهب المتكلمين. له تصانيف كثيرة منها: الشامل في أصول الدين، والإرشاد والعقيدة النظامية، وغياث الأمم؛ وغيرها. مات سنة ٤٧٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ (٣٧٨)؛ وشذرات الذهب ٣٥٨/٣؛ وال عبر في خبر من غيرها. ٢٩١/٣؛ والأعلام ١٦٠/٤.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في ك، ط (الأقوال).

(٣) في ك، ط (وقال).

(٤) أبو الخطاب: سبقت ترجمته.

(٥) في س (فهذا).

(٦) عقد أبو الخطاب - رحمة الله - في هذا فصلاً في كتابه التمهيد (مخطوط) رقم ٢٨٠١ (بجامعة الملك سعود بالرياض ورقة ٢٠١) فقال: «اختلف أصحابنا هل في قضايا العقل حظر، وإباحة، وإيجاب، وتحسين، وتقييع أم لا؟ ثم ساق كلاماً طويلاً في هذا الكتاب الذي اشتغل بتحقيقه باحثان بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة لنيل درجة الدكتوراة. وتم طبعه بتحقيقهما.

(٧) أبو الحسن التميمي عبد العزيز بن الحارث التميمي الحنفي. فقيه، أصولي فرضي له تصانيف كثيرة في الفقه والفرائض وأصول الفقه وسمع الحديث، وروى عن غير واحد، وهو من أصحاب الإمام أحمد مات - رحمة الله - سنة ٣٧١هـ.

انظر: البداية والنهاية ١١/٢٩٨؛ ومعجم المؤلفين ٥/٢٤٤.

(٨) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال، أبو بكر ولد سنة ٢٩١هـ. فقيه =

السجّي^(١)، وأبى القاسم سعد بن علي الزنجانى^(٢)، وهو قول الكرامية^(٣) وغيرهم من نظار المثبتة للقدر، وهو قول المعتزلة وغيرهم

شافعى، إمام عصره، كان فقيهاً محدثاً، أصولياً، لغويًّا، شاعراً. له مصنفات كثيرة

في أصول الفقه وفي الفقه مات رحمة الله سنة ٣٦٥ في شاش وراء نهر سیحون.

انظر: وفيات الأعيان ٤/٥٧٥ (٢٠٠)؛ شذرات الذهب ٣/٥١؛ وتهذيب الأسماء

واللغات ٢/٢٨٢؛ وال عبر في خبر من غير ٢/٣٣٨؛ والأعلام ٦/٢٧٤.

(١) عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجّي الوائلي البكري، أبو نصر من حفاظ الحديث أصله من سجستان، ونسبته إليها على غير قياس. كان متقناً، مكثراً بصيراً بالحديث والسنة، واسع الرحلة، زاهداً، له كتب منها الإبانة عن أصول الديانة في الحديث مات سنة ٤٤٤هـ.

انظر: شذرات الذهب ٣/٢٧١ - ٢٧٢؛ وال عبر ٣/٢٠٦؛ و تذكرة الحفاظ

٣/٢٩٧؛ وحسن المحاضرة ١/٣٥٣؛ والأعلام ٤/١٩٤.

(٢) وقع في النسخ «الريحانى» وهو تصحيف صوابه الزنجانى، بالزاي المعجمة والنون والجيم المعجمتين وهو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجانى، شيخ الحرم، كان إماماً حافظاً متبعاً، قدوة عالماً زاهداً نزيل الحرم، وصفه المقدسي «بأنه أعرف من رأى بالحديث». مات سنة ٤٧١هـ عن ٩٠ سنة.

انظر: شذرات الذهب ٣/٣٣٩ (٣٤٠)؛ والبداية والنهاية ١٢/١٢٠.

(٣) إحدى فرق المراجحة، وهم أصحاب محمد بن كرام، قال في الباب: بفتح أوله، والراء المشددة النسبة إليه كرامي، وقد كان أبوه يحفظ الكرم فقيل له كرام، وقال عنه الذهبي عابد متكلم شيخ الكرامية، وله أتباع، ومریدون وقد سجن بنیساپور لأجل بدعته ثمانية أعوام، ثم خرج وسار إلى بيت المقدس، ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ ومن مذهب الكرامية أن الإيمان قول اللسان دون اعتقاد القلب، وعمل الجوارح فمن أقر بلسانه فهو مؤمن حقاً، وإن اعتقاد بقلبه ما شاء من الشرك، وجددوا العبادات، وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين في الحقيقة.

انظر: الباب في تهذيب الأنساب ٣/٨٩؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٤/٢١؛

والفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٠٥، ٢٠٤؛ والممل والنحل ١/١٤٥؛

والفرق بين الفرق ص ٢١٦؛ ومجموع الفتاوى ٣/١٠٣؛ والتبيير في الدين

للاسفياني ص ٦٥ - ٧٠؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٦٧؛

وتلبيس إيليس لابن الجوزي ص ٨٤.

من نظار القدرية، ثم هؤلاء على قولين:
 منهم من يقول: يستحقون عذاب الآخرة بمجرد مخالفتهم للعقل
 كقول: المعتزلة، والحنفية، وأبى^(١) الخطاب، وقول هؤلاء مخالف
 للكتاب والسنة.

ومنهم من يقول: بل^(٢) لا يعذبون حتى يبعث إليهم رسول كما دل
 عليه الكتاب والسنة. لكن أفعالهم تكون مذمومة ممقوته يذمها الله
 ويغضبها ويوصفو بالكفر الذي يذمه الله ويغضبه، وإن كان لا يعذبهم
 حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في
 الحديث الصحيح كما تقدم: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم
 وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن ربي قال لي: قم في قريش
 فانذرهم. قلت: إذا يبلغوا^(٣) رأسي حتى يدعوه خبزة».

قال: «إنني مبتليك ومبتل عبادك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء
 تقرأه نائماً ويقطان فابعث جنداً أبعث مثليهم، وقاتل من أطاعك من
 عصاك، وأنفق أثقتك عليك»^(٤).

وقال: «إنني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين. وحرمت
 عليهم ما أحللت لهم، وأمّرتهم أن يشركوا بي مالهم أنزل به

(١) في أ (وابن) وصححناه من سائر النسخ ومن الترجمة.

(٢) سقطت (بل) من ك، ط.

(٣) يبلغوا رأسي: يدخلوا رأسي. انظر: تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٥٠
 والقاموس المحيط (فصل الثناء، باب الغين) ٣/١٠٤.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بباب الصفات التي يعرف بها في الدنيا
 أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ - ٢١٩٨ (٦٣)؛ ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢
 (من حديث عياض بن حمار).

سلطاناً^(١).

وقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ^(٢) :
«كُلُّ مُولُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفَطْرَةِ».

وفي رواية: على هذه الملة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
كما تنتج البهيمة بهيمة جماعه هل تحسون^(٣) فيها من جدعاء». ثم يقول
أبو هريرة - رضي الله عنه^(٤) - : «اقرءوا إن شئتم: فطرة الله التي فطر
الناس عليها. قيل: يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال
المشركين^(٥) وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(٦). ومع

(١) هذا قطعة من الحديث السابق الطويل والذي رواه مسلم في كتاب الجنة ٤/٢١٩٧

(٢) ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢٢ من حديث عياض بن حمار وهذا الجزء في
أول الحديث فهو سابق للجزء الذي قبله.

(٣) سقطت (الصحيح) من ط.

(٤) في ط (تحسنون) وهو خطأ.

(٥) سقطت الجملة الدعائية من أ، س وزدنها من ك، ط.

(٦) سقطت جملة (من أطفال المشركين) من أ، ك، ط وزدنها من س ولفظ الحديث
هكذا.

(٧) والحديث: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل
يُصلّى عليه؟ ٢/٩٧؛ وفي التفسير، تفسير سورة الرروم ٦/٢٠ وليس في هذين
الموضوعين ذكر جملة «أفرأيت من يموت وهو صغير» ولكنها وردت في الحديث
الذى أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب القدر، باب الله أعلم بما
كانوا عاملين ٧/٢١١؛ ورواه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على
الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/٤٧٠ - ٤٧٤ / ٢٠٤٩ رقم ٢٢
، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ومن حديث ابن عباس برقم ٢٨ ، وأخرجه أبو داود في
كتاب السنّة، باب في ذراري المشركين ٥/٨٨ (٤٧١٤)؛ والترمذى في القدر
٤/٤٤٧ (٣١٣٨) وفيه (الملة) بدل (الفطرة)، ومالك في الجنائز ١/٢٤١ (٥٢)
، وأحمد في المسند ٢/٢٣٣ ، ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣١٥، ورواه الحميدي في
مسنده بطرق متعددة ٢/٤٧٣ (١١١٣)، (١١١١).

مقت الله لهم، فقد أخبر أنه لم يكن ليغذبهم حتى يبعث^(١) إليهم رسولاً. وهذا يدل على إبطال قول من قال أنهم لم يكونوا مسيئين، ولا مرتكبين لقبع حتى جاء السمع. وقول من قال: أنهم كانوا معذبين بدون السمع إما لقيام الحجة بالعقل كما ي قوله من يقوله من القدرة وإما لمحض المشيئة، كما ي قوله المجبرة^(٢).

قال – تعالى – :

﴿وَمَا كَانَ رَبِّكَ مُهَلِّكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَنْذُرُهُمْ إِنَّا بَيْنَنَا
وَمَا كُنَّا مُهَلِّكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا أَظَلَّمُونَ﴾^(٣).

وقال – تعالى – :

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا فَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا الَّذِي أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَبِّئْنَاهُ إِنَّا بَيْنَنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ومعنى قوله جماء: السليمة سميت بذلك لاجتماع السلامة لها في أعضائها، والجدعاء هي مقوطوعة الأذن.

يقول الخطابي في معناه «إن البهيمة أول ما تولد تكون سليمة من الجدع، والخرم، ونحو ذلك من العيوب حتى يحدث فيها أربابها هذه الناقص، كذلك الطفل يولد مفطوراً على خلقته السليمة ولو ترك عليها لسلم من الآفات، إلا أن والديه يزينان له الكفر، ويحملانه عليه».

انظر: معالم السنن للخطابي (هامش سنن أبي داود ٥/٨٨) (كتاب السنة)، وانظر تفسير غريب الحديث ص ٥٣.

(١) في ط (نبعث).

(٢) سبق الحديث عن القدرة، والجبرية في أول الكتاب.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٤٧.

وقال – تعالى – :

﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكُهُم بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا الْوَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّيَعْ إِلَيْنَاكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذَلَّ وَنَخْرُجَ﴾^(١).

فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث إليهم رسولاً، وبين أنهم قبل الرسول كانوا^(٢) قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب^(٣) لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة.

• • •

(١) سورة طه: الآية ١٣٤.

(٢) في ل، ط (كانوا قبل الرسول).

(٣) في س، ل، ط (للعذاب).

فصل

ومنها ينبغي أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالبية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة أشياء:

أحدها: **اللفاظ**^(١) متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكون بها، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكون بها وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن دليلاً على ذلك. والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين.

والثاني: خوارق ظنواها آيات^(٢) وهي من أحوال الشياطين، وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين في الأصنام وتکلیمها^(٣) للناس. ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة، ولا بد لهم مع ذلك من كذب، ومثل تصرفات تقع من الشياطين.

والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنواها صدقاً وهي كذب^(٤). وإنما ليس مع النصارى ولا غيرهم من أهل الضلال على باطلهم لا معقول

(١) في ك (اللفاظ).

(٢) في ك (الآيات) وفي ط (من الآيات).

(٣) في ك ، ط (وتکلیمهم).

(٤) جملة: والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنواها صدقاً وهي كذب) ساقطة من س.

صريح ولا منقول صحيح، ولا آية من آيات الأنبياء. بل^(١) إن تكلموا بمعقول تكلموا بالفاظ متشابهة مجملة. فإذا استفسروا عن معاني تلك الكلمات، وُفِّرَّقَ بين حقها وباطلها تبيّن ما فيها من التلبيس والاشتباه.

وإن تكلموا بمنقول: فإنما أن يكون صحيحاً لكن^(٢) لا يدل على باطلهم.

وإنما أن يكون غير صحيح^(٣) ثابت بل مكذوب.

وكذلك ما يذكرون^(٤) من خوارق العادات: إنما أن يكون صحيحاً قد ظهر على يد النبي كمعجزات المسيح ومن قبله كإلياس واليسع وغيرهما من الأنبياء، وكمعجزات موسى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فهذه حق.

وإنما تكون قد ظهرت على يد بعض الصالحين، كالحواريين^(٥)، وذلك لا يستلزم أن يكونوا معصومين ك الأنبياء، فإن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه لا يتصور أن يقولوا على الله إِلَّا الحق، ولا يستقر في كلامهم باطل، لا عمداً ولا خطأ.

وأما الصالحون: فقد يغلط أحدهم ويخطيء مع ظهور الخوارق على يديه، وذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً صالحاً، ولا يوجب أن يكون معصوماً إذا كان هو لم يدع العصمة، ولم يأت بالأيات دالة على ذلك،

(١) سقطت (بل) من ك، ط.

(٢) سقطت (لكن) من ك، ط.

(٣) سقطت (صحيح) من س، ك، ط.

(٤) في ك (ما يظهرونه).

(٥) في ك (وكالحواريين).

(٦) سقطت (الواو) من ك.

ولو ادعى العصمة وليس بنبي ، لكان^(١) كاذباً لا بد أن يظهر كذبه
وتقترن^(٢) به الشياطين فتضلهم ويدخلون في قوله - تعالى - :

﴿هَلْ أَنْتُمْ كُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيْءَنَطِينُ ﴾٢٦﴿ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَالِكَ أَثْيَمٌ ﴾٢٧﴾ .

والنصارى عندهم متفقون^(٤) في الأنجليل أن الذى صلب ودفن في القبر رأه بعض الحواريين وغيرهم بعد أن دفن، قام من قبره رأوه^(٥) مرتين أو ثلاثة، وأراهم موضع المسامير، وقال: لا تظنوا أنى شيطان^(٦).

(۱) فی س (إذ كان).

(٢) في ك، ط (فتقرن).

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٢٢١، ٢٢٢.

٤) في أ، س (منقولاً).

(٥) سقطت (رأوه) من ك، ط.

(٦) جاءت القصة متكررة في الأنجيل الأربعة بالفاظ مختلفة في :

إنجيل يوحنا: الإصحاح العشرون: الفقرات ١ - ١٠ .

إنجيل لوقا: الإصلاح الرابع والعشرون: الفقرة ٧.

إنجيل مرقس: الإصحاح السادس عشر: الفقرات ١ - ٢٠

لأنجيل متى: الإصلاح الثامن والعشرون: الفقرات ١ - ٢٠ .

ونصها في إنجيل متى إصلاح ٢٨ : من أوله : «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية، ومريم الأخرى لتنظرا القبر: وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه، وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس، وصاروا كاموات. فأجاب الملائكة، وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما. فلما أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو هنا؛ لأنه قام... إلخ.

وقد اختفت الأنجليل في تفصيل القيام. فمتي ذكر أنه ظهر في الجليل، ولوقا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معاً، ومرقس ذكر أنه ظهر بين تلاميذه، وهذا الاختلاف والتناقض في حادثة معينة دليل واضح على اضطراب التصوّص عندهم - اضطراباً يدعوا إلى اليقين الجازم بأن هذا كلام بشر يخطئون أكثر مما يصيرون، وأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، ولو كان من عند الله =

وهذا إذا كان صحيحاً فذاك شيطان ادعى أنه المسيح ، والتبس^(١) على أولئك ، ومثل هذا قد جرى لخلق عظيم^(٢) في زماننا ، وقبل زماننا ، كناس كانوا بـ « تدمر »^(٣) فرأوا شخصاً عظيماً طائراً في الهواء ، وظهر لهم مرات بأنواع من اللباس ، وقال لهم : أنا المسيح ابن مريم ، وأمرهم بأمور يمتنع أن يأمر بها المسيح – عليه السلام – ، وحضروا إلى عند الناس وبيّنوا لهم^(٤) أن ذلك هو شيطان أراد أن يضلهم .

وآخرون يأتي أحدهم إلى قبر من يعظمه ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم ، فتارة يرى القبر قد^(٥) انشق وخرج منه إنسان على صورة ذلك الرجل ، وتارة يرى ذلك الإنسان قد دخل في القبر ، وتارة يراه إما راكباً وإما ماشياً داخلاً إلى مكان ذلك الميت كالقبة المبنية على القبر ، وتارة يراه خارجاً من ذلك المكان ويظن أن ذلك هو ذلك الرجل الصالح ، وقد يظن أن قوماً استغاثوا به فذهب إليهم ، ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته^(٦) . وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم^(٧) ، وتارة يستغيث

– تعالى – لما حصل فيه اختلاف ، ولكنه من عند غير الله فوجدنا فيه اختلافاً كثيراً والحمد لله الذي حفظ لنا كتابنا وجعله المصدق والمهيمن وجعل نبينا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ورسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

(١) في ك (والبس) .

(٢) في ك ، ط (كثيـن) .

(٣) تدمر : بفتح الناء ، ثم السكون وضم الميم . مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ، وهي قرية من حمص ، من عجائب الأبنية : وهي إحدى مدن سوريا اليوم .

انظر : معجم البلدان ٢/١٧ ؛ مراصد الاطلاع ١/٢٥٤ .

(٤) سقطت (لهم) من ك ، ط .

(٥) سقطت (قد) من ط .

(٦) في س ، ك (بصورة) . (٧) في س (عرفهم) .

أقوام بشخص يحسنون به الظن إما ميت وإما^(١) غائب، فيرونـه بعيونـهم قد جاء، وقد يكلـمـهم وقد يـقـضـيـ بعضـ حاجـاتـهـم^(٢) فيـظـنـونـهـ ذلكـ الشخصـ المـيـتـ، وإنـماـ هوـ شـيـطـانـ زـعـمـ أنهـ هوـ، وـلـيـسـ هوـ إـيـاهـ، وـكـثـيرـاـ ماـ يـأـتـيـ الشـخـصـ بـعـدـ المـوـتـ فـيـ صـورـةـ المـيـتـ، فـيـحـدـثـهـ وـيـقـضـيـ دـيـوـنـاـ، وـيـرـدـ وـدـائـعـ وـيـخـبـرـهـ عـنـ الـمـوـتـ، وـيـظـنـونـ أنهـ هوـ المـيـتـ نـفـسـهـ قدـ جـاءـ إـلـيـهـمـ، وإنـماـ هوـ شـيـطـانـ تـصـورـ بـصـورـتـهـ.

وهـذاـ كـثـيرـ جـداـ لـاـ سـيـماـ فـيـ بـلـادـ الشـرـكـ، كـبـلـادـ الـهـنـدـ وـنـحـوـهـاـ، * وـمـنـ هـؤـلـاءـ مـنـ تـرـاهـ أـنـتـ تـحـتـ سـرـيرـهـ آـخـذـ بـيـدـ اـبـنـهـ فـيـ الـجـنـازـةـ، وـمـنـهـ مـنـ يـقـولـ: إـذـاـ مـتـ فـلـاـ تـدـعـواـ أـحـدـاـ يـغـسـلـنـيـ فـأـنـاـ آـتـيـ مـنـ هـذـهـ النـاحـيـةـ أـغـسـلـ نـفـسـيـ، فـيـأـتـيـ بـعـدـ المـوـتـ شـخـصـ فـيـ الـهـوـاءـ عـلـىـ صـورـتـهـ يـغـسـلـهـ هـوـ وـالـذـيـ أـوـصـاهـ، وـيـظـنـ ذـلـكـ أـنـهـ جـاءـ، وإنـماـ هوـ شـيـطـانـ تـصـورـ بـصـورـتـهـ *^(٣)، وـتـارـةـ يـرـىـ أـحـدـهـ شـخـصـاـ إـمـاـ طـائـرـاـ فـيـ الـهـوـاءـ وـإـمـاـ عـظـيمـ الـخـلـقـةـ، وـإـمـاـ أـنـ يـخـبـرـهـ بـأـشـيـاءـ غـائـبـةـ وـنـحـوـ ذـلـكـ، وـيـقـولـ لـهـ: أـنـاـ الـخـضـرـ^(٤)، وـيـكـوـنـ ذـلـكـ شـيـطـانـاـ كـذـبـ عـلـىـ ذـلـكـ الشـخـصـ، وـقـدـ يـكـوـنـ

(١) سـقطـتـ (إـمـاـ) مـنـ طـ.

(٢) فـيـ طـ (حوـائـجـهـمـ).

(٣) مـنـ قـوـلـهـ: (وـمـنـ هـؤـلـاءـ مـنـ تـرـاهـ – إـلـىـ قـوـلـهـ تـصـورـ بـصـورـتـهـ)، سـاقـطـ مـنـ أـوـزـدـنـاهـ مـنـ سـائـرـ النـسـخـ.

(٤) اـخـتـلـفـ فـيـ اـسـمـهـ، وـنـسـبـهـ، وـزـمـانـهـ، وـنـبـوـتـهـ، وـمـوـتـهـ عـلـىـ أـقـوـالـ ذـكـرـهـ الـعـلـمـاءـ: فـقـيـلـ: اـسـمـهـ الـخـضـرـ بـنـ قـابـيلـ بـنـ آـدـمـ، وـقـيـلـ: إـيلـيـاـ بـنـ مـلـكـانـ... إـلـىـ نـوـحـ – عـلـيـهـ السـلـامـ – وـقـيـلـ غـيـرـ ذـلـكـ. وـأـمـاـ زـمـانـهـ فـقـدـ كـانـ مـتـقدـمـاـ عـلـىـ زـمـانـ مـوـسـىـ حـتـىـ أـدـرـكـهـ مـوـسـىـ – عـلـيـهـ السـلـامـ – وـأـمـاـ نـبـوـتـهـ فـقـدـ رـجـعـ الـحـاـفـظـ اـبـنـ كـثـيرـ – رـحـمـهـ اللهـ – بـادـلـةـ كـثـيرـةـ أـنـهـ كـانـ نـبـيـاـ، وـذـلـكـ بـمـاـ وـرـدـ فـيـ سـوـرـةـ الـكـهـفـ، فـيـمـاـ قـصـهـ اللهـ مـنـ خـبـرـهـ مـنـ أـعـمـالـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ وـحـيـ مـنـ اللهـ وـلـيـسـ مـنـ أـمـرـهـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. قـالـ اـبـنـ كـثـيرـ: وـأـمـاـ القـوـلـ بـأـنـهـ مـنـ الـمـلـاـئـكـةـ فـذـلـكـ قـوـلـ غـرـبـ =

الرائي من أهل الدين والزهد والعبادة، وقد جرى هذا لغير واحد، وتارة يرى عند قبر نبي أو غيره، أن الميت قد خرج إما من حجرته، وإما من قبره وعائق ذلك الزائر وسلم عليه، ويكون شيطاناً تصور بصورته، وتارة يجيء من يجيء إلى عند قبر ذلك الشخص فيستأذنه في أشياء: ويسأله^(١) عن أمور فيخاطبه شخص يراه أو يسمع صوتاً، ولا يرى^(٢)

جداً، ثم قال: وإذا ثبتت نبوته لم يبق لمن قال بولايته، وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه، ولا معتمد يعتمدون عليه.

أما حياته: فقد رجح الحافظ ابن كثير - رحمة الله - بادلة عظيمة أنه ليس حياً: منها قوله: «والعلمون أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يوم واحد، ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد. وهذا يوم بدر... كان مع الرسول سادة المسلمين، وسادة الملائكة حتى جبريل، فلو كان حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته، وأعظم غزواته... ثم لو كان باقياً لكان تبليغه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأحاديث النبوية، والأيات القرآنية، وإنكاره للأحاديث المكذوبة، والأراء البدعية، وقتاله مع المسلمين، وشهوده جمعهم وجماعتهم... أفضل ما يقال عنه من كونه في الأنصار، وجوبه الفيافي والأقطار...». وقال ابن القاسم - رحمة الله - : «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد». وقد علق شيخنا أبو غدة - حفظه الله - في المنار المنيف لابن القيم على هذا، وذكر كلاماً مفيداً وجملاً سديدة. بِينَ فيها التصانيف التي صنفت في موت الخضر وفي حياته، وذكر أنها مسألة شغلت اهتمام العلماء قديماً وحديثاً، فألفوا فيها تأليف مستقلة أو توسعوا في بيانها في كتبهم نظراً لاستفحال الخلاف فيها».

انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/٣٢٥ - ٣٣٦؛ وتفسيره ٣/٩٦؛ وفتح الباري ٦/٣٠٩ - ٣١٢؛ والإصابة ١/٤٤٨ - ٤٢٨؛ والمنار المنيف ص ٦٧ - ٦٩؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/٢٧، ١٨/٢٧، ١٠٠، ١/٢٤٩. ٣٩٧/٣.

(١) في ك، ط (يسأله). (٢) في ك، ط (أويري).

شخصاً، ويكون ذلك شيطاناً أصله.

وقد يرى أشخاصاً في اليقظة، إما ركباناً، وإما غير ركبان، ويقولون: هذا فلان النبي، إما إبراهيم، وإما المسيح، وإما محمد، وهذا فلان الصديق إما أبو^(١) بكر وإما عمر^(٢)، وإما بعض الحواريين. وهذا فلان لبعض من يعتقد فيه الصلاح إما جرجس^(٣)، أو^(٤) غيره من عظماء النصارى. وإما بعض شيوخ المسلمين^(٥)، ويكون ذلك شيطاناً أدعى أنه ذلك النبي، أو ذلك الشيخ، أو الصديق، أو القديس.

ومثل هذا يجري كثيراً لكثير من المشركين والنصارى، وكثير من المسلمين، ويرى أحدهم شيخاً يحسن به الظن، ويقول: أنا الشيخ فلان، ويكون شيطاناً. وأعرف من هذا شيئاً كثيراً وأعرف غير واحد من يستغث ببعض الشيوخ الغائبين، و^(٦)الموتى، يراه قد أتاه في اليقظة وأعانه.

وقد جرى مثل هذا لي ولغيري من أعرفه، ذكر غير واحد أنه

(١) في ط (أاما أبو).

(٢) سقطت (إما عمر) من ط.

(٣) جرجس: قال ابن جرير الطبرى في تاريخه ٢٤/٢: «كان فيما ذكر عبداً لله، صالحًا من أهل فلسطين، من أدرك بقایا من حواري عيسى - عليه السلام - وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس، ويعود بالفضل على أهل المسكنة، ثم ذكر قصته مع ملك الموصل في زمانه حين وعشه، ونصحه من عبادة الأوثان. فعاقبه على ذلك بالسجن، والتعذيب.

له في تاريخ الأمم والملوك ترجمة طويلة ٢٤/٢ - ٣٦. ولم أقف له على ترجمة في غير هذا الموضع فيما اطلعت عليه من كتب الترجم.

(٤) في ك، ط (واما غيره).

(٥) جاءت الجملة في أ (واما بعض المتكلمين) وصححناها من سائر النسخ.

(٦) سقطت (الواو) من ط.

استغاث بي من بلاد بعيدة، وأنه رأني قد جئت. ومنهم من قال: رأيتك راكباً بلباسك^(١) وصورتك، ومنهم من قال: رأيتك على جبل، ومنهم^(٢) من قال: غير ذلك فأخبرتهم أني لم أغثهم، وإنما ذلك شيطان تصور بصورتي ليضلهم لما أشركوا بالله، ودعوا غير الله^(٣).

وكذلك غير واحد من أعرفه من أصحابنا استغاث به بعض من يحسن به الظن، فرأه قد جاءه وقضى حاجته، قال صاحبي: وأنا لا أعلم بذلك، ومن هؤلاء الشيوخ^(٤) من يقول^(٥): إنه يسمع صوت ذلك الشخص المستغيث به ويجيئه، وتكون الشياطين أسمعته صوتاً يشبه صوت الشيخ^(٦) * المستغيث به، فأجابه الشيخ بصوته فأسمعت المستغيث صوتاً يشبه صوت الشيخ، فيظن أنه صوت الشيخ *^(٧).

وهذا جرى لمن أعرفه وأخبر^(٨) بذلك عن نفسه، وقال: بقي

(١) في س، ك، ط (بشايك).

(٢) سقطت (منهم) من س.

(٣) انظر: الكتاب القيم (تلييس إبليس) لابن الجوزي ص ٣٧٧ - ٣٨٧، فقد ذكر فيه حكايات كثيرة في تلبيس إبليس على الجهال ولعبه بعقولهم، عن طريق الحيل، والأوهام، والمخاريق، التي يظنون أنها كرامات، وإنما هي ضلالات وخرافات، زينها لهم ليحتنكم بها، وسلطان إبليس قويٌ على من قل علمه وضعف إيمانه وبيشه. أما عباد الله المخلصون فلا سلطان له عليهم كما ورد في سورة الحجر: الآيات ٣٩ - ٤٣: **﴿فَقَالَ رَبُّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرْيَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.**

(٤) في س (من الشيوخ).

(٥) في أ، س (يقال) وصححناه من ك، ط .

(٦) سقطت (الشيخ) من س، ك، ط .

(٧) سقط ما بين النجمتين من أوزدناه من سائر النسخ.

(٨) في ك، ط (فأخبر).

الجني الذي يحدثني يبلغني مثل صوت المستغيثين بي ، وبلغهم مثل^(١) صوتي ، ويربني في شيء أبيض نظير ما أسأل^(٢) عنه ، فأخبر به الناس أني رأيته ، وأنه سيأتي ، ولا أكون قد رأيته ، وإنما رأيت شبيهه^(٣) .

وهكذا تفعل الجن بمن يعزم عليهم ويقسم عليهم .

وكذلك ما رأه قسطنطين من الصليب الذي رأه من نجوم ، والصلب الذي رأه مرة أخرى^(٤) هو مما^(٥) مثله الشياطين ، وأراهم^(٦) ذلك ليضلهم به ، كما فعلت الشياطين ما هو أعظم من ذلك بعباد^(٧) الأوثان .

(١) في أ (من) وصححناه من سائر النسخ .

(٢) في س (أرسل) .

(٣) في س ، ط (شبيه) .

(٤) يقول يوسابيوس القيصري في كتابه (حياة قسطنطين) ترجمة القمص مرقس داود – نشر مكتبة المحبة بمصر سنة ١٩٧٥ :

«... إنـه حـوالي الـظـهـر رـأـيـ بـعـيـنـيهـ صـلـيـاـ منـ نـورـ فـيـ السـمـاءـ، فـوـقـ الشـمـسـ يـحـمـلـ هـذـهـ الـكـتـابـةـ «اـغـلـبـ بـهـذـاـ» .

قال : «... وبينما هو يتأمل ويفكر في فحواها أقبل الليل فجأة ، ثم ظهر له في نومه مسيح الله بنفس العلامة التي رأها في السماء ، وأمره بأن يصنع مثالاً لهذة العلامة التي رأها في السماء ، وأن يستعملها كوقاية له في كل حروبه مع أعدائه» .

انظر : الكتاب المذكور ص ٢٤ . وفيه حديث واسع عن قسطنطين وأمه هيلانة

قلت : وهذه خرافات واضحة البطلان لا تحتاج في ردها إلى برهان ، إذ هي ساقطة من نفسها وهي من جملة الأساطير التي ذكرها المؤلف – رحمة الله – ، وقسطنطين من الرومان الوثنيين الذين وجدوا في النصرانية فرصة ليحرفوا وبدلوا حسبما تمله عليهم أهواهم ليحولوا النصرانية إلى وثنية تامة ، وهو ما يسير عليه نصارى اليوم حتى في حروبهم يرفعون الصليب وذلك من باب الوقاية كما أملته عليهم شياطينهم نعوذ بالله من الزيف والضلال .

(٥) في ك ، ط (وهو ما) .

(٦) في س (أوثنهم) وهو تصحيف .

(٧) في س ، ك ، ط (العباد) .

وكذلك من ذكر أن المسيح جاءه في اليقظة وخاطبه بأمور كما يذكر عن بولس فإنه إذا كان صادقاً كان ذلك الذي رأه في اليقظة^(١) وقال: إنه المسيح، شيطاناً^(٢) من الشياطين، كما جرى * مثل ذلك *^(٣) لغير واحد.

والشيطان^(٤) إنما يضل الناس ويعویهم بما يظن أنهم يطیعونه فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دینهم، ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده، وينقله إلى ما يستجيب^(٥) لهم^(٦) فيه بحسب اعتقادهم.

ولهذا يتمثل لمن يستغیث من النصارى بجرجس في صورة جرجس، أو بصورة من يستغیث به^(٧) النصارى من أکابر دینهم، إما بعض البطاركة، وإما بعض المطارنة وإما بعض الرهبان. ويتمثل لمن يستغیث به^(٨) من ضلال المسلمين بشیخ من الشیوخ في صورة ذلك الشیخ، كما تمثل^(٩) لجماعة من أعرفهم في صورتي ، وفي صورة جماعة من الشیوخ الذين ذکروا في^(١٠) ذلك، ويتمثل كثيراً في صورة

(١) سقطت جملة (وخاطبه بأمور - إلى قوله: وقال أنه المسيح) من ك، ط .

(٢) في ط (إنما هو شيطان).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٤) في أ والشياطين.

(٥) في ط (يستجب).

(٦) في ك (له).

(٧) في ك ، ط (به من).

(٨) مكان (به) بياض في أ ، وسقطت من س وزدناها من ك ، ط .

(٩) في ك ، ط (يتمثل).

(١٠) في س (لي).

بعض الموتى : تارة يقول : أنا الشيخ عبد القادر^(١) وتارة يقول : أنا الشيخ^(٢) أبو الحجاج الأقصري^(٣) ، وتارة يقول : أنا الشيخ عدي^(٤) ، وتارة يقول : أنا أحمد بن الرفاعي^(٥) ، وتارة يقول : أنا أبو مدين

(١) عبد القادر بن موسى الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي نسبة إلى جيلان وراء طبرستان ، ويقال لها جيل . ولد سنة ٤٧١ هـ ، انتقل إلى بغداد ، واتصل بشيوخ العلم ، والتصوف ، وتفقه في مذهب أحمد على يد ابن عقيل ، وأبي الخطاب ، وسمع الحديث من جماعة ، وتصدر للوعظ والتدريس ، وأسس الطريقة القادرية من طرق الصوفية . مات سنة ٥٦١ هـ .

انظر : شذرات الذهب ١٩٨/٤ - ٢٠٢ ؛ وال عبر ١٧٥/٤ ؛ والنجوم الزاهرة ٥/٣٧١ ؛ والأعلام ٤/٤٧ .

(٢) سقطت كلمة (الشيخ) من أ ، س . وألحقناها من ك ، ط .

(٣) أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم القرشي الأقصري . نسبة إلى الأقصر من صعيد مصر ، من كبار الصوفية في عصره ، له أتباع ومربيون . ذكرها لأتباعه حكايات تدل على غلوهم فيه ، وهي من حيل الشيطان ومخاريقه . مات سنة ٦٤٢ هـ .

انظر ترجمته في : الطالع السعيد الجامع أسماء نجاء الصعيد للأدفونى ص ٧٢٢ - ٧٢٤ . ترجمة رقم (٥٧٤) ؛ والأعلام ٨/٢٣٨ .

(٤) عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري نسبة إلى جبة الهكاري من أعمال الموصل ، ولد سنة ٤٦٧ هـ . ولد في بيت قار من أعمال بعلبك ، وجاور بالمدينة ، وهو من شيوخ الصوفية ، وتنسب إليه طائفة العدوية ، كان زاهداً ، عابداً ، أثني عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى ، لكن أتباعه خرجوها عن الصواب ، وغلوا فيه ومن أقوالهم فيه أنه إذا ذكر على موج البحر سكن ، وعلى الأسد وقف . نعوذ بالله من الزيف والضلال . مات سنة ٥٧٧ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٣/٢٥٤ (٤١٥) ؛ وشذرات الذهب ٤/١٧٧ ؛ وال عبر ٤/١٦٣ ؛ والأعلام ٤/٢٢١ .

(٥) أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس . شيخ الطريقة الرفاعية ، ولد سنة ٥١٢ هـ . بقرية حسن من أعمال واسط ، كان شافعي المذهب . وسكن البطائحة ، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء ، والطائفة الرفاعية ، والبطائحة منسوبة إليه . قال الذهبي : كان إليه المتنبه في التواضع والقناعة ، لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء ، وقد كثر الزغل فيهم ، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التمار =

المغربي^(١)، وإذا كان يقول: أنا المسيح، أو إبراهيم، أو محمد: غيرهم بطريق الأولى، والنبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من رأني في المنام فقد رأني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صوري». وفي رواية «في صورة الأنبياء»^(٢).

فرؤيا الأنبياء في المنام حق. وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جندي تمثل في صورته.

وبعض الناس يسمى هذا روحانية الشيخ، وبعضهم^(٣) يقول: هي رفيقه^(٤)، وكثير من هؤلاء يرى^(٥) يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة

العراق... مات سنة ٥٧٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١٧١/١ (٧٠)، وال عبر ٤/٢٣٣؛ ومرآة الجنان ٤٠٩/٣؛ ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١/٣٧٠؛ والأعلام ١٦٩/١.

(١) أبو مدين المغربي: لم أقف له على ترجمة، وذلك بعد البحث الطويل في كتب التراث والفرق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي – صلى الله عليه وسلم – من حديث أبي هريرة ٣٥/١، ٣٦؛ وفي التعبير ٧١/٨، ورواه مسلم في كتاب الرؤيا، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من رأني في المنام فقد رأني» ٤/١٧٧٥ (١٠)، ١١؛ وأبو داود في الأدب، باب ما جاء في الرؤيا ٥/٢٨٥ (٥٠٢٣)؛ وابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام ٢/١٢٨٤ (٣٩٠١)؛ وأحمد في المسند ٢/٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٥.

ورواه الترمذى من حديث ابن عمر بلفظ مقارب في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – من رأني في المنام فقد رأني ٤/٥٣٥ (٢٢٧٦)، وقال: حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي قتادة، وابن عباس.

(٣) في ك، ط (وبعض الناس).

(٤) في أ، س (رفيقته). والمقصود قرينه، ورفيقه من الشياطين.

(٥) في ك، ط (من) بدل (يرى).

مثل صورته، وكثير من هؤلاء، ومن هؤلاء من يقول يرى في مكаниن^(١) ويرى واقفاً بعرفات. وهو في بلده لم يذهب، فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائزين.

فإذ العقل الصريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين.

والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكون فيه، ولهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء، كما قد جرى ذلك غير مرة.

وهذا صادق فيما رأى وشاهد، وهذا صادق فيما دل عليه العقل^(٢) الصريح.

لكن ذلك المرئي، كان جنباً تمثل بصورة^(٣) الإنسان.

والحسيات إن لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها وإلاًّ وقع فيها غلط كبير.

وهذا القسم المشهود في الخارج غير ما يتخيله الإنسان في نفسه، فإن هذا يعرفه جميع الناس، ويصوّبه^(٤) جميع العقلاة، يتخيلون^(٥) أشياء في أنفسهم، كما يتخيله النائم في منامه، وتكون تلك الصورة موجودة في الخيال لا في الخارج.

(١) في س (من في مكانين) وفي ك، ط (يرى في مكانين).

(٢) سقط لفظ (العقل) من أ، ك، ط، وألحقناه من س.

(٣) في ك، ط (في صورة).

(٤) في س (وتقرّبه) وفي ك، ط (ويعرفه).

(٥) في ط (ويتخيلون).

والفلاسفة وسائر^(١) العقلاء يعترفون بهذا، لكن كثير^(٢) من الفلاسفة يظن أن ما رأته الأنبياء^(٣) من الملائكة، وما سمعته من الكلام كان من هذا النوع، ويظنون أن ما يرى من الجن هو من هذا النوع، وهؤلاء جهال غالطون في هذا، كما جهلوا وغلطوا في ظنهم أن خوارق العادات سببها قوى نفسانية، أو طبيعية، أو قوى فلكية، وأن الفرق بين النبي والساحر، إنما هو حسن قصد هذا، وفساد قصد^(٤) الآخر، وإنما فكلامها خوارق^(٥) سببها قوى نفسانية أو فلكية، وهذا النفي باطل، كما قد بسطنا الكلام عليه، وبيننا جهل هؤلاء وضلالهم في غير^(٦) هذا الموضع^(٧).

والذين شاهدوا ذلك في الخارج وثبت عندهم بالأخبار الصادقة المتواترة، وجود ذلك في الخارج يعلمون أن هؤلاء جاهلون ضالون، ويعلمون أن الملائكة تظهر في صورة البشر، كما ظهرت لإبراهيم،

(١) في ك، ط (وجميع).

(٢) في ط (كثيراً).

(٣) في س (أنبياء).

(٤) في ك، ط (وفساد قصد ظن الآخر).

(٥) في جميع النسخ عدا ط (خوارقة).

(٦) في ط (في غير ذلك هذا).

(٧) ألف شيخ الإسلام في هذا الموضوع كتاب النبوات ويقع في قرابة ثلاثة صفحات، مطبوع بدون تحقيق، ويظهر أنه ليس كاملاً. وقد تناول فيه الشيخ - رحمه الله - هذه المسألة بالتفصيل، وناقش الفلسفة مناقشة علمية في عدم تفریقهم بين النبي والساحر إلّا من حيث كون النبي يأمر بالخير، والساحر يأمر بالشر، وقد سبق هذا بحديث عن آيات الأنبياء، وما تتميز به خوارقهم عن غيرهم، ثم وضّح الفرق بين النبي والكافر ثم ناقش الفلسفة بعد ذلك في ص ٢١٠ من الكتاب.
وانظر كتابه: الرد على المنطقين ص ٤٤١ فما بعدها كلام جيد في الفرق بين السحر والمعجزة.

ولوط، ومريم، في صورة البشر، وكما كان جبريل يظهر للنبي – صلى الله عليه وسلم – تارة في صورة دحية الكلبي، وتارة في صورة أعرابي، ويراه كثير من الناس عياناً، وما في خيال الإنسان لا يراه غيره^(١)، وكذلك كما^(٢) ظهر إبليس^(٣) للمرشكين في صورة الشيخ النجدي^(٤)(*)، وظهر لهم يوم بدر^(٥) في صورة سراقة بن مالك بن جعشن^(٦)؛ فلما رأى الملائكة هرب.

(١) سقطت (غيره)؛ من كـ.

(٢) في كـ، ط (لما)، وفي سـ (وكذلك الشياطين كما).

(٣) في كـ، ط (الشيطان).

(٤) في كـ، ط زيادة (وغيره).

(*) ظهر في صورة الشيخ النجدي عندما اجتمع كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فلما أدلوا بأرائهم صوب رأي أبي جهل الذي يقضي بقتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أيدي شباب من كل قبيلة شاب، حتى يتفرق دمه في القبائل فلا يعطون إلا الديمة.

انظر القصة بكاملها في سيرة ابن هشام ٨٩/٢ – ٩١ عن ابن إسحاق – وذكر السنـد وتمام القصة. لكن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أنهم من أصحابنا وساق السنـد عن ابن عباس، وقد ذكر السيوطي – رحمـه الله – القصة كاملـة في لباب النقول ص ١٠٨، وعزـها إلى ابن أبي حاتـم، عن ابن عباس. وذلك في آية الأنـفال: «وإذ يـمـكـرـ بـكـ الـذـيـنـ كـفـرـواـ...» الآية ٣٠.

وقال ابن كثـير بعد أن سـاقـ القـصـةـ كـامـلـةـ عنـ ابنـ إـسـحـاقـ: «وـهـذـهـ القـصـةـ التـيـ ذـكـرـهـاـ ابنـ إـسـحـاقـ قـدـ روـاـهـاـ الـوـاـقـدـيـ بـأـسـانـيـهـ عنـ عـائـشـةـ، وـابـنـ عـابـسـ، وـعـلـيـ، وـسـراـقـةـ بـنـ مـالـكـ، وـغـيـرـهـمـ. دـخـلـ حـدـيـثـ بـعـضـهـمـ فـذـكـرـ نـحـوـ مـاـ تـقـدـمـ».

انظر: الـبـادـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ٣/١٧٦ـ. وـسـاقـ ابنـ جـرـيرـ فـيـ تـفـسـيـرـهـ القـصـةـ كـامـلـةـ.

انظر: ٩/١٤٩ـ (مـجـلـدـ ٥ـ).

(٥) سـيـأـتـيـ تـخـرـيـجـهـاـ قـرـيـباـ.

(٦) سـراـقـةـ بـنـ مـالـكـ بـنـ جـعـشـمـ بـنـ مـدـلـجـ بـنـ مـدـلـجـيـ الـكـانـيـ الـمـدـلـجـيـ، أـبـوـ سـفـيـانـ، قـالـ ابنـ حـجـرـ: رـوـيـ الـبـخـارـيـ قـصـتـهـ فـيـ إـدـرـاكـهـ النـبـيـ – صلى الله عليه وسلم – لـمـاـ هـاجـرـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، وـدـعـاـ النـبـيـ – صلى الله عليه وسلم – عـلـيـهـ حـتـىـ سـاخـتـ رـجـلـاـ فـرـسـهـ ثـمـ إـنـهـ =

قال – تعالى – :

﴿وَإِذْنَنَ لَهُمُ الشَّيْطَنُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَأَغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِذْ فَجَرُ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفَتَنَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ﴾^(١).

ورُوي عن ابن عباس وغيره، قال: تبَدَّى إِبْلِيسِ فِي جَنْدِ مِنَ الشَّيَاطِينَ وَمَعَهُ رَايَةً فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِّنْ مَدْلِجٍ، وَالشَّيَاطِينُ فِي صُورَةِ سَرَاقِةٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جَعْشَمَ، فَقَالَ: لَا غَالِبٌ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ. وَأَقْبَلَ جَبَرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – عَلَى إِبْلِيسَ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَكَانَ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ انْتَزَعَ^(٢) إِبْلِيسَ يَدُهُ وَوَلَى مَدْبِرًا هُوَ وَشَيْعَتُهُ^(٣)، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا سَرَاقِةً أَتَزْعُمُ أَنْكَ لَنَا جَارٌ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ^(٤).

طلب منه الخلاص، وأن لا يدل عليه فعل. وكتب له أماناً، وأسلم يوم الفتح، وفي قصته مع النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول مخاطباً أبا جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادي إذ تسخن قوائمه
علمت ولم تشکك بآن محمداً رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
له ١٩ حدیثاً، وكان في الجاهلية قائفاً. ومات سنة ٢٤٢هـ.

انظر: الإصابة ١٨/٢ – ١٩ (٣١١٥)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١١٨/٢ – ١٢٠؛ والأعلام ٨٠/٣. وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢١٥/٢.

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

(٢) في ك، ط (نزع).

(٣) في س، ك، ط (وشعبه).

(٤) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس وذكره كاملاً. ثم رواه من طرق متعددة بالفاظ مختلفة فآخرجه من طريق ابن إسحاق كما سبق ذكره، وذكره بسنده عن قتادة، وعن ابن عباس من طريق أخرى. وقد عزاه السيوطي في الدر المنشور إلى ابن المنذر وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي. وكلهم رواه عن ابن عباس وساق ابن كثير لهذه القصة عدة أسانيد، وذكرها ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق

قال ابن عباس: وذلك لما رأى الملائكة، قال الضحاك: سار الشيطان معهم برأيته وجنوده وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأنتم^(١) تقاتلون على دينكم ودين آبائكم^(٢).

وكثير من الناس تحمله الجن إلى مكان بعيد، فتحمل^(٣) كثيراً من الناس إلى عرفات وغير عرفات، وإذا رأى واحد من هؤلاء في غير بلده يكون تارة محمولاً، قد^(٤) حملته الجن، وتارة تصورت^(٥) على صورته،

والأثر، عن ابن عباس صحيح، لأنه ورد من صحفة علي بن أبي طلحة التي وثقها العلماء، وقد جاء في ميزان الاعتلال للذهبي ١٣٤/٣ علي بن أبي طلحة بن سالم المخارقي الهاشمي ولاء، وهو يرسل الأثر إلى ابن عباس، حيث يسقط الواسطة بينه وبينه.

قلت: ذكر بعض العلماء أنه يأخذ عن ثقين وهما مجاهد، وعكرمة، وهو في نفسه صدوق. انظر: الناسخ والمنسوخ للسخاوي ص ١٣، وانظر في ترجمته: تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧.

انظر: تفسير ابن جرير الطبرى ١٤/١٠ (مجلد ٦)؛ وسيرة ابن هشام ١٨٦/٢؛ تفسير ابن كثير ٣١٧/٢؛ والدر المثور للسيوطى ١٩٠/٣؛ ودلائل النبوة للبيهقي ٢٥٤/٢؛ وآكام المرجان في أحكام العجان للشبلى ص ٢٩٠؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٥٩/٣.

(١) في أ (إنكم) وما أثبته من سائر النسخ هو الأولى.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى – باللفظ الذي ذكره المؤلف – بسنده عن الحسن، وأخرجه بسنده عن ابن عباس، وعن السدي، وعن عروة بن الزبير، وعن ابن إسحاق، وعن قتادة، وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز، وعن محمد بن كعب. انظر: تفسير ابن جرير ١٥/٧ – ١٢ (تحقيق محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر)؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٧٥، ٣/٢٨٣.

ولم أقف عليه بتفسير الضحاك بعد بحث طويل في مظانه من كتب التفسير بالتأثر لابن جرير، وابن أبي حاتم، والسيوطى، وغيرها، والله أعلم.

(٣) في ط (فتنقل).

(٤) في ك، ط (تارة قد).

(٥) في ك، ط (قد تصورت).

ولا يكون هذا من أولياء الله المتقين الذين لهم كرامات، بل قد ^(١) يكون من الكافرين، أو الفاسقين، وأعرف من ذلك قضايا ^(٢) كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها ^(٣).

وعند المشركين والنصارى من ذلك شيء كثير ^(٤) يظنونه من جنس الآيات التي للأنبية.

إنما هي من جنس ما للسحره والكهان، ومن لم يفرق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان. ويفرق بين معجزات الأنبياء، وكرامات الصالحين، وبين خوارق السحره والكهان، ومن تقتربن ^(٥) بهم الشياطين. ولألا تبص عليه الحق بالباطل، فأما أن يكذب بالحق الذي جاء به الأنبياء الصادقون، وأما أن يصدق بالباطل الذي يقوله الكاذبون ^(٦) والغالطون.

وهذه الأمور مبسطة في موضع آخر، والمقصود هنا التنبيه على هذا الأصل وعلماء النصارى يسلمون هذا وعندهم من ذلك أخبار كثيرة من حكايات أولياء الشيطان الذين عارضهم أولياء الرحمن، وأبطلوا ^(٧) أحوالهم كما أبطل موسى – صلوات الله عليه – ^(٨) ما عارضته ^(٩) به

(١) سقطت (قد) من س.

(٢) في ك، ط (قصاص).

(٣) في ك، ط (ليس تفصيلها في هذا الموضع).

(٤) في أ (كثيراً) وصححناه من سائر النسخ.

(٥) في ك، ط (يقتربن) بالمعنى التحتية.

(٦) في ك، ط (الكافرون).

(٧) في أ، س (ويطلوا) وصويناه من ك، ط .

(٨) سقطت الجملة الدعائية من ك، ط .

(٩) في س، ك، ط (ما عارضه).

السحرة من الخوارق، كما ذكر ذلك^(١) في التوراة^(٢)، وكما يذكرون عن فلان وفلان، مثل حكاية سيمون الساحر^(٣) مع الحواريين وغير ذلك وإذا^(٤) كان هذا معلوماً كان ما يذكرون من هذا الجنس، إذا كان مخالفأ لما ثبت عن الأنبياء من الشيطان، فلا يجوز أن يحتاج به^(٥) على ما يخالف شرائع الأنبياء الثابتة عنهم، بل هؤلاء من جنس الدجال الكبير الذي أندert به الأنبياء كلهم حتى نوح أندert^(٦) قومه. وقال خاتم الرسل - صلى الله عليه وسلم - : «ما مننبي إلا قد أندert أمنته حتى نوح أندert

(١) سقطت (ذلك) من ك، ط .

(٢) وردت قصة انتصاره على السحرة في التوراة: سفر الخروج، الإصلاح الرابع فقرة ١ - ٩ حين ألقى العصا فانقلب بأمر الله حية، وأدخل يده في جباه فإذا هي بيضاء كالثلج، وأخذ من ماء النهر ماء ثم وضعه على اليابسة ليكون دماً. أما في القرآن الكريم فقد وردت هذه في مواضع متعددة منها سورة طه من آية ٦٠ - ٧٣؛ وسورة الشعراء من ٣٦ - ٥١، وغيرهما.

(٣) جاءت حكاية سيمون الساحر في سفر أعمال الرسل الإصلاح الثامن فقرة ٩ - ٢٤. انظر: الإنجيل (كتاب الحياة - ترجمة تفسيرية) ص ١٦٨ (ط دار العلم العربي - القاهرة ١٩٨٣)؛ وانظره في الكتاب المقدس - العهد الجديد ص ٢٠٣، ط دار حلمي، وسيمون: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ (سمعان)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه «كان يدهش شعب السامرة بسحره فكانوا يقولون أن سحره شيء عظيم... ثم ذكر أنه آمن عندما التقى بالمبشر فيليب، ولم ينشأ إيمانه عن توبه... ، وهم يطلقون اسم السيمونية على كل من يتاجر في الوظائف الكنسية، وقد كان له أتباع اسمهم السيمونيون اعتبروا سيمون مسيحيهم وفاديهم...».

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧، تأليف نخبة من أساتذة اللاموت ط ٢ عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

(٤) في ك، ط (إذا).

(٥) سقطت (به) من ك، ط .

(٦) في أ، س، ك (أندره)، وهو خطأ واضح وصححناه من ط ومن نص الحديث.

قومه وسائلو لكم فيه قولًا لم يقله النبي لأمته: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ». وقال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»^(١).

وقد أخبر أن المسيح عيسى بن مريم مسيح الهدى ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل مسيح الضلاله^(٢)، وهذا هو الذي تنتظره اليهود ويجهدون المسيح عيسى بن مريم، ويقولون: هذا هو الذي بشرت به الأنبياء، «ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً مطليسين»^(٣)، «ويقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم شر قتلة حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال

(١) الحديث: أخرجه البخاري من حديث أنس - رضي الله عنه - في كتاب التوحيد، باب قول الله - تعالى - ولتصنع على عيني ١٧٢/٨، وفي كتاب الفتن ١٠٣/٨، باب ذكر الدجال (وليس فيه عبارة: وسائلو لكم فيه قولًا لم يقله النبي لأمته)، وأخرجه أيضاً من حديث ابن عمر في الفتن، باب ذكر الدجال ١٠٢/٨، وليس فيه: (مكتوب بين عينيه كافر). وكل روايات البخاري ليس فيها جملة: (حتى نوح أنذر قومه)، ورواه مسلم في الفتن، باب ذكر ابن صياد ٤/٤٥ (٩٥) بلفظ مقارب لما ذكره المؤلف؛ ورواه من حديث أنس في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٤/٢٢٤٨ (١٠١)؛ وروى حديث ابن عمر أبو داود في كتاب السنة، باب في الدجال ١١٨/٥ (٤٧٥٧)؛ والترمذمي في الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال ٤/٥٠٨ (٢٢٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في مسنده ابن عمر ١٥٣/٢؛ وفي مسنده أنس ١٠٣/٣؛ وفي مسنده أبي عبيدة بن الجراح ١٩٥/١ بالفاظ مختلفة.

وورد في حديث طويل رواه أبو أمامة الباهلي في سن الترمذى، كتاب الفتن، باب فتن الدجال ٢/١٣٦٠ قوله: «وانه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب... إلخ. أوصافه.

(٢) سبق تخريرجه.

(٣) سبق تخريرجه.

اقتله»^(١). وكل هذا ثابت في الصحيح عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . ولهذا أمر أمه أن يستعينوا بالله من فتنته، فقال: «إذا قعد أحدكم في التشهد في الصلاة فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»^(٢).

والأنبياء كلهم أنذروا بالكذابين الذين يتشبهون بالأنبياء، لكن من الناس من يتعمد الكذب، وكثير منهم لا يتعمد، بل يتبع عليه فيغلط فيخبر بما يظنه حقاً، ولا يكون كذلك، ويرى في اليقظة^(٣) ما يظنه فلاناً الولي أو النبي، أو الخضر، ولا يكون كذلك.

والغلط جائز على كل أحد إلّا الأنبياء - عليهم السلام - ، فإنهم معصومون، لا يقررون على خطأ، فمن لم يزن علومه وأعماله وأقواله وأفعاله بالمعلوم^(٤) عن الأنبياء، وإلّا كان ضالاً، فنسأله^(٥) الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

(١) سبق تخربيجه.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب ما يستعاذه منه في الصلاة ٤١٢/١، حديث رقم (١٢٨)، وحديث رقم (١٣٠)، (١٣١)، (١٣٢)، (١٣٣). بلفظ متقاربة؛ ورواه النسائي في كتاب السهو، باب التعود في الصلاة ٥٨/٣؛ وأحمد في المسند ٤٧٧/٢. وفيه قدم الرابعة على الثالثة.

(٣) جملة (ويرى في اليقظة... إلى ولا يكون كذلك) ساقطة من ك.

(٤) في ك (العلوم).

(٥) في ك، ط (نسأله).

وال المسلمين^(١) وأهل الكتاب متفقون على إثبات مسيحيين: مسيح هدى من ولد داود، ومسيح ضلال. يقول أهل الكتاب: إنه من ولد يوسف^(٢). و متفقون على أن مسيح الهدى سوف يأتي كما يأتي مسيح الضلالة، لكن المسلمين والنصارى يقولون^(٣): مسيح الهدى هو عيسى بن مريم، وإن الله أرسله ثم يأتي مرة ثانية، لكن المسلمين يقولون: إنه ينزل قبل يوم القيمة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولا يبقى دين^(٤) إلّا دين الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب: اليهود، والنصارى.

(١) من هذه الكلمة (وال المسلمين وأهل الكتاب إلى نهاية الفصل)، جاء متأخراً في نسخة ك، ط حيث ورد في ورقة ١٨٤ في نسخة ك، السطر الرابع عشر، وفي نسخة ط ص ٣٢٩ - ٣٣٠، (ط: المدنى).

(٢) المسلمين يؤمّنون بمجيء المسيح الدجال، الذي وردت أوصافه كما سبق أن ساق المؤلّف طرفاً منها، أما تحديد اسمه ونسبة فلم يرد به السمع، ولسنا ملزمين بشيء لم يرد به السمع.

أما أهل الكتاب فيزعمون أنه من ولد يوسف، ونحن نطالّهم بالدليل الصحيح وليس معهم في ذلك شيء.

(٣) يقول ابن القيم - رحمة الله - : «فالMuslimون يؤمّنون بال المسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، هو عبد الله، ورسوله، وكلّمه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله وابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود؛ فإنّ المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما يتّظرون خروجه، وهم يزعمون أنّهم يتّظرون النبي الذي يشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال، وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل».

انظر: هداية العيارى، بتحقيق د. أحمد السقا ص ١٣٥، ١٣٦.

(٤) في ط (ولا يبقى دين).

كما قال - تعالى - :

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيَؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ . . .﴾ (١).

والقول الصحيح الذي عليه الجمهور قبل موت المسيح ، وقال - تعالى - :

﴿وَإِنَّهُ لَعَلِمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْرُرُ بِهَا . . .﴾ (٢).

وأما النصارى فتظن (٣) أنه الله ، وأنه يأتي يوم القيمة لحساب الخلاق وجائزهم ، وهذا مما ضلوا فيه . واليهود تعرف بمجيء مسيح هدى يأتي ، لكن يزعمون أن عيسى - عليه السلام - لم يكن مسيح هدى ، لضلالهم (٤) أنه جاء بدین النصارى المبدل ، ومن جاء به فهو كاذب ، وهم ينتظرون (٥) المسيحيين .

• • •

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٣) في ط (فيظنون) وفي ك (فيظن).

(٤) في س ، ك ، ط (لزعمهم).

(٥) في ك (ينظرون).

الخوارق التي
يُضلُّ بها
الشياطين
ابناء آدم

فصل (١)

والخوارق التي تضل (٢) بها الشياطين لبني آدم مثل تصور الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت ونحو ذلك، ضل بها خلق (٣) كثير من الناس من المتسبيين إلى المسلمين، أو إلى أهل الكتاب وغيرهم، وهم بنوا ذلك على مقدمتين:

إحداهما (٤): أن من ظهرت هذه على يديه فهو ولی الله. وبلغة النصارى هو قدیس عظیم.

الثانية (٥): أن من يكون كذلك فهو معصوم فكل (٦) ما يخبر به فهو (٧) حق وكل ما يأمر به فهو عدل، وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق، لا رحمانية ولا شیطانية، ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور. وحيل أهل الكذب والفجور كثيرة جداً، فيظن أن ذلك من العجائب الخارقة للعادة، ولا يكون كذلك مثل الحيل المذكورة عن الرهبان.

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.

(٢) في ك، ط (يضل) بالمثناة التحتية.

(٣) سقطت (خلق) من ك، ط.

(٤) في ك، ط (أحدهما).

(٥) في جميع النسخ (الثاني).

(٦) في ك ط (وكل).

(٧) سقطت (فهو) من ط.

وقد صنف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان، مثل الحيلة المحكية عن أحد هم في جعل الماء زيتاً لأن يكون الزيت في جوف منارة، فإذا نقص صب فيها ماء ، فيطفو الزيت على الماء، فيظن الحاضرون أن نفس الماء انقلب زيتاً.

ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة، وهو أن بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة فأرأه النخلة صعدت شيئاً شيئاً^(١) حتى حاذت الدير، فأخذ من رطبه ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض إذا أرسل عليه الماء امتلاً حتى تصعد السفينة * وإذا صرف الماء إلى موضع آخر هبطت السفينة *^(٢).

ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة، يضعون^(٣) كحلاً في ماء متحرك حركة لطيفة، فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها فيظن أنه دموع .

ومثل الحيلة التي صنعواها بالصورة التي يسمونها القونة^(٤)

(١) سقطت (شيئاً) الثانية من ط.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أوزدنه من سائر النسخ.

(٣) في ط (وهو أنهم يضعون) وفي ك (ويضعون).

(٤) هكذا في جميع النسخ (القونة) ولعل المراد بها (الأيقونة) وهذا ما أفهمه من السياق، والأيقونة كلمة يونانية أو قبطية الأصل ويقصد بها صورة دينية، وهي تشمل صور السيد المسيح، أو السيدة العذراء، أو الحواريين، أو الرسل، أو الشهداء، أو القديسين، وغير ذلك من الموضوعات الدينية التي وردت في التوراة والإنجيل أو في تاريخ الكنيسة وهي من العناصر الأساسية في العبادة عند النصارى؛ قالوا لأنها تنقل بواسطة الرسم، والألوان البشرة عينها التي أعلنها الله للكنيسة، والتي حفظت في ضميرها، وعبر عنها التقليد الشريف، ونقلها الكتاب المقدس، قلت: وهم يعظمون الأيقونات أي – الصور للسيد المسيح ومريم العذراء، وأباء الكنائس =

بصيادنايا، وهي أعظم مزاراتهم بعد القمامه وبيت لحم^(١)، حيث ولد المسيح : وحيث قبر، فإن هذه^(٢) صورة السيدة مريم ، وأصلها خشبة^(٣) نخلة سقيت بالأدهان حتى تنعمت^(٤) وصار الدهن يخرج منها دهنا^(٥) مصنوعاً يظن أنه من بركة الصورة .

ومن حيلهم الكثيرة النار التي يظن عوامهم أنها تنزل من السماء في عيدهم في قمامه^(٦) وهي حيلة قد شهدوا غير واحد من المسلمين والنصارى ورأوها بعيونهم أنها نار مصنوعة يضلون بها عوامهم يظنون أنها نزلت من السماء ويتبركون بها وإنما هي صنعة صاحب محل وتبليس .

ومثل ذلك كثير من حيل النصارى فجميع ما عند النصارى المبدلین لدین المسيح من الخوارق، إما حال شيطاني . وإنما محال

ويوجبون وضعها في الكنيسة ، والبيوت ، والطرقات ؛ قالوا لأن تأمل الأيقونة يبعث فيهم قوة تحشم على تكرييم من ترمز إليه الأيقونة ، وهذا في الحقيقة عبادة للصور وإن زعموا أنهم لا يعنون بذلك عبادتها كما ورد في كتبهم على ألسنة آبائهم ، ورهبانهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله .

انظر: كتاب الأيقونات القبطية للدكتور رؤوف حبيب ص ١؛ والكتاب كله مليء بنماذج وصور، وفيه حديث عن الأيقونات كلها؛ وكتاب الرؤبة الأرثوذكسيه لوالدة إلاه ص ٧٧ - ٩٤ والكتاب لمجموعة من المؤلفين ؛ والمظاهر الرائعة للفنون القبطية للدكتور رؤوف حبيب .

(١) سبق التعريف بهذه المواقع كلها .

(٢) في س، ك، ط (فإن هذه هي) .

(٣) في ك، ط (حشة) .

(٤) في ك، ط (سمنط) .

(٥) سقطت (دهنا) من ط، وجاءت الجملة في أ، س، ك هكذا (يخرج منها دهن مصنوع) .

(٦) سقطت (في قمامه) من أ .

بهتانى ليس فيه شيء من كرامات الصالحين^(١).

وكذلك أهل الإلحاد العبدلين لدين محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، الذين يتخذون ديناً لم يشرعه الله ورسوله، ويجعلونه طريقاً إلى الله، وقد يختارونه على الطريق التي شرعها^(٢) الله ورسوله، مثل أن يختاروا سماع الدفوف والشبابات^(٣) على سماع كتاب الله - تعالى - ، فقد يحصل لأحدهم من الوجد والغرام الشيطاني ما يلبسه معه الشيطان حتى يتكلم على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه ذلك الشخص إذا أفاق، كما يتكلم الجن على لسان المتصروع، وقد يخبر بعض الحاضرين بما في نفسه ويكون ذلك من الشيطان، * فإذا فارق الشيطان ذلك الشخص لم يدر ما قال، ومنهم من يحمله الشيطان *^(٤) ويصعد به قدام الناس في الهواء.

ومنهم من يشير إلى بعض الحاضرين فيموت أو يمرض أو يصير مثل الخشبة.

ومنهم من يشير إلى بعض الحاضرين فيلبسه الشيطان ويزول عقله حتى يبقى دائراً زماناً طويلاً بغير اختياره.

(١) حكى القرافي - رحمه الله - في كتاب الأجوبة الفاخرة جملة كثيرة تتعلق بحيل النصارى وتلبسهم على العامة. قال - رحمه الله - : «ولما علم حذاهم أن دينهم ليست له قاعدة يبني عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخليات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات. ... ثم ذكر أموراً كثيرة من حيلهم فانظره في الكتاب المشار إليه بتحقيق زميلنا د. سالم بن محمد القرني - رسالة ماجستير ص ١٣٥ - ١٤٠.

(٢) في ك (الذى شرعها) وفي ط (الذى شرعه).

(٣) قال في القاموس المحيط ٨٥/١ (فصل الشين، باب الباء): «التشبيب النسب بالنساء».

(٤) سقط ما بين التجمتين من أ، وزدناه من سائر النسخ.

ومنهم من يدخل النار ويأكلها ويبيقى لهبها في بدنها وشعره.

ومنهم من تحضر له الشياطين طعاماً أو شيئاً من لادن^(١) أو سكر^(٢) أو زعفران^(٣) أو ماء ورد^(٤). ومنهم من تأتيه بدرهم تسرقها الشياطين من بعض الموضع.

ثم من هؤلاء من^(٥) إذا فرق الدرهم على الحاضرين، أخذت منهم، فلا يمكنون من التصرف فيها، إلى أمور يطول وصفها، وآخرون ليس لهم من يعينهم على ذلك من الشياطين، فيصنعون حيلاً ومخاريق.

فالملحدون المبدلون لدين الرسل، دين المسيح، أو دين محمد – صلى الله عليهما^(٦) وسلم^(٧) – هم^(٨) كأمثالهم من أهل الإلحاد^(٩)

(١) اللادن: جاء في المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر (حرف اللام) بأنه «شيء من رطوبة يدبر بيد اللامس. يكون على شجرة القيوسس، فترعاه المعز، فتلزق الرطوبة على أفخاذها ولحاتها، ومن الناس من يأخذنه فيصفيه، ويعمل منه أثراً صلحاً. ثم ذكر فوائده وأطال فيه».

انظر: المرجع السابق ص ٤٣٩.

(٢) السكر: يستخرج من القصب فيجمد، وحلوته أقل من حلوة العسل، وهو يدخل في عداد الأشياء الفاتحة للسداد، المتنية للمجاري. وهو صنفان أبيض وأحمر، وأجوده أبيض.

انظر: المعتمد ص ٢٣٣.

(٣) الزعفران: نبات صحراوي، وهو أنواع، وأقوى ما كان حديثاً حسن اللون، وعلى شعرته بياض يسير.

انظر: المعتمد ص ٢٠٣.

(٤) ماء الورد: هو أنواع أجوده التصيبي العطر، الذي يراثة.

انظر: المعتمد ص ٤٨١ وقد ذكر فوائده.

(٥) سقطت (من) من ك، ط.

(٦) في ط (عليه).

(٧)

(٨)

(٩)

سقطت (هم) من ط.

سقطت (وسلم) من ك.

والضلال: الكفار^(١)، المرتدين^(٢)، المشركين، ونحوهم^(٣) كمسilمة الكذاب، والأسود العنسي، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي وغيرهم، من لهم خوارق شيطانية.

وأما أهل العيل فيكثرون، وهم لاء ليسوا أولياء الله، بل خوارقهم إذا كانت شيطانية من جنس خوارق الكهنة والسحرة، لم يكن لهم حال شيطاني بل محال بهتاني. فهم متعمدون للكذب^(٤) والتلبيس، بخلاف من تقرن^(٥) به الشياطين فإن فيهم من يلبس^(٦) عليه، فيظن أن هذا من جنس كرامات الصالحين، كما أن فيهم من يعرف أن ذلك من الشياطين، ويفعله لتحصيل أغراضه، فالمقصود أنه كثير من الخوارق، ما يكون من الشياطين، أو يكون حيلاً ومخاريق، ويظن أنها من كرامات الصالحين. فإن ما يكون شبيه^(٧) الشرك أو الفجور، إنما يكون من الشيطان^(٨)، مثل أن يشرك الرجل بالله فيدعوا الكواكب أو يدعوا مخلوقاً من البشر ميتاً، أو غائباً أو يعزم و^(٩) يقسم بأسماء مجهرة لا يعرف معناها، أو يعرف أنها أسماء الشياطين، أو يستعين بالفواحش والظلم، فإن ما كان هذا سببه من الخوارق فهو من الشيطان، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضوع.

(١) في ط (والكافار).

(٢) سقطت (الواو) من ك، ط.

(٣) في ك، ط (وغيرهم).

(٤) في ط (الكذب).

(٥) في س، ك، ط (يقرن) بالمنشأة التحتية.

(٦) في ك، ط (يلبس).

(٧) في س، ك، ط (سببه).

(٨) في ط (الشياطين).

(٩) في ك، ط (أو).

والصالحون لهم كرامات، مثل كرامات صالحـي هذه الأمة، ومثل كرامات الحواريين وغيرـهم ممن كان على دين المسيح، لكن وجود الكرامـات على أيدي الصالـحين لا توجب أن يكونـوا معصـومـين كالأنـبياء، لكن^(١) يكونـ الرجل صالحـاً ولـيـاً للـله ولـه كـرامـات، ومعـ هـذا فقد يـغـلـطـ ويـخـطـيءـ فيما يـظـنهـ، أوـ فيما يـسـمعـهـ، وـيرـوـيـهـ، أوـ فيما يـرـاهـ، أوـ فيما يـفـهـمـهـ منـ الـكـتـبـ، ولـهـذاـ كانـ كلـ منـ سـوـيـ الأـنـبـيـاءـ يـؤـخـذـ منـ قـوـلـهـمـ وـيـتـرـكـ، بـخـلـافـ الأـنـبـيـاءـ – صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـمـ أـجـمـعـينـ – ، فـإـنـهـ يـجـبـ تـصـدـيقـهـمـ فيـ كـلـ ماـ أـخـبـرـواـ بـهـ مـنـ الـغـيـبـ، وـطـاعـتـهـمـ فيـ كـلـ ماـ أـمـرـواـ بـهـ وـلـهـذا^(٢) أـوـجـبـ اللـهـ الإـيمـانـ بـمـاـ أـوـتـوهـ^(٣) ، وـلـمـ يـوـجـبـ الإـيمـانـ بـجـمـيـعـ ماـ يـأـتـيـ بـهـ غـيـرـهـمـ .

قالـ – تعالىـ – :

﴿ قُلُّوا مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَقُولُونَ وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لِهُمُ الْمُسْلِمُونَ ﴾^(٤) .

وقـالـ – تعالىـ – :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُؤْلِمُ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ إِمَانُهُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَبُ وَالنَّبِيُّنَ . . . ﴾^(٥) .

ولـهـذاـ اـتـفـقـ الـمـسـلـمـونـ عـلـىـ أـنـ كـذـبـ نـبـيـاـ مـعـلـومـ الـنـبـوـةـ فـهـوـ كـافـرـ مـرـتـدـ. وـمـنـ سـبـ نـبـيـاـ وـجـبـ قـتـلـهـ بـلـ يـجـبـ الإـيمـانـ بـجـمـيـعـ ماـ أـوـتـيـهـ النـبـيـونـ

(١) فيـ سـ ، كـ ، طـ (بـلـ) بـدـلـ (لـكـ) .

(٢) فيـ طـ (ولـهـا) .

(٣) فيـ كـ (بـكـلـ ماـ أـوـتـوهـ) وـفـيـ طـ (بـكـلـ ماـ أـوـتـوهـ) .

(٤) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ:ـ الـآيـةـ ١٣٦ـ .

(٥) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ:ـ الـآيـةـ ١٧٧ـ .

كلهم، وأن لا نفرق^(١) بين أحد منهم، فنؤمن^(٢) ببعض وننكر^(٣) ببعض. قال - تعالى - :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بَعْضًا وَنَكْفُرُ بَعْضًا وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا﴾ ^{١٥١} أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكُفَّارِ عَذَابًا مُهِينًا^(٤).

وليس هذا لأحد غير الأنبياء، ولو كان من رسل الأنبياء، وكانوا من أعظم الصديقين المقدمين^(٥).

فضلال^(٦) الضلال من هؤلاء مبني على مقدمتين.

إحداهما^(٧) : أن هذا له كرامة فيكون ولیاً لله .

والثانية^(٨) : أن ولی الله لا يجوز أن يخطئ، بل يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليس لأحد من البشر أن يصدق في كل ما أخبر به، ويطاع في كل أمر إلا أن يكون نبیاً.

والمقدمتان المذكورتان، قد تكون إحداهما باطلة، وقد يكون كلاهما باطلًا، فالرجل المعين، قد لا يكون من أولياء الله، تكون^(٩) خوارقه من الشياطين، وقد يكون من أولياء الله، ولكن ليس بمعصوم، بل يجوز عليه الخطأ، وقد لا يكون من أولياء الله، ولا يكون له خوارق، ولكن له حالات وأكاذيب.

• • •

(١) سبق إيضاح هذه المسألة.

(٢) (٣) في ك، ط جاءت الأفعال كلها بالمثناة التحتية.

(٤) سورة النساء: الآيات ١٥٠ - ١٥١. (٥) في س (القديسين).

(٦) انفردت ط عن سائر النسخ بكتابه (فصل) قبل هذه الكلمة ولا مكان لها. (٧) في ك (أحداهما).

(٨) في ك (والثاني).

(٩) في ك، ط (وتكون).

فصل^(١)

قالوا: وقال في سورة آل عمران:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَزْبِرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٢).

فأعني^(٣) أيضاً بالكتاب المنير، الذي هو الإنجيل المقدس.

فيقال: قد تقدم أن الرسل تتناول^(٤) قطعاً الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن، لا سيما أولو العزم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم؛ فإن هؤلاء مع محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين - صلوات الله عليهم وسلم - ، خصهم الله وفضلهم بقوله - تعالى - :

﴿وَلَإِذْ أَخَذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٣) في ط (معنى) وما أثبتناه من جميع النسخ هو الموفق لما ورد في الرسالة، وقد كررت فيها كلمة (فأعني)، وجاء فيها كلمات كثيرة محرفة فمثلاً يكتبون (سورة) صورة بالصاد، ويحرفون الآيات القرآنية في قوله (تعالى): «وَقُلْ آمِنْتَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...» الآية. استبدلت الكلمة قل (بقلت)، وهكذا جرياً على ما اعتادوه من التحرير والتبديل في كتبهم فتلك عادة لهم كما أخبر الله - تعالى - عنهم في كتابه العزيز بقوله - تعالى - : «يُحرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...».

(٤) في ك، ط (يتناول) بالمثناة التحتية.

أَبْنَ مَرِيمٍ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِيَثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيُسْتَأْلَ الصَّدِيقَيْنَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعْدَ لِلْكَفِرَيْنَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ .

وفي قوله - تعالى - :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِي بِهِ، نُوَحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنِي بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ . . . ﴾ ﴿٩﴾ .

فالدلين، دين رسول الله، دين واحد كما بينه الله في كتابه، وكما ثبت في الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأن»^(٣) أولى الناس بابن مريم لأننا: إنه^(٤) ليس ببني وبينهنبي»^(٥) .

ويتناول أيضاً اسم الرسل من لم يسمهم^(٦) بأعيانهم في القرآن. قال - تعالى - :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوْسَى وَهَذِرُونَ وَسَلِيمَنَ وَمَا تَبَيَّنَ دَأْوَدَ زَبُورًا ﴿١٢﴾ وَرُسُلًا لَقَدْ فَصَصْنَتْهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرُسُلًا لَمْ تَفَصَصْنَهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٣﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ .

(١) سورة الأحزاب: الآيات ٧، ٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) في ك، ط (أنا).

(٤) في ك، ط (أنا) وسقطت (أنا) من ك، ط.

(٥) سبق تخریج الحديث في أول الكتاب.

(٦) في س (يسم).

(٧) سورة النساء: الآيات ١٦٣ - ١٦٥.

وقال – تعالى – :

﴿ وَلَقَدْ أَرَى سَلَاتُرُ سَلَامًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصَنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ
نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾^(١).

وأما الحواريون فإن الله – تعالى – ذكرهم في القرآن، ووصفهم
بإسلام وتابع الرسول وبإيمان بالله^(٢)، كما^(٣) أنزل في قوله
– تعالى – :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفَّارَ قَالَ مَنْ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ إِمَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ إِيمَانًا مُسْلِمُونَ ٥٥
إِمَّا بِمَا أَنْزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكَتَتْ بُتْنَامَعَ أَشْهِدِينَ ﴾^(٤).

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ إِمْنُوا بِرَبِّهِمْ وَإِنَّمَا أَنْهَا
إِيمَانَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ ﴾^(٥).

وقال – تعالى – :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمْنُوا كُنُوفًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَإِمَّا تَطَّافِعَتْ طَلَيْفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ
طَلَيْفَةً فَإِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ عَدُوُّهُمْ فَأَصْبَحُوا حَلَّهُمْ بَنِينَ ﴾^(٦).

(١) سورة غافر: الآية ٧٨.

(٢) في ط (وإيمان بالله).

(٣) في أ (وكما) والواو زائدة هنا.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٦) سورة الصاف: الآية ١٤.

ولم يذكر الله – تعالى – في القرآن أنه أرسلهم البة. بل ذكر أنه ألمهم الإيمان به وبرسوله وأنهم أمروا باتباع رسوله قوله:

﴿وَإِذَا وَحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيْتَنَ . . .﴾.

لا يدل على النبوة، فإنه قال – تعالى – :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا مَرْمُوسَتْ أَنْ أَرْضِعِيْهِ . . .﴾^(١).

وأم موسى لم تكن نبية، بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة النصارى وال المسلمين.

وقد ذكر إجماعهم على ذلك غير واحد، مثل القاضيين: أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى ابن أبي^(٢) الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجوني^(٣)، وغيرهم. ويدل على ذلك قوله – تعالى – :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ﴾^(٤).

وقوله – تعالى – :

﴿مَا أَمْسِيْخَ أَبْنَ مَرِيمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْمَهُ صَدِيقَةٌ . . .﴾^(٥).

فجعل غاية مريم الصديقة كما جعل غاية المسيح الرسالة^(٦).

(١) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) سقطت (أبي) من أ، س وجاءت (الفرا) وفي أ (الفرد) وهو خطأ.

(٣) سبقت ترجمة هذه الأعلام.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٩.

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٦) هذه مسألة سبق الحديث عنها وإيضاحها عند ذكر أقوال العلماء في نبوة مريم – رضي الله عنها – .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا^(١): مريم بنت عمران، وأسية بنت مزاحم^(٢) يعني من نساء الأمم قبلنا، وهذا يدل على أن أم موسى ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية؟ قوله تعالى – : «جَاءَهُوَ بِالْبَيْنَتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ»^(٣).

والكتاب اسم جنس كما تقدم يتناول كل كتاب أنزله الله^(٤) – تعالى – . وقال^(٥) – تعالى – :

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ»^(٦).

وقوله: ولا كتاب منير، نكرة في سياق المعنى فيعم^(٧) كل كتاب منير^(٨). ولو لم يكن إلا الإنجيل؛ لقيل ولا الكتاب المنير. وأيضاً

(١) في ط (إلا أربعة) وهي زيادة ليست في الحديث، ولا في سائر النسخ.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري في ثلاثة مواضع، في كتاب الأنبياء، باب قول الله – تعالى – : «وَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأُ فَرْعَوْنَ» ٤/١٣١؛ وفي فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ٤/٢١٩، ٢٢٠؛ وفي الأطعمة باب التريد ٦/٢٠٥ وللحديث بقية «وفضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام»؛ ورواه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – ٤/١٨٨٦ (٧٠)؛ والترمذى في الأطعمة، باب فضل التريد ٤/٢٧٥ (١٨٣٤) ثم قال حسن صحيح؛ وابن ماجه في الأطعمة، باب فضل التريد على الطعام ٢/١٠٩١ (٣٢٨٠)؛ وأحمد في المسند ٤/٣٩٤، ٤٠٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٤) سقط لفظ الجلالة من س، ك.

(٥) في س، ك، ط (وقال الله تعالى).

(٦) سورة الحج: الآية ٨.

(٧) في س، ط (نعم).

(٨) قوله (نكرة في سياق... إلخ). الجملة ساقطة من ك.

فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتاباً أهدي من التوراة والقرآن . فقال – تعالى – :

»... قَالُوا لَوْلَا أُوتِكَ مِثْلَ مَا أُوتِكَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكُنْ كُفُّرُوا بِمَا أُوتِكَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ فَالْوَالْسَّحْرَانِ – وقرىء «ساحران»^(١) – تَظَاهِرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كُفُّورٍ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهَا أَتَيْتُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٢).

وهذا تعجيز لهم أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما قوله : «أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...»^(٣) .

وهذا يبين أنه ليس الإنجيل ولا الزبور أهدي من التوراة والقرآن فكيف يجعل الكتاب المنير هو الإنجيل دون التوراة والزبور؟

وأيضاً فإن الله – تعالى – إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها ، فهي التي يقرنها بالقرآن كقوله – تعالى –

»وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقّاً قَدِيرًا إِذَا قَاتَلُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسًا بَدُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَتَمْ وَلَا إِبَّاً قُلْ اللَّهُ شَمَّا ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ^(٤) وَهَذَا

(١) قرأ الكوفيون «فالوا سحران» على أنه تثنية سحر، وقرأ الباقيون ساحران، على أنه تثنية «ساحر».

انظر: كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٤٥٧؛ وانظر فتح القدير للشوكاني ١٧٧/٤؛ والتبسيير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٧٢؛ والغاية في القراءات العشر للنسيابوري ص ٢٣١.

(٢) سورة القصص: الآياتان ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٨.

كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّةَ الْقَرْبَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١﴾ .

وقد وصف التوراة بأن فيها نوراً وهدى للناس، فكيف يجعل النور في الإنجيل دونها؟ وقال - تعالى - :

﴿ثُمَّ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَنَقْصِيالًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا الْعَلَمَكُمْ تَرَحَّمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَبُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنِ درَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ .

فقد ذكر التوراة والقرآن، وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا^(٣) فيبين أن الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة والإنجيل كقوله - تعالى - : «يَتَأَهَّلُ الْكِتَبِ» .

وقوله - تعالى - :

«وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ حُلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حُلُّ لَهُمْ وَالْمُحَصَّنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ وَالْمُحَصَّنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٤﴾ .

فذكر الكتاب بلفظ المنفرد^(٥)، وعلمون أنه أراد بالذين أوتوا الكتاب من قبلنا اليهود والنصارى لا يختص ذلك بالنصارى كما قال: «أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَبُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا» .

(١) سورة الأنعام: الآياتان ٩١، ٩٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ١٥٤ - ١٥٦.

(٣) سقطت (من قبلنا) من أ، س، ك و زدناها من ط.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥.

(٥) في ط (المفرد).

وقد^(١) تبين^(٢) بطلان قول هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن موضعه،
ويفسرون كلام الله ورسوله بما يعلم كل من عرف حاله من مؤمن وكافر
أنه لم يرده.

وبين أن الله لم يرد بالكتاب الإنجيل وحده كما لم يرد بالرسل
الحواريين، بل أراد بالكتاب^(٣) المنير ما أنزله الله^(٤) من الكتب كالتوراة
والإنجيل، كما أراد بالرسل من أرسله الله مطلقاً كنوح وإبراهيم وموسى
وال المسيح ابن مريم صلوات الله عليهم وسلمه أجمعين.

• • •

(١) في ك (فقد).

(٢) في أ (بين).

(٣) سقطت (بالكتاب) من ك.

(٤) سقط لفظ الجلالة من أ، وأثبناه من سائر النسخ.

فصل

قالوا: وقال أيضاً:

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَنَّينَ﴾^(١).

فيقال لهم: من المعلوم بالاضطرار، أنه ليس المراد بهذا النصارى فقط كما تقدم، بل اليهود يقرؤون الكتاب من قبلنا، والنصارى يقرؤون الكتاب من قبلنا. والكتاب اسم جنس كما تقدم ظاهره في قوله: (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا)، قوله: (وطعام الذين أتوا الكتاب)، قوله: (يا أهل الكتاب)، في غير موضع، قوله:

إثبات أن عند
أهل الكتاب ما
بُثُّت صدق
محمد
- صلى الله
عليه وسلم -

﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

وقوله - تعالى - :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمٍ قَاتِلًا لِلْقِسْطَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَمُ وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤) إِنَّ حَاجَوْكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَتَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ

(١) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٢) سورة البينة: الآية ١.

لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ وَالْأُمَّيْتَنَ إِذَا سَلَّمُتُمْ فَإِنَّ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا
عَلَيْكُمْ أَبْلَغُهُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ .

وقد قال – تعالى – :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ إِذَا مَأْتُمُوا مَعَنَّا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
نَظِمَّسْ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبِّيْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢﴾ .

وتناول لفظ أهل الكتاب هنا لليهود، أظهر^(٣) من تناوله للنصارى؛
لذكره لعنة أصحاب السبت وكذلك قوله – تعالى – :

﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِذَا مَأْتُمُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَأْتُمُوا
وَجْهَ الْأَنْهَارِ وَأَكْفَرُوا إِذَا خِرُّمْ لِعَلَمِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤﴾ .

فهذا خبر عن^(٥) طائفة من اليهود قالوا ذلك وقال – تعالى – :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْتُمُوا إِنْ تُطِيعُو فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ يَرْدُوُكُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ كَفَرِيْنَ ﴿٦﴾ .

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٨ – ٢٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٧. وقد ذكر السيوطي في لباب النقول ص ٦٤ سبب نزول هذه الآية: (قال: أخرج ابن إسحاق، عن ابن عباس، قال: كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤساء أحبّار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكمب بن أسيد فقال لهم: «يا معاشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جنّبكم به الحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم: «يا أيها الذين أتوا الكتاب...» الآية).

(٣) في ط (وأظهر).

(٥) سقطت (عن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧٢. (٦) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

وبسبب نزولها أنه^(١) أراد طائفة من اليهود إلقاء الفتنة بين المسلمين^(٢). فهم دخلون قطعاً، وإن كان الخطاب مطلقاً يتناول الطائفتين.

وأمره - تعالى - بسؤال الذين يقرؤون الكتاب من قبله على تقدير الشك، لا يقتضي أن يكون الرسول شك ولا سأل، إن قيل الخطاب له، وإن قيل لغيره فهو أولى وأحرى؛ فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط، بل قد يعلق^(٣) بشرط ممتنع لبيان حكمه.

قال - تعالى - :

﴿... وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ، دَاؤَدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَّالِكَ نَبْرَى الْمُحَسِّنِينَ ﴾٤٤﴿ وَرَجَرَّيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسْعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلُّ أَفْضَلُنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾٤٥﴾.

فأخبر أنهم لو أشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون^(٥)، مع انتفاء

(١) سقطت (أنه) من س، ك، ط.

(٢) روى الواحدي في أسباب التزول بسنده عن عكرمة، قال: كان بين هذين الحسينين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية. فلما جاء الإسلام اصطلحوا، وألف الله بين قلوبهم، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فأشند شعراً قاله أحد الحسينين في حربهم فكانهم دخلهم من ذلك... فنزلت هذه الآية فقرأها عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فألقوا السلاح. وصرح في رواية أخرى باسم اليهودي وهو شاس بن قيس، وكان شيخاً قد غير في الجاهلية، عظيم الكفر. وعزاه السيوطي في لباب النقول ص ٤٨ - ٤٩ إلى الفريابي، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وإلى ابن إسحاق عن زيد بن أسلم.

وانظر: تفسير ابن جرير الطبرى ٤/١٧ (مجلد ٣)؛ وتفسير ابن كثير ١/٣٨٩.

(٣) في ط (يتعلق).

(٤) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ - ٨٦.

(٥) جملة (فأخبر أنهم لو أشركوا... الخ) ساقطة من ك.

الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد ماتوا؛ لأن الأنبياء معصومون من الشرك به^(١).

وقال – تعالى – :

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ أَيْمَانَ الْجَهَنَّمَ ٦٤ وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيَّكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لِي حِجْرَنَ عَمْلُكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ٦٥ بِلِ اللَّهِ فَأَعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٦٦ ٤٢﴾ .

فهذا خطاب للجميع. وذكر هنا لفظ «إن» لأنه خطاب لموجود. وهناك خبر عن ميت وكذلك قوله: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شُكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأُلْ ٤٣»، لا يدل على وقوع الشك، ولا السؤال. بل النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن شاكاً ولا سألاً أحداً منهم. بل روي عنه أنه قال: «وَاللَّهُ لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَل»^(٣).

(١) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٢) سورة الزمر: الآيات ٦٤ – ٦٦.

(٣) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره ١١٦/١١ (مجلد ٦) بسنده عن قتادة مرسلاً – قال: ذكر لنا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَل» ورد ذلك عند آية يومن: ٩٤، ورواه ابن جرير بسنده آخر عن قتادة. وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٣٢/٢ بدون ذكر السنده عن قتادة ثم ذكره، وقال: وكذا قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري. قال ابن كثير: وهذا فيه ثبٰٰتٰ للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبيهم – صلى الله عليه وسلم – موجودة في الكتب المتقدمة التي بآيدي أهل الكتاب. اه.

وانظر: تفسير الشوكاني ٤٧٥/٢؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١٣/١. وقد رجع بعض المفسرين أن الخطاب ليس للنبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما هو لمن يشك من أتباعه. وهذا واضح من قول ابن كثير – رحمة الله – : «وهذا فيه ثبٰٰتٰ للأمة... إلخ.

ولكن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون.

كما قال – تعالى – في الآية الأخرى:

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (١).

وقال – تعالى – :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرُتُمْ بِهِ، وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَقَاتَمْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

وقال – تعالى – :

﴿ أَوَلَيْكُنْ لَّهُمْ أَيَّةً أَنْ يَعْلَمُهُ عُلْمَوْا بَيْنِ إِسْرَائِيلَ ﴾ (٣).

وقال – تعالى – :

﴿ الَّذِينَ إِنَّنَّهُمُ الظَّالِمُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٥٥٥٥ وَإِذَا يَنْأَى عَلَيْهِمْ قَاتَلُوا إِمَانَاهُمْ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (٤).

وقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ٦٧٦٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدَنَا لَمْفَعُولًا ٦٨٦٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ٦٩٦٩ ﴾ (٥).

(١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٠.

(٣) سورة الشعرا: الآية ١٩٧.

(٤) سورة القصص: الآيات ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة الإسراء: الآيات ١٠٧ – ١٠٩.

وقال – تعالى – :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِتَاعِرَفُوا
مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا فَكَبَّنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴾^(١).

وقال – تعالى – :

﴿لَذِكْرِ الرَّسُولِ سَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ . . . ﴾^(٢).

وقال – تعالى – :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلَّمُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُثُرَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

وقال – تعالى – :

﴿أَلَذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ بِعِرْفَوْنَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَ هُمْ . . . ﴾^(٤).

فالمعنى: بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبتك

فيه الكافرون وذلك من وجوه:

أحدها: أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وغيره دعوا إلى
عبادة الله وحده، ونهوا عن الشرك فكان في هذا حجة على من ظن أن
الشرك دين.

ومثل هذا – قوله – تعالى – :

﴿وَسَلَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَهَ
يَعْبُدُونَ ﴾^(٥).

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧.

قوله – تعالى – :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَأَعْبُدُونِ﴾ ^(١).

قوله – تعالى – :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا
الظُّنُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَّةُ فَسَيِّرُوا فِي
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْقَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ^(٢).

الوجه الثاني: أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرًا مثلهم، لم يرسل إليهم ^(٣) ملكاً، فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكاً أو بشرًا معه ملك، ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر كما قال – تعالى – :

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَسُولًا ﴿١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَكٌ كَيْفَ يَمْشُوْنَ مُطْمِئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ
السَّمَاءِ مَلَكًا مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٢﴾﴾ ^(٤).

قال – تعالى – :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ عَيْرُهُ
أَفَلَا يَنْقُونَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ الْمُلْوَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هُنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ
أَنْ يَنْفَضِّلَ

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٣) سقطت (إليهم) من ط.

(٤) سورة الإسراء: الآياتان ٩٤، ٩٥.

عَلَيْكُمْ وَلَوْشَاءَ اللَّهِ لَا تَرَلَ مَلَائِكَةً مَا سِمَعْنَا يَهْذَأ فِي مَابَيْنَ الْأَوَّلَيْنَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهُدِي هَذِهِ فَتَرَصُّوْنَاهُ حَقَّ حِينٍ ﴿١﴾ .

وقال - تعالى - :

كَذَبَتْ نَوْدٌ بِالنَّذْرِ ﴿٢﴾ فَقَالُوا أَبْشِرْ مِنَا وَحْدًا تَنْبَعِهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٍ ﴿٣﴾ .

وَكَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ :

مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَا كُلُّ مِنَّا كُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرُبُ مِمَّا تَشْرِبُونَ ﴿٤﴾ وَلَيْسَ أَطْعَمْتُمْ شَرَامِثَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٥﴾ .

وَكَذَلِكَ قَالَ قَوْمٌ ﴿٦﴾ فَرْعَوْنُ لَمُوسَى وَهَارُوْنَ :

أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمَهُمَا نَأْعِدُهُنَّ ﴿٧﴾ .

وقال فرعون :

أَمْ أَنْأَخْيَرُ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ ﴿٨﴾ فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَلَّةٌ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنَيْنَ ﴿٩﴾ .

وَكَذَلِكَ قَالُوا لِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ

(١) سورة المؤمنون : الآيات ٢٣ - ٢٥ .

(٢) سورة القمر : الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) سورة المؤمنون : الآيات ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) سقطت (قوم) من ط .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٤٧ .

(٦) سورة الزخرف : الآيات ٥٢ ، ٥٣ .

(٧) سقطت (الواو) من ط .

— تعالى — :

﴿الرَّتِّلَكَ مَا يَتَكَبَّرُ الْمُكَبِّرُونَ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنَّا وَجَّهْنَمَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنَّا أَنْذَرْنَا النَّاسَ وَبَشَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّا لَهُمْ قَدَّمَ صِدْقًا عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا أَسْحَرُ مُؤْمِنِينَ ۝﴾^(١).

وقال — تعالى — :

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْأَنَّا نَأْمَلُ كَلْفَضَيِ الْأَمْرِ ثُمَّ لَا يُنَظِّرُونَ ۝ وَلَوْجَعَنَّنَا مَلَكًا لَجَعَلَنَّهُ رَجُلًا وَلَلْبَسَنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِسُونَ ۝﴾^(٢).

فيَّن — سبحانَه — أَنْكُمْ لَا تُطِيقُونَ التَّلْقِيَ عَنِ الْمَلَكِ، فَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَجَعَلَنَّهُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ. وَحِينَئِذٍ كَتَمْ تَظُنُّونَهُ بَشَرًا فَيَحْصُلُ^(٣) الْلِّبَسُ عَلَيْكُمْ. فَأَمْرَ اللَّهُ — تعالى — بِسُؤَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنْ أَنْرَسَلَ إِلَيْهِمْ أَكَانَ بَشَرًا أَمْ كَانَ مَلَكًا لِيَقِيمَ الْحَجَّةَ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ إِرْسَالَ بَشَرٍ، كَمَا قَالَ — تعالى — :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا بِجَاهًا لَنُوحٍ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كَتَمْ لَأَتَعْلَمُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَلِدِينَ ۝ ثُمَّ صَدَقَتْهُمُ الْوَعْدُ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ شَاءَ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝﴾^(٤).

وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ^(٥) اللَّهُ — تعالى — .

(١) سُورَةُ يُونُسُ: الْأَيَّاتُ ١، ٢.

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامُ: الْأَيَّاتُ ٨، ٩.

(٣) فِي س، ك، ط (فِي جَعْلِهِ).

(٤) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءُ: الْأَيَّاتُ ٧ - ٩.

(٥) فِي أَ (أَنْزَلَ).

الوجه الثالث: أنهم يسألون أهل الكتاب عما جرى للرسل مع أمههم، وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم، وعاقبة المكذبين لهم.

الوجه الرابع: يسألون أهل الكتاب عن الدين الذي بعث الله به رسالته، وهو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، كالأمر بالتوحيد، والصدق، والعدل، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والنهي عن الشرك، والظلم والفواحش.

الوجه الخامس: يسألونهم^(١) عما وصفت به الرسل ربهم، هل هو موافق لما وصفه به محمد أم لا؟ وهذه الأمور المسؤولة عنها متواترة عند أهل الكتاب معلومة لهم ليست مما يشكون فيه، وليس إذا كان مثل هذا معلوماً لهم بالتواتر فيسألون^(٢) عنه يجب أن يكون كل ما يقولونه معلوماً لهم بالتواتر.

وأيضاً فإنهم يسألون أيضاً عما عندهم من الشهادات والبشارات بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –.

وقد أخبر الله بذلك في القرآن فقال – تعالى –^(٣) :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الرَّكْوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَيْنِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾١٥٦﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَنْجَى الَّذِي يَحِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْأَنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّيْنَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾٤﴾.

(١) في ط (يسألونه).

(٣) سقطت جملة (فقال تعالى) من أ.

(٤) في أ (يسألون).

(٤) سورة الأعراف: الآياتان ١٥٦، ١٥٧.

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَسْبِي إِسْرَئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّنِي مِنَ النُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَهُ وَأَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّؤْمِنُونَ ﴾^(١) .

فقد أخبر عن عيسى أنه صدق بالرسول والكتاب قبله وهو التوراة وبشر بالرسول الذي يأتي بعده وهو أحمد. قال – تعالى – :

﴿ فَنَوَّلْتَنَكَ قِبْلَةً تَرْضَهَا فَوْلَ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوْلُوا وُجُوهَكُمْ شَطَرُهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ لِيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِنَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

إِلَى قُولِهِ :

﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴾^(٢) .

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِنَّمَا لَنَزَّلْتُ رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ ﴿١٩٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيْ مُّبِينٍ ﴿١٩٦﴾ وَإِنَّمَا لَفِي زِيَّرِ الْأَوَّلِيْنَ ﴿١٩٧﴾ أَوْلَئِكَنْ لَهُمْ أَيْةٌ أَنْ يَعْلَمُوْهُ عَلَمَتْهُ أَبْنَيْ إِسْرَئِيلَ ﴾^(٣) .

وقال – تعالى – عن من أثني عليه من النصارى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمْنَا . . . ﴾^(٤) .

(١) سورة الصاف: الآية ٦ – ١٩٧ . (٣) سورة الشعرا: الآيات ١٩٢ – ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٤٤ – ١٤٦ . (٤) سورة المائدة: الآية ٨٣ .

وقال – تعالى – :

﴿ وَقَرَءَ أَنَا فِرْقَةٌ لِنَقْرَاءَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَزَلَّتْنَاهُ نَزِيلًا ١٦ ﴾ قُلْ مَا مِنْ أَيْمَانٍ
أَوْ لَا تُؤْمِنُ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٧ ﴾ وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ١٨ ﴾ وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ١٩ ﴾ .

وقال – تعالى – :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَضِّلًا
وَالَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَ مِنَ
الْمُمْتَرِينَ ٢٠ ﴾ .

وقال – تعالى – :

﴿ وَلَقَدْ وَصَلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٢٢ ﴾ وَإِذَا يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا أَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ
مُسْلِمِينَ ٢٣ ﴾ أُولَئِكَ يَوْمَنَ أَجْرُهُمْ مَرَقَّتِينَ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمَا
رَفَقُهُمْ يُنْفِقُونَ ٢٤ ﴾ .

وقال – تعالى – في سورة الأنعام :

﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٥ ﴾ .

(١) سورة الإسراء: الآيات ١٠٦ – ١٠٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

(٣) سورة القصص: الآيات ٥١ – ٥٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

وقال – تعالى – :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَتَبْ ۖ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ
يَسْتَقْتِحُونَ ۚ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ ۱﴾.

والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم .

وكان قبل أن يبعث النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تجري حروب وقتل بين العرب وبين أهل الكتاب فتقول^(٢) أهل الكتاب: قد قرب مبعث هذا النبي الأمي الذي يبعث بدين إبراهيم، فإذا ظهر أتبعناه، وقتلناهم معه شر قتلة، فلما بعث النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، كان منهم من آمن به، ومنهم من كفر به فقال – تعالى – :

﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَقْتِحُونَ ۝ ۲﴾.

أي: يستنصرون بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على الذين كفروا:

﴿ ... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ ۳﴾.

ولهذا كان النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم: «والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٢) في ط (فيقول) بالمثنوية التحتية.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

رسول الله^(١)، وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام كان^(٢) يقول غيره من أهل الكتاب: «والله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله»، وهذا أمر معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة^(٣) في الصحيحين وغيرهما، فظهر بما ذكرناه تحريف هؤلاء لكلام الله وأنه لا حجة لهم فيما أنزل على محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كما تقدم نظائر ذلك.

● ● ●

(١) الحديث: ورد في صحيح البخاري (في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) – ٢٦٠/٤ من حديث أنس بن مالك وهو حديث طويل وفيه قصة إسلام عبد الله بن سلام، قوله: إن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال لليهود: «يا معاشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أني رسول الله حقاً واني جتكم بحق، فأسلموا قالوا: ما نعلم. قال: فلما رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم (قالها ثلاثة).

قال: يا ابن سلام أخرج عليهم، فخرج فقال: يا معاشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله، إنه جاء بحق. فقالوا له: كذبت فأخرجهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢١١/٣، وليس فيه قول عبد الله بن سلام. وعزاه السيوطي في الدر المنشور ٢٤٨/٢ [آية ١٧١ من سورة النساء] إلى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر والبيهقي في الدلائل، وذكر القسم الأول من الحديث وأخرجه البيهقي كاماً في دلائل النبوة ٢٤٨/٢ – ٢٥٠، وساق له طرفاً أخرى كثيرة، والله أعلم.

(٢) في ط (وكان).

(٣) في ط (والمحرجة).

فصل

قالوا: فثبت بهذا ما معنا نعم، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبدل لها، والتغيير لما فيها بتصديقه^(١) إياها.

فيقال: كلامكم الذي تحتاجون به في هذا الموضع وغيره، إما أن يكون باطلًا محسًناً، وإما أن يكون مما لبستم فيه الحق بالباطل، فإن قولكم بتصديقه إياها، إن أردتم أنه صدق التوراة والإنجيل والزبور التي أنزلها الله على أنبيائه، فهذا لا ريب فيه، فإن هذا مذكور في القرآن في غير موضع وقد أوجب على عباده أن يؤمنوا بكل كتاب أنزله وكلنبي من الأنبياء، مع إخباره أنه أنزل هذه الكتب قبل القرآن وأنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

وقال - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا لِلَّهِ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ ۚ ۱) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۲) مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ ۳) .

وقال - تعالى - :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ
وَمَهِمَّنَا عَلَيْهِ ﴾ (٣).

(١) في أ، س، ك (تصديقه) وصححناه من ط .

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١ - ٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

وقال – تعالى – :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ إِذْ مُؤْمِنُوا مَانَزَنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلٍ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْنَبَ الْسَّبَّتُ ﴾^(١).

وقال^(٢) :

﴿ وَأَنَزَنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمِنًا عَلَيْهِ ﴾^(٣).

وقال :

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ ﴾^(٤).

وقال :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَأُوا فِيْقٌ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَهُ ظُهُورُهُمْ كَانُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥).

وقال – تعالى –^(٦) :

﴿ ... إِذْ مُؤْمِنُوا مَانَزَنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ... ﴾^(٧).

وقد أوجب على عباده أن يؤمّنوا بجميع كتبه ورسله، وحكم بکفر

(١) سورة النساء: الآية ٤٧.

(٢) في س، ك، ط (وقال تعالى)، وقد ذكر في هذه النسخ آية آل عمران الأولى وبعض الثانية.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠١.

(٦) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٧) سورة النساء: الآية ٤٧.

من آمن ببعض وكفر ببعض، فقال – تعالى – :

﴿ قُلُّوا إِمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَلَا سَمِعْلَ وَلَا سَحْقَ وَلَيَقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْقِيَ الْتَّيْمُونُ مِنْ رَبِّهِمْ لَا فَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا هُنْ لِمُسْلِمُونَ ١٣٧ فَإِنَّمَّا آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَلَيَنْزَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١١﴾ (١).

وقال – تعالى – :

﴿ إِنَّمَّا آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولُهُ لَا فَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ٤٢﴾ (٢).

وقال – تعالى – :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصْرٍ وَنَكْفُرُ بِعَصْرٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا ١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتَيْهِمْ أَجْوَرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٤٣﴾ (٣).

فلزم المفرق^(٤) بينهم بأن يؤمن ببعض دون بعض، وبين أنه فضل

بعضهم على بعض، فقال – تعالى – :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ٤٥﴾ (٥).

(١) سورة البقرة: الآياتان ١٣٦ ، ١٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سورة النساء: الآيات ١٥٠ – ١٥٢.

(٤) في أ، س، ك (التفرق)، وما أثبتناه من ط.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

فَبَيْنَ أَنْهُ فَضَلَّ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَقَالَ – تَعَالَى – :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾^(١) .

وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله^(٢) الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم ولوط وموسى وداود وسليمان ويوحنا وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتدًا استتب فإن تاب وإن قتل.

ومن سب نبياً واحداً من الأنبياء قتل أيضاً باتفاق المسلمين وما علم المسلمون أن نبياً من الأنبياء أخبر به فعلهم التصديق به كما يصدقون بما أخبر به محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهم يعلمون أن أخبار الأنبياء لا^(٣) تتناقض ولا تختلف^(٤) ، وما لم يعلموا أن النبي أخبر به فهو كما لم يعلموا أن محمداً أخبر به – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ –^(٥) ولكن لا^(٦) يكذبون إلا بما علموا أنه كذب كما لا يجوز أن يصدقوا إلا بما علموا أنه صدق، وما لم يعلموا أنه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوا به كما أمرهم نبيهم محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –^(٧) وبهذا أمرهم^(٨)

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٢) في ك، ط (أنزل).

(٣) سقطت (لا) من س.

(٤) في ط (تختلف).

(٥) في ط (– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، عليهم أجمعين).

(٦) سقطت (لا) من ط . وهو خطأ.

(٧) في ك، ط (عليه السلام).

(٨) في س (أمر).

المسيح - عليه السلام -^(١) فقال: «الأمور ثلاثة: أمر تبين رشه، فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبواه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه»^(٢).

● ● ●

(١) في أ، س (ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ).

(٢) الحديث: أخرجه الطبراني في الكبير ٣٨٦ - ٣٨٧ (١٠٧٧٤) بسنده قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا محمد بن عمار الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، ثنا موسى بن خلف العمي، عن أبي المقدام، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن عيسى بن مريم - عليه السلام - قال: الأمور ثلاثة... وذكره.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٧/١، كتاب العلم، باب الأمور ثلاثة: رواه الطبراني في الكبير، ورجله موثقون.

فصل (١)

وإن أرادوا بتصديقه كتبهم أنه صدق ما هم عليه من العقائد والشرائع التي ابتدعواها بغير إذن من الله وخالفوا بها ما تقدمه من (٢) شرائع المسلمين أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به مثل القول بالثلث والآقانيم ، والقول بالحلول والاتحاد بين الالاهوت والناسوت ، وقولهم أن المسيح هو الله وابن الله وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله واليوم الآخر ، ومن تحليل ما حرمته الله ورسله كالخنزير وغيره وبين أنهم لا يدينون بدين الحق الذي أنزل به كتابه وأرسل به رسوله بل بدين مبتدع ابتدعه لهم أكابرهم كما قال – تعالى – :

﴿أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَنَّهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ أَبْنَى مَرْيَمَ...﴾ (٣).

(١) كلمة «فصل» هنا في غير موضعها لأنها بين كلام موصول.

(٢) في ط (مع) بدل (من).

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

والأحبار: جمع حبر، وهو الذي يحسن القول، وينظمه، ويتقنه بحسن البيان عنه، ومنه ثوب محبر أي: جمع الزينة، وقيل في واحد الأحبار: حبر: بكسر الحاء، والمفسرون على فتحها، وأهل اللغة على كسرها. وحبر بالفتح تعني عالم، وبالكسر: مداد. والرهبان: جمع راهب مأخوذ من الرهبة، والرهبان: علماء النصارى وهم المنقطعون للعبادة، المتبطلون، الذين تركوا الزوج والعمل. والأحبار كثرا إطلاقه على علماء اليهود. انظر تفسير القرطبي ١٢٠/٨ (مجلد ٤) وفتح القدير ٣٥٣/٢

وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك لعدي بن حاتم^(١) وكان نصراً لـ لما جاءه ليؤمن به وقد آمن به عدي وكان من خيار الصحابة فسمعه يقرأ هذه الآية:

﴿أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهِبَنَهُمْ أَرْبَابُهُمْ دُونَ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ
أَبْنَ مَرِيكَمْ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهَهَا وَحْدَهُ إِلَهٌ إِلَهٌ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾^(٢).

قال عدي : قلت يا رسول الله ما عبدهم.

قال : «إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم^(٣)
فكان ذلك عبادتهم إياهم»^(٤).

(١) عدي بن حاتم الطائي، أبو وهب ابن حاتم الجواد المشهور أمير، صحابي من الأجواد والعقلاء كان رئيس طيء في الجاهلية، والإسلام. أسلم سنة ٩ هـ وكان نصراً لـ لما جاءه ليؤمن به وقد آمن به عدي وكان من خيار الصحابة رضي الله عنه سنة ٦٨ هـ بالكوفة ولهم أكثر من مئة سنة.

انظر: الإصابة لابن حجر ٤٦٠ / ٥٤٧٧؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١٤٠ / ٣؛ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٣٣٣؛ والأعلام ٢٢٠ / ٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٣) سقطت (فأطاعوهم) من ك، ط.

(٤) الحديث: رواه الترمذى - مختصرأ - في التفسير، تفسير سورة التوبة ٥ / ٢٧٨ هـ ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعرفة في الحديث.

قلت: عبد السلام بن حرب النهدي، الملائى. بضم اليم، وتحقيق اللام، قال عنه ابن حجر في تقرير التهذيب ١ / ٥٠٥ «ثقة حافظ، له مناير، مات سنة ٨٨٧ هـ».

وأما غطيف بن أعين الشيباني الجزري. فهو ضعيف كما قال ابن حجر ٢ / ١٠٦ =

فإن أرادوا بتصديقهم^(١) في هذه الأمور أو أن محمدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صدق ما عندهم مما لم يأت به الأنبياء عن الله فقد كذبوا على محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) – كذبًا ظاهراً معلوماً بالاضطرار من دينه وإنما صدق ما جاءت به الأنبياء قبله.

وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدقوه كما أنه لم يشرع لهم أن يستمروا على ما هم عليه من الشرع الأول ولو لم يكن مبدلًا بل دعاهم وجميع الإنس والجن إلى الإيمان به وبما جاء به واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة، وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه، وأوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم في الدنيا حتى يكون الدين كله الله وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

وقد دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى عموماً ثم كلا من الطائفتين خصوصاً في غير موضع مع دعائه الناس كلهم: أهل الكتاب، وغيرهم كقوله – تعالى – :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ ﴾

تقريب التهذيب وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣٣٦/٣ بالضاد المعجمة وقال: ضعفه الدارقطني وقد أخرج الحديث الإمام أحمد في مسنده من طريقين. لكن في إحداهما رجل مجهول ٤/٣٧٨، ٢٥٧. ورواه ابن جرير الطبرى من عدة طرق ١٠/١١٤ (تفسير) وانظر: سيرة ابن هشام ٤/١٦٨؛ وتفسير ابن كثير ٢/٣٤٨ – ٣٤٩؛ وتفسير القرطبي ٨/١٢٠ (مجلد ٤)؛ وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٥٥؛ والدر المنشور للسيوطى ٣/٢٣٠ – ٢٣١ وقال محقق جامع الأصول (الأرناؤط) ٢/١٦١: «لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً أخرجه الطبرى برقم (١٦٦٣٤) ربما ينقوى .٤٤

(١) في ط زيادة لفظ (كتبهم).

(٢) سقطت جملة (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من س.

الزَّكُوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِتَائِبَةٍ مُّؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي أُلْمِيَ بِهِ
 الَّذِي يَحِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظِّبَابَ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَثَ وَيَضْعَفُ
 عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ مَأْمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ
 وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ يَكِيَّا إِلَيْهَا
 النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْكِمُ وَيُبَيِّنُ فَمَنْ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أُلْمِيَ بِهَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبَعَهُ أَعْلَمُكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾ .

وقال – تعالى – يخاطب النصارى :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَنْلُوْنِي دِينَكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمٍ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَقْتَلَهَا إِلَى مَرِيمٍ وَرُوحٌ مِنْهُ
 فَمَنْ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتُهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ
 سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلُدُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَنْ بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿٢٨﴾ لَنْ يَسْتَنِكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الْمُقْرِبُونَ وَمَنْ يَسْتَنِكِفَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِبِرُ فَسِيَحُّهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا
 فَأَمَّا الَّذِينَ أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُؤْفَقُهُمْ أُجُورُهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
 وَأَمَّا الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَحِدُونَ
 لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٩﴾ .

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٥٦ – ١٥٨ .

(٢) سورة النساء: الآيات ١٧١ – ١٧٣ .

وقال – تعالى – :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ (١).

وقال – تعالى – :

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَنَا أَخْذَنَا مِنْهُمْ فَنَسُوا حَظًا مِمَّا دُكِرُوا إِلَيْهِ فَأَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُبَيِّثُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٢).

أخبر – سبحانه – أن النصارى تركوا حظاً مما ذكرهم به، ويسبب ذلك أغري بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة، فعلم أنه – سبحانه – بين أنهم تركوا بعض ما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء، واستحقوا لذلك أن يغري بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة.

وقال – تعالى – :

﴿قُلْ يَأَهِلُ الْكِتَابُ لَا تَنْعَلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَنْتَبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلٍ وَأَضْلَلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٣).

فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع أهواه الذين ابتدعوا بدعا غيرها بها شرع المسيح، فضلوا من قبل هؤلاء الأتباع وأضلوا كثيراً من هؤلاء الأتباع وغيرهم، وضلوا عن سواء السبيل وهو وسط السبيل بين الضلال وقيده بعد أن أطلقه وأجمله.

(١) سورة المائدة: الآية ١٧ وآية ٧٢ من نفس السورة.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

وقال – تعالى – :

﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَحْرُمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعَظِّمُوا الْجِنَاحَيْةَ عَنْ يَدِهِمْ صَغِرُونَ﴾ (١).

وقد خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – لقتالهم بنفسه عام تبوك واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين ، و (٢) لم يأذن لأحد من القادرين على الغزو في التخلف ، ومن تخلف لأنه لم ير قتالهم واجباً كان كافراً ، وإن أظهر الإسلام كان منافقاً ملعوناً ، بين الله أنه لا يغفر لهم ونهى نبيه عن الصلاة عليهم وأنزل في ذلك جمهور سورة براءة بالنقل المتواتر حتى بين كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال النصارى :

قال – تعالى – :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَّنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَنَّا أَفْلَمْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْمُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَلَّا خِرَّةً فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الَّذِينَ فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا نَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُّ فَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَرِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ أَشْيَانِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَّا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْسَدَهُ بِجُنُودِهِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) سقطت الواو من أ، س، ك.

آتَفُرُوا خَفَافاً وَنِقَاءً أَوْ جَهِدُوا يَأْمُولُوكُمْ وَأَنفُسُكُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ
 لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١ لَوْكَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَا كُنَّ
 بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الْشُّفَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَهُ جَنَّا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ
 أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ٤٢ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذَنَ لَهُمْ حَقَّ يَسْبِيْنَ
 لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذَّابِينَ ٤٣ لَا يَسْتَغْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَهِّدُوا يَأْمُولُهُمْ وَأَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْتَقَيْنَ ٤٤ إِنَّمَا
 يَسْتَغْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ
 يَرْدَدُونَ ٤٥ ◆ وَلَوْأَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا عَدُوا لَهُمْ عَدَّةٌ وَلَا كِنَّ كَرِهَ اللَّهُ
 أَنْتَعَاهُمْ فَشَبَّهُمْ وَقَيْلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَدْعِينَ ٤٦ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا
 زَادُوكُمْ إِلَّا خَيْرًا وَلَا وَضَعُوا خِلْلَكُمْ يَعْنُونَ كُمُ الْفِتْنَةُ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٤٧ لَقَدْ أَبْسَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلٍ وَقَلَّبُوا الْأَمْوَارَ
 حَقَّ بَحَاءَ الْحَقِّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ٤٨

• • •

(١) سورة التوبة: الآيات ٣٨ - ٤٨.

فصل (١)

فتبيّن أن قولهم: فثبت بهذا ما معنا^(٢) نعم ونفي عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبدل لها والتغيير لما فيها بتصديقه إليها. إن^(٣) أرادوا^(٤) به أنه ثبت ما جاءت الأنبياء قبله عن الله، فهذا حق.

وإن أرادوا به^(٥) أنه ثبت ما هم عليه بعد مبعثه من الشرع الذي خالف شرعيه أو ما ابتدعوه^(٦) مما لم يأت به الأنبياء — عليهم السلام — قبله فهذا باطل.

وإن أرادوا بذلك^(٧) أنه صدق ألفاظ الكتب التي بأيدينا: أي التوراة والإنجيل فهذا مما يسلمه لهم بعض المسلمين، وينازعهم فيه أكثر المسلمين، وإن كان أكثر ذلك مما يسلمه أكثر المسلمين. فاما تحريف معاني الكتب بالتفسير، والتأويل، وتبدل أحکامها

(١) في جميع النسخ أثبتت هذه الكلمة (فصل) وهي في غير موضعها كما سبق الإشارة إلى نظيرها.

(٢) في ط (معناه).

(٣) سقطت (إن) من س.

(٤) في ط (أراد).

(٥) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٦) في أ (وهما).

(٧) سقطت (بذلك) من ط.

فجميع المسلمين واليهود، والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبدلها، كما يشهدون هم المسلمين على اليهود، بتحريف كثير من معانى التوراة، وتبدل أحكامها، وإن كانوا هم واليهود يقولون: إن التوراة لم تحرف ألفاظها.

وحيثند فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانها، إلا كما ينفع اليهود بقاء حروف التوراة والنبوات عندهم مع تحريف معانها، بل جميع النباتات التي يقرنون بها هي عند اليهود، وهم مع اليهود ينفون عنها التهم والتبدل لألفاظها مع أن اليهود عندهم من أعظم الخلق كفراً، واستحقاقاً لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهم عند النصارى الذين يكفرون المسلمين أكثر من هؤلاء وشر منهم؛ فإن النصارى متذمرون على أن المسلمين خير من اليهود، وكذلك اليهود متذمرون على أن المسلمين خير من النصارى بل جميع الأمم المخالفين لل المسلمين يشهدون أن المسلمين خير من سائر الأمم^(١) والطوائف إلا أنفسهم، وشهادتهم لأنفسهم لا تقبل فصار هذا اتفاق أهل الأرض على تفضيل دين الإسلام.

فعلم أن بقاء حروف الكتاب مع الإعراض عن اتباع معانها، وتحريفها لا يوجب إيمان أصحابها ولا يمنع كفرهم.

وحيثند فليس شهادة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته لل المسيح – عليه السلام – ولما أنزل عليه من الإنجيل في تثبيت ما عند النصارى بأعظم من شهادة المسيح – عليه السلام – ، والحواريين، وسائر من اتبعه لموسى ولما أنزل عليه من التوراة في تثبيت ما عند

(١) سقطت (الأمم) من س، ك، ط.

اليهود، فإن المسيح أمر أتباعه باتباع التوراة إلا القدر اليسير الذي نسخه منها.

وأما محمد – صلى الله عليه وسلم – فبعث بكتاب مستقل، وشرع مستقل كامل تام لم يحتاج معه إلى شرع سابق تعلمه أمته من غيره، ولا إلى شرع لاحق يكمل شرعيه، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح: «أنه^(١) قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد^(٢) فعمر»^(٣).

فجزم أن^(٤) من كان قبله كان فيهم محدثون وعلق الأمر في أمته، وإن كان هذا المعلق قد تحقق لأن أمته، لا تحتاج بعده إلىنبي آخر، فلأن لا تحتاج معه إلى محدث ملهم أولى وأحرى.

(١) في أ، س، ك (أنه قال)، وقال زائدة.

(٢) سقطت (أحد) من أ.

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الأنبياء ١٤٩ / ٤ بلفظ أنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وأنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه «عمر بن الخطاب»؛ ورواه في كتاب أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – باب مناقب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ٤ / ٢٠٠؛ ورواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عمر – رضي الله عنه – من حديث عائشة – رضي الله عنها – ٤ / ١٨٦٤ (٢٣) وزاد فيه (قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون)، ورواه الترمذى في المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ٥ / ٦٢٢ (٣٦٩٣) من حديث عائشة – رضي الله عنها – ، وأحمد في مسند أبي هريرة ٢ / ٣٣٩، وفي مسند عائشة ٦ / ٥٥. وعلق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على كلمة (محدثون) فقال: «اختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون فقال ابن وهب: ملهمون. وقيل: مصيرون، إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا. وقيل: تكلمهم الملائكة. وقال البخاري: يحرى الصواب على المستهم».

انظر تعليقه في: صحيح مسلم ٤ / ١٨٦٤.

(٤) في س، وهامش ك، ط (بيان).

وأما من كان قبله فكانوا^(١) يحتاجون إلى نبي بعد نبي فامكن حاجتهم إلى المحدثين الملهمين ولهذا إذا نزل^(٢) المسيح بن مريم في أمته لم يحكم فيهم إلا بشرع محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وإذا كان مع هذا فشهادة^(٣) المسيح، والحواريين، وكل من آمن بال المسيح للتوراة بأنها حق، ولم يموسى بأنه رسول لا يمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة، وكذبوا بال المسيح وبالإنجيل.

فكيف تكون شهادة محمد وأمته للإنجيل بأنه منزّل من عند الله، وللمسيح بأنه رسول الله مانعة من كفر النصارى مع تبديله شرع الإنجيل وتکذبیهم بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وشرع القرآن؟ .
وأما إيمان من يؤمن منهم بأن محمداً رسول الله إلى العرب أو بكثير مما جاء به القرآن، فلا يمنع كفرهم إذا كفروا ببعض ما جاء به، بل من كذب بشيء مما جاءت به الرسل عن الله فهو كافر، وإن آمن بأكثر ما جاءت به الرسل كما قال – تعالى – :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَضٍ وَنَكُنْ فِي بَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا ١٦٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ٤٠ ﴾ .

وقال – تعالى – :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُهُمْ مَنْ

(١) في ط (فإنهم كانوا).

(٢) في ط، (أنزل).

(٣) في أ ، س (شهادة).

(٤) سورة النساء: الآياتان ١٥٠، ١٥١.

يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَزْنٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدَّ
الْعَذَابِ وَمَا أَلَّهُ بِغَنَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

وقد صرخ بکفر النصارى في غير موضع وأمر بجهادهم وقتالهم ،
وحكم بکفر من لا يوجب جهادهم وقتالهم أولاً يرى ذلك عبادة الله وطاعة
له كما تقدم التنبيه على ذلك ، فإذا كان من لا يرى جهادهم عبادة الله ،
كافراً عند محمد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكيف حالهم عنده
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

• • •

(١) سورة البقرة: الآية ٨٥.

فصل

وإذا تبَيَّنَ للخاصة وال العامة ممن آمن بِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومن^(١) كَفَرَ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مَصْدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَبِ، وَالْأَنْبِيَاءُ، مَصْدِقًا لِلتُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ شَاهِدًا بِأَنَّ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ –، وَمَنْ كَانَ مَتَّبِعًا لَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَمَنْ اتَّبَعَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ يَكْفُرُ جَمِيعَ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى، وَغَيْرَهُمْ مِنْ بَلْغَتْهُ رِسَالَتُهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَشَهَدَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ حَرَفُوا كَثِيرًا مِنْ مَعْنَى التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ قَبْلَ نِبُوَتِهِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كُلُّهُمْ مَعَ^(٢) الْمُسْلِمِينَ يَشْهُدُونَ أَيْضًا بِأَنَّ كَثِيرًا^(٣) مِنْ مَعْنَى التُّورَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ حَرْفُهَا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَحْتَجْ بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى صَحَّةِ دِيَنِهِمُ الَّذِي شَهَدَ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَنَّهُ باطِلٌ مُبَدِّلٌ مَنْسُوخٌ وَأَهْلُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ كَمَا تَقْدِمُ بِسَطْهِ^(٤).

وإذا قالوا: نحن نذكر ذلك لنبين تناقضه حيث صدقها، وهي تناقض بعض ما أخبر به، أو لنبين أن ما أخبرت به الأنبياء قبله ينافق خبره فيكون ذلك قدحًا فيما جاء به.

(١) سقطت (من) من أوزدنها من سائر النسخ.

(٢) في ط (من) بدل (مع). وهو خطأ.

(٣) في أ (كثير) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) بسط ذلك في أول الكتاب، وانظر: ٣٨١ من ط (المدني).

أجاب المسلمين عن هذا بعدة طرق:

أحداها: أن يقولوا: أما مناقضة بعض خبره لبعض كما يزعمه هؤلاء من أن^(١) كتابه يمدح أهل الكتاب مرة ويندمهم أخرى وأنه يصدق الكتب المنزلة تارة، ويندمها أخرى، فهذا قد ظهر بطلانه، فإنه إنما مدح من اتبع موسى، والمسيح على الدين الذي لم يبدل ولم ينسخ.

وأما من اتبع الدين المبدل المنسوخ فقد كفره.

فاما دعواهم مناقضة خبره لخبر غيره فيقال: هو مصدق للأنباء فيما أخبروا به.

وأما ما بدل^(٢) من ألفاظهم أو غيرها^(٣) بالترجمة أو فسر بغير مرادهم فلم يصدقه. ويقال أيضاً: إن نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - تثبت^(٤) بمثل ما تثبت به نبوات الأنبياء قبله وبأعظم من ذلك، كما قد بسط في موضع آخر^(٥)، وبُين أن التكذيب بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - مع التصديق بنبوة غيره في^(٦) غاية التناقض والفساد، وأنه ما من طريق يعلم بها نبوة غيره إلّا^(٧) ونبيته تعلم بمثل^(٨) تلك الطريق، وبأعظم منها. فلو لم تكن نبوته وطريق^(٩) ثبوتها^(١٠) إلّا

(١) في س (أهل) بدل (أن).

(٢) في ط (يدل) بالمنتهى التحتية وهو خطأ.

(٣) في أ، س، ك (أو غير).

(٤) في ط (ثبت).

(٥) انظر: ١/٣٣٤ من ط (المدني).

(٦) في س، ك، ط (فمن).

(٧) في س، ك (إلّا).

(٩) في س، ك، ط (طريق).

(١٠) في س، ك، ط (نبوتها).

(٨) في س (مثل).

مثل نبوة غيره وطريق ثبوتها^(١) لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره؛ ولكن تكذيبه كتكذيب إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل. فكيف إذا كان ذلك^(٢) أعظم من وجوه متعددة؟

وحيثئذ، فالأنبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون به^(٣) عن الله لا يجوز أن يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل، لا عمداً ولا خطأ، فلا يجوز أن يخبر أحدهم بخلاف ما أخبر به غيره، بل ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال - تعالى - :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّنَا بِهِ، نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تُشْرِقُوا فِيهِ﴾^(٤).

وقال - تعالى - :

﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّهُمْ لَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ^(٥) وَلَئِنْ هَذِهِ أُمَّةٌ كُمْ أَمَّةٌ وَحِدَةٌ وَأَنَا بِكُمْ فَانِقُونَ^(٦) فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بِيَنْهِمْ زِبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَرِحُونَ^(٧)﴾.

ولإنما يقع النسخ في بعض الشرائع كما يقع النسخ في شريعة الرسول الواحد وحيثئذ فيعلم أن كل ما ينقل عن الأنبياء المتقدمين مما ينافق^(٨) ما علم من أخبار محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو باطل. سواء كان اللفظ نفسه باطلأ لم يقله ذلك النبي أو قد قال لفظاً وغلط

(١) في س، ك، ط (نبوتها).

(٢) سقطت (ذلك) من ط .

(٣) سقطت (به) من س، ك، ط .

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣ .

(٥) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ - ٥٣ .

(٦) في ط (ينقض) .

المترجمون له من لغة إلى لغة، أو كان اللفظ وترجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبي^(١) بذلك الكلام.

فإن كل ما يحتاج به من الألفاظ المنقولة عن الأنبياء أنبياء بني إسرائيل وغيرهم ممن أرسل بغير اللغة العربية لا بد في الاحتجاج باللفاظ من هذه المقدمات أن يعلم اللفظ الذي قاله ويعلم ترجمته ويعلم مراده بذلك اللفظ^(٢).

وال المسلمين وأهل الكتاب متفقون على وقوع^(٣) الغلط في تفسير بعض الألفاظ وبيان مراد الأنبياء بها وفي ترجمة بعضها؛ فإنك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينها فروق يختلف^(٤) بها المعنى المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره فهذا الطريق في الجواب طريق عام لكل من آمن بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وشهد أنه رسول الله باطنًا وظاهرًا يخاطب به كل يهودي ونصراني على وجه الأرض. وإن لم يكن عارفًا بما عند أهل الكتاب فإنه لا يقدر أحد من أهل الأرض يقيم^(٥) دليلاً صحيحاً على نبوة موسى وعيسى وبطلان نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فإن هذا ممتنع لذاته. بل ولا يمكنه أن يقيم دليلاً صحيحاً على نبوة أحدهما إلا وإقامة مثل ذلك الدليل أو أعظم منه على نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أولى. وحينئذ فلا يمكن أحداً من أهل

(١) في س (الشي) وهو تصحيف.

(٢) أشار – رحمه الله – إلى هذه المقدمات في أول الكتاب عندما بدأ مناقشة لهم في دعواهم خصوصية رسالة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، بالعرب وحدهم.

(٣) في ط (وقع).

(٤) سيأتي توضيح لهذه المسألة فيما بعد إن شاء الله.

(٥) في ط (أن يقيم).

الكتاب أن يحتاج بشيء من المنقولات عن الأنبياء المخالفة لما ثبت عن محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، سواء أقر بنبوته أو أنكرها، بل إن احتاج بشيء مما نقل عن محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، بين له بطلان احتجاجه به وأنه حجة عليه، لا له.

وإن احتاج بشيء من المنقول عن غيره من الأنبياء - عليهم السلام - طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإنّا بتقدير أن ينقل عن اثنين ادعيا النبوة وأتيا بالأيات التي تثبت بها النبوات خبران مناقضان لا يجوز تصديق هذا وتکذيب ذاك إن لم يتبيّن ما يدل على صدق هذا وكذب هذا، وكذلك إذا عورض أحدهما بجنس ما يعارض الآخر.

وهذا لا يرد على المسلمين إذا ردوا ما يحتاج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الأنبياء مخالفًا لخبر - محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ فإن المسلمين لا يطعنون في نبوة^(١) أحد من الأنبياء المعروفين، وإنما يطعنون في أنهم أخبروا بما يخالف خبر محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فإن ذلك لا يثبت. أي لم يثبت اللفظ والترجمة، وتفسير اللفظ. وهذه المقدمات يمتنع^(٢) أن تقوم على شيء يخالف خبر محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا جملة ولا تفصيلاً.

فأهل^(٣) الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات: أحدها^(٤): تقدير أن أولئك صادقون، ومحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كاذب.

(١) في س (قبره) وهو تصحيف ظاهر. (٣) في س (أهل).

(٢) في ط (تمتنع) بالمثلثة الفوقيّة. (٤) في ط (أحدهما) وهو خطأ.

والثاني: ثبوت ما أتوا به لفظاً.

والثالث: معرفة^(١) المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً. وإن قال الكتابي^(٢) للMuslim: أنت توافقني على نبوة هؤلاء المتقدمين. إجابة Muslim بوجوه:

منها أن يقول: إني لم أافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بل دين المسلمين كلهم، أنه من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فهو كافر، فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين أفضل الأنبياء وختامهم، بل قد يقول له أكثر المسلمين: نحن لم نعلم نبوة أولئك إلاً بأخبار محمد، أنهم أنبياء، فلو قدحنا في الأصل الذي قد علمنا^(٣) به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم، والفرع إذا قدح في أصله دل على فساده في نفسه، سواء قدر أصله صحيحاً أو فاسداً؛ فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو، وإن كان أصله صحيحاً وهو ينافقه بطل هو، فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو، وإن كان أصله صحيحاً وهو ينافقه بطل هو، فهو إذاً ناقص أصله^(٤) باطل على كل تقدير.

وكذلك إذا قال له الكتابي: قد اتفقنا على تصديق موسى والторاة، و^(٥) المسيح والإنجيل.

قال له Muslim: إنما وافقتك على تصديق موسى وعيسى اللذين

(١) في ط (بمعرفة).

(٢) سقطت (الكتابي) من ك.

(٣) في س (علمت).

(٤) في أ (بان أصله) وقد علق على الكلمة (بان) في الهاشم فقال: «كأنها زائدة أو يكون بـان ما مضى: تبين، بمعنى ظهر ويكون (أن) ولكن سقطت والله أعلم».

(٥) في س، ك، ط (أو).

بشرًا، بمحمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، كَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ اللهِ حِيثُ قَالَ اللهُ – تَعَالَى – :

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الرَّكْوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥) الَّذِينَ يَتَّقُونَ الرَّسُولُ الَّذِي أَمْرَى
الَّذِي يَحْدُونَهُ مَكْثُوْبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرِيْةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ... (١٦) الآية.

وقال - تعالى - :

فَوَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبَغِي إِسْرَئِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّتَعْلَمَنَ يَدَىَ مِنَ الْأَتْوَرِ إِنَّهُ وَمُبَشِّرٌ إِلَيْكُمْ بِأَنَّكُمْ مُّهْمَّةٌ أَمْمَةٌ . . . (٢).

إلى أمثال ذلك.

فَلَمَّا أَلِيمَانَ بِمُوسَى، الَّذِي (٣) ذَكَرَ أَنَّ شَرِيعَتَهُ مُؤَيَّدَةٌ لَا يَنْسَخُ مِنْهَا
شَيْءٌ، أَوْ بِمُسْبِحٍ أَدْعَى أَنَّهُ اللَّهُ أَوْ أَنَّ اللَّهَ اتَّحَدَ بِهِ أَوْ حَلَّ فِيهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ
مَا يَدْعِيهِ أَهْلُ الْكِتَابَ فِي الرَّسُولِينَ، وَالْكُتُبِينَ، وَيُخَالِفُهُمْ فِيهِ
الْمُسْلِمُونَ، فَهَذَا مِنْ مَوَارِدِ النِّزَاعِ، لَا مِنْ مَوَاقِعِ الْإِجْمَاعِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَحْتَجَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمُوافِقَتِهِ لِهِ عَلَى
ذَلِكَ .

ومن تمام ذلك أن يقول المسلم: نعم أنا أقر بنبوة موسى وال المسيح ، وإن التوراة والإنجيل كلام الله ، لكن يمتنع عقلاً الإقرار بنبوة واحد من هؤلاء ، دون نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فإن

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٥٦، ١٥٧.

٢) سورة الصاف: الآية ٦.

٣) سقطت (الذى) من ك.

البراهين، والآيات، والأدلة الدالة على صدق موسى وال المسيح تدل على نبوة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بطريق الأولى، فلو^(١) انتقضت تلك الأدلة لزم فسادها، وأن لا أصدق بأحد من الأنبياء، وإن كانت حقاً لزم تصديقهم كلهم، فلزم^(٢) إما^(٣) أن نصدقهم^(٤) كلهم، وإما أن نكذبهم^(٥) كلهم، ولهذا كان من آمن ببعض، وكذب ببعض كافراً.

ومن الأحجية لل المسلمين أن يقولوا: نحن نصدق الأنبياء المتقدمين في كل ما أخبروا به لكن من نقل عنهم أنهم أخبروا بما ينافق خبر محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فلا بد له من مقدمتين، ثبوت ذلك اللفظ عن الأنبياء، والعلم بمعناه الذي يعلم أنه منافق للمعنى الذي علم أن محمداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عنه، ثم العلم باللفظ يحتاج مع الخطاب بغير ألسن الأنبياء العربية سواء كانت عربية، أو رومية، أو سريانية، أو قبطية، إلى أن يعرف أن هذا اللفظ الذي ترجم به لفظه مطابق للفظه، ويمتنع ثبوت المقدمتين، لأن في ثبوتهما تناقض الأدلة العلمية، والأدلة العلمية لا تتناقض^(٦).

الطريق^(٧) الثاني: أن يقول المسلمون: ما تذكرونه من المنقول عن الأنبياء، مناقضة لما أخبر به محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أمور لم تعلم صحتها، فلا^(٨) يجوز اعتقاد ثبوتها، والجزم بها، ولو لم يعلم

(١) في ك (ولو).

(٢) سقطت (فلزم) من س.

(٣) سقطت (إما) من ك.

(٤) في ك، ط (أصدقهم) وفي س (صدقهم).

(٥) في س، ك، ط (أكذبهم). (٧) سقط (الطريق) من ك.

(٦) في ك (تناقض). (٨) في ك، ط (ولا).

أن محمداً - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، أخبر بخلافها فكيف إذا علم أنه أخبر بخلافها؟ وذلك أن العلم بثبوتها مبني على مقدمات:

أحدها: العلم بنبوتهم^(١) وهذا ممتنع مع تكذيب محمد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

والثانية: أنهم قالوا: هذه الألفاظ، وهذا يحتاج إلى إثبات تواتر هذه الألفاظ عن الأنبياء، ولم يثبت أنها تواترت عنهم.

والثالثة: أن معناها، هو المعنى المناقض لخبر محمد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ولم يعلم ذلك.

وكل واحدة من هذه المقدمات تمنع^(٢) العلم بثبوت هذه المعاني المناقضة لخبر محمد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكيف إذا اجتمعت؟

وهي تمنع العلم بصحتها، ولو لم تناقض خبر محمد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكيف إذا ناقضتها؟

الطريق الثالث: طريق من يبيّن^(٣) أن ألفاظ هذه الكتب لم تتواتر، ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التوراة^(٤)، لما خرب بيت المقدس، وانقطاع تواتر الإنجيل في أول الأمر.

الطريق الرابع: طريق من يبيّن أن بعض ألفاظ الكتب حرفت،

(١) في ط (بنبوتها).

(٢) في ك، ط (يمنع) بالمثناة التحتية.

(٣) في ك، ط (يتبيّن).

(٤) في جميع النسخ بعد كلمة (التوراة) جملة زائدة لا مكان لها وهي (ووسط الأمر)، وأرى أن مكانها في آخر الجملة مع إضافة كلمة (يأتي) وسيحدث عن ذلك بعد قليل.

ويقيم الأدلة الشرعية، والعقلية على تبديل بعض ألفاظها.

الطريق الخامس: أن يُبيّن أن الألفاظ التي بأيديهم لا تناقض ما أخبر به محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بل تدل على صدق محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ويتكلم على تفسير تلك الألفاظ بأعيانها.

وهذه الطريق^(١) يسلكها من لا ينزع في ثبوت الألفاظ من المسلمين.

وأما الجمّهور الذين يقولون بتبديل هذه الألفاظ فيسلكون هذه الطريق^(٢)، ويسلكون أيضاً بيان عدم تواتر الألفاظ، بل بيان التبديل في ألفاظها.

• • •

(١) في سن، ط (الطرق) والصواب ما أثبناه.

(٢) في ك، ط (الطرق).

فصل (١)

ومن حجة الجمهور الذين يمنعون أن تكون جميع ألفاظ هذه الكتب المتقدمة الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند الله، لم يقع فيها تبديل، ويقولون: إنه وقع التبديل في بعض ألفاظها، و^(٢) يقولون: إنه لم يعلم أن ألفاظها منزلة من عند الله، فلا يجوز أن يحتاج بما فيها من الألفاظ في معارضته ما علم ثبوته أنهم قالوا: التوراة والإنجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواءر عن موسى، وعيسى - عليهما السلام - أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً، وأجلى منه بنو إسرائيل، ثم ^(٣) ذكروا أن الذي أملأها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عزرا ^(٤) ^(*)، وزعموا أنهنبي.

(١) مكانه بياض في ك.

(٢) في س، ك، ط (أ).

(٣) في س (ثم قد ذكروا).

(٤) هو عزرا بن سرايا من نسل هارون، كاتب، وقاهن ماهر في العقائد الإسرائيلية ويدرك السموأل في إفحام اليهود ص ٥٠ - وهو من اليهود الذين أسلموا - أن هذا الرجل هو الذي جمع التوراة الموجودة بعد الغزو البابلي من محفوظاته ومن الكهنة ولم يست للتوراة الأصلية.

(*) وينبغي أن نعلم هذه الحقائق فيما يتعلق بهذه المسألة:

أولاً: التوراة الأصلية مبرأة من التحرير والزيادة والنقصان.

ثانياً: استفاض عن علماء اليهود أن موسى - عليه السلام - أعطى التوراة الأصلية للهارونيين فقط، وأما بني إسرائيل عامة فإنه لم يعطهم التوراة خشية الاختلاف والانقسام. وإنما أبدى لهم نصف سورة لتكون شاهدة عليهم ولا تنسى من أنفواه أولادهم كما ورد.

=

ومن الناس من يقول: إنه لم يكننبياً، وإنها قوبلت بنسخة،
ووجدت^(١) عتيقة.

وقد^(٢) قيل: إنه أحضرت نسخة كانت بالمغرب، وهذا كله
لا يوجب توادر جميع ألفاظها، ولا يمنع وقوع الغلط في بعضها كما
يجري مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها^(٣)، وحفظها
القليل. الاثنان والثلاثة.

ثالثاً: عندما غزا بختنصر ملك بابل بني إسرائيل أحرق هيكلهم وقتل الهارونيين
واستولى على بيت المقدس، وأحرق كتبهم فانقطع السند بذلك، وذهبت التوراة
الأصلية.

رابعاً: لما رجع بنو إسرائيل ورأى عزرا حالتهم، وتفرقهم، قرر أن يجمع لهم كتاباً
يجتمعون عليه، فكتب التوراة من محفوظاته، وجمع ما تبقى عند الكهنة، فخرجت
التوراة الموجودة في صورتها المحرفة، والتي كانت من جمع هذا الرجل الذي
وصفه السموأل بأنه رجل فارغ، جاهم بالصفات الإلهية فلذلك نسب إلى الله تعالى
ما لا يليق به، مثل الندم على ما مضى، والإقلال عن مثله. تعالى الله علوأ كيراً
وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿فَوَلِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ يَأْيُدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيُشَرِّعُوا بِهِ ثُمَّ نَأْمَنُ أَقْيَلًا فَوَلِيلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَلِيلٌ لَّهُمْ مِّمَّا
يَكْسِبُونَ﴾** [البقرة: ٧٩].

انظر: إفحام اليهود ص ٥٠ - ٥١؛ وهداية الحيارى ٥٨٣ - ٥٨٤ (المجموع)؛
وكتاب شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للمجويي ص ٣١ فما
بعدها بتحقيق الدكتور السقا؛ والتراث الإسرائيلي للدكتور صابر طعيمة ص ٧٠ -
٧٦.

أما الأنجليل: فإنها كتبت بعد المسيح - عليه السلام - لتحدث الناس عما أحاط
بولادة عيسى - عليه السلام - من العجائب والغرائب، وتحكي تاريخاً، وسيرة
للسيد المسيح.

(١) في لـ، ط (وجدوها).

(٢) سقطت (قد) من لـ، ط.

(٣) في سـ، لـ (ومقابلاها).

وأما الإنجيل الذي بآيديهم فهم^(١) معترفون بأنه لم يكتبه المسيح – عليه السلام – ولا أملأه على من كتبه، وإنما أملوه^(٢) بعد رفع المسيح «متى» و«يوحنا» – وكان قد صحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر – و«مرقس» و«لوقا»، وهما لم يريا المسيح – عليه السلام – ، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح، وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله، وأفعاله.

ونقل اثنين، وثلاثة، وأربعة يجوز عليه^(٣) الغلط، لا سيما، وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب، ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسول الله مثل عيسى بن مريم^(٤)، وموسى عليهما السلام – ، وأنهم معصومون، وأنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل، وأن لهم معجزات، وقالوا لهم هذه التوراة وهذا الإنجيل، ويقرون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء، فإذا^(٥) لم يكونوا أنبياء، فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ، ولو كان من^(٦) أعظم أولياء الله، ولو كان له خوارق عادات. فأبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وغيرهم من أفالصل الصحابة عند المسلمين أفضل من الحواريين، ولا معصوم عندهم إلا من كاننبياً.

ودعوى أنهم رسول الله مع كونهم ليسوا بأنبياء تناقض، وكونهم رسول الله هو مبني على كون المسيح هو الله، فإنهم رسول المسيح ، وهذا

(١) في س، لـ، (فإنهم).

(٢) في ط (أملأه).

(٣) في ط (عليهم).

(٤) في أ، س (إبراهيم) مكان (عيسى بن مريم).

(٥) في س (وإذا).

(٦) سقطت (من) من أ وأحقناتها من سائر النسخ.

الأصل باطل ولكن في طريق^(١) المناظرة، والمجادلة والتي هي أحسن نمنعهم^(٢) في هذا المقام ونطالعهم بالدليل على أنهم رسول الله، وليس لهم على ذلك دليل فإنه لا يثبت أنهم رسول الله إن لم يثبت أن المسيح هو الله، وإثباتهم أن المسيح هو الله إما أن يكون بالعقل أو بالسمع. والعقل لا يثبت ذلك، بل^(٣) يحيله وهم لا يدعون ثبوت ذلك بالعقل.

بل غاية ما يدعون إثباتاته بالعقل لا إثباتاته وجوده مع أن ذلك أيضاً باطل وإنما يدعون ثبوت وجوده بالسمع، وهو^(٤) ما ينقلونه عن الأنبياء من ألفاظ يدعون ثبوتها عن الأنبياء، ودلائلها على أن المسيح هو الله كسائر من يحتاج بالحججة السمعية. فإن عامة بيان صحة الإسناد دون بيان دلالة المتن، وكلا المقدمتين باطلة.

ولكن يقال لهم في هذا المقام: أنتم لا يمكنكم إثباتات كون المسيح هو الله إلاً بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلاً بإثباتات أن الحواريين رسول الله معصومون، ولا يمكنكم^(٥) إثباتات أنهم رسول الله إلاً بإثباتات أن المسيح هو الله فصار ذلك دوراً ممتنعاً^(٦).

(١) في ك، ط (طرق).

(٢) في ك، ط (فمنعهم).

(٣) سقطت (بل) من ك وفيها (بحيلة) بالباء الموجدة وهو تصحيف.

(٤) في ك (وهم) وسقطت منها (ما).

(٥) في س، ك، ط (يمكنهم).

(٦) الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس أو بمراتب، ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) و(ب) على (ج) و(ج) على (أ). هذا ما ورد في التعريفات للجرجاني ص ١١٠ - ١١١، وقال في دائرة معارف القرن العشرين ٩١/٤ «الدور: عود الشيء لأصله، جمعه أدوار».

فإنه لا تعلم إلهية المسيح إلاً بثبوت هذه الكتب، ولا ثبت هذه الكتب إلاً بثبوت أنهم رسول الله، ولا يثبت ذلك إلاً بثبوت أنه الله، فصار ثبوت الإلهية متوقفاً على ثبوت إلهيته^(١)، وثبوت كونهم رسول الله متوقفاً على كونهم رسول الله، فصار ذلك دوراً ممتنعاً.

قد يدعون عصمة الحواريين، وعصمة أهل المجامع بعد الحواريين، كأهل المجمع الأول الذي كان بحضور قسطنطين الذي حضره ثلاثة وثمانية عشر، ووضعوا لهم الأمانة التي هي عقيدة النصارى، التي لا يصح لهم قربان إلاً بها^(٢) فيزعمون أن الحواريين

(١) في س (الإلهية).

(٢) هذا مجمع (نيقية) بالكسر ثم السكون، وكسر القاف، وباء خفيفة، من أعمال إسطانبول (إحدى مدن تركيا اليوم). انظر مراصد الاطلاع ١٤١٢/٣.

وقد عقد هذا المجمع ٣٢٥ بأمر من الملك الروماني (قسطنطين) الذي رأى الخلاف بين النصارى في شأن المسيح – عليه السلام – شديداً. فمن قائل أنه رسول، ومن قائل أنه أعلى من رسول، وأنه بمنزلة الابن لله، ومن قائل أنه ابن الله، له صفة القدم.

فكان هذا سبباً لعقد هذا المجمع ليتحدوا على رأي واحد. وقد ذكر سبب آخر وهو أن أريوس أحد علماء النصارى، كان قد قاوم كنيسة الإسكندرية التي كانت تبأليهية المسيح بين المسيحيين، وقد ذكر ابن البطريق في تاريخه (نظم الجوهر) مذهبها هذا وستائي ترجمته.

كما أشار إلى هذا صاحب كتاب تاريخ الأقباط (زكي شنودة). وقد احتمم التزاع بين أريوس، والإسكندر صاحب كنيسة الإسكندرية، فتدخل قسطنطين ودعاهما للوفاق، ثم جمع بينهما، ولكنهما لم يتفقا، فجمع مجمع نيقية، وحضره ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً انفصل منهم ثلاثة وثمانية عشر، برأي انفقو عليهم وهو: تاليه المسيح – عليه السلام – وجئن قسطنطين إلى هذا القول؛ لموافقته هو في نفسه، فهو الأقرب إلى وثنيته، واستبعد الجميع الغفير منهم، وأمر بعد مجمع خاص بهؤلاء النفر، وأصدروا فيه ما يسمى عندهم قانون الأمانة الذي سبق نصه. وسنشير إلى بقية المجامع الرئيسية فيما بعد إن شاء الله.

=

أو هؤلاء جرت على أيديهم خوارق، وقد يذكرون أن منهم من جرى إحياء الموتى^(١) على يديه، وهذا إذا كان صحيحاً - مع أن صاحبه لم يذكر أنهنبي - لا يدل على عصمته^(٢)؛ فإن أولياء الله من الصحابة، والتابعين بعدهم بياحسان وسائر أولياء الله من هذه الأمة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه، وليس فيهم معصوم، يجب قبول كل ما يقول، بل يجوز الغلط على كل واحد منهم، وكل أحد يؤخذ من قوله، ويترك إلأ الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا أوجب الله الإيمان بما^(٣) أورته^(٤) الأنبياء، ولم يجب الإيمان

انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ص ١٣٥، ط مطبعة الآباء اليسوعية بيروت ١٩٠٥ م.

وخلاصة الأصول الإيمانية ص ٦٦؛ وحياة قسطنطين ص ٨٦، ناليف يوسابيوس القيصري.

(١) في س، ك، ط (الميت).

(٢) زعم النصارى بأن عيسى - عليه السلام - أيد بعض الحواريين بإحياء الموتى فأحيوا الموتى كمثل ما فعل عيسى، وقد وردت في الإنجيل فقرات تشير إلى هذا، ففي إنجيل متى للإصلاح العاشر ورد قوله: «وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا (بلغوا) قاتلين أنه قد اقترب ملوكوت السماوات. اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتي. أخرجوا شياطين».

قلت: وهذا - إن صحيحة - أمر وليس إخباراً، ثم إنه لوحصل فإنه لا يدل على عصمة من حصل منه. كما ذكر ابن تيمية - رحمة الله - ويحتمل أن يكون المراد تطهير المرضى من دون الكفر، وشفاءهم وإحياءهم بالإيمان بالله، وقد ورد في كتاب الله تعالى - في سورة الأنعام الآية ١٢٢: «أو من كان ميتاً فاحيئناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» الآية. وانظر: كتاب أبي عبيدة الخزرجي مقامع هامات الصليبان، بتحقيق د. محمد شامة والكتاب بعنوان بين الإسلام والمسيحية ص ٧٧.

(٣) في ط (بكل ما).

(٤) في أ، ك (أورته).

بكل ما يقوله كل ولی الله .

قال — تعالى — :

﴿فُوْلُوا مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَلَا سَمْعَيْلَ وَلَا شَحْقَنَ وَلَا قَوْبَ وَلَا سَبَاطٍ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْقِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١) .

وقال — تعالى — :

﴿وَلِكُنَّ الَّرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَئِكَةَ وَالْكِتَبَ وَالنَّبِيِّنَ﴾^(٢) .

ولهذا وجوب الإيمان بالأنبياء جميعهم وما أوتوه كلهم .

ومن كذب نبياً واحداً تعلم نبوته ، فهو كافر باتفاق المسلمين ، ومن سبه وجب قتله كذلك ، بخلاف من ليس بنبي فلأنه لا يكفر أحد بمخالفته ، ولا يقتل بمجرد سبه إلا أن يقترن بالسب ما يكون مبيحاً للدم .

والذي عليه سلف الأمة كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين ، وجماهير المسلمين ، أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وليس بعد الأنبياء أفضل منهما ، وهذه الأمة أفضل الأمم ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي — صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أنه قال: «قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمرا»^(٣) والمحدث الملهم: المخاطب .

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧ .

(٣) سبق تخریج الحديث .

وكان عمر قد جعل الله الحق على قلبه ولسانه، وما كان يقول شيئاً: إني لأراه كذا وكذا، إلّا كان كما يقول^(١)، وكانت السكينة تتنطق على لسانه، ومع هذا فلم يكن - لا هو ولا غيره منمن ليس بنبي - معصوماً^(٢) من الغلط، ولا يجب على المسلم قبول ما يقوله^(٣) إن لم يدل عليه الكتاب والسنة، ولا كان يجوز له العمل بما يلقى في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك ردّه.

وعند المسلمين أنه ليس في أتباع المسيح - عليه السلام - مثل أبي بكر وعمر - رضوان الله عليهما - فإذا قالوا عن الحواريين: أنهم ليسوا معصومين، فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من الحواريين^(٤)، كما أنهم إذا قالوا عن المسيح: أنه عبد مخلوق ليس بآله، فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من المسيح كمحمد وإبراهيم عليهما^(٥) أفضل الصلاة والسلام.

وفي الملاحدة المتسبيين إلى الأمة من فيه بدع من الغلو يشبه غلو النصارى كمن يدعى^(٦) الإلهية

(١) انظر: صحيح البخاري ١٩٨/٤ (مناقب عمر رضي الله عنه)؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر وخصوصاً حديث رقم (٢٤)، (٢٥) وكيف أنه وافق ربه في أمور عدّة وهي، مقام العجب، وأساري بدر، وترك الصلاة على المنافقين، وتحريم الخمر، وغيرها ١٨٦٥/٤.

(٢) في أ، س، ك (معصوم) وهو خطأ.

(٣) في س (ويقول)، وفي ك سقط في هذا الموضوع.

(٤) في س (من الحواريون) وهو خطأ.

(٥) في س، ك (عليهم).

(٦) في ط (من يدعى).

من الإسماعيلية^(١) كبني عبيد^(٢) القداح^(٣) ،

(١) الإسماعيلية: نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الطالبي الهاشمي، سابع الأنبياء. وهم إحدى فرق الباطنية، التي سبق الحديث عنها في أول الكتاب، وقد ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل، وقد افتقروا إلى فرقتين:

فرقة متظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أهل التواريخ على موت إسماعيل قبل أبيه كما قال الإسفرييني رحمة الله.

والفرقة الثانية: تقول كان الإمام بعد جعفر سبطه (محمد بن إسماعيل بن جعفر) حيث أن جعفراً، نصب ابنه إسماعيل للإمامية بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه، علم أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامية ابنه محمد بن إسماعيل، قال الإسفرييني وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية.

انظر في هذه الفرقة: الملل والنحل ٢/٥؛ وتلبيس إبليس ص ١٠٢؛ فضائح الباطنية ص ٥٥؛ وقواعد عقائد آل محمد (الباطنية) للديلمي ص ٧٧؛ وسمط الحقائق لأحد دعاء الإسماعيلية علي بن حنظلة الوادعي ص ١٥ فما بعدها؛ والتبصير في الدين ص ٢٣؛ والفرق بين الفرق ص ٦٢؛ واعتقادات فرق المسلمين وال MSR كين ص ٥٤؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٩٤ (رسالة ماجستير).

(٢) بني عبيد (هم الفاطميين) أصحاب مصر وهم العبيديون، وجدهم عبيد الله بن محمد العبيب بن جعفر الفاطمي، العلوى من ولد جعفر الصادق، أسس دولة العلوين في المغرب، وفي نسبة خلاف طويل، ولد بالكوفة سنة ٢٥٩، وظهر سنة ٢٩٦ هـ في المغرب (بسجل ماسة) واستفحى أمره حتى بُويع في القيروان سنة ٢٩٧ هـ، ثم اخْتَطَ مدينتي (المهدية) بال المغرب سنة ٣٠٣ هـ واتخذها قاعدة لملكه ومات بها سنة ٣٢٢ هـ بعد حكم دام أربعين وعشرين سنة.

انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٧٩، ووفيات الأعيان ١/٢٧٢، والأعلام ٤/١٩٧.

(٣) انظر: ميمون بن داود القداح. قيل: اسم أبيه ديسان، وقيل: غيلان، وهو رأس الفرق الميمونية من فرق الإسماعيلية، كان يظهر التشيع، ويبطن الزندقة، وقد قيل: إن الفاطميين من نسله قال الزركلي في الأعلام ولم يصح هذا. وكانت وفاته سنة ٤١٧ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/٣٤١.

كالحاكم^(١) وغيره، و^(٢) يدعى الإلهية في علي بن أبي طالب أو غيره كداعي النصيرية^(٣)، وهؤلاء كفار عند المسلمين.

وكذلك من يدعى الإلهية في بعض المشايخ، كغلاة العدوية^(٤)، والحلابية^(٥) واليونسية^(٦)، وغيرهم، وكذلك من يدعى عصمة بنى عبيد أو عصمة الإثنى عشر أو عصمة بعض المشايخ.

فإن النصارى يدعون عصمة الحواريين الإثنى عشر، وهؤلاء يدعون عصمة الأئمة الإثنى عشر^(٧).

(١) سبقت ترجمة الحاكم في أول الكتاب.

(٢) في ك، ط (أو من)، وفي س (أو يدعى).

(٣) النصيرية سبق التعريف بها في أول الكتاب.

(٤) نسبة إلى عدلي بن مسافر، وسبق التعريف به وباتباعه.

(٥) نسبة إلى شيخهم أبي مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وسبق ترجمته.

(٦) اليونسية: هم أتباع يونس بن عون السمرى وقيل: التميري. ولم أقف له على ترجمة، وفرقته إحدى فرق المرجحة، ومن مذهبهم: أن الإيمان: هو المعرفة بالله والخضوع له، وترك الاستكبار عليه، والمحبة له. وهو في القلب واللسان فقط. ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان، ولا يضر تركه حقيقة الإيمان؛ ولا يعذب على ذلك.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ٢١٤/١، ٢١٥؛ والمملل والنحل ١٤٠/١، والتبيير في الدين للإسفرايني ص ٦٠؛ والفرق بين الفرق ص ٢٠٢؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٧٠.

(٧) هم الاثنا عشرية: وهي إحدى فرق الشيعة الإمامية، يسوقون الإمامة في الاثني عشر إماماً، ويقولون: الإمام المنتظر هو الثاني عشر وهو (محمد بن الحسن العسكري) وهو الذي يظهر - بزعمهم - فملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. وقد جعلهم الشهيرستاني في اثنى عشرة فرقة. ومن معتقداتهم: أن القرآن فيه نقص، وأن (قل هو الله أحد) كانت ثمانين آية، ويزعم الشيخ المفید - وهو أحد أنتمهم المؤثوقين عندهم - أن الأخبار مستفيضة عن أنتمهم باختلاف القرآن، وما أحدثه فيه بعض الظالمين - في زعمهم - من الحذف والقصاص.

وهؤلاء يسندون أصل دينهم إلى قول الحواريين المعصومين عندهم ويقولون أنهم معصومون في النقل عن المسيح وفي الفتيا، وإن ما قالوه فقد قاله المسيح عليه^(١) الصلاة والسلام .

وهؤلاء يقولون عن أولئك: إنهم معصومون في النقل والفتيا، وإن ما قالوه فقد قاله الرسول – عليه الصلاة والسلام^(٢) –، وهذا مبسوط في موضع آخر^(٣) .

والمقصود هنا أنه ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بالفاظ هذه الأنجليل ولا نقل لا^(٤) متواتر ولا آحاد، بأكثر ما هم عليه من الشرائع. ولا عندهم ولا^(٥) عند اليهود نقل متواتر بالفاظ التوراة ونبوات

ويعطي مفسرهم (الطباطبائي) في تفسيره (الميزان) – الأئمة صفة ترفعهم عن مقام البشر والإمام له يقين يكشف به عالم الملوك – كما يزعم .
انظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفید العکبیری ص ٩٨ ط الحیدریة رقم ٣ عام ١٣٩٣ھ .

والميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ١ ط ٢٧٣/٢ ١٣٩٤ھ بیروت، وقد ذکرت هذه الفرقة في كتب الفرق التالية: مقالات الإسلاميين ١/٤٠، والملل والتحل ٢/٥؛ والفصل لابن الحزم ٤/١٧٩؛ والفرق بين الفرق ص ٦٤؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشرکین للرازی ص ٥٥؛ والتبصیر في الدين ص ٢١؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان رسالة ماجستير ص ٤٧٢؛ وانظر: سلسلة إحسان إلهی ظهیر (الشیعه والقرآن، الشیعه وآل البيت، وكتاب (تبیدد الظلام وتنبیه الیام للجبهان) .

(١) في ك، ط (عليه أفضـلـ).

(٢) في ك (عليه السلام).

(٣) سبق حديث المؤلف عن زعم النصارى بأن الحواريين معصومون، والرد على هذه الفرية .

(٤) سقطت (لا) من ك، ط .

(٥) سقطت (لا) من ك .

الأنبياء كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن، وبالشريعة الظاهرة المعروفة للعامة والخاصة، وهذا مثل الأمانة التي هي أصل دينهم، وصلاتهم إلى المشرق، وإحلال الخنزير، وترك الختان، وتعظيم الصليب، واتخاذ الصور في الكنائس، وغير ذلك من شرائعهم، ليست منقولة عن المسيح ولا لها ذكر في الأنجليل التي ينقلونها عنه. وهم متذمرون على أن الأمانة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم، ليست ألفاظها موجودة في الأنجليل ولا هي مأثورة عن الحواريين، وهم متذمرون على أن الدين وضعوها أهل المجمع الأول الذين كانوا عند قسطنطين الذي حضره ثلاثمائة وثمانية^(١) عشر، وخالفوا عبد الله بن أريوس^(٢) الذي جعل المسيح عبداً لله^(٣) كما يقوله المسلمون، ووضعوا هذه الأمانة.

وهذا المجمع كان بعد المسيح بمدة طويلة تزيد على ثلاثة مائة سنة وبسط هذا له^(٤) موضع آخر، وإنما المقصود هنا الجواب عن قولهم: إن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – ثبت ما معهم، وأنه نفى عن إنجيلهم، وكتبهم التي بآيديهم التهم، والتبديل لها، والتغيير لما فيها بتصديقه إليها.

(١) في س، ط (وثمان).

(٢) أريوس كان قسيساً بالإسكندرية، ولد سنة ٢٥٦ م، وتوفي سنة ٣٣٦ م، ونشأ في عائلة مسيحية، ودرس اللاهوت في مدرسة الإنطاكية على يد المعلم لوقيانيوس. انظر: الفصل لابن حزم ٤٨/١، والممل للشهرستاني ١/٢٢٧، ونظم الجوهر لابن البطريق ص ١٣٥؛ وتاريخ الأقباط لزكي شنودة ١٤٩/١؛ وتاريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا جرجس ٦١٧/١.

(٣) في ط (عبد الله).

(٤) في س (ويسط له) وفي ط (ويسط له)، وسقط هذا من ك وسيحدث – رحمة الله – عن المجامع في الجزء الثالث.

وقد تبين أن محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يصدق شيئاً من دينهم المبدل، والمنسوخ، ولكن صدق الأنبياء قبله وما جاؤوا به، وأثني على من اتبعهم لا على من خالفهم أو كذب نبياً من الأنبياء. وإن كفر النصارى من جنس كفر اليهود، فإن اليهود بدلوا معانى الكتاب الأول، وكذبوا بالكتاب الثاني، وهو الإنجيل، وكذلك النصارى بدلوا معانى الكتاب الأول التوراة، والإنجيل، وكذبوا بالكتاب الثاني، وهو القرآن، وأنهم ادعوا أن محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صدق بجميع ألفاظ الكتب التي عندهم.

فجمهور المسلمين يمنعون هذا ويقولون: إن بعض ألفاظها بدل كما قد * بدل كثير من معانيها ومن المسلمين من يقول: التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها *^(١)، وهذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى.

وعلى القولين فلا حجة لهم في تصديق محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما هم عليه من الدين الباطل، فإن الكتب الإلهية التي بأيديهم لا تدل على صحة ما كفرا به محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأمته. مثل التثليث، والاتحاد، والحلول^(٢) وتغيير شريعة المسيح، وتکذيب محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فليس في الكتب التي بأيديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً، على الأمانة التي هي أصل دينهم، وما في ذلك من التثليث، والاتحاد، والحلول، ولا فيها ما^(٣) يدل على أكثر شرائعهم

(١) ما بين النجمتين ساقط من س.

(٢) سقطت (والحلول) من أ، س. وسبق التعريف بهذه المصطلحات في أول الكتاب.

(٣) سقطت (ما) من ط.

الصلة إلى الشرق^(١) واستحلال المحرمات من الخنزير والميته ونحو ذلك، كما قد بسط في موضع آخر^(٢).

ويقال لهم: أين ما^(٣) معكم عن محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، مما يدل على أن ألفاظ الكتب التي بأيديكم لم يغير فيها^(٤) شيء؟ ومعلوم أن المسلمين، وغيرهم إذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر.

فإذا كان المسلمين^(٥) قد اختلفوا في تبديل بعض ألفاظ الكتب^(٦) المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الأخرى، ولا يجوز لأحد من المسلمين، ولا منكم أن يضيف إلى الرسول قولًا إلا بدليل.

فأين في القرآن والسنّة الثابتة عن محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن جميع ما بأيدي أهل الكتاب من التوراة، والإنجيل، والزبور، ونبوات الأنبياء لم تبدل بشيء من ألفاظها حتى يقولوا: إن محمداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نفى عن كتبهم ذلك؟

وهؤلاء بنوا كلامهم على أن ألفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذي هم عليه بعد بعث محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبعد تكذيبهم لمحمد^(٧) – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وأنه لم يبدل شيء من ألفاظها.

(١) في ط (المشرق).

(٢) سبق الحديث عن بعض تشريعاتهم، وسيتحدث عن ذلك أيضًا في آخر هذا الكتاب.

(٣) سقطت (ما) من س، ك.

(٤) في ط (منها).

(٥) في س، ك (المسلمين) وهو خطأ.

(٦) في ط (الكتب الإلهية). (٧) في ط (بمحمد).

وقد تبيّن فساد ذلك من وجوه متعددة.

ثم زعموا أن المسلمين يدعون أن الفاظ هذه الكتب حرف كلها
بجميع لغاتها بعد مبعث محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وهذا القول
لم يقله أحد من المسلمين – فيما أعلم – وظنوا أنهم بالجواب عن هذا
يكونون^(١) قد أجابوا المسلمين.

• • •

(١) في أ(يكونوا).

الرَّدُّ عَلَى
النَّصَارَى فِي
دِعَوَاهُمْ بِأَنَّ
الْمُسْلِمِينَ
يَقُولُونَ أَنَّ
الْتَّحْرِيفَ وَقَعَ
بَعْدَ مَبْعَثِ
مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فصل

قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: إن التبديل والتغيير يجوز أن يكون بعد هذا القول فقالوا: إننا نعجب من هؤلاء القوم - على علمهم، وذكائهم، ومعرفتهم - كيف يحتاجون علينا بمثل هذا القول؟ وذلك أنا أيضاً إذا احتججنا^(١) عليهم بمثل هذا القول، وقلنا: إن الكتاب الذي في أيديهم يومنا هذا قد غيروه وبدلوا وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوزون كلامنا؟ قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: هذا مما لا يجوز ولا يمكن أحداً أن يقوله، ولا يمكن أن يتغير منه إلى آخر الفصل^(٢)، وسيأتي بالفاظ بعد هذا.

والجواب أن هذا السائل النصراني الذي ذكر عن المسلمين سؤالاً لا يقولونه، وعن علماء النصارى جوابه، هو وهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن الرسول ثبت ما معهم، ونفي عن كتبهم التي بين أيديهم التهم، والتبديل، والتغيير لها. ومقصودهم بذلك لا يتم إلا إذا نفي التبديل عن لفظها، ومعناها، وهذا مما يعلم كل عاقل أن الرسول لم ينفع عنها بل النقل المتواتر عنه بنقيض ذلك. وهم أيضاً، وكل عاقل

(١) في جميع النسخ عدا (ط) احتججنا، والصواب ما أثبتناه؛ لأنه فعل ضعف أُسند إلى ضمير رفع متحرك فوجب فك ادغامه.

(٢) ملخص الشبيه: أن التبديل، والتغيير يجوز أن يكون وقع بعد هذا القول.

يعلم أن الكتب التي بآيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى، وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدل حرف، وكذلك وقع في تغيير شرائع هذه الكتب، فإن الكتب تضمنت أصلين: الإخبار، والأمر. والإيمان بها لا يتم إلا بتصديقها فيما أخبرت، وإيجاب طاعتها فيما أوجبته.

* وأهل الكتاب يكذبون بكثير مما أخبرت ولا يوجبون طاعتها في كثير مما أوجبته وأمرت به ^(١)، وكل فرقة منهم تشهد على الفرق الأخرى بمثل ذلك.

والنصارى لهم سبع مجتمع مشهورة عندهم ^(٢)، وهم في كل

(١) سقط ما بين النجمتين من أوزانه من سائر النسخ.

(٢) تقسم المجتمع - عندهم بالنظر إلى عدد أربابها، ودرجاتهم، وشوكتهم - إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مجتمع عامة، ويقال لها مسكنة أي: تجمعهم من أنحاء العالم.

القسم الثاني: مجتمع ملية: أي خاصة بطائفة دون غيرها.

القسم الثالث: مجتمع إقليمية: أي خاصة بإقليم مخصوص دون غيره.

والبعض من هذه المجتمع - عندهم - هي العامة، وقد ذكر العلماء بأنه بلغ عددها من القرون الأولى المسيحية إلى سنة ١٨٦٩ م. عشرين مجمعاً.

الأول: مجمع نيقية (من أعمال استانبول) وعقد سنة ٣٢٥ م. وسبق الحديث عنه، وهو أعظمها.

الثاني: المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١ م؛ ويسمى الأول بالنسبة إلى مجتمع أخرى انعقدت في قسطنطينية، وقد قرر هذا المجمع الوهية الروح القدس.

الثالث: مجمع أفسوس الأول سنة ٤٣١ م؛ (وهي بلد بشرطوس) وقد قرر فيه أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله، وأن مريم ولدت الاثنين معاً.

الرابع: مجمع خليكدونية سنة ٤٥١ م؛ قرروا فيه أن المسيح طبعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة متحدة؛ (خليكدونية: صقع منه المصيصة وطرسوس) مراصد الأطلاع ٤٧٨/١.

مجمع يلعنون طائفة منهم كبيرة^(١) ويكررونهم ويقولون عنهم: إنهم كذبوا ببعض ما في تلك الكتب، ولم يوجبوا طاعة بعض أمرها. وتلك الطائفة تشهد على الأخرى بأنها كذبت ببعض ما فيها. ثم فرقهم الثلاثة المشهورة النسطورية، والملكية، واليعقوبية^(٢)، كل طائفة تكفر الأخرى وتلعنها وتشهد عليها أنها مكذبة ببعض^(٣) ما في النبوات غير موجبة لطاعة بعض ما فيها. بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة، فزعم كل فريق منهم أن المسيح جاء بما هم عليه. والمسيح – عليه السلام – وجميع الرسل بريئون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً ويرئون ممن يقول على الله غير الحق أو يقول على الله ما لا يعلم. ويرئون من كل قول باطل يقال على الله – عز وجل – وإن كان قائله مخطئاً لم يعتمد الكذب.

وفي مقالات النصارى من هذه الأنواع ما يطول وصفه. وقد بسط في غير هذا الموضوع.

الخامس: المجمع القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣ م.

السادس: المجمع القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ م.

السابع: المجمع القسطنطيني الرابع سنة ٧٥٤ م.

ثم تلتها مجامع أخرى بلغت عشرين مجمعاً، وكان آخرها سنة ١٨٦٩ م. في روما وفيه أثبتو العصمة للبابا.

وسيحدث المؤلف – رحمة الله – عن المجامع في الجزء الثالث.

وانظر: إغاثة اللهفان ٢٧١ / ٢ – ٢٨٤؛ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٤١ – ١٧٥؛ وسلسلة مقارنة الأديان (المسيحية) ص ١٩٤ – ٢٠٠؛ وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٠٨؛ والتعصب والتسامح للغزالى ص ٦٩ وما بعدها.

(١) في ك، ط (كثيرة).

(٢) سبق الحديث عن هذه الفرق.

(٣) في س، ك، ط (بعض).

وإذا عرفت^(١) أن جميع الطوائف: من المسلمين واليهود والنصارى، يشهدون أنه قد وقع في هذه الكتب تحريف وتبديل في معانٍها وتفاسيرها^(٢) وشرائعها فهذا القدر كاف. وهم من حين بعث محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صار كل من لم يؤمن به كافراً، بخلاف حال النصارى قبل بعث محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإنه كان فيهم من هو متبوع لدين المسيح . والمسلمون – وإن كان فيهم من حرف الدين وبدلـه – فجمهورهم خالـفوا هؤـلاء، فلا يزالـ فيـهم طائـفة ظـاهـرة علىـ الحق لا يضرـهم من خـالـفهم، وخذـلـهم حتى تـقـومـ السـاعـةـ، بـخـالـفـ النـصـارـىـ، فـإـنـهـمـ كـفـرـواـ جـمـيـعـهـمـ، كـمـاـ كـفـرـتـ اليـهـودـ بـتـكـذـيبـ المـسـيـحـ.

والـمـسـلـمـونـ يـشـبـهـونـ بـالـدـلـائـلـ الـكـثـيرـةـ أـنـهـمـ بـدـلـواـ مـعـانـيـ التـوـرـاـةـ، وـالـإـنـجـيلـ، وـالـزـبـورـ، وـغـيـرـهـمـ مـنـ نـبـوـاتـ الـأـنـبـيـاءـ، وـابـتـدـعـواـ شـرـعـاـ لـمـ يـأـتـ بـهـ الـمـسـيـحـ، وـلـأـغـيرـهـ، وـلـاـ يـقـولـهـ عـاقـلـ، مـثـلـ زـعـمـهـ: أـنـ جـمـيـعـ بـنـيـ آـدـمـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ، وـالـرـسـلـ، وـغـيـرـهـمـ كـانـواـ فـيـ الـجـهـيـمـ فـيـ حـبـسـ الشـيـطـانـ، لـأـجـلـ أـنـ أـبـاـهـمـ^(٣) آـدـمـ أـكـلـ مـنـ الشـجـرـةـ، وـأـنـهـمـ إـنـمـاـ تـخـلـصـواـ مـنـ ذـلـكـ لـمـ صـلـبـ الـمـسـيـحـ^(٤).

(١) في س، ك، ط (عرف).

(٢) في ط (تفسيرها).

(٣) في أ (أبيهم) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) صـلـبـ الـمـسـيـحـ – كـمـاـ يـزـعـمـ الـنـصـارـىـ – فـدـاءـ عـنـ الـخـلـيقـةـ، مـنـ أـهـمـ عـقـائـدـهـمـ بـعـدـ الشـلـيـثـ، فـقـدـ زـعـمـواـ أـنـ الـعـالـمـ مـنـ عـهـدـ الـخـطـيـةـ، وـهـبـوـتـ آـدـمـ، وـبـقـاءـ بـنـيهـ مـنـ بـعـدـ فـيـ الدـنـيـاـ بـسـبـبـ تـلـكـ الـخـطـيـةـ، لـكـنـ اللـهـ – بـزـعـمـهـ – أـرـسـلـ اـبـنـهـ وـحـيـدـهـ عـيـسـىـ؛ لـيـقـرـبـ آـدـمـ مـنـ رـبـهـ بـصـلـبـهـ فـدـاءـ عـنـ تـلـكـ الـخـطـيـةـ، وـلـيـخـلـصـ الـعـالـمـ مـنـ ذـلـكـ جـاءـ هـذـاـ فـيـ إـنـجـيلـ مـرـفـقـ إـلـيـصـاحـ الـعـاـشـرـ /ـ فـقـرـةـ ٤٥ـ، وـفـيـ إـنـجـيلـ لـوـقـاـ إـلـيـصـاحـ الـتـاسـعـ عـشـرـ /ـ فـقـرـةـ ٥٦ـ؛ وـهـكـذـاـ فـيـ سـاـئـرـ الـأـنـجـيلـ، وـفـيـ رـسـالـةـ بـوـلـسـ إـلـىـ أـهـلـ رـوـمـيـةـ إـلـيـصـاحـ الـثـالـثـ /ـ فـقـرـةـ ٢٣ـ، فـمـاـ بـعـدـهـاـ.

فإن هذا الكلام لو نقله ناقد عن بعض الأنبياء لقطعنا بكتابه عليهم، فكيف وهذا الكلام ليس منقولاً عندهم عن^(١) أحد من الأنبياء؟ وإنما ينقلونه عنهم ليس قوله حجة لازمة، فإن كثيراً من دينهم مأخوذ عن رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء.

فإذا قطعنا بكتاب من ينقله عن الأنبياء فكيف إذا لم ينقله^(٢) عنهم؟ وذلك أن^(٣) الأنبياء – عليهم السلام – يخرون الناس بما تنصر عقولهم عن معرفته، لا بما يعرفون أنه باطل ممتنع، فيخرونهم

وقد تناول هذه العقيدة الباطلة بالرد كثير من علماء المسلمين، ومنهم من أسلم وقد كان نصراوياً بسبب هذه العقيدة الفاسدة التي لا يقرها عقل، ولا يؤيدها نقل صحيح. ومن أسلم بسببها داود عبد الأحد فقد ذكر في مقدمة كتابه (الإنجيل والصلب) ص ١٢ ط القاهرة ١٣٥١هـ. إن هذه المسألة من المسائل التي حملته على التفكير في تغيير دينه (النصرانية) وتحوله إلى الإسلام، وتساءل مستغرباً كيف كانت الخطية مكتومة عن الأنبياء السابقين، ثم اكتشفها حادثة الصليب فقال: «إن هذا السر اللاهوتي الذي كان مكتوماً عن كل الأنبياء والصالحين السابقين قد خيل أو كأنما كشف للكنيسة بواقعة صلب المسيح، وأن هوية الأقانيم الثلاثة، وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى – عليهم السلام – قد صار من مبادئ معلومات كل غلام مسيحي فضلاً عن القسيسين والرهبان...»^(٤) الخ ما ذكر راداً على هذه الفرية الباطلة، وقد رد القرآن الكريم هذه القضية، وقرر أولاً أن الله قد تاب على آدم من خططيته في سورة البقرة: الآية ٣٧، وطه: ١٢١؛ ونفي القرآن أن يكون عيسى قد صلب كما في سورة النساء: الآيات ١٥٧، ١٥٨، وقرر القرآن أن وزر كل ذنب لا يكون إلا على مقتوفه فحسب كما في سورة الأنعام، وسورة النجم: «ولَا تزد وزرة وزر أخرى»، ويقرر كثير من الباحثين أن فكرة الفداء وثنية قديمة تسربت إلى النصرانية مؤخراً، وحيث أن هذه الفكرة كثيرة من النصارى فكيف يجمعون بين عدل الله وبين هذه الفكرة؟! .

(١) في ط (من) بدل (عن).

(٢) في ك، ط (ينقل).

(٣) في س (يبين ذلك أن) وجاءت في ك، ط (ذلك فإن الأنبياء).

بمحيرات^(١) العقول لا محالات العقول، وآدم – عليه السلام – وإن كان أكل من الشجرة – فقد تاب الله عليه واجتباه ودهاه.

قال – تعالى – :

﴿وَعَصَىٰ إِدَمْ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾١٢١﴿ ثُمَّ أَجْبَثَنَاهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾١٢٢﴾^(٢).

وقال – تعالى – :

﴿فَلَنَقَّىٰ إِدَمْ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَتِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم إننا لا نعلم أنه^(٤) تاب، أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشيء ليس علماً بعده، وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر، ففي التوراة ما ليس في الإنجيل. وفيهما^(٥) ما ليس في الزبور، وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة، وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب، والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها. فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والإنجيل وقد بين الله – تعالى – فضلته عليهما في غير موضع، كقوله – تعالى – :

﴿أَللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَثَانِي نَقْشَعِرُ مِنْهُ . . .﴾^(٦).

(١) في أ، س، ك (بمحارات).

(٢) سورة طه: الآياتان ١٢١، ١٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٤) سقطت (أنه) من س، ك.

(٥) في أ (ومنها).

(٦) سورة الزمر: الآية ٢٣.

وقال – تعالى – :

﴿ نَحْنُ نَعْلَمُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصْصِ بِمَا أَرْجَحْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾^(١) .

وقال – تعالى – :

﴿ وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ
وَمَهِمِّنَا عَلَيْهِ... ﴾^(٢) .

وسواء تاب آدم أو لم يتوب فكيف يجوز أن يكون رسول الله الذين هم أفضل منه محبوسين في حبس الشيطان في جهنم بذنبه؟ وإبراهيم خليل الرحمن كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله^(٣) في جهنم في حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم، مع أنه كاننبياً؟ ونوح – عليه السلام – قد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته وجعل ذريته هم الباقيين فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان لأجل ذنب آدم؟ .

وموسى بن عمران الذي^(٤) كلمه الله تكليماً، وأظهر على يديه من البراهين، والآيات مال م يظهر مثله على يدي المسيح، وقتل نفسها لم يؤمر بقتلها، فغفر الله له ذلك، وله من المنزلة عند الله والكرامة، ما لا يقدر قدره، فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان.

ثم أي مناسبة بين^(٥) الصلب الذي هو من أعظم الذنوب، سواء

(١) سورة يوسف: الآية ٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) في ط (يجعله الله).

(٤) سقطت (الذي) من س، ك، ط.

(٥) سقطت (بين) من س.

صلبوا المسيح ، أو المشبه به ، وبين تخلص هؤلاء من الشيطان؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالماً معتدياً والله - عز وجل - قادر على منعه من ظلمهم ، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم .

* فلماذا أخر منعه من ظلمهم *(١) إلى زمن المسيح؟ وهو - سبحانه - ولِي المؤمنين وناصرهم ، ومؤيدهم ، وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم ، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان . فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم ، ويجعل أرواحهم في جهنم؟ هذا إن قدر أن الشيطان كان قادراً على ذلك ، وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه ، وأوليائه ، وسقوط التكليف *(٢) عنهم ، واستحقاقهم كرامته ، وإحسانه ، وجنته بحكم وعده ، ومقتضى حكمته ، يجعله *(٣) سلطاً على حبسهم في جهنم؟ ! .

وإن قالوا: الرب - عز وجل - ما كان يقدر على تخلصهم من الشيطان ، مع علمه بأنه *(٤) ظالم معتد عليهم بعد الموت إلا بأن يحتال عليه بإخفاء *(٥) نفسه ليتمكن الشيطان *(٦) منه كما يزعمون - فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ، وجعل الرب - سبحانه - عاجزاً كما جعلوه أولاً ظالماً - فيه من التناقض ما يقتضي عظيم جهلهم الذي جعلوا به الرب جاهلاً ، فإنهم يقولون: إنه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل ، كما احتال الشيطان على آدم بالحية ، فاختفى منه لثلا يعلم أنه ناسوت إله ،

(١) سقط ما بين النجمتين من أوزدناه من سائر النسخ .

(٢) في س ، ك (التكلف) .

(٣) في ط (وجعله) .

(٤) في أ (أنه) .

(٥) في أ (باختفاء) .

(٦) سقطت كلمة (الشيطان) من ط .

وناسوت الإله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره.

فلما أراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه في جهنم كسائر من مضى، وهو لم يعمل خطيئة. استحق الشيطان أن يأخذه رب، ويخلص النزية من حبسه.

وهذا تجھيل منهم للرب - سبحانه وتعالى - عما يقولون مع تعجیزه وتطليمه. فإنه إن كان هو سلط الشیطان على بني آدم كما يقولون. فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره، إذ الجميع بني آدم، وأيضاً فإذا قدر أن الناسوت يدفع^(١) الشیطان عن نفسه بحق، فإنهم يقولون: إنه دخل الجحیم، وأخرج منه ذریة آدم.

فيقال: إن كان تسلط الشیطان على حبسهم في الجحیم بحق لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم، لم يجز إخراجهم لأجل سلامه ناسوت المسيح من الذنب، وإن كانوا مظلومين مع الشیطان، وجب تخلیصهم^(٢) قبل صلب الناسوت ولم يجز تأخیر ذلك فليس في مجرد سلامه المسيح من الذنوب ما يوجب سلامه غيره، وإن قالوا أنه كان بدون تسلطه^(٣) على صلبه عاجزاً عن دفعه، فهو مع تسلطه على صلبه أعجز وأعجز.

الأصل الثاني الفاسد: الذي بناوا عليه سؤالهم الذي جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم، ظنهم أن المسلمين يقولون: إن هذه الكتب حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد بعث محمد صلّى الله عليه وسلم.

(١) في س، ك، ط (دفع).

(٢) في أ، س (تخلیصهم).

(٣) في ك، ط (تسلطهم).

وهذا مما لا ي قوله المسلمون، ولكن قد يقول بعضهم: إنه حرف بعد مبعث محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ألفاظ بعض^(١) النسخ، فإنَّ الجمُورَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ بَعْضَ الْفَاظُهَا حَرْفٌ، مِّنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ هَذَا قَبْلَ الْمَبْعَثِ^(٢).

ومنهم من يقول: كان بعده، ومنهم من يثبت الأمرين أو يجوزهما، ولكن لا يقول^(٣): إنه حرف ألفاظ جميع النسخ الموجودة في مشارق الأرض ومغاربها، كما حكاه هذا الحاكي عنهم، ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع^(٤) التحرير في المعاني والتفسير.

وإن كانت كل طائفة تزعم أن الأخرى هي التي حرفت المعاني. وأما ألفاظ الكتب، فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل، كما يقول ذلك من ي قوله من أهل الكتاب. وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب إلى أنه بدل بعض ألفاظها.

وهذا مشهور عند^(٥) كثير من علماء المسلمين، وقاله أيضاً كثير من علماء أهل الكتاب.

حتى في صلب المسيح، ذهبت طائفة من النصارى إلى أنه إنما

(١) في لـ ط (بعد) وهو تحريف.

(٢) في س، لـ، ط (البعث).

(٣) في س، لـ، ط (لا يقولون).

(٤) سقطت (وقوع) من أوزدناها من سائر النسخ.

(٥) في س، لـ، ط (عن).

صلب الذي شبه^(١) بالمسيح ، كما أخبر به القرآن^(٢) ، وإن الذين أخبروا بصلبه كانوا قد^(٣) أخبروا بظاهر الأمر ، فإنه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح ، * أو تعمدوا الكذب *^(٤) ثم هؤلاء منهم الذين يقولون : إن في الفاظ الكتب ما هو مبدل.

و^(٥) فيهم من يجعل المبدل من التوراة والإنجيل كثيراً منهم . وربما جعل بعضهم المبدل أكثرهما ، لا سيما الإنجيل ، فإن الطعن فيه أكثر وأظهر منه في التوراة^(٦) .

ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول : أنه لا حرمة لشيء منهم ، بل يجوز الاستنقاء بهما .

ومنهم من يقول : الذي بدل ألفاظه قليل منهم ، وهذا أظهر . والتبدل في الإنجيل أظهر ، بل كثير من الناس يقول : هذه الأنجليل ليس فيها من كلام الله إلا القليل .
والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأنجليل^(٧) .

(١) في س (يشبه) .

(٢) في ك ، ط (في القرآن) .

(٣) سقطت (قد) من أ ، س وزدناها من ك ، ط .

(٤) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ .

(٥) سقطت الواو من أ ، س ، ك والحقتها من ط .

(٦) هنا جملة (أو تعمدوا الكذب) في ط وهي زائدة في هذا الموضع .

(٧) التحرير في كتب اليهود والنصارى على ثلاثة أنواع :

١ - تحرير لفظي : بتبدل ألفاظ التوراة والإنجيل .

٢ - تحرير بالزيادة في نصوص التوراة والإنجيل .

٣ - تحرير بالقصاص فيها .

وكيفية التغيير والتحرير : أنهم يلبسون الحق بالباطل ، بحيث لا يتميز عنه ، وتارة =

والصحيح أن هذه التوراة الذي بأيدي أهل الكتاب، فيها^(١) ما هو دعوة أهل الكتاب حكم الله، وإن كان قد بدل وغير بعض ألفاظهما قوله^(٢) – تعالى – : إلى الحكم بما في كتبهم من الألفاظ

«يَأَيُّهَا أَرْسُولُ لَا يَحْرُنَّكَ الَّذِينَ يُسَدِّعُونَ فِي الْكُفَّارِ مِنَ الَّذِينَ الصَّحِّحَةُ قَالُوا إِمَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ أَخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِمُحَرَّفُونَ الْكَلَمُ»^(٣).

يخفون الحق ويكتمنه، ولا يبيئونه للناس، وتارة يلوون ألسنتهم بالكتاب ليحسبه السامع منه وليس منه، وتارة يحرفون الكلم عن موضعه في ألفاظه وفي معانيه، وتارة يحرفون الكلم من بعد موضعه، وهو إزالة الكلمة المتزلة، ووضع كلمة أخرى مكانها تحتمل معنيين: المعنى الأصلي، والمعنى الذي يريده، ومثال هذا النوع: «أَقِيمْ لَهُمْ نَبِيًّا مِّنْ بَنِي إِخْرَوْهُمْ» تثنية إصلاح ١٨/١٨ فازالوا الكلمة (بني) وجعلوا مكانها (وسط) والأخرية تحتمل أن يكون النبي من بنى إسماعيل لأنه أخ لإسحاق أو من بنى إسرائيل لأنهم إخوة بعضهم البعض. وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: «... وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُوا الْكَلِمَةَ عَنْ مَوْضِعِهِ...» الآيات: ٤٥، ٤٦ من سورة النساء.

وقد ساق الشيخ... رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ص ٢٠٦ مما بعدها أمثلة كثيرة لأنواع التحرير، ويأتي في الجواب الصحيح الجزء الثاني منه تفصيل لهذه القضية، وزيادة بيان وانظر: هداية الحيارى لابن القيم بتحقيق الدكتور السقا ص ١٠٥؛ ومقامع هامت الصلبان للخزرجي ص ١٠٩ (بتحقيق الدكتور محمد شامة) حيث ساق أقوال المفسرين في هذه المسألة، ص ٢٦٠. وكتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٧٧ حديث عن الاختلاف الكبير في الأنجليل؛ وكتاب شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجوبني * هذا كتاب كله في هذه القضية * وهو كتاب مفيد فيها جداً بتحقيق الدكتور السقا (ط ١ دار الشباب بمصر).

(١) ك، ط (فيه).

(٢) في ك، ط (لقوله).

(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

إلى قوله:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ . . . ﴾^(١).

فعلم أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس،
و^(٢) بعد مجيء بختنصر^(٣) وبعد مبعث المسيح، وبعد مبعث محمد
– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فيها حكم الله.

والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله
– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وإن قيل: أنه غير بعض ألفاظها بعد مبعثه،
فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك، فإن هذا غير معلوم لنا،
وهو أيضاً متذر، بل يمكن تغيير كثير من النسخ، وإشاعة ذلك عند
الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك، ومع هذا
فكثير^(٤) من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب، إنما تختلف^(٥) في
اليسير من ألفاظها، فتبدل ألفاظ يسير من النسخ بعد مبعث الرسول
ممكن لا يمكن أحد^(٦) أن يجزم بتنفيذه، ولا يقدر أحد من اليهود
والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ،
إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه والاختلاف يسير في ألفاظ هذه الكتب

(١) سورة المائدة: الآية ٤٣.

(٢) سقطت الواو من ك، ط.

(٣) سبقت ترجمة بختنصر، والإشارة إلى غزوه بيت المقدس، وقد كان خراب بيت المقدس سنة عشرين من ولاية بختنصر؛ وسنة ٤٥٣ مضت من عمارة بيت المقدس واستمر خراباً سبعين سنة.

(٤) في أ، س (التي) بدل (فكتير).

(٥) في ك، ط (يختلف) بالمثلثة التحتية.

(٦) في ط (أحداً).

موجود في الكثير من النسخ، كما قد تختلف نسخ بعض كتب^(١) الحديث، أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ، وهذا خلاف^(٢) القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور، بالنقل^(٣) المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب كما قال – تعالى – :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾^(٤).

وذلك أن اليهود قبل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعلى عهده، وبعده متشررون في مشارق الأرض وغاريبها، وعندهم نسخ كثيرة^(٥) من التوراة.

وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة^(٦)، ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبدلها، ولو كان ذلك^(٧) ممكناً لكان هذا^(٨) من الواقع العظيمة التي توفر الدواعي على نقلها، وكذلك في الإنجيل قال – تعالى – :

﴿وَلَيَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ...﴾^(٩).

فعلم أن في هذا الإنجيل حكماً أنزله الله – تعالى – ، لكن

(١) في أ (كتب أهل الحديث).

(٢) في س، ك، ط (بخلاف).

(٣) في س، ك، ط (بالنقل).

(٤) سورة الحجر: الآية ٩.

(٥) في أ، س (كثير).

(٦) في أ، س (بالتوراة) وصححناه من سائر النسخ.

(٧) في ك، ط (هذا).

(٨) في ك، ط (ذلك).

(٩) سورة المائدة: الآية ٤٧.

الحكم هو من باب الأمر والنهي . وذلك لا يمنع^(١) أن يكون التغيير في باب الإخبار، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظاً، وأما الأحكام التي في التوراة، فما يكاد أحد يدعي التبديل في ألفاظها.

وقد ذكر طائفة من العلماء أن قوله - تعالى - في الإنجيل: **«وَلِيَحُكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ»**، هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل، لا الموجودين بعد بعث محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ: **«وَلِيَحُكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ»** بكسر اللام كقراءة حمزة^(٢) فإن هذه لام كي، فإنه - تعالى - قال^(٣) :

«وَقَيْنَانَ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ يَعِيسَى ابْنِ مُرْسَى مَصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمَصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ **وَلِيَحُكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴿٤﴾ .

(١) في أ (يمتنع).

(٢) حمزة بن حبيب الزيات، التيمي، أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٨٠هـ ، كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول والإنكار على من تكلم فيها كما قال الذهبي ونقل عن سفيان الثوري قوله: ما قرأ حمزة حرفاً إلا باشر. مات - رحمة الله - سنة ١٥٦هـ . وقيل ١٥٨هـ .

انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٦٥٠/١ (٢٢٩٧)؛ وتهذيب التهذيب ٣/٢٧؛ والتبصرة في القراءات السبع ص ١٤؛ والأعلام للزركلي ٢/٢٧٧.

(٣) في س (فإنه قال تعالى).

(٤) سورة المائدة: الآيات ٤٦، ٤٧.

فإذا قرئ^(١) «وليَحْكُم»، كان المعنى وأتبناه الإنجيل لكتابه وكذا، وليرسم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وهذا يوجب الحكم بما أنزل الله في الإنجيل الحق، لا^(٢) يدل على أن الإنجيل الموجود في زمن الرسول هو ذلك الإنجيل.

وأما قراءة الجمهور^(٣) : «وليَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ» فهو أمر بذلك. فمن العلماء من قال: هو أمر لمن كان الإنجيل الحق موجوداً عندهم أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وعلى هذا يكون قوله - تعالى - : «وليَحْكُمْ» أمر لهم قبل بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -. وقال آخرون: لا حاجة إلى هذا التكليف^(٤)، فإن القول في الإنجيل كالقول في التوراة. وقد قال - تعالى - :

﴿يَتَآمَّلُهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفَّارِ مِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِمَامًا يَأْفَوْهُمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ إِخْرِيْنَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ

(١) في ك، ط (قراء).

(٢) في ط (ولا).

(٣) قرأ حمزة (وليحكم) بكسر اللام، وفتح الميم، وقرأ الباقون بإسكان اللام والميم، وعلى القراءة الأولى ينصب الفعل (يحكم) على أن اللام لام كي وعلى قراءة الجمهور، اللام لام الأمر، والكلام مستأنف، والاختيار الجزم لأن الجماعة عليه، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على أنه إلزام من الله لأهل الإنجيل.

انظر: التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٣٦؛ وتفسير ابن جرير الطبرى ١٧١/٦ (مجلد ٤)؛ وفتح القدير للشوكاني ٤٧/٢؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٩٩؛ والغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص ١٤٠.

(٤) في أ، ك، ط (التكليف)، وما أتبناه من س هو الأصح.

مَوَاضِعِهِ، يَقُولُونَ إِنَّ أُولَئِكَ هُنَّا فَحْدُوهُ وَإِنَّ لَمْ تُؤْتُهُمْ فَأَحْذَرُوهُ وَمَنْ يُرِدُ
 أَنَّ اللَّهَ فِتَنَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدُ اللَّهُ أَنَّ
 يُطْهِرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
 سَمَّأَعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ
 عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ
 بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْهُمُ الْتَّوْرَةُ فِيهَا
 حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّكَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا
 أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ مَنْ هَادُوا
 وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ إِمَّا أَسْتَحْفَظُوْا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهَادَة
 فَلَا تَخْشُوْا النَّاسَ وَأَخْشُونَ وَلَا تَشْرُوْا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَيْلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَيْبَنَاعَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفَسَ بِالنَّفَسِ
 وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ
 وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصْدَقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَيْنَاعَلَيْهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمْ مَصْدِقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَإِنَّهُمْ لَا يُنْهِيْلُ . . . ﴿٤٦﴾.

فهذا قد صرخ بأن أولئك الذين تحاكموا ^(٢) إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – من اليهود عندهم التوراة فيها ^(٣) حكم الله، ثم تولوا عن حكم الله وقال بعد ذلك: (... وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . . .)، وهذه ^(٤) لام الأمر، وهو أمر من الله أنزله على لسان محمد، وأمر من مات قبل هذا الخطاب ممتنع، وإنما يكون الأمر أمراً لمن آمن

(١) سورة المائدة: الآيات ٤١ – ٤٦. (٣) في ك (منها).

(٢) في س (بأن أولئك يحاكمون). (٤) في ك (وهذا).

به من بعد خطاب الله لعباده بالأمر، فعلم أنه أمر لمن كان موجوداً حينئذٍ أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، والله أنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، كما أمر به في التوراة، فليحكموا^(٢) بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، كما أمر أهل التوراة أن يحكموا بما أنزله مما لم ينسخه المسيح، وما نسخه فقد أمروا فيها^(٣) باتباع المسيح، وقد أمروا في الإنجيل باتباع محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ فمن^(٤) حكم من أهل الكتاب - بعد مبعث محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بما أنزل^(٥) الله في التوراة والإنجيل لم^(٦) يحكم بما يخالف حكم محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ إذ كانوا مأمورين في التوراة والإنجيل باتباع محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما قال - تعالى - :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَنْهَىٰ الرَّسُولَ الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾^(٧).

وقال - تعالى - :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِمِّنَا عَلَيْهِ فَأَحَدُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَنْتَعِّ أَهْوَاءَهُمْ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ...﴾^(٨).

(١) سقطت جملة (ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ) من أ، س، ك.

(٢) في أ، س (فيحكموا).

(٣) في ط (فيه).

(٤) في ك، ط (لمن).

(٥) في ط (أنزله).

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٧) سورة المائدة: الآية ٤٨.

فجعل القرآن مهيمناً. والمهيمن: الشاهد الحاكم المؤمن، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل ولهذا قال:

﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ...﴾^(١).

وقد ثبت في الصحاح والسنن والمساند^(٢) هذا. ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - أنه قال^(٣): إن اليهود جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فذكروا له أن امرأة منهم ورجلًا زنيا فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟». قالوا: نقضهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم. إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام^(٤): ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد. فأمر بهما النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فرجما^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) في ك، ط (والمسانيد) وهي جمع مستند وتجمع على الوجهين مساند، ومسانيد كما جاء في القاموس المحيط ٣٠٣/١ (فصل السين بباب الدال).

(٣) سقطت (أنه قال) من أوزدنها من سائر النسخ.

(٤) سقط (ابن سلام) من ط.

(٥) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة ٣٠/٨ وفيه: «فرجما فرأيت الرجل يحيى على المرأة يقيها الحجارة» * ويحيى: يكب *

ورواه بنحوه في كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط ٢٢/٨؛ ورواه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ١٣٢٦/٣ (١٦٩٩) بنحوه.

وابن داود في الحدود، بباب في رجم اليهودين ٥٩٣/٤ (٤٤٤٦)؛ والترمذى - مختصرًا - في الحدود، بباب ما جاء في رجم أهل الكتاب ٤٣/٤ (١٤٣٦)؛

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه قال: أتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق حتى جاء يهود^(١). فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا: نسود وجوههما، ويطاف بهما. قال: **﴿فَأَتَوْا بِالْتُّورَاةِ فَاتَّلُوْهَا إِنْ كَتَمْ صَادِقِينَ﴾**، قال: فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مرروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : مره فليرفع يده فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم. قالوا: صدق فيها آية الرجم، ولكننا نتكاتمه بيننا، وأن أخبارنا أحدثوا التحريم والتوجيه. فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بترجمهما فرجما^(٢).

وأخرج مسلم عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – أنه قال: «مر على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيهودي محموم مجلود فدعاهم. فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعني رجلاً من علمائهم، فقال: أنسدك الله الذي أنزل التوراة على

وابن ماجه – مختصرأ – في الحدود، بباب رجم اليهودي واليهودية ٨٥٤/٢ (٢٥٥٦)؛ ومالك في الحدود، بباب ما جاء في الرجم ٨١٩/٢؛ وأحمد في المسند ٦٢، ٥/٢ – مختصرأ –؛ والدارمي، بباب في الحكم بين أهل الكتاب... ١٧٨/٢؛ وفي مسند ابن عمر ص ٣٧ (٥٩).

(١) في ط (يهودي).

(٢) رواه البخاري بنحوه في كتاب التفسير، بباب: قل فأتوا بالتوراة فاتلواها إن كتم صادقين ١٧٠/٥، وليس فيه (وأن أخبارنا أحدثوا التحريم والتوجيه). وانظر الموضع السابقة في تخریج الحديث الذي قبله، وبين الحديثين تداخل وتقارب مع اختلاف في الألفاظ لا يضر بالمعنى. والتحريم: تسويد الوجه، والتوجيه: نكس الرأس، وسيأتي زيادة بيان.

موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم^(١)؟ قال: لا، ولولا أنك نشدني بهذا لم أخبرك، نجد الرجم، ولكنه كثُر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجم على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحريم والجلد مكان الرجم. فقال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : اللهم إني أول من أحيَا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم. فأنزل الله – تعالى – :

«يَأَيُّهَا أَرْسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْتَرِّعُونَ فِي الْكُفَّارِ مِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِيمَانَهُمْ أَفَوْهُمْ . . .»^(٢).

إلى قوله:

«فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ – إلى – الظَّالِمُونَ – إلى – الْفَسِيْقُونَ».

قال: هي في الكفار^(٣) كلها^(٤).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه^(٥) أنه قال: «رجم النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلاً من أسلم؛ ورجلًا

(١) من قوله (قالوا نعم فدعى رجلاً) إلى هذا الموضع ساقط من س.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) في ط (الكفار) وهو خطأ.

(٤) رواه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ٣٢٧/٣ (١٧٠٠)؛ ورواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهودين ٤/٥٩٥ حديث رقم (٤٤٤٧)، (٤٤٤٨)؛ وابن ماجه ٢/٨٥٥ (٢٥٥٨) في كتاب الحدود، باب في رجم اليهودي واليهودية؛ ورواه أحمد في المسند ٤/٢٨٦.

وانظر: لباب النقول للسيوطى ص ٨٨، ٨٩؛ وأسباب النزول للواحدى ص ١٤٥.

(٥) سقطت جملة رضي الله عنه من أ، ك، ط.

من اليهود»^(١).

وأما السنن ففي سنن أبي داود عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما – أنه قال: «أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى القف فأتاهم في بيت المدراس^(٢). فقالوا: يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنى بأمرأة فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسادة فجلس عليها ثم قال: أئتونني التوراة فأتأتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، وقال: آمنت بك وبمن أنزلك. ثم قال: ائتونني بأعلمكم فأتأتي بشاب، ثم ذكر^(٣) قصة الرجم»^(٤).

(١) رواه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنا ١٣٢٨/٣ (١٧٠١)، وفيه زيادة (وامرأنه)، والمقصود بها صاحبته التي زنا بها، ولم يرد زوجته، وفي رواية (وامرأة)، ورواه أبو داود في الحدود، باب في رجم اليهودين ٦٠١ (٤٤٥٥)، ولفظه «رجم النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلاً من اليهود، وامرأة زنيا». ورواه الدارمي بنحوه في باب الاعتراف بالزنا ٢/١٧٦.

(٢) في ط (المدارس) وهو خطأ. ومدراس اليهود: كنيستهم، والجمع مدارس، مثل مفتاح ومفاتيح. انظر المصباح المنير ١/٢٦١.

والقف: بضم القاف، وتشديد الفاء: اسم وادٍ بالمدينة، قال في مراصد الاطلاع ١١٤/٣ وهو ما ارتفع من الأرض وغلهظ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وهو علم لوازد من أودية المدينة.

(٣) في سن (خرج) بدل (ذكر).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهودين ٤/٥٩٧ (٤٤٤٩)، قال الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ٥/٩٤: (إسناده حسن، وله شاهد من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيهودي، وبهودية قد زنيا، وقد أحصنا فسالوه أن يحكم فيهما، فحكم فيهما بالرجم. فرجمهما في قبل المسجد في بني غنم...). الحديث.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٦٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ...

وأخرج أيضاً أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «زنى
رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه
نبي بعث بالتفصيف فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتتجنا بها
عند الله، فقلنا:نبي من أنبيائك، قالوا: فأتوا النبي - صلى الله عليه
وسلم -، وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا: يا أبا القاسم
ما ترى في رجل وامرأة - منهم - زنيا، فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت
مدراسهم^(١)، فقام على الباب فقال: أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة
على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن؟

قالوا: نحمسه ونجبيه^(٢)، ونجلده - والتجبية: أن يحمل الزانيان
على حمار، ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما - قال: وسكت شاب منهم،
فلما رأه النبي - صلى الله عليه وسلم - * ساكتاً، أنسده*^(٣). فقال:
اللَّهُمَّ إِذْ^(٤) نشَدْنَا إِنَّا نَجَدُ فِي التُّورَاةِ الرِّجْمَ . فقال النبي - صلى الله
عليه وسلم - : فَمَا أُولَئِكَ الْمُرْتَضَى؟ قال: زنى ذو قرابة
ملك^(٥) من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل في أسرة من الناس

(١) في أ، ك، ط (مدراسهم).

(٢) قال الخطابي: التحريم، تسويغ الوجه بالحمر. والتجبية: مفسر في الحديث،
ويشبه أن يكون أصله الهمز، وهو يجيء من التجبة: وهو الردع والزجر... والتجبية أيضاً أن
تنكس رأسه... وقد يحتمل أن يكون ذلك من الجبهة وهو الاستقبال بالمكروه. وأصل الجبهة
إصابة الجبهة.

انظر: معالم السنن ٤/٥٩٩؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٧٦، ٥٢.

(٣) مكان ما بين النجمتين بياض في أ، وسقطت (أنسده) من س، وفي ك زيادة (أو نحو
هذا) بعد أنسده.

(٤) في ط (إذا).

(٥) في ط (من ملك).

فأراد رجمه فحال^(١) قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجيء
بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم. قال النبي - صلى الله
عليه وسلم - : فإنني أحكم بما في التوراة، فأمر بهما فرجمًا.

قال الزهري: بلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْنَّبِيُّونَ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا...﴾^(٢).

فكان^(٣) النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم^(٤).

وأيضاً فقد تحاكموا إليه في القود الذي كان بين بني قريظة
والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل بعض إحدى
القبيلتين قتيلاً من الأخرى فيقتلونه، ولم يضعفوا الديمة، وإذا قتل من
القبيلة الشريفة قتلوا به، وأضعفوا الديمة.

قال أبو داود سليمان بن الأشعث في سنته: حدثنا محمد بن

(١) في أ (فاحال).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) في س، ك (كان)، وفي ط (وكان).

(٤) أخرجه أبو داود في الحدود، باب في رجم اليهودين ٥٩٩/٤ - ٥٩٨/٤؛
والبيهقي في السنن الكبرى ٢٤٦/٨، ٢٤٧ من طريق الزهري قال: سمعت رجلاً
من مزينة يحدث سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، به.

قال الخطابي في معلم السنن ٥٩٩/٤: «ال الحديث عن رجل لا يعرف».

وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٩٥/٥: «رجاله ثقات غير الرجل المزني فإنه
لم يسم». وللحديث شاهد من حديث ابن عباس، وحديث ابن عمر، وحديث
جابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

العلاء^(١)، حدثنا عبد الله بن موسى^(٢) عن علي بن صالح^(٣)، عن سماك بن حرب^(٤)، عن عكرمة^(٥)، عن ابن عباس قال: «كان قريظة، والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي ماية وسق من تمر.

فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله. فقالوا: بينما وبينكم محمد فأتوه فنزلت.

(١) محمد بن العلاء بن كريب الهمданى، الكوفى، الحافظ أحد الأثبات، قال ابن حجر: «ثقة حافظ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين للهجرة».

انظر: تقريب التهذيب ٢ ١٩٧/٢ (٦٠١)؛ وتهذيب التهذيب ٣٨٥/٩؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٥٥.

(٢) عبد الله بن موسى بن أبي المختار الكوفى، ثقة من التاسعة مات سنة ٢١٣ هـ. انظر: تقريب التهذيب ١ ٥٣٩/١ (١٥١٢)؛ وتهذيب التهذيب ٧/٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥٣.

(٣) علي بن صالح الهمدانى، الكوفى. وثقة أحمد، وابن معين، والنسائى، وابن حبان، مات سنة ١٥١ هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢ ٣٨/٢ (٣٥٦)؛ وتهذيب التهذيب ٧/٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٧٤.

(٤) سماك بن حرب بن أوس البكري، الكوفى. قال ابن حجر (سماك): بكسر أوله وتحقيق الميم، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بأخره. مات سنة ١٢٣ هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١ ٣٣٢/١ (٥١٩)؛ وتهذيب التهذيب ٤/٤؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٥٥.

(٥) عكرمة بن عبد الله، مولى ابن عباس، ثقة ثبت مات سنة ١٠٧ هـ. وسبقت ترجمته. انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٠ (٢٧٧).

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾^(١).

والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت:

﴿أَفَحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ...﴾^(٢).

قال أبو داود: قريطة والنضير من ولد هارون^(٣).

ويسط هذا له موضع آخر، وعلى كل قول، فقد أخبر الله – عز وجل – أن في التوراة الموجودة بعد المسيح – عليه السلام – حكم الله، وأن أهل الكتاب اليهود تركوا حكم الله الذي في التوراة مع كفرهم بالمسيح، وهذا ذم من الله لهم على ما تركوه من حكمه الذي جاء به الكتاب الأول، ولم ينسخه الرسول الثاني.

وهذا من التبديل الثاني الذي ذموا عليه، ودل ذلك على أن في التوراة الموجودة بعد مبعث المسيح حكماً أنزله الله، أمروا أن يحكموا به، وهكذا يمكن أن يقال في الإنجيل.

(١) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٣) أخرجه أبو داود في أول كتاب الديات، باب النفس بالنفس ٤/٦٣٤ (٤٤٩٤)، بسنده رجاله كلهم ثقات ما عدا سماك بن حرب فإنه صدوق.

وأخرجه النسائي في القسامة، باب تأويل قول الله – تعالى – : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ...﴾ الآية ١٨/٨؛ وأخرجه ابن حجر الطبراني في تفسيره عند آية: ﴿فَإِنْ جَاءُوكُمْ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ...﴾ [الآية ٤٢ من سورة المائدة] ٦/١٥٧ (المجلد ٤)؛ ورواه الهيثمي في موارد الظمان، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة ص ٤٣٠ (١٧٣٨).

وانظر لباب القول للسيوطى ص ٨٨.

وقال الشوكاني – رحمه الله – في فتح القدير ٢/٤٤: «أخرج ابن إسحاق، وابن حجر، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس: أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها: «فاحكم بينهم...» إلى قوله: «المقسطين» إنما نزلت في الدية من بني النضير، وقريطة... وذكره».

ومعلوم أن الحكم الذي أمروا أن يحكموا به من أحكام التوراة، و^(١) لم ينسخه الإنجيل ولا القرآن، فكذلك ما أمروا أن يحكموا به من أحكام الإنجيل هو مما^(٢) لم ينسخه القرآن، وذلك أن الدين الجامع أن يعبد الله وحده، ويأمر بما أمر الله به ويحكم بما أنزله الله في أي كتاب أنزله ولم ينسخه فإنه يحكم به.

ولهذا كان مذهب جماهير السلف والأئمة، أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه^(٣). ومن حكم بالشرع المنسوخ فلم يحكم

(١) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٢) في أ، س، ك (ما).

(٣) هذا أحد الأصول الأربع المختلف فيها، الثاني: قول الصحابي إذا لم يظهر له مخالف، الثالث: الاستحسان، الرابع: الاستصلاح.

وللعلماء في هذا الأصل (شرع من قبلنا...) قولان:
الأول: أنه شرع لنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه، أو خلافه، ومحل ذلك إذا قطع بأنه شرع لمن قبلنا: إما بكتاب، أو بخبر الصادق - صلى الله عليه وسلم -، أو بنقل متواتر. فاما الرجوع إليهم، أو إلى كتبهم فلا.

وقال بهذا: الشافعي، وأكثر أصحابه. واختاره الحلواني، وأبو الحسن التميمي وغيرهما، والأحناف، والمالكية، وابن عقيل، والمقدسي. وصحح هذه الرواية في المسودة. وذكروا لذلك أدلة كثيرة منها: قوله - تعالى - «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا...» [الأية ٤٤ من سورة المائدة]، قالوا: والشريعة من جملة الهدى فتدخل في عموم قوله - تعالى - : «... فبهداهم اقتده...»، وذكروا لذلك أدلة أخرى ليس هذا موضع بسطها. وهذا هو القول الراجح.

الثاني: أنه لا يكون شرعاً لنا. وذكروا أدلة منها قوله - تعالى - : «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً»، وب الحديث غضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما رأى نسخة في يد عمر. وقد أجب عن الآية: بأن المشاركة في بعض الشريعة لا تمنع نسبتها بكمالها إلى المبسوط نظراً إلى الأكثر، وال الحديث يندفع بكون الشريعة الأولى لم تثبت بطريق موثوق به: بل قد أخبر الله بتحريف أهلها، وتبديلهم، فلذلك أنكر

بما أنزل الله، كما أن الله أمر أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يحكموا بما أنزل الله في القرآن، وفيه^(١) الناسخ، والمنسوخ^(٢). فهكذا القول في جنس الكتب المنزلة.

قال – تعالى – :

﴿ وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِعَةً وَمِنْهَا جَاءَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلِكُلِّنِّي لَيْسَ لَكُمْ فِي مَا أَنْتُمْ كُفَّارٌ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيْنَتَهِيُّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِيقُونَ ٦٦ ﴾ وَإِنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحَدُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوْلُوا فَاعْلَمُ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَنْسِقُونَ ٦٧ ﴾ أَفَحُكْمُ الْجَنَاحِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوَقِّنُونَ ٦٨ ﴾ يَنَاهَا الَّذِينَ مَأْمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَقْرِبَيَّةً بَعْضُهُمْ أَقْرِبَيَّةً بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٦٩ ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِّعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَأْبَرٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُهُمْ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَذَرِيْنَ ٧٠ ﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ مَأْمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ

النبي – صلى الله عليه وسلم – على عمر كتاب التوراة وصوب معاذًا في إعراضه عن كتبهم ... إلخ.

انظر في هذه المسألة: روضة الناظر، وجنة المناظر ص ٨٢ – ٨٤؛ والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٢٨٩؛ والمسودة ص ١٩٣؛ وعلم أصول الفقه لخلاف ص ٩٣ – ٩٤؛ وفتح القدير ٤٦/٢.

(١) في س (ومنه).

(٢) في هامش س (وأن عليهم أن يحكموا بالناسخ دون المنسوخ).

إِنَّهُمْ لَعَلَّكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالَهُمْ فَاصْبِرُوا هُنَّ خَسِيرُونَ ٥٣ يَأْتِيَهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجْهِهُمْ وَيُجْهِنُهُمْ أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجْهِهُمْ وَهُنَّ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَا يَحْافَوْنَ لَوْمَةً لَا إِيمَانٌ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيهِمْ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيَّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ أَرْزَكَهُ وَهُمْ رَكِعُونَ ٥٥ وَمَنْ يَتُوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ ٥٦ ١).

فقد أمر نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، أن يحكم بما أنزل الله إليه، وحذره اتباع أهوائهم، وبين أن المخالف لحكمه هو حكم الجاهلية، حيث قال - تعالى - :

﴿أَفَمُحْكَمَ الْجَهَلِيَّةُ يَبْعَدُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوَقِّنُونَ﴾ (٢).

وأخبره - تعالى - أنه جعل لكل من أهل التوراة، والإنجيل، والقرآن، شرعة ومنهاجاً، وأمره - تعالى - بالحكم بما أنزل الله أمر عام لأهل التوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحد في وقت من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشريعة والمنهج، بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه (٣) بتنوع حال (٤) الكتاب الواحد (٥)، فإن المسلمين كانوا أولاً مأمورين بالصلة ببيت المقدس، ثم أمروا أن يصلوا إلى المسجد الحرام، وفي كلام (٦) الأمران إنما اتبعوا ما أنزل الله عز وجل .

(١) سورة المائدة: الآيات ٤٨ - ٥٦. (٦) في ط (وفي كلام) وهو تصحيف.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٣) سقطت (شبيه) من أ.

(٤) سقطت (حال) من أ.

(٥) سقطت (الواحد) من أ، ك، ط وأثبتتها من س.

وكذلك موسى – عليه السلام – ، كان مأموراً بالسبت محرماً عليه ما حرمه الله في التوراة، وهو متبع ما أنزله الله – عز وجل – ، والمسيح – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ^(١) أحل بعض ما حرمه الله، في التوراة، وهو متبع ما أنزل الله – عز وجل – فليس في أمر الله لأهل التوراة والإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله أمر بما نسخ، كما أنه ليس في أمر أهل القرآن أن يحكموا بما أنزل الله أمر بما نسخ، بل إذا كان ناسخ ومنسوخ ^(٢) فالذي أنزل الله هو الحكم بالناسخ دون المنسوخ. فمن حكم بالمنسوخ فقد حكم ^(٣) بغير ما أنزل الله – عز وجل – ^(٤). ومما يوضح هذا قوله – تعالى – :

﴿ قُلْ يَأْهُلُ الْكِتَابِ لَسْمٌ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِدَنَّكُمْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَغَيْتُنَا وَكُفَّرَ أَنَا لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٥).

فإن هذا يبين أن هذا أمر لمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يقول لأهل الكتاب الذي بعث إليهم: إنهم ليسوا على شيء، حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم. فدل ذلك على أنهم ^(٦) عندهم ما يعلم أنه منزول من الله، وأنهم مأمورون بإقامته إذ كان ذلك مما

(١) في س (عليه السلام).

(٢) في ط (فقد حكم ومنسوخ) وهي زيادة في غير موضعها.

(٣) سقطت جملة (فقد حكم) من ط وزيدت قبل سطر في غير محلها. وهي منفردة عن سائر النسخ بذلك.

(٤) سقطت (عز وجل) من س، ك، ط.

(٥) سورة المائدة: الآية ٦٨.

(٦) في س (أن) بدل (أنهم).

قرره محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَلَمْ يَنْسَخْهُ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ
مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ، وَلَمْ يَنْسَخْهُ النَّبِيُّ الثَّانِي بِلَأَفْرَهِ كَانَ اللَّهُ
آمِرًا بِهِ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ بَعْدَ نَبِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَعْثَةِ الثَّانِي مَا يَسْقُطُ
وَجُوبُ اتِّبَاعِ مَا أَمْرَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَوَّلُ ، وَقَرَرَهُ النَّبِيُّ الثَّانِي .

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يَنْسَخُ بِالْكِتَابِ الثَّانِي جَمِيعَ مَا شَرَعَهُ
بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَإِنَّمَا الْمَنْسُوخُ قَلِيلٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ،
وَالشَّرَائِعُ .

وَأَيْضًا فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا دَلَّ عَلَى نَبُوَةِ^(١) مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَإِذَا حَكَمَ أَهْلَ التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا ،
حَكَمُوا بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ ،
إِذَا لَا يَؤْمِنُونَ أَنْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَالْحَكْمُ
إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ . وَالْعِلْمُ بِعِبْدِ مَعْنَى الْكِتَابِ لَا يَنَافِي عَدْمِ
الْعِلْمِ بِبَعْضِهَا ، وَهَذَا مُتَفَقُ عَلَيْهِ فِي الْمَعْنَى ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى مُتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ فِي الْكِتَابِ الْإِلَهِيَّ الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّهُ أُرْسَلَ إِلَى الْخَلْقِ رَسُلًا مِّنَ الْبَشَرِ ، وَأَنَّهُ أَوْجَبَ^(٢)
الْعَدْلَ وَحْرَمَ الظُّلْمَ وَالْفَوَاحِشَ وَالشَّرَكَ ، وَ^(٣)أَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الشَّرَائِعِ

(١) انظر مثلاً: سفر الشَّيْنة ١٨/١٨ – ١٩/١٩؛ وسفر التَّكْوين ١٧/٢٠؛ ٢١/٢١؛ ٢٣/١٩؛ وسفر يوحا ١٥/١٥ – ١٦/١٦ – ١٧/٢٧؛ وانظر: كتاب هداية الحيارى لابن القيم ص ١٠٠ بتحقيق الدكتور أحمد السقا. فقد ساق فيه اثني عشر وجهاً، تدل على أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مذكور في الكتب المترفة. ثم بسط الكلام فيها، واستدل بأدلة من التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فِي ص ١٠٩ فَمَا بَعْدَهَا.

(٢) في ط (أَوْجَبَ).

(٣) في ط (أَوْ).

الكلية وأن فيها الوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب، بل هم متفقون على الإيمان باليوم الآخر، وقد تنازعوا في بعض معانيها، وختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات، هل هو المسيح بن مرريم – عليه السلام – أو مسيح آخر يتظر(١)؟

(١) سمي عيسى – عليه السلام – مسيحاً؛ لسياحته في الأرض، وقيل: مسيح فعيل من مسح الأرض لأنه كان يمسحها، أي: يقطعها، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: لأنه كان أنسح الرجلين، ليس لرجله أخْمَص، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذاعاهة إلا برأه، وقيل: المسيح الصديق. ويرجع الدكتور محمد مرجان – في كتابه المسيح إنسان أم الله – هذا اللقب إلى الشعائر التي درجت عليها اليهودية، منذ أبيهم الأول يعقوب – عليه السلام – حيث اعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم شعائر التقديس، والتكريم للناس، والأماكن... ولا يمسح بالزيت المقدس سوى الكهنة، والملوك، والأنبياء لذلك سموا هؤلاء مسحاء الله، أي: المختارين، والمباركين من الله.

وال المسلمين يؤمنون بال المسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، والذي بشر بمحمد – صلى الله عليه وسلم – كما ورد في سورة الصاف: «وإذ قال عيسى بن مرريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إلىكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أَحْمَد...» الآية. وعيسى – عليه السلام – عبد الله وكلمه ألقاها إلى مرريم العذراء، والنصارى تؤمن بمسح دعا إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، وهذا هو أخوه المسيح الكذاب لو كان له وجود، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح. كما أن اليهود إنما يتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم يتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال كما قال ابن القيم – رحمة الله –، وهكذا كل من أعرض عن الحق يعرض عنه بالباطل.

انظر: تفسير غريب القرآن العزيز مخطوط للسجستاني المتوفى سنة ٥٣٣هـ / باب الميم مخطوط بجامعة الإمام؛ وتفسير الطبرى ٦/٢٤ (مجلد ٤)؛ وتفسير ابن كثير ١/٣٦٣؛ وهداية الحيارى ص ١٣٥، ١٣٦؛ وفتح الباري، كتاب الأنبياء ٦/٣٤٠؛ وكتاب المسيح إنسان أم الله ص ٨ – ٩، للدكتور محمد مجدى مرجان؛ وكتاب سيرة المسيح للدكتور جورج فورد، إصدار كنيسة قصر الドبيارة ص ١٧.

وال المسلمين يعلمون أن الصواب في هذا مع النصارى، لكن لا يوافقونهم^(١) على ما أحدثوا فيه من الإفك والشرك.

وكذلك يقال إذا بدل قليل من ألفاظها الخبرية لم يمنع ذلك أن يكون أكثر ألفاظها لم يبدل، لا سيما إذا كان في نفس الكتاب ما يدل على المبدل. وقد يقال أن ما بدل من ألفاظ التوراة والإنجيل ففي نفس التوراة والإنجيل ما يدل على تبديله، فبهذا يحصل الجواب عن شبهة من يقول: إنه لم يبدل شيء من ألفاظها، فإنهم يقولون: إذا كان التبديل قد وقع في ألفاظ التوراة والإنجيل قبل مبعث محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لم يعلم الحق من الباطل، فسقط الاحتجاج بهما ووجوب العمل بهما على أهل الكتاب، فلا يذمون حينئذ على ترك اتباعهما.

والقرآن قد ذمهم على ترك الحكم بما فيهما^(٢)، واستشهد بهما في موضع.

وجواب ذلك أن ما وقع من التبديل قليل والأكثر لم يبدل، والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة تبين بها المقصود من^(٣) غلط ما خالفها ولها شواهد ونظائر متعددة، يصدق بعضها بعضاً، بخلاف المبدل فإنه ألفاظ قليلة، وسائر نصوص الكتب ينافقها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنسولة عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فإنه إذا وقع في سنن أبي داود والترمذى أو غيرهما أحاديث قليلة ضعيفة، كان في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ما يبين ضعف تلك.

(١) في أ (يواافقهم).

(٢) في ط (فيها).

(٣) في س، ك، ط (صريحة بينة بالمقصود تبين غلط).

بل^(١) وكذلك صحيح مسلم فيه الفاظ قليلة غلط، وفي نفس الأحاديث الصحيحة مع القرآن ما يبين غلطها، مثل ما رُوي أن الله خلق التربة يوم السبت وجعل خلق المخلوقات في الأيام السبعة^(٢)، فإن^(٣) هذا الحديث قد بين أئمة الحديث كيحيى بن معين^(٤) وعبد الرحمن بن

(١) شطب على (بل) في من.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب صفات المناقين، وأحكامهم، باب ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام ٢١٤٩/٤ (٢٧)، ولفظه عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيدي فقال: «خلق الله – عز وجل – التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكرمه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم – عليه السلام – بعد العصر من يوم الجمعة. في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة. فيما بين العصر إلى الليل». رواه أحمد في مسنده أبي هريرة ٣٢٧/٢ وسيأتي الكلام عليه بعد قليل.

(٣) في أ (فإذا) وصويناه من سائر النسخ.

(٤) يحيى بن معين بن عون، أبو ذكريya البغدادي. الحافظ المشهور، كان إماماً عالماً، حافظاً، متقناً. ولد بقرية (نقيا) قرب الأنبار سنة ١٥٨هـ. وكان أبوه على خراج الري فخلف له ثروة كبيرة فأنفقها في طلب الحديث. روى عنه كبار أئمة الحديث منهم: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وكان بينه وبين الإمام أحمد صحبة. قال الذهبي – جاء عنه أنه قال: كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث، وقال أحمد: كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس بحديث، وقال ابن حجر: إمام الجرح والتعديل. من مؤلفاته: التاريخ والعلل – مطبوع في أربعة مجلدات، ومعرفة الرجال، وغيرها مات – رحمه الله – بالمدينة سنة ٢٣٣هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ١٣٩/٦ (٧٩١)؛ وال عبر ٤١٥/١؛ و تاريخ بغداد ١٤٧٧ – ١٨٧ (٧٤٨٤)؛ و تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢؛ و شذرات الذهب ٧٩/٢؛ و تهذيب التهذيب ١١/٢٨٠ (٥٦١)؛ و مرآة الجنان و عبرة اليقظان ٢/١٠٨؛ والأعلام ١٧٢/٨.

مهدي^(١)، والبخاري^(٢) وغيرهم أنه غلط، وأنه ليس في كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل صرخ البخاري في تاريخه الكبير أنه من كلام كعب الأحبار^(٣)، كما قد بسط في موضعه^(٤) . والقرآن يدل على

(١) عبد الرحمن بن مهدي البصري اللؤلؤي، أبو سعيد. من كبار حفاظ الحديث، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ هـ . قال ابن حجر: حافظ، إمام في العلم. روى عنه خلق كثير، وثقة ابن المديني، وابن سعد، والعجلاني، وابن حبان، وغيرهم . وقال الشافعي: لا أعرف له نظيرًا في الدنيا . وقال ابن كثير: من سادة العلماء في الحديث، والفقه، وأسماء الرجال، له تصانيف في الحديث . مات – رحمه الله – سنة ١٩٨ هـ .

انظر: تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٤٤؛ وتهذيب التهذيب ٦/٢٧٩ – ٢٨١؛ والأعلام ٣/٢٣٩ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (بالولاء) البخاري. نسبة إلى بخاري من أعظم مدن ما وراء النهر. ولد سنة ١٩٤ هـ . ثم رحل في طلب العلم إلى بلدان كثيرة. وسمع من نحو ألف شيخ فغدا حافظاً، إماماً، من أوعية العلم. صنف كتابه الصحيح من ستة مائة ألف حديث، وهو أصح الكتب بعد كتاب الله – عز وجل – . وله كتاب التاريخ الكبير، والضعفاء في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد، والأدب المفرد، وغيرها مات – رحمه الله – سنة ٢٥٦ هـ .

انظر: تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٥ (٥٧٨)؛ ووفيات الأعيان ٤/١٨٨ – ١٩١؛ وتهذيب التهذيب ٩/٤٧؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١/٦٧ (وقد ذكر فيه أن عدد الأحاديث المسندة في صحيح البخاري ٧٢٧٥) بالمكررة، وبتحذيفها (نحو أربعة آلاف)؛ وانظر تاريخ بغداد ٤/٣٦ – ١٢/٢؛ وال عبر ١٣ – ١٢/٢؛ ومسرة الجنان ٢/١٦٧؛ والأعلام ٦/٢٥٩ .

(٣) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري. أبو إسحاق، تابعي من الطبقة الأولى، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمان أبي بكر، وقدم المدينة في زمن عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة . وأخذ هو الكتاب والسنة عن الصحابة . خرج إلى الشام فسكن حمص، وتوفي بها سنة ٥٣٢ هـ .

انظر: تذكرة الحفاظ ١/٥٢ (٣٣)؛ والإصابة ٣/٢٩٧؛ والتجوم الزاهرة ١/٧٤٩٨؛ والأعلام ٥/٩٠ .

(٤) علل الإمام البخاري في التاريخ الكبير: القسم الأول ١/٤١٣ (١٣١٧) باب الخاء =

غلط هذا، ويبيّن^(١) أن الخلق^(٢) في ستة أيام، وثبت في الصحيح أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيكون أول الخلق يوم الأحد.

وكذلك ما رُوي أنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صَلَّى الْكَسْوَفَ

وقال: «قال بعضهم عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار، وهو أصح».

قال المناوي في فيض القدير ٤٤٧/٣ (٣٩٣٠): «قال الزركشي: أخرجه مسلم، وهو من غرائبه، وقد تكلم فيه ابن المديني، والبخاري، وغيرهما من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبي هريرة إنما سمعه منه لكن اشتبه على بعض الرواية فجعله مرفوعاً».

وانظر كلام البيهقي في: الأسماء والصفات ص ٣٧٣، ٣٨٤؛ وكتاب ابن كثير في تفسيره ٢٢٠/٥٤ من سورة الأعراف؛ ٤٥٧/٣ الآية ٤ من سورة السجدة؛ ٤/٩٤ الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت؛ والجامع الصغير للسيوطى ٦٠٦/١ (٣٩٣٠)؛ والمقاصد الحسنة ص ٢٠٠ (٤٤١)؛ والأنوار الكاشفة للمعلمى ص ١٨٨ - ١٩٣؛ وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ٤٥٤/١ (١٢١٤)؛ وأسنى المطالب ص ١٣٦؛ ويسط الكلام عليه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨/١٨ - ١٩ وابن القيم في المنار المنير ص ٨٤ (١٥٣)، حيث علل بقوله: «إن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض، وما بينهما في ستة أيام، وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة والله – تعالى – أعلم». وقد أحصى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة المواضع التي ورد فيها التحديد بستة أيام في تعليق له في المنار المنير ص ٨٦ وذكر أنها في سورة الأعراف الآية ٥٤؛ ويونس: ٣؛ وهود: ٧؛ والفرقان: ٥٩؛ والسجدة: ٤؛ وق: ٣٨؛ والحديد: ٤، «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجَعُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا...» الآية، ثم نقل عن الحافظ عبد القادر القرشي قوله: «اتفق الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق، وأن ابتداء الخلق يوم الأحد».

قلت: ولو لا الإطالة لنقلت كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨/١٨ - ١٩ فهو كلام جيد، ومفيد وفيه إيضاح وبيان لعلة السنّد، وما حصل فيه من وهم وخطأ.

(١) في أ، ك، ط وبين.

(٢) في س (الخلق كان).

بركوعين أو ثلاثة^(١).

فإن الثابت المتواتر عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، في الصحيحين، وغيرهما من حديث عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم أنه «صلى كل ركعة بركوعين»^(٢) ولهذا لم يخرج

(١) روى مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٦٢٠/٢ (٩٠١)، قال: «حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج، قال سمعت عطاء يقول: سمعت عبيد بن عمير يقول: حدثني من أصدق (حسبته يربد عائشة) أن الشمس انكسفت على عهد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقام مقاماً شديداً، يقوم قائماً ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ركعتين في ثلاث ركعات، وأربع سجادات... الحديث.

قال شيخ الإسلام في مجمع الفتاوى ١٧/١٨ - ١٨ «انفرد مسلم بذلك عن البخاري، وضيقه حذق أهل العلم، و قالوا أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة، يوم مات ابنه إبراهيم، وفي نفس هذه الأحاديث التي فيها الصلاة بثلاث ركعات، وأربع ركعات، أنه إنما صَلَّى ذلك يوم مات إبراهيم، ومعلوم أن إبراهيم لم يمت مرتين، ولا كان له إبراهيمان، وقد تواتر عنه أنه صَلَّى الكسوف يومئذ ركوعين في كل ركعة كما روى ذلك عن عائشة، وابن عباس، وابن عمرو وغيرهم. فلهذا لم يرو البخاري إلا هذه الأحاديث، وهو أحذق من مسلم، ولهذا ضعف الشافعى وغيره أحاديث الثلاثة، والأربعة، ولم يستحبوا ذلك، وهذا أصح الروايات عن أحمد. وروى عنه أنه كان يجوز ذلك قبل أن يتبين له ضعف هذه الأحاديث».

وقال النووي: «المشهور في مذهب الشافعى أنها ركعتان، في كل ركعة قيامان، وقراءتان، وركوعان، وأما السجود فسجدتان كثيرهما... وبهذا قال مالك، والليث، وأحمد، وأبي ثور وجمهور علماء الحجاز وغيرهم. وقال الكوفيون هما ركعتان كسائر النوافل عملاً بظاهر حديث حابر، وأبى بكرة أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى ركعتين... إلخ كلامه في صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٨/٦ - ١٩٩. قلت وقد أخرج أبو عوانة في مسنده من حديث عائشة ٤٠٣/٢ (مختصرأ) بلفظ (صلَّى ست ركعات، وأربع سجادات).

رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب خطبة الأيام في الكسوف ٢٥/٢ من حديث (٢)

البخاري إلا ذلك. وضعف الشافعي، والبخاري، وأحمد في أحد^(١) الروايتين عنه، وغيرهم حديث الثلاث^(٢)، والأربع، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – إنما صلى الكسوف مرة واحدة، وفي حديث الثلاث والأربع، أنه صلاها يوم مات إبراهيم ابنه، وأحاديث الركوعين كانت ذلك اليوم فمثلاً هذا الغلط إذا وقع كان في نفس الأحاديث الصحيحة ما يبين أنه غلط، والبخاري إذا روى الحديث بطرق^(٣) في بعضها غلط في بعض الألفاظ، ذكر معه الطرق التي تبين ذلك الغلط، كما قد بسطنا الكلام على ذلك في موضعه^(٤).

فكذلك إذا قيل: أنه وقع تبديل في بعض ألفاظ الكتب المتقدمة كان في الكتب ما يبين لك الغلط، وقد قدمنا أن المسلمين لا يدعون أن كل نسخة في العالم من زمن محمد – صلى الله عليه وسلم – بكل لسان من التوراة والإنجيل والزبور بذلت ألفاظها، فإن هذا لا أعرف

عائشة – رضي الله عنها –؛ ورواه في بدء الخلق ٤/٧٦؛ ورواه مسلم في أول كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٢/٦١٨؛ والترمذى في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الكسوف ٢/٤٥٠ (٥٦١). قال وبهذا الحديث يقول الشافعى، وأحمد، وأسحاق. يرون صلاة الكسوف أربع ركعات في أربع سجادات؛ ورواه أبو داود في صلاة الكسوف، باب من قال أربع ركعات ١/٦٩٧ (١١٨٠)؛ والنمسائى في الكسوف، باب كيف صلاة الكسوف ٣/١٣٠؛ وابن ماجة في إقامة الصلاة والستة فيها، باب ما جاء في صلاة الكسوف ١/٤٠١ (١٢٦٣).

والحديث طويل فافتقرت الاكتفاء بالإشارة إلى موضعه.

(١) في ط (أخذ) بالخاء والذال المعجمتين، وهو تصحيف.

(٢) في س، ك، ط (الثلاثة).

(٣) سقطت كلمة (طرق) من أوزانها من سائر النسخ.

(٤) للمؤلف – رحمة الله – مبحث جيد ومفصل في هذا الموضوع في مجموع الفتاوى مجلد ١٨ من أوله.

أحداً من السلف^(١) قاله، وإن كان من المتأخرین من قد يقول ذلك، كما في بعض المتأخرین من يجّوز الاستنجاج بكل ما في العالم من نسخ التوراة والإنجيل، فليست هذه الأقوال ونحوها من أقوال سلف الأمة وأئمتها. وعمر ابن الخطاب – رضي الله عنه –، لما رأى بيد كعب الأحبار نسخة من التوراة قال: «يا كعب إن كنت^(٢) تعلم أن هذه هي التوراة التي أنزلها الله، على موسى بن عمران فاقرأها»^(٣)، فلعل الأمر

• (١) في أ (المسلمين) والصواب مأثتبناه من سائر النسخ.

• (٢) سقطت (كنت) من أ وزدنها من سائر النسخ.

• (٣) ساق المترجمون لکعب الأحبار أثناه ترجمتهم له أخباراً، وأثناً كثيرة جداً وخاصة أبو نعيم في حلية الأولياء، والذهبي في سير أعلام النبلاء، وابن سعد في الطبقات، غير أنني لم أقف على الأثر الذي ساقه المؤلف بنصه، وإنما ساق الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٩٤/٣ – ٤٩٣/٣ قصة طويلة ذكر فيها أنه كان بيد كعب نسخة من التوراة قال عنها: «إنها التوراة كما أنزلها الله على موسى، ما غيرت ولا بدللت...». ثم عقب الذهبي على هذه القصة بقوله: «هكذا رواه ابن أبي خيثمة، عن هدبة، عن همام، وشهر – يعني ابن حوشب أحد رجال السنّد – لم يلحق كعباً، ثم قال الذهبي: «وهذا القول من کعب دال على أن تيك النسخة ما غيرت، ولا بدللت، وأن ما عداها بخلاف ذلك، فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التوراة شيئاً على وجه الاحتجاج معتقداً أنها التوراة المنزّلة، كلا والله». اهـ كلامه رحمة الله –.

قلت: وقد ساق أبو نعيم في الحلية آثاراً كثيرة في ترجمة کعب في الجزءين الخامس من ص ٣٦٤ إلى ٣٩١ نهايته، وفي الجزء السادس من أوله إلى ص ٤٨، وتتبعتها كلها فلم أجده ما ذكره المؤلف بنصه، وقد جاء في ٣٨٩/٥ أن کعباً مُر بعمر وهو يضرب رجلاً فقال: على رسلك يا عمر فوالذي نفسي بيده إنه لم يكتب في التوراة ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء... فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال کعب: والذى نفسى بيده أنها لففي كتاب الله المنزّل ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه».

وجاء في الحلية ٤٣/٦: أن کعباً قال لعمر – رضي الله تعالى عنه –: هل ترى في

على ما يمتنع العلم به، ولم يجزم عمر - رضي الله عنه - بأن ألفاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها.

والقرآن والسنّة المتوافرة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي - صلّى الله عليه وسلم - فيهما^(١) ما أنزله الله - عز وجل - ، والجزم بتبدل ذلك في جميع النسخ التي في العالم متعدّر، ولا حاجة بنا إلى ذكره، ولا علم لنا بذلك، ولا يمكن أحداً من أهل الكتاب أن يدعى أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد، فإن هذا مما لا يمكن أحداً من البشر أن يعرفه باختباره^(٢) وامتحانه، وإنما يعلم مثل هذا بالوحي وإلا فلا يمكن أحداً

هذه أقرب النصوص التي وجدتها إلى النص الذي ذكره المؤلف عن كعب، وقد تبعت ترجمته في كتب كثيرة سأشير إليها بأجزائها وصفحاتها، ثم تبعت كتب الآثار وخصوصاً مصنف ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، ومعجم الطبراني، وتهذيب الآثار للطبراني، وكتب التفسير التي تعني بالأثار كتفسير ابن جرير، والسيوطى، وابن كثير، وابن أبي حاتم، وغيرها فلم أقف على النص الذي أورده المؤلف وذلك بعد جهد طويل، واستفسار عنه من طلاب العلم المستغلين بهذا، والله تعالى أعلم.

انظر: طبقات ابن سعد له ترجمة في ٤٤٥/٧؛ وساق له آثاراً في ٣٣٢/٣، ٣٦٠/١، ٣٦٢ وغيرها؛ وحلية الأولياء ٣٦٤/٥ - ٣٩١، ١/٦ - ٤٨؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٠/٣ (ترجمة رقم ١١١)؛ والتاريخ الكبير للبخاري ٢٢٣/٧؛ والعبر في خبر من غبر ١/٣٥؛ وتذكرة الحفاظ ١/٤٩؛ والنجوم الزاهرة ١/٩٠؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٣٨؛ والإصابة ٣/٢٩٧ (٧٤٩٨)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٣٤؛ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/١٦١؛ وتهذيب الأسماء واللغات للنحووي ٢/٦٨ (٩١).

(١) في أ، س، ك (فيها).

(٢) في ط (باختياره) بالباء التحتية.

من البشر أن يقابل كل نسخة موجودة في العالم بكل نسخة من جميع الألسنة بالكتب الأربع والعشرين، وقد رأيناها مختلفة في الألفاظ اختلافاً بيناً، والتوراة هي أصح الكتب، وأشهرها عند اليهود، والنصارى، ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى، حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر^(١) في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب؛ فإن عند السامرة نسخاً متعددة^(٢).

(١) سقطت (ذكر) من أ.

(٢) نسخ العهد القديم (التوراة) ثلاث نسخ:

الأولى – العبرانية: وهي المعتبرة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستانت.
الثانية – اليونانية: وهي المعتبرة عند الكنيسة اليونانية، وعند كنائس المشرق.
(وهاتان النسختان تشتمل على جميع أسفار العهد القديم).
الثالثة – السامرية: وهي المعتبرة عند السامريين، وتشتمل على سبعة أسفار من العهد القديم؛ الخمسة المنسوبة إلى موسى – عليه السلام – ، وسفر يشوع، والقضاة. ولا يسلم السامريون الأسفار الباقية.

وقد أخرج الدكتور أحمد السقا كتاباً بعنوان «من الفروق بين التوراة السامرية، والعبرانية في الألفاظ والمعاني»، ويقع في ست وسبعين صفحة طبعة دار الأنصار.
فمن الفروق التي ذكرها على سبيل المثال:
في سفر التكوير: الإصحاح الأول فقرة ٢/٢.
في السامرية (ورياح الله هابة على وجه الماء).
وفي العبرانية (وروح الله...).

ثم ساق الفروق في سفر التكوير كله، وانتقل بعد ذلك إلى ذكر الفروق في سفر الخروج، ثم في بقية الأسفار. وهذا الكتاب عظيمفائدة، وجدير بالقراءة. وقد أورد الأستاذ موريس بوكي، جملة عظيمة من التناقضات الكثيرة بين الأنجيل وكتب التوراة في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) طبعة دار المعارف من ص ٧٥ – ١٣١.

وكذلك رأينا في زبور نسخاً متعددة تختلف بعضها^(١) بعضاً، مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني، يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود - عليه السلام -^(٢)، وأما الأنجليل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة.

فإن قيل: فإذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة، فلماذا ذم أهل الكتاب على^(٣) ترك الحكم بما أنزل الله منها؟ قيل النسخ لم يقع إلا في قليل من الشرائع، وإنما فالإخبار عن الله، وعن اليوم الآخر، وغير ذلك لا نسخ فيه^(٤).

وكذلك الدين الجامع والشرائع الكلية لا نسخ فيها، وهو - سبحانه - ذمهم على ترك اتباع الكتاب الأول، لأن أهل الكتاب كفروا من وجهين^(٥): من جهة تبديلهم الكتاب الأول، وترك الإيمان، والعمل ببعضه. ومن جهة تكذيبهم بالكتاب الثاني وهو القرآن، كما قال - تعالى - :

﴿وَلَذَا قِيلَ لَهُمْ إِمِسْوَأْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

فبين أنهم كفروا قبل مبعثه بما أنزل عليهم وقتلوا الأنبياء كما

(١) في ط (بعضهما).

(٢) في نسخة أ زيادة جملة (ليست من زبور داود عليه السلام).

(٣) في ط (عن).

(٤) في ط (فلم تنسخ).

(٥) في ط (جهتين).

(٦) سورة البقرة: الآية ٩١.

كفروا حين مبعثه^(١) بما أنزل عليه، وقال – تعالى – :

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِيمَانَنَا أَلَا نُؤْمِنُ بِرَسُولِنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا
يُقْرَبَانِ تَأْكُلُهُ الْنَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمُ فَلَمَّا
قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وقال – تعالى – :

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولُنَا مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرُ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٣).

وقال – تعالى – :

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَنَا أُوقِّتٌ مِّثْلَ مَا أُوقِّتَ مُوسَىٰ
أَوْلَمْ يَكُنْ قُرْنَيْرُ وَإِيمَانُ أُوقِّتٌ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِنَا قَالُوا سَاحِرٌ تَظَاهِرُ^{٤٨}
أَوْلَمْ يَكُنْ قُرْنَيْرُ وَإِيمَانُ أُوقِّتٌ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِنَا قَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كُفَّارٍ نَّ
قُلْ فَأَتُؤْمِنُ بِكَيْنَىٰ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَيْتُهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

وإذا كان الأمر كذلك فهو – سبحانه – يذمهم * على ترك اتباع
ما أنزله في التوراة والإنجيل^(٥) وعلى ترك اتباع ما أنزله في القرآن
ويبيّن^(٦) كفراهم بالكتاب الأول، وبالكتاب الثاني، وليس في شيء من
ذلك أمرهم أن يحكموا بالمنسوخ من الكتاب الأول، كما ليس فيه
أمرهم أن يحكموا بالمنسوخ في الكتاب الثاني^(٧).

● ● ●

(١) في س، ك (مبعثك). (٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

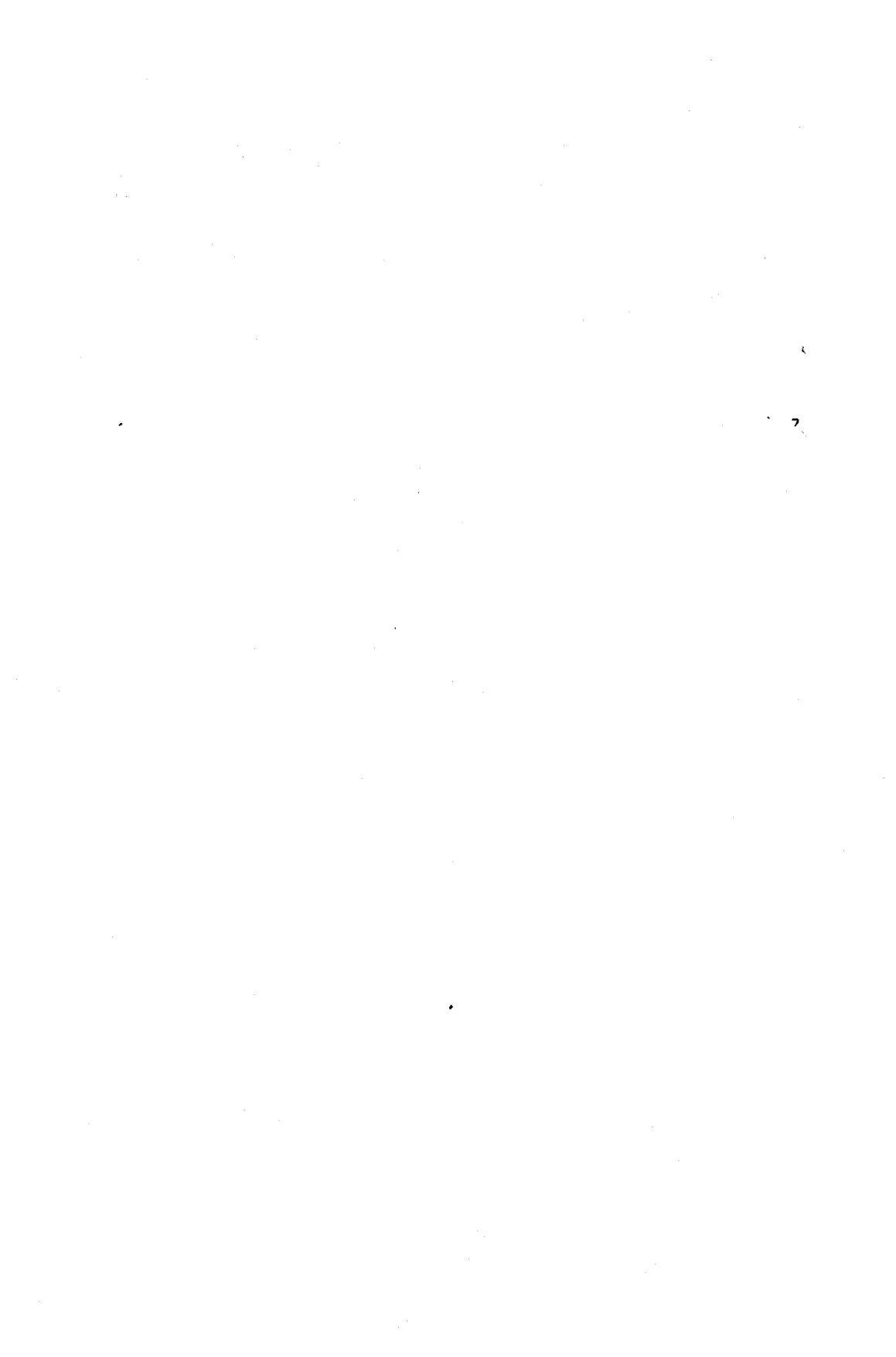
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٣. (٤) سورة القصص: الآيات ٤٨، ٤٩.

(٥) سقط ما بين النجمتين من أوزانه من سائر النسخ.

(٦) في س، ط (مبين).

(٧) هنا يتّهي القسم الأول من الكتاب، ويه يتّهي القسم المطلوب منا تحقيقه ودراسته.

انتهى المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث
وأوله فصل [قياس النصارى كتبهم على القرآن قياس باطل]



بيان معنى الروح القدس ودفع اعتقاد النصارى الوهبيه
الردد على النصارى في احتجاجهم بآية سورة الحديد
على مدح الرهانية

الردد على النصارى في احتجاجهم بأنَّ الله مدحهم في قوله:
«من أهل الكتاب أمة قائمة...» الآية

رد دعواهم تعظيم الإسلام لمعابدهم

رفض دعواهم وجوب التمسك بدينهم بعد بعثة محمد - عليه السلام -

رد دعوى النصارى أنَّ الإسلام عظم الحواريين

الردد عليهم في زعمهم أنَّ الإسلام عظَم إنجيلهم الذي بين أيديهم

قيام الحجَّة على من بلغته دعوة الرسل

أسباب ضلال النصارى وَمَنْ على شاكلتهم

الخوارق التي يصل بها الشياطين أبناء آدم

إثبات أنَّ عند أهل الكتاب ما يثبت صدق محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

رفض دعواهم أنَّ القرآن صَدَق كتبهم التي بين أيديهم

رد دعواهم تناقض خبر الأنبياء السابقين مع ما أخبر

به محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وقوع التبديل في ألفاظ التوراة والإنجيل وانقطاع سندهما

الردد على النصارى في دعواهم بأنَّ المسلمين يقولون

إن التحرير وقع بعد بعثة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

دعاة أهل الكتاب إلى الحكم بما في كتبهم الصحيحة

• • •

فهرس الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
فصل	٥
الرَّدُّ عَلَى النَّصَارَى فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ مُحَمَّداً - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمْ يُشَرِّبْ بِهِ	٣٠
إِبْطَالُ اسْتِدَالَالِ النَّصَارَى عَلَى صَحَّةِ دِينِهِمْ بِمَا جَاءَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ	٤٢
إِبْطَالُ دُعَوَى النَّصَارَى إِلَهِيَّةِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -	٤٦
رَدُّ دُعَوَى النَّصَارَى خَصْوَصِيَّةِ إِلْسَامٍ لِكُونِ كِتَابِهِ بِاللُّسَانِ الْعَرَبِيِّ	٥٢
دُفْعَ مَا يَوْهِمُ الْخَصْوَصِيَّةَ لِكُونِ الْقُرْآنِ عَرَبِيًّا	٦٩
رَدُّ زَعْمِ النَّصَارَى عَصْمَةِ الْحَوَارِيِّينَ الْمُتَرَجِّمِينَ لِإِنْجِيلِ	٨٠
الرَّدُّ عَلَى زَعْمِهِمِ الْإِسْتِغْنَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ عَنِ	٨٦
رَسَالَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -	٨٦
رَدُّ زَعْمِهِمْ بِأَنَّ عَدْلَ اللَّهِ يَقْتَضِيُّ أَنْ لَا يَطَالِبُوا بِاتِّبَاعِ	١٠٢
إِنْسَانٌ لَمْ يَأْتِ إِلَيْهِمْ	١٠٢
رَدُّ عَقِيْدَةِ النَّصَارَى فِي الصَّلَبِ وَالْفَدَاءِ	١٠٨
الرَّدُّ عَلَى النَّصَارَى فِي دُعَوَاهِمْ أَنَّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:	١١٧
﴿وَمَنْ يَتَنَعَّمْ غَيْرُ إِلْسَامٍ دِينَنَا...﴾ الْآيَةُ، تَقْتَضِيُّ الْعَرَبُ وَحْدَهُمْ	١٣٣
تَوْسُّطُ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ تَقْصِيرِ الْيَهُودِ وَغُلُوِّ النَّصَارَى	١٥٥
الْفَرْقُ بَيْنَ مَا يَضَافُ إِلَى اللَّهِ مِنْ صَفَاتِهِ وَمَا يَضَافُ إِلَيْهِ مِنْ سُلُوكَاتِهِ	١٦٨
إِبْطَالُ دُعَوَاهِمْ اتَّحَادِ كَلْمَةِ اللَّهِ بِجَسْدِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -	١٧٨
رَدُّ دُعَوَاهِمِ الْفَضْلِ لَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى:	١٧٨
﴿وَجَاءُلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكُمْ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ الْآيَةُ	١٧٨